التكشيف الاقتصادي للتراث
الإقطاع (٣)
موضوع رقم (٢٦)

إعداد
الدكتور / أحمد جابر بدران
بإشراف
أ . د / علي جمعة محمد

فهرس محتويات ملف (٢٥)
الاقطاع (٤) موضوع (٢٦)

١٢ – اقطاع الرسول (ﷺ) تميم الدارى وزقاربه قرى فى جنوب فلسطين جـ١٨ ص ١٠٤–١٠٧

الونشريسي – المعيار المعرب جـ ٤ / ٢٧

١ – الأرض التى بأيدى الأئمة والحكام ويعطونها للمسلمين هى فى العادة امتاع لا تملك وهى لجماعة المسلمين ولا يجوز بيعها جـ٥ص٩٨,٩٩،جـ٩ص٧٣

٢٦ الاقطاع جـ٥

الكتانى، نظام الحكمة النبوية المسمى التراتيب الادارية

١ – الرسول (ﷺ) يكتب الى تميم الدارى وأخوته باقطاع فى الشام جـ١ ص ١١٨,١٤٣–١٥٥

٢ – الاقطاع – تسويغ الامام من مال الله لمن يراه أهلا لذلك جـ١ ص ١٢٠

٣ – الرسول (ﷺ) يقطع بلال بن الحارث القبلية جـ١ ص ١٥٣

٤ – الرسول (ﷺ) يشترى لمحمد بن عبد اله بن جحش مالا يخيبر ويقطعه دارات سوق الرقيق فى المدينة جـ١ ص ٢٣٨

٥ – الرسول (ﷺ) يقطع الناس الدور فى المدينة ويخط لعثمان بن عفان داره جـ١ ص ٢٨١,٢٨٢

٢٦ الاقطاع جـ٦

الادريى: نزهة المشتاق

١ – المنصور يبنى مدينة بغداد ويجعل جوانبها قطائع لمواليد وأتباعه جـ٦ص٦٦٦

ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية

١ – رأى ابن تيمية فى رجل أعطاه ولى الأمر اقطاعات وفيه شى من المكوس، فهل يجوز له الأكل منها أو يقطعها لأجفاده جـ٢٨ص٥٩٠,٥٩١

٢ – الاقطاع نوعان: اقطاع تمليك، كما يقطع الموات لمن ي؟ يتملكه. واقطاع استغلال: وهو اقطاع منفعة الأرض لمن يستغلها جـ٣٠ص١٢٨

٣ – اقطاع ولى الأمر هو بمنزلة قسمته بيت مال المسلمين جـ٣٠ ص ١٣٣

٤ – مسائل فى الاقطاع ورأى الفهاء فيها جـ٣٠ ص ١٣٧,١٣٨,١٤٠–١٤٣

ابن الجوزى، المنتظم

١ – الخليفة المعتمد يقطع يعقوب بن اليث الصفار ضياعا ؟ جـ ٥ ص٣٣

٢ – معز الدولة بن بو؟ يقطع عن الخليفة المطيع لله الألفى درهم التى كان يقسمها له فى كل يوم لنفقته وتعوضه عنها ضياعا من ضياع البصرة جـ ٦ ص ٣٥٧

٣ – عضد ؟ الدولة يقطع القرامطة بواسط، وعز الدول يقطعهم قبلة يسقى الفرات جـ٧ ص ١٢٦

٤ – اقطاعات وكيل الخدمة وعمد الرؤساء زمن خلال الدولة سنة ٤٢٣هـ جـ٨ص٦٥

٥ – الخليفة المقتدى يعطى الوزير أبا شجاع محمد ابن الحسين اقطاعا ببضعة عشر ألف دينار جـ٩ص١٠

٦ – كان اقطاع الأمير أنر سنة ٤٩٢هـ يزيد على عشرة آلا ألف دينار (كذا) جـ٩ ص ١١٠

٧ – كان اقطاع أحمد بك الأمير (ت٥١٠هـ) فى كل سنة أربعمائة ألف دينار، وجنده خمسة آلاف فارس جـ٩ ص ١٨٥

٨ – كتب السلطان سنجر بن ملكشاه (سنة ٥١٣هـ) باقطاع الى الخليفة بخمسين ألف دينار وللوزير بعشرة آلاف ص ٢٠٦.

السيوطي، ادر المنشور

١ – الرسول (ﷺ) يقطع تميم الدارى قريتين من بيت لحم، ويكتب له بهما كتابا، وعمر بن الخطاب يمضيه له جـ٤ص٢٢٢

٢ – عمر بن الخطاب يرفض اقطاع الناس بمكة جـ٦ص٢٥

٢٦ الاقطاع جـ٧

ابن الأثير، جامع الأصول ن أحاديث الرسول

١ – الرسول (ﷺ) أراد اقطاع الأنصار البحرين جـ١٠ص١٠٨,١٠٩

٢ – الرسول (ﷺ) يقطع وائل بن حجر أرضا فى حضرموت جـ١١ ص ٢٢٧,٢٢٨

٣ – الروسل (ﷺ) يقطع بلال بن الحارث المزنى معادن القبلية جـ١١ ص ٢٢٨

٤ – الرسول (ﷺ) يقطع أبيض بن حمال ملح مأرب جـ١١ ص٢٢٨

٥ – الرسول (ﷺ) يقطع من يطلب الاقطاع جـ١١ ص ٢٢٩

٦ - الرسول (ﷺ) يقطع بني رفاعة من جهينة ذى المروة جـ١١ ص ٢٣٠

٧ - الرسول (ﷺ) يقطع الزبير بن العوام أرضا جـ١١ ص ٢٣٠

٨ - الرسول (ﷺ ٩ يقر ملكية من حمى أرضا من المسلمين جـ١١ ص ٢٣١

ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ

١ - معاوية يقطع المقاتلة أراضى فى الثغور الشامية ويسكنهم بها جـ٢ ص ٤٣١

٢ - عبد الله بن بن ورقاء الخزاعى يطلب من عمر أن يقطعه (رستاقى) الضبسين، فيرفض جـ٣ص٤٤

٣ - العرب يقطعون أراض فى كرمان هرب أهلها عنها فيحيونها ويزرعونها جـ٣ ص ١٢٨

٤ - أبو بكرة يقطع أبا لؤلؤة الضبى مائة جريب فى البصرة ص ٤١٤

٥ - أسد بن عبد الله الحكمى يقطع المقاتلة القطائع فى بلخ جـ٥ص ١٣٩

٦ - المهدى يقطع عيسى بن موسى ضياعا بالزاب وكسكر مقابل تنازله عن ولاية المعهد جـ٦ ص٤٥

٧ - المهدى يتخذ خمسمائة رجل من الأنصار خاص له ويقطعهم الاقطاعات فى العراق جـ٦ ص٤٩

٨ - الرشيد يقطع بعض أصحابه الاقطاعات فى منطقة الحيرة جـ٦ ص ١٥٢

٩ - الأمين يقطع على بن عيسى بن ماهان كور الجبل كلها : نهاوند وهمدان وقم وأصبهان وغير ذلك حين وجهه لحرب المأمون

١٠ - الخليفة المستعين بالله يقطع محمد بن عبد الله ابن طاهر اقطاعات فى طبرستان جـ٧ص١٣٠,١٣١

١١ - اقطاعات القادة وأمراء الجند والعسكر جـ٧ ص١٣٧، ٢٢١، ٢٤٩، ٢٨٨، ٣١٦، جـ٨، ص٢٠١، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٩٣، ٥٢٣، جـ٩ص٥، ٢٢، ٢٣، ٢٩، ١٢٨، ١٥٢، ١٧٥، ٣٥٨، ٤٥٤، ٥٧٠، ٥٨٩، جـــــص٥٠، ٩٢، ١١١، ١٠٥، ١٣٧، ١٦٢، ١٤٨، ١٥٦، ١٥٨، ٢٩٥، ٣٣١، ٥٣٣، ٢٩٧، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦٥٠، ٣٣٨، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٩٦، ٤٤٧، ٥١٤، ٥٤٧، ٥٨٨، ٥٩٢، ٥٩٩، ٦٠٣، ٤جــ ١١ص٤٦ ، ٦٧، ١٠٥، ١١١ جــ ١١ص١١٣، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٧٤، ١٩١، ١٩٩، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧- ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٥٩، ٣٧٧، ٣٨٤، ٣٥٩، ٣٧٧، ٣٨٤، ٣٨٧، ٤٠٧، ١٤٣، ٢، ٤١٤، ٤٢, ١٦٤, ١٥٤

٤,٢٨، ٤٨٤، ٤٩٩، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٣١، ٥٣٩، ٥٥٠، جــ١٢ص١٣، ٢٧، ٤٢، ٥٠، ٥٦، ٥٩، ٦٢، ٨٠، ٨٣، ١٠٨، ١١٠، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٣١٦٥، ١٨٥، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٥٨، ٣٠٠، ٣١٧، ٣٤٣، ٣٥١ .

١٢ - بعض القادة الأتراك يطالبون الخليفة امهتدى برد اقطاعات القادة والأمراء ورد رسوم الجند الى ما كانت عليه أيام المستعين جـ٧ص٢٢٢,٢٢٣

١٣ - عضد الدولة يقطع سادات القرامطة اقطاعات كثيرة جـ٩ص٤٢

١٤ - شرف الدولة زبو نصر خواشاذة يقطع الأعراب فى الجزيرة الفراتية مناطق واسعة ليمهوا عنها جـ٩ ص ٥٥,٥٤

١٥ - ألب أرسلان يقطع بنات أحد وزرائه الاقطاعات جـ١٠ص٥٣

١٦ - السلطان ملك شاه السلجوقى يقطع العرب والأكراد فى الموصل والجزيرة الفراتية الاقطاعات لمساعدتهم اياه جـ١٠ ص ٧٩

١٧ - السلطان ملك شاه يقطع وزيره نظام الملك الاقطاعات جـ١٠ ص ٨٠

١٨ - السلطان منكشاه يقطع عمته صفية مدينة بلد فى العراق جـ١٠ ص٢٢٠

١٩ - أسقط المسترشد بالله سنة ٥١٢هـ من الاقطاع الخاص به كل جور وأمر أن لا يؤخذ الا ماجرت به العادة القديمة جـ١٠ ص ٥٤٤

كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسي

المحتوى على كتب ظاهر الرواية للامام محمد بن الحسن الشيباني
عن الامام الاعظم أبي حنيفة رحمهم الله تعالى ونفع بهم

هذا الكتاب رقى علا وبجمعه * فاق السرخسي سائر الاقران
وتكاملت فيه قواعد مذهب * لابى حنيفة ذى التقى النعمان
نشر التعامل والعبادة نشره * فى كل آونة وكل مكان
لا ومعتمد القضاة مقاله * وأئمة الافتاء والعرفان

(تنبيه) قد باشر حضرة العلامة الفاضل الجهبذ الشهير الشيخ محمد راضى الحنفى تصحيح هذا الكتاب بمساعدة جماعة من ذوى الدقة من أهل العلم والله المستعان وعليه التكلان

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

دليل التقرير فقد كان معاذ رضى الله عنه متعينا للبيان لاهل اليمن لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه اليهم ليبين لهم الاحكام واستدل بترك النكير عليهم بعد ما اشتهر هذا العقد بينهم على جوازه ثم روى عنه انه أمضي ذلك وفى هذا تنصيص على الفتوى بالجواز وعن طاوس رحمه الله أنه سئل عن المخابرة فى الارض فقال خابروا على الشطر والثلث والربع ولا تخابروا على كيل معلوم فكان طاوسا تعلم من معاذ رضى الله عنه وفيه دليل أن المزارعة على كيل معلوم يشترطه أحدهما لا تجوز وبه يأخذ من يجوز المزارعة لان هذا الشرط يؤدى الى قطع الشركة فى الخارج بعد حصوله وعن موسى بن طلحة قال اقطع عمر رضي الله عنه خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سعد بن مالك والزبير وخبابا ورأيت هذين يعطيان أرضهما بالثلث والربع وعبد الله وسعدا رضى الله عنهم والمراد عبد الله بن مسعود وقد ذكره مفسرا بعد هذا وهو من كبار فقهاء الصحابة وسعد بن مالك من العشرة وكانا يباشران المزارعة بالثلث والربع وفى الحديث دليل ان للامام ولاية الاقطاع فيما ليس بملك لانسان بعينه لان ماكان الحق فيه لعامة المسلمين فالتدبير فيه الى الامام وله أن يخص بعضهم بشئ من ذلك على حسب ما يرى كما يفعله فى بيت المال وعن أبى الاسود قال انا كنا نزارع على عهد علقمة والاسود رحمهما الله بالثلث والربع فما يعيبان ذلك علينا وهما من كبار أصحاب على وعبد الله رضى الله عنهما وفتواهما فى ذلك على موافقة فتوى على وعبد الله رضى الله عنهما حجة أيضا وعن محمد بن رافع بن خديج قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا الى قوم يطمس عليهم نخلا فجاء ارباب النخيل فقالوا يارسول الله ان فلانا قد طمس علينا نخلنا فقال عليه الصلاة والسلام قد بعثت رجلا فى نفسي أمينا فان أحببتم أن تأخذوا نصيبكم بما طمس والا أخذنا وأعطينا كم نصيبكم فقالوا هذا الحق وبالحق قامت السموات والارض والمراد بالطمس المذكور فى أول الحديث الحزر والمذكور ثانيا الظلم فالطمس هو الاستئصال ومنه يقال عين مطموسة قال الله تعالى فطمسنا أعينهم وكان الحديث فى ابن رواحة رضى الله عنه في أهل خيبر وان لم يفسره فى هذه الرواية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت رجلا فى نفسي أمينا فى معنى الرد لتهمتهم عليه وهكذا ينبغى للامام أن يختار لعمله من هو أمين عنده ثم يقبل قوله فيما يخبر به ولا يرده لطعن الطاعنين فالقائل بحق لا بد أن يطعن فيه بعض الناس فالناس أطوار وقليل منهم الشكور وقد تحقق تهمتهم لما خيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالوا هذا الحق وبالحق قامت السموات الارض وبيانه فى قوله تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض وعن الضحاك رضى الله عنه أن عمر رضى الله عنه كان يكرى الارض الجرز بالثلث والربع وكان لا يرى بذلك بأسا والمراد به الارض البيضاء التى تصلح للزراعة قال الله تعالى أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز وعمر رضى الله عنه كان ممن يري جواز المزارعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما دار عمر فالحق معه رضي الله عنه فهو حجة لمن يجوزها وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لرافع بن خديج ما حديث بلغنى عن عمومتك في كراء المزارع فقال دخل عمومتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرجوا الينا فأخبرونا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن كراء المزارع فقال ابن عمر رضى الله عنه قد كنت أعلم انا كنا نكرى الارض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لرب الارض ماء فى الربيع الساقى الذى يتفجر منه الماء وطائفة من الدين قال لا أدرى كم هو قال محمد رحمه الله وهذا عندنا هو الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من كراء المزارع انهم كانوا يكرونها بشئ لا يدرون كم هو ولا ما يخرج وفيه دليل أن النهى العام يجوز أن يقيد بالسبب الخاص اذا علم ذلك فقد قيد ابن عمر رضى الله عنه النهى المطلق بما عرف من السبب والخصوصية وهو تأويل النهى عند من اجاز المزارعة قال المزارعة بهذه الصفة لا تجوز لانها تؤدي الى قطع الشركة فى الخارج مع حصولها فمن الجائز أن يحصل الخارج فى الجانب الذى شرط لاحدهما دون الجانب الاخر والربيع الساقى الماء وهو ماء السيل ينحدر من الموضع المرتفع فيجتمع فى موضع ثم يسقى منه الارض ولكن أبو حنيفة رحمه الله أخذ بعموم النهى بحديثين رويا فى الباب عن رافع بن خديج رضى الله عنه أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بحائط فأعجبه فقال لمن هذا فقال رافع رضى الله عنه لي استأجرته فقال عليه الصلاة والسلام لا تستأجره بشئ منه وهذا الحديث يمنع حمله على هذا التأويل والثانى ما روى عن رافع ابن خديج رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كراء المزارع فقلت انا نكريها بما على الربيع الساقى فقال لا فقلت انا نكريها بالتبن فقال لا فقلت انا نكريها بالثلث والربع فقال عليه السلام لا ازرعها أو امنحها أخاك وهذا ان ثبت فهو نص وكان هذه الزيادة لم تثبت عند من يرى جوازها وانما الثابت القدر الذى رواه محمد رحمه الله عن رافع بن خديج رضى الله عنه أن أسد بن ظهير جاء ذات يوم الى قومه فقال يا بنى حارثة قد دخلت

دليل التقرير فقد كان معاذ رضى الله عنه متعينا للبيان لاهل اليمن لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه اليهم ليبين لهم الاحكام واستدل بترك التكثر عليهم بعد ما اشتهر هذا العقد بينهم على جوازه ثم روى عنه انه أمضى ذلك وفى هذا تنصيص على الفتوى بالجواز وعن طاوس رحمه الله أنه سئل عن المخابرة فى الارض فقال خابروا على الشطر والثلث والربع ولا تخابروا على كيل معلوم فكان طاوسا تعلم من معاذ رضى الله عنه وفيه دليل أن المزارعة على كيل معلوم يشترطه أحدهما لا تجوز وبه يأخذ من يجوز المزارعة لان هذا الشرط يؤدى الى قطع الشركة فى الخارج بعد حصوله وعن موسى بن طلحة قال اقطع عمر رضي الله عنه خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سعد بن مالك والزبير وخبابا ورأيت هذين يعطيان أرضهما بالثلث والربع وعبد الله وسعدا رضى الله عنهم والمراد عبد الله بن مسعود وقد ذكره مفسرا بعد هذا وهو من كبار فقهاء الصحابة وسعد بن مالك من العشرة وكانا يباشران المزارعة بالثلث والربع وفى الحديث دليل ان للامام ولاية الاقطاع فيما ليس بملك لانسان بعينه لان ما كان الحق فيه لعامة المسلمين فالتدبير فيه الى الامام وله أن يخص بعضهم بشئ من ذلك على حسب ما يرى كما يفعله فى بيت المال وعن أبى الاسود قال انا كنا نزارع على عهد علقمة والاسود رحمهما الله بالثلث والربع فما يعيبان ذلك علينا وهما من كبار أصحاب على وعبد الله رضى الله عنهما وفتواهما فى ذلك على موافقة فتوى على وعبد الله رضى الله عنهما حجة أيضا وعن محمد بن رافع بن خديج قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا الى قوم يطمس عليهم نخلا فجاء ارباب النخيل فقالوا يارسول الله ان فلانا قد طمس علينا نخلنا فقال عليه الصلاة والسلام قد بعثت رجلا فى نفسي أمينا فان أحببتم أن تأخذوا نصيبكم بما طمس والا أخذنا وأعطينا كم نصيبكم فقالوا هذا الحق وبالحق قامت السموات والارض والمراد بالطمس المذكور فى أول الحديث الحزر والمذكور ثانيا الظلم فالطمس هو الاستئصال ومنه يقال عين مطموسة قال الله تعالى فطمسنا أعينهم وكان الحديث فى ابن رواحة رضى الله عنه في أهل خيبر وان لم يفسره فى هذه الرواية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت رجلا فى نفسي أمينا فى معنى الرد لتهمتهم عليه وهكذا ينبغى الامام أن يختار لعمله من هو أمين عنده ثم يقبل قوله فيما يخبر به ولا يرده لطعن الطاعنين فالقائل بحق لا بد أن يطعن فيه بعض الناس فالناس أطوار وقليل منهم الشكور وقد تحقق تهمتهم لما خيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالوا هذا الحق وبالحق قامت السموات الارض وبيانه فى قوله تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض وعن الضحاك رضى الله عنه أن عمر رضى الله عنه كان يكرى الارض الجرز بالثلث والربع وكان لا يرى بذلك بأسا والمراد به الارض البيضاء التى تصلح للزراعة قال الله تعالى أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز وعمر رضى الله عنه كان ممن يرى جواز المزارعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما دار عمر فالحق معه رضي الله عنه فهو حجة لمن يجوزها وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لرافع بن خديج ما حديث بلغنى عن عمومتك في كراء المزارع فقال دخل عمومتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرجوا الينا فأخبرونا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن كراء المزارع فقال ابن عمر رضى الله عنه قد كنت أعلم انا كنا نكرى الارض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لرب الارض ماء فى الربيع الساقى الذى يتفجر منه الماء وطائفة من الدين قال لا أدرى كم هو قال محمد رحمه الله وهذا عندنا هو الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من كراء المزارع انهم كانوا يكرونها بشئ لا يدرون كم هو ولا ما يخرج وفيه دليل أن النهي العام يجوز أن يقيد بالسبب الخاص اذا علم ذلك فقد قيد ابن عمر رضى الله عنه النهى المطلق بما عرف من السبب والخصوصية وهو تأويل النهى عند من اجاز المزارعة قال المزارعة بهذه الصفة لا تجوز لانها تؤدي الى قطع الشركة فى الخارج مع حصولها فمن الجائز أن يحصل الخارج فى الجانب الذى شرط لاحدهما دون الجانب الآخر والربيع الساقى الماء وهو ماء السيل ينحدر من الموضع المرتفع فيجتمع فى موضع ثم يسقي منه الارض ولكن أبو حنيفة رحمه الله أخذ بعموم النهى بحديثين رويا فى الباب عن رافع بن خديج رضى الله عنه أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بحائط فأعجبه فقال لمن هذا فقال رافع رضى الله عنه لي استأجرته فقال عليه الصلاة والسلام لا تستأجره بشئ منه وهذا الحديث يمنع حمله على هذا التأويل والثانى ما روى عن رافع ابن خديج رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كراء المزارع فقلت انا نكريها بما على الربيع الساقى فقال لا فقلت انا نكريها بالتبن فقال لا فقلت انا نكريها بالثلث والربع فقال عليه السلام لا ازرعها أو امنحها أخاك وهذا ان ثبت فهو نص وكان هذه الزيادة لم تثبت عند من يرى جوازها وانما الثابت القدر الذى رواه محمد رحمه الله عن رافع بن خديج رضى الله عنه أن أسد بن ظهير جاء ذات يوم الى قومه فقال يا بنى خارجة قد دخلت

المختصر في أخبار البشر

تأليف

عماد الدين اسماعيل أبي الفداء

المتوفى سنة ٧٣٢ هجرية

بلسانهم (وفي هذه السنة) سقط من يد عثمان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم وكان من فضة فيه ثلاثة أسطر محمد رسول الله وكان النبي يتختم به ويختم به الكتب التي كان يرسلها الى الملوك ثم ختم به بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان الى ان سقط في بئر اريس (ثم دخلت سنة احدى وثلاثين)

ذكر مهلك يزدجرد بن شهريار بن برويز

وهو آخر ملوك الفرس (في هذه السنة) هلك يزدجرد * وقد اختلف في ذلك فقيل انه نزل بمرو فثار عليه أهلها وقتلوه وقيل بغته الترك وقتلوا أصحابه فهرب يزدجرد الى بيت رجل ينقر الارحاء فقتله ذلك الرجل واتبع الفرس أثر يزدجرد الى بيت النقار وعذبوا النقار فاقر بقتله فقتلوه (وفيها) عصت خراسان واجتمع أهلها في خلق عظيم وسار اليهم المسلمون وذلك في أيام عثمان ففتحوها فتحا ثانياً (وفي هذه السنة) مات أبو سفيان بن حرب بن أمية أبو معاوية (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين) فيها توفي عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ من ولد مدركة بن الياس بن مضر وفي مدركة يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء في بعض الروايات ان عبد الله بن مسعود المذكور أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة والذى روى انه من العشرة أسقط أبا عبيدة بن الجراح وجعل عبد الله المذكور بدله وكان جليل القدر عظيما في الصحابة وهو أحد القراء رحمه الله تعالى ورضى عنه (ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين) فيها تكلم جماعة من الكوفة في حق عثمان بانه ولى جماعة من أهل بيته لا يصلحون للولاية فكتب سعيد بن العاص والى الكوفة من قبل عثمان اليه بذلك فامره عثمان بأن يسير الذين تكلموا بذلك الى معاوية بالشام فارسلهم وفيهم الحارث بن مالك المعروف بالاشتر النخعي وثابت بن قيس النخعي وجميل بن زياد وزيد بن صوحان العبدى وأخوه صعصعة وجندب بن زهير وعروة ابن الجعد وعمرو بن الحمق فقدموا على معاوية وجرى بينهم كلام كثير وحذرهم الفتنة فوثبوا وأخذوا بلحية معاوية ورأسه فكتب بذلك الى عثمان فكتب اليه عثمان أن يردهم الى سعيد بن العاص فردهم الى سعيد فاطلقوا ألسنتهم في عثمان واجتمع اليهم أهل الكوفة (ثم دخلت سنة أربع وثلاثين) فيها قدم سعيد الى عثمان وأخبره بما فعله أهل الكوفة وانهم يختارون أبا موسى الاشعرى فولى عثمان أبا موسى الكوفة فخطبهم أبو موسى وأمرهم بطاعة عثمان فاجابوا الى ذلك وتكاتب نفر من الصحابة بعضهم الى بعض أن أقدموا فالجهاد عندنا ونال الناس من عثمان وليس أحد من الصحابة ينهى عن ذلك ولا يذب الا نفر منهم زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدى وكعب بن

مالك وحسان بن ثابت ومما نقم الناس عليه رده الحكم بن العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريد أبى بكر وعمر أيضا وأعطى مروان بن الحكم خمس غنائم افريقية وهو خمسمائة ألف دينار وفي ذلك يقول عبد الرحمن الكندى

سأحلف بالله جهد اليميـ * ـن ماترك الله أمرا سدى
ولكن خلقت لنا فتنة * لكى نبتلى بك أو تبتلى
فان الامينين قد بينا * منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهما غيلة * وماجعلا درهما في الهوى
دعوت اللعين فأدنيته * خلافا لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العبا * د ظلما لهم وحميت الحما

وأقطع مروان بن الحكم فدك وهى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى طلبتها فاطمة ميراثا فروى أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ماتركناه صدقة ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه الى ان تولى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردها صدقة (وفي هذه السنة) توفي المقداد بن الاسود وهو المقداد بن عمرو ابن ثعلبة ونسب الى الاسود بن عبد يغوث لانه كان قد حالف الاسود المذكور في الجاهلية فتبناه فعرف بالمقداد بن الاسود فلما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم قيل له المقداد بن عمرو ولم يكن في يوم بدر من المسلمين صاحب فرس غير المقداد في قول وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان عمره نحو سبعين سنة (ثم دخلت سنة خمس وثلاثين) فيها قدم من مصر جمع قيل ألف وقيل سبعمائة وقيل خمسمائة وكذلك قدم من الكوفة جمع وكذلك من البصرة وكان هوى المصريين مع على وهوى الكوفيين مع الزبير وهوى البصريين مع طلحة فدخلوا المدينة ولما جاءت الجمعة التى تلى دخولهم المدينة خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر وقال للجموع المذكورة ياهؤلاء الله يعلم وأهل المدينة يعلمون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فقام محمد بن مسلمة الانصارى فقال أنا أشهد بذلك فثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصب عثمان حتى خر عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره وقاتل جماعة من أهل المدينة عن عثمان منهم سعد بن أبى وقاص والحسن بن على بن أبى طالب وزيد بن ثابت وأبو هريرة رضى الله عنهم فأرسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا وصلى عثمان بالناس بعد ما نزلت الجموع المذكورة في المسجد ثلاثين يوما (ثم) منعوه الصلاة فصلى بالناس أميرهم الغافقى أمير جمع مصر ولزم أهل المدينة بيوتهم وعثمان محصور في داره ودام ذلك أربعين يوما وقيل خمسين ثم ان عليا اتفق مع عثمان على

ومذهب الفلاسفة وحملوا المحضر الى بعض الفقهاء الفضلاء ليكتب خطه حسبما وضعوا خطوطهم به فكتب

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم

ولما جرى ذلك استتر الآمدى المذكور وسار الى حماة وأقام فيها مدة ثم عاد الى دمشق حتى توفي بها في هذه السنة وكانت ولادته في سنة احدى وخمسين وخمسمائة (وفيها) توفي الصلاح الاربلى وكان فاضلا شاعرا أميرا محظيا عند الملكين الكامل والاشرف ابنى الملك العادل (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة) والملك الكامل بالبلاد الشرقية وقد انثنى عزمه عن قصد بلاد الروم للتخاذل الذى حصل في عسكره ثم رحل وعاد الى مصر وعاد كل واحد من الملوك الى بلده (وفيها) توفي الملك الزاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح الدين وكان قد مرض في العسكر الكاملى فحمل الى البيرة مريضا وتوفي بها وملك البيرة بعده ابن أخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب وكان الزاهر المذكور شقيق الظاهر صاحب حلب (وفيها) توفي القاضى بهاء الدين بن شداد في صفر وكان عمره نحو ثلاث وتسعين سنة وصحب السلطان صلاح الدين وكان قاضى عسكره ولما توفي صلاح الدين كان عمر القاضى المذكور نحو خمسين سنة ونال القاضى بهاء الدين المذكور من المنزلة عند أولاد صلاح الدين وعند الاتابك طغريل مالم ينلها أحد ولم يكن في أيامه من اسمه شداد بل لعل ذلك في نسب أمه فاشتهر به وغلب عليه وأصله من الموصل وكان فاضلا دينا وكان اقطاعه على الملك العزيز مايزيد على مائة ألف درهم في السنة (وفيها) لما سارت الملوك الى بلادهم من خدمة الملك الكامل وصل الملك المظفر صاحب حماة ودخلها لخمس بقين من ربيع الاول من هذه السنة واتفق مولد ولده الملك المنصور محمد بعد مقدمه بيومين في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الاول من هذه السنة أعنى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة فتضاعف السرور بقدوم الوالد والولد قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد قصيدة طويلة في ذلك فمنها

غدا الملك محروس الذرى والقواعد   باشرف مولود لاشرف والد
حبينا به يوم الخميس كأنه   خميس به الناس في شخص واحد
وسميته باسم النبي محمد   وجديه فاستوفى جميع المحامد

أى باسم جديه الملك الكامل محمد والد والدته والملك المنصور محمد صاحب حماة والد والده ومنها

كأنى به في سدة الملك جالسا   وقد ساد في أوصافه كل سائد
وواوك من أبنائه وبنيهم   بأنجم سعد نورها غير خامد

ألا أيها الملك المظفر دعوتى   ستورى بها زندى ويشتد ساعدى
هنيئا لك الملك الذى بقدومه   ترحل عنا كل هم معاود

﴿ وفيها ﴾ لما تفرقت العساكر الكاملية قصد كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حران والرها وحاصرهما واستولى عليهما وكانا للسلطان الملك الكامل (وفيها) توفي بالقاهرة القاسم بن عمر بن على الحموى المصرى الدار المعروف بابن الفارض وله أشعار جيدة منها قصيدته التى عملها على طريقة الفقراء وهى مقدار ستمائة بيت (ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة) في هذه السنة سار الناصر داود من الكرك الى بغداد ملتجئا الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف من عمه الملك الكامل وقدم الى الخليفة تحفا عظيمة وجواهر نفيسة فاكرمه الخليفة المستنصر وخلع عليه وعلى أصحابه وكان الناصر داود يظن ان الخليفة يستحضره في ملا من الناس كما استحضر مظفر الدين صاحب أربل فلم يحصل له ذلك وألح في طلب ذلك من الخليفة فلم يجبه فعمل الناصر المذكور قصيدة يمدح المستنصر فيها ويعرض بصاحب أربل واستحضاره ويطلب الاسوة به وهى قصيدة طويلة منها

فأنت الامام العدل والمفرق الذى   به شرفت أنسابه ومناصبه
جمعت شتيت المجد بعد افتراقه   وفرقت جمع المال فانهال كاتبه
ألا يا أمير المؤمنين ومن غدت   على كاهل الجوزاء تعلو مراتبه
أيحسن في شرع المعالى ودينها   وأنت الذى تعزى اليك مذاهبه
بأنى أخوض الدو والدو مقفر   سآريه مغبرة وسباسبه
وقد رصد الاعداء لى كل مرصد   فكلهم نحوى تدب عقاربه

ومنها

وتسمح لى بالمال والجاه بغيتى   وما الجاه الا بعض ما أنت واهبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة   له الأمن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله   ويحظى وما أحظى بما أنا طالبه
وينظر من لألاء قدسك نظرة   فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يعلونى بنفس ورتبة   وصدق ولاء لست فيه أصاقبه
لكنت أسلى النفس عما أرومه   وكنت أذود العين عما يراقبه
ولكنه مثلى ولو قلت اننى   أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه
وما أنا ممن يملأ المال عينه   ولا بسوى التقريب تقضى ماربه

وكان الخليفة متوقفا على استحضار الناصر داود رعاية لخاطر الملك الكامل لجمع بين

وستمائة واستولى على اليمن بعده ولده عمر بن على المذكور على ما كان عليه ابوه من النيابة فارسل من مصر اعمامه ليعزلوه ويكونوا نوابا موضعه فلما وصلوا الى اليمن قبض عمر المذكور عليهم واعتقلهم واستقل عمر المذكور بملك اليمن يومئذ وتلقب بالملك المنصور واستكثر من المماليك الترك فقتلوه في هذه السنة أعنى سنة ثمان وأربعين وستمائة واستقر بعده في ملك اليمن ابنه يوسف بن عمر وتلقب بالملك المظفر وصفا له ملك اليمن وطالت أيام مملكته على ماسنعلمه ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة) فيها توفي الصاحب محيى الدين بن مطروح وكان متقدما عند الملك الصالح أيوب كان يتولى له لما كان الصالح بالشرق نظر الجيش ثم استعمله على دمشق ثم عزله وولى ابن يغمور وكان ابن مطروح المذكور فاضلا في النثر والنظم فمن شعره

عانقته فسكرت من طيب الشذا   غصن رطيب بالنسيم قد اغتذا
نشوان ما شرب المدام وانما   أمسى بخمر رضا به متنبذا
جاء العذول يلومنى من بعد ما   أخذ الغرام على فيه مأخذا
لاأرعوى لاأنثنى لا انتهى   عن حبه فليهذ فيه من هذى
ان عشت عشت على الغرام وان امت   وجدا به وصبابة ياحبذا

(وفيها) جهز الملك الناصر يوسف صاحب الشام عسكرا الى غزة وخرج المصريون الى السائح وأقاموا كذلك حتى خرجت هذه السنة (وفيها) توفى علم الدين قيصر ابن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر الفقيه الحنفى المقرى المعروف بتعاسيف وكان اماما في العلوم الرياضية اشتغل بالديار المصرية والشام ثم سار الى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس علم الموسيقى ثم عاد الى الشام وتوفي بدمشق في شهر رجب من السنة المذكورة ومولده سنة أربع وسبعين وخمسمائة باصفون من شرقى صعيد مصر (ثم دخلت سنة خمسين وستمائة) ولم يقع لنا فيها مايصلح ان يؤرخ (ثم دخلت سنة احدى وخمسين وستمائة) فيها استقر الصلح بين الملك الناصر يوسف صاحب الشام وبين البحرية بمصر على ان يكون للمصريين الى نهر الاردن وللملك الناصر ماوراء ذلك وكان نجم الدين البادراى رسول الخليفة هو الذى حضر من جهة الخليفة وأصلح بينهم على ذلك ورجع كل منهم الى مقره (وفيها) قطع أيبك التركمانى خبز حسام الدين ابن أبى على الهذبانى فطلب دستورا فاعطيه وسار الى الشام فاستخدمه الملك الناصر يوسف بدمشق

ذكر احوال الناصر صاحب الكرك

❊(وفيها)❊ أفرج الملك الناصر يوسف عن الملك الناصر داود بن المعظم الذى كان صاحب

الكرك وكان قد اعتقله بقلعة حمص وذلك بشفاعة الخليفة المستعصم فيه فافرج عنه وأمره أن لايسكن في بلاده فرحل الناصر داود المذكور الى جهة بغداد فلم يمكنوه من الوصول اليها وطلب وديعته الجوهر فمنعوه اياها وكتب الملك الناصر يوسف الى ملوك الاطراف انهم لايأووه ولا يميروه فبقى الناصر داود في جهات عانة والحديثة وضاقت به الاحوال وبمن معه وانضم اليه جماعة من غزيه فبقوا يرحلون وينزلون جميعا ثم لما قوى عليهم الحر ولم يبق بالبرية عشب قصدوا ازوار الفرات يقاسون بق الليل وهواجر النهار وكان معه أولاده وكان لولده الظاهر شاذى فهد فكان يتصيد في النهار مايزيد على عشرة غزلان وكان يمضى للملك الناصر داود وأصحابه أياما لايطعمون غير لحوم الغزلان واتفق ان الاشرف صاحب تل باشر وتدمر والرحبة يومئذ أرسل الى الناصر داود مركبين موسقين دقيقا وشعيرا فارسل صاحب دمشق وتهدده على ذلك ثم ان الناصر داود قصد مكانا للشرابى واستجار به فرتب له الشرابى شيئاً دون كفايته وأذن له في النزول بالانبار وبينها وبين بغداد ثلاثة أيام والناصر داود مع ذلك يتضرع الى الخليفة المستعصم فلا يجيب ضراعته ويطالب وديعته فلا يرد لهفته ولا يجيبه الا بالمماطلة والمطاولة وكانت مدة مقامه متنقلا في الصحارى مع غزيه قريب ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك أرسل الخليفة وشفع فيه عند الملك الناصر فاذن له في العود الى دمشق ورتب له مائة ألف درهم على بحيرة فامية وغيرها فلم يتحصل له من ذلك الا دون ثلاثين ألف درهم (وفي هذه السنة) وصلت الاخبار من مكة بأن نارا ظهرت من عدن وبعض جبالها بحيث كانت تظهر في الليل ويرتفع منها في النهار دخان عظيم (ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وستمائة)

ذكر دولة الحفصيين ملوك تونس

وانما ذكرناها في هذه السنة لانها كالمتوسطة لمدة ملكهم وهو مانقلناه من الشيخ الفاضل ركن الدين بن قوبع التونسى قال والحفصيون أولهم أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى وهنتاتة بتائين مثناتين من فوقهما قبيلة من المصامدة ويزعمون انهم قرشيون من بنى عدى بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان أبو حفص المذكور من أكبر أصحاب ابن تومرت بعد عبد المؤمن وتولى عبد الواحد بن أبى حفص افريقية نيابة عن بنى عبد المؤمن في سنة ثلاث وستمائة ومات سلخ الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة فتولى أبو العلاء من بنى عبد المؤمن ثم توفي فعادت افريقية الى ولاية الحفصيين وتولى منهم عبد الله بن عبد الواحد بن أبى حفص في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ❊ ولما تولى ولى أخاه أبا زكريا يحيى قابس وأخاه أبا ابراهيم اسحق بلاد

وقصدوا كبسه وقتله فعلم كيختو وهرب فتبعوه ولحقوه بسلاسلار من أعمال موغان وقتلوه بها في الشهر المذكور * ولما قتل كيختو ملك بعده ابن عمه بيدو بن طرغية ابن هولاكو المذكور وجلس على سرير الملك في جمادى الاولى من هذه السنة وكان قازان بخراسان * فلما بلغه ملك بيدو جمع من أطاعه من المغل وأهل تلك البلاد وسار الى قتال بيدو ولما بلغ بيدو مسير قازان اليه جمع وسار الى جهة قازان وكان مع قازان اتابكه نيروز وهو الذي جمع الناس على طاعة قازان فلما تقارب الجمعان علم قازان انه لاطاقة له ببيدو فراسله واصطلحا وعاد قازان الى خراسان وأمر بيدو ان يقيم نيروز عنده خوفا من أن يجمع العسكر على قازان مرة ثانية فرجع قازان الى خراسان وأقام نيروز عند بيدو وأخذ نيروز في استمالة المغل الى قازان وافسادهم على بيدو في الباطن

ذكر مقتل بيدو وتملك قازان

ولما استوثق نيروز من المغل في الباطن كتب الى قازان بخراسان وأمره بالحركة فتحرك قازان وبلغ بيدو ذلك فتحدث مع نيروز في ذلك فقال نيروز لبيدو ارسلني الى قازان لافرق جمعه وأرسله اليك مربوطا فاستحلف بيدو نيروز على ذلك وأرسله فسار نيروز الى قازان وأعلمه بمن معه من المغل وعمد نيروز الى قدر فوضعها في جوالق وربطه وأرسل بذلك الى بيدو وقال وفيت بيميني حيث ربطت قازان وبعثته اليك وقازان اسم القدر بالتتري فلما بلغ بيدو ذلك جمع عساكره وسار الى جهة قازان والتقى الجمعان بنواحي همذان فخامر أصحاب بيدو عليه وصاروا مع قازان فولى بيدو هاربا وتبعه عسكر قازان فأدركوه عن قريب بنواحي همذان وقتلوه في ذي الحجة من هذه السنة فكانت مدة مملكة بيدو نحو ثمانية أشهر * ولما قتل استقر قازان ابن أرغون ابن ابغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان في المملكة في ذي الحجة من هذه السنة أعني سنة أربع وتسعين وستمائة بعد مقتل بيدو ولما استقر قازان في المملكة جعل نيروز نائب مملكة ورتب أخاه خربندا بن أرغون بخراسان

ذكر أخبار ملوك اليمن ووفاة صاحبها

(وفي هذه السنة) توفي صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول بقلعة تعز * وقد تقدم ذكر ملكه اليمن بعد قتل أبيه في سنة ثمان وأربعين وستمائة فكانت مدة ملكه نحو سبع وأربعين سنة وخلف عدة من الاولاد الذكور فملك بعده ولده الاكبر الملك الاشرف عمر بن يوسف وكان أخو عمر المذكور الملك المؤيد داود بالشحر عند موت والده لان أباه كان قد أعطى داود المذكور الشحر وأبعده اليها فلما مات والده وملك أخوه الملك الاشرف تحرك

الملك المؤيد داود المذكور وسار الى عدن واستولى عليها فارسل أخوه الملك الاشرف عسكرا واقتتلوا مع الملك المؤيد داود المذكور فانتصروا عليه وأخذوه أسيرا وأحضروه الى الملك الاشرف فقيده واعتقله وكان عمر الملك الاشرف لما تملك نحو سبعين سنة وأقام في الملك عشرين شهرا وتوفي والملك المؤيد داود في الاعتقال مقيدا فاتفق كبراء الدولة في ذلك الوقت وأخرجوه من الحبس وملكوا الملك المؤيد داود بن يوسف المذكور واستمر مالكا لليمن الى يومنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وسبعمائة

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) أرسل الملك العادل زين الدين كتبغا وقبض على خشداشه عز الدين أيبك الخزندار وعزله عن الحصون والسواحل بالشام ثم أفرج عنه واستناب موضعه عز الدين أيبك الموصلي (وفيها) قصر النيل تقصيرا عظيما وتبعه غلاء وأعقبه وباء وفناء عظيم (وفيها) في أوائل هذه السنة لما جلس في السلطنة زين الدين كتبغا أفرج عن مهنا بن عيسى واخوته وأعادهم الى منزلتهم (ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة) في هذه السنة قدم من التتر نحو عشرة آلاف بيت وفدين الى الاسلام خوفا من قازان وكان مقدمهم يقال له طرغية من أكبر أمراء المغل كان مزوجا ببنت منكوتمر بن هولاكو الذي انكسر جيشه على حمص ويقال لهذه الطائفة الوافدين العويراتيه وكان سبب قدومهم ان مقدمهم طرغية هو الذي اتفق مع بيدو على قتل كيختو بن ابغا فلما ملك قازان قصد الامساك على طرغية وقتله أخذا بثار عمه كيختو فهرب طرغية وجماعته المذكورون بسبب ذلك ولما قدموا الى الاسلام أرسل الملك العادل كتبغا أمير التقائهم وأكرمهم وأنزلهم بالساحل قريب قاقون وادر عليهم الارزاق وأحضر كبرائهم عنده الى الديار المصرية وأعطاهم الاقطاعات الجليلة وواصلهم بالخلع وقدمهم على غيرهم (وفيها) في شوال خرج الملك العادل كتبغا من الديار المصرية وسار الى الشام ووصل الى دمشق وحضر اليه بدمشق الملك المظفر محمود صاحب حماة ثم سار الملك العادل من دمشق الى جهة حمص وسار على البرية متصيدا ووصل الى حمص وقدم الى جوسيه وهي قرية على درب بعلبك من حمص وكانت خرابا فاشتراها وعمرها فوصل اليها ورآها ثم عاد الى دمشق وأعطى صاحب حماة الدستور فعاد الى بلده ولما استقر العادل بدمشق عزل عز الدين أيبك الحموي عن نيابة السلطنة بالشام وولى موضعه سيف الدين غرلو مملوك الملك العادل كتبغا المذكور وخرجت هذه السنة والملك العادل بدمشق (ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة)

واستنزله وحصر سلامش وقتله شرقلة (وفيها) اجتمع رأى حسام الدين لاجين ونائبه منكوتمر على روك الاقطاعات بالديار المصرية فريكت جميع البلاد المصرية وكتب بما استقر عليه الحال مثالات وفرقت على أربابها فقبلوها طوعا أو كرها (وفيها) توفي عز الدين أيبك الموصلي نائب الفتوحات وغيرها وولى موضعه سيف الدين كرد امير اخور (وفيها) في أواخر ذى القعدة من هذه السنة هرب قبجق والبكى وبكتمر السلحدار ومن انضم اليهم من حمص وساق خلفهم ايدغدى شقير مملوك حسام الدين لاجين من حلب مع جماعة من العسكر المجردين ليقطعوا عليهم الطريق ففاتهم قبجق ومن معه وعبروا الفرات واتصلوا بقازان ملك التتر فأحسن اليهم وأقاموا عنده حتى كان منهم ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) في أواخر ذى القعدة وصل من حسام الدين لاجين دستور للملك المظفر صاحب حماة بالحضور من حلب الى حماة فسار الملك المظفر ووصل الى حماة واستمرت العساكر مقيمين بحلب الى ان خرجت هذه السنة (وفي الثامن والعشرين) من شوال هذه السنة أعنى سنة سبع وتسعين وستمائة توفي الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل قاضى القضاة الشافعي بحماة المحروسة وكان مولده في سنة أربع وستمائة وكان فاضلا اماما مبرزا في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة وأصول الدين والفقه والهيئة والتاريخ وله مصنفات حسنة منها مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ومنها الانبروزية في المنطق صنفها للانبروز ملك الفرنج صاحب صقلية لما توجه القاضى جمال الدين المذكور رسولا اليه في أيام الملك الظاهر بيبرس الصالحي واختصر الاغانى اختصارا حسنا وله غير ذلك من المصنفات ولقد ترددت اليه بحماة مرارا كثيرة وكنت أعرض عليه ماأحله من أشكال كتاب أقليدس واستفيد منه وكذلك قرأت عليه شرحه لمنظومة ابن الحاجب في العروض فان جمال الدين صنف لهذه المنظومة شرحا حسنا مطولا فقرأته عليه وصححت أسماء من له ترجمة في كتاب الاغانى فرحمه الله ورضى عنه وكان توجه الى الانبراطور رسولا من جهة الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر والشام في سنة تسع وخمسين وستمائة ومعنى الانبراطور بالفرنجية ملك الامراء ومملكته جزيرة صقلية ومن البر الطويل بلاد أنبولية والانبردية قال جمال الدين ووالد الانبراطور الذى رأيته كان يسمى فردريك وكان مصافيا للسلطان الملك الكامل ثم مات فردريك المذكور في سنة ثمان وأربعين وستمائة وملك صقلية وغيرها من البر الطويل بعده ولده كرا بن فردريك ثم مات كرا وملك بعده أخوه منفريدا بن فردريك وكل من ملك منهم يسمى انبراطور وكان الانبراطور من بين ملوك الفرنج مصافيا للمسلمين ويحب العلوم قال فلما وصلت الى الانبراطور منفريدا المذكور اكرمنى وأقمت عنده في مدينة من

مدائن

مدائن البر الطويل المتصل بالاندلس من مدينة أنبولية واجتمعت به مرارا ووجدته متميزا ومحبا للعلوم العقلية يحفظ عشر مقالات من كتاب أقليدس قال وبالقرب من البلد الذى كنت فيه مدينة تسمى لوجاره أهلها كلهم مسلمون من أهل جزيرة صقلية يقام فيها الجمعة ويعلن بشعار الاسلام قال ووجدت أكبر أصحاب الانبراطور منفريدا المذكور مسلمين ويعلن في معسكره بالاذان والصلاة وبين البلد الذى كنت فيه وبين رومية مسيرة خمسة أيام وقال بعد توجهى من عند الانبراطور اتفق البابا خليفة الفرنج وريد افرنس على قصد الانبراطور وقتاله وكان البابا قد حرمه كل ذلك بسبب ميل الانبراطور المذكور الى المسلمين وكذلك كان أخوه كرا ووالده فردريك محرمين من جهة البابا برومية لميلهم الى الاسلام قال ولقد حكى لى لما كنت عنده ان مرتبة الانبراطور كانت قبل فردريك لوالده ولما مات والد فردريك المذكور كان فردريك شابا أول ماترعرع وانه طمع في الانبراطورية جماعة من ملوك الفرنج وكل منهم رجى أن يفوضها البابا اليه وكان فردريك شابا ماكرا وجنسه من الالمانية فاجتمع بكل واحد من الملوك الذين قد طمعوا في أخذ الانبراطورية بانفراده وقال له انى لا أصلح لهذه المرتبة وليس لى فيها غرض فاذا اجتمعنا عند البابا فقل ينبغى أن يتقلد الحديث في هذا الامر ابن الانبراطور المتوفي ومن رضى بتقليده الانبراطورية فأنا راض به فان البابا اذا رد الاختيار الى في ذلك اخترتك ولا اختار غيرك وقصدى الانتماء اليك ولما قال هذه المقالة لكل واحد من الملوك المذكورين بانفراده وصدقه في ذلك ووثق به واعتقد صدقه فلما اجتمعوا عند البابا بمدينة رومية ومعهم فردريك المذكور قال البابا للملوك المذكورين ماترون في أمر هذه المرتبة ومن هو الاحق بها ووضع تاج الملك بين أيديهم فكل واحد منهم قال قد حكمت فردريك في ذلك فانه ولد الانبراطور وأحق الجماعة بان يسمع قوله في ذلك فقام فردريك وقال أنا ابن الانبراطور وأنا أحق بتاجه ومرتبته والجماعة كلهم قد رضوا بى ووضع التاج على رأسه فابلسوا كلهم وخرج مسرعا والتاج على رأسه وكان قد حصل جماعة من أصحابه الالمانية الشجعان راكبين مستعدين وركب واجتمعت عليه أصحابه الالمانية وسار بهم على حمية الى بلاده قال القاضى جمال الدين واستمر الانبراطور منفريدا بن فردريك المذكور في مملكته وقصده البابا وريدا فرنس بجموعهما واقتتلوا معه وهزموه وقبضوا عليه وتقدم البابا بذبحه فذبح منفريدا المذكور وملك بلاده بعده أخو ريد افرنس وذلك في سنة ثلاث وستين وستمائة في غالب ظنى (ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة)

(ذكر قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين صاحب مصر والشام)

(في هذه السنة) وثب لاجين المذكور جماعة من المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لنفسه

وفاته وأما اخواى أسد الدين عمر وبدر الدين حسن ابنا الملك الافضل فانهما حضرا الى حماة من حلب بعد وفاة الملك المظفر ولما اجتمع المذكورون اختلفوا فيمن يكون صاحب حماة ولم ينتظم في ذلك حال

(ذكر وصول قرا سنقر الجوكندار الى حماة نائباً بها)

ولما توفي الملك المظفر كان قرا سنقر قد أخرج من السجن وأرسل الى الصبيبة وهى مكان وخم فأرسل قرا سنقر الى الحكام بمصر يتضور من المقام بالصبيبة فاتفق عند ذلك وصول الخبر الى مصر بموت صاحب حماة فأعطى قرا سنقر نيابة السلطنة بحماة وسار من الصبيبة ووصل الى حماة واستقر في النيابة بها في أوائل ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ثمان وتسعين وستمائة ونزل بدار الملك المظفر صاحب حماة وقمنا بوظائف خدمته وأخذ من تركة صاحب حماة ومنا أشياء كثيرة حتى أجحف بنا ووصلت المناشير من مصر الى أمراء حماة وجندها باستقرارهم على مابأيديهم من الاقطاعات فاستمر بنا على ما كان بأيدينا

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) أرسل سيف الدين بلبان الطباخي عسكرا الى ماردين فنهبوا ربض ماردين حتى نهبوا الجامع وعملوا الافعال الشنيعة وذلك كان حجة لقازان في قصد البلاد على ماسنذكره (وفيها) توفي بدر الدين بيسرى في محبسه من حين حبسه لاجين (وفيها) سار مولانا السلطان الملك الناصر من الديار المصرية بعساكر مصر الى بلاد غزة وأقام بها حتى خرجت هذه السنة واتفق قرا سنقر واخواى وأرسلوا معى قماشا وخيلا من خيل الملك المظفر صاحب حماة وقماشه فسرت أنا وصارم الدين أزبك المنصورى الحموى وقدمت ذلك لمولانا السلطان وهو نازل بالساحل قرب عسقلان فقبله وتصدق على بخلعة وحياصة ذهب ورسم بزيادة اقطاعى واقطاع أخى بدر الدين حسن فزادونا نقدا من ديوان حماة (وفي هذه السنة) توفي شمس الدين كريته أحد المقدمين الذين دخلوا الى بلاد سيس وفتحوا ماتقدم ذكره (ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة)

﴿ ذكر المصاف العظيم الذي كان بين المسلمين والتتر وهزيمة المسلمين واستيلاء التتر على الشام ﴾

(في هذه السنة) سار قازان بن أرغون بجموع عظيمة من المغل والكرج والمرتدة وغيرهم وعبر الفرات ووصل بجموعه الى حلب ثم الى حماة ونزل على وادى مجمع المروج وسارت العساكر الاسلامية صحبة مولانا السلطان الملك الناصر حتى وصلوا بظاهر حمص ثم

ساروا الى جهة المجمع وكان سلار والجاشنكير هما المتغلبان على المملكة فداخل الامراء الطمع ولم يكملوا عدة جندهم فنقص العسكر كثيرا مع سوء التدبير ونحو ذلك من الامور الفاسدة التي أوجبت هزيمة العسكر ثم ساروا والتقوا عند العصر من نهار الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الاول من هذه السنة الموافق للثالث والعشرين من كانون الاول من شهور الروم بالقرب من مجمع المروج في شرقى حمص على نحو نصف مرحلة من حمص فولت ميمنة المسلمين ثم الميسرة وثبت القلب واحتاطت به التتر وجرى بينهم قتال عظيم وتأخر السلطان الى جهة حمص حتى أدركه الليل فولت العساكر الاسلامية تبتدر الطريق وتمت بهم الهزيمة الى ديار مصر المحروسة وتبعهم التتر واستولوا على دمشق وساقوا في أثر الجفال الى غزة والقدس وبلاد الكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين الجفال شيئاً عظيما

ذكر المتجددات بعد الكسرة

وكان قبجق وبكتمر السلحدار والبكى مع قازان من حين هربوا من حمص على ماقدمنا ذكره في سنة سبع وتسعين وستمائة * فلما استولى قازان على دمشق أخذ سيف الدين قبجق الامان لاهل دمشق ولغيرهم من قازان ملك التتر واستولى قازان على مدينة دمشق وعصت عليه القلعة وأمر بحصارها فحوصرت وكان النائب بها الامير سيف الدين ارجواش المنصورى فقام في حفظها أتم قيام وصبر على الحصار ولم يسلمها وأحرق الدور التى حوالى القلعة والمدارس فاحترقت دار السعادة التى كانت مقر نواب السلطنة وكذلك احترق غيرها من الاماكن الجليلة * وأما عسكر مصر فانهم لما وصلوا الى مصر رسم لهم بالنفقة فأنفق فيهم أموالا جليلة واصطلحوا أحوالهم وجددوا عدتهم وخيولهم وأقام قازان بمرج دمشق المعروف بمرج الزنبقية ثم عاد الى بلاده الشرقية وقرر في دمشق قبجق وجرد صحبته عدة من المغل * فلما بلغ العساكر المصرية مسير قازان عن الشام خرجوا من مصر في العشر الاول من شهر رجب من هذه السنة وخرج السلطان الى الصالحية ثم اتفق الحال على مقام السلطان بالديار المصرية ومسير سلار وبيبرس الجاشنكير بالعساكر الى الشام فسار المذكوران بالعساكر وكان قبجق وبكتمر السلحدار والالبكى قد كاتبوا المسلمين في الباطن وصاروا معهم فلما خرجت العساكر من مصر هرب قبجق ومن معه من دمشق وفارقوا التتر وساروا الى جهة ديار مصر وبلغ ذلك التتر المجردين بدمشق فخافوا وساروا من وقتهم الى البلاد الشرقية وخلا الشام منهم ووصل قبجق والالبكى وبكتمر السلحدار الى الابواب السلطانية فاحسن اليهم السلطان ووصل سلار وبيبرس الجاشنكير الى دمشق وقررا أمور الشام ورتبا في

وأعطاه السيف والبسه الخلعة ولما لم يبق لى شغل تصدق السلطان وأفاض على وعلى أصحابى الخلع وشرفنى بمركوب بسرجه ولجامه ثم تصدق على بثلاثين ألف درهم وخمسين قطعة من القماش ورسم أن يكتب لى التقليد بمملكة حماة والمعرة وبارين تمليكا ولولا خوف التطويل لاوردنا التقليد عن آخره لكنا نذكر منه فصولا يحصل بها الغرض طلبا للاختصار فنه بعد البسملة الحمد لله الذى عضد الملك الشريف بعماده * وأورث الجد السعيد سعادة أجداده * وبلغ ولينا من تباهى بابه ملوك بنى الايام غاية مراده * ومنه فاصبح جامع شملها * ورافع لواء فضلها * وناشر جناح عدلها * ومنه يحمد على انه صان بنا الملك وحماه * وكف بكف بأسنا المتطاول على استباحة حماه * ومنه ونشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فان أولى من عقد له لواء الولاء وتشرفت باسمه اسرة الملوك وذوى المنابر * وتصرفت أحكامه في مايشاء من نواه وأوامر * وتجلى فى سماء السلطنة شمسه فقام في دستها مقام من سلف * واخلف في أيامنا الزاهرة من درج من اسلافه اذ هو ببقائنا ان شاء الله خير خلف * من ورث السلطنة لا عن كلاله * واستحقها بالاصالة والاثالة والجلاله * وأشرقت الايام بغرة وجهه المنير * وتشرفت به صدور المحافل وتشوق اليه بطن السرير * ومن أصبح لسماء المملكة الحموية وهو زين أملاكها * ومطلع أفلاكها * وهو المقام العالى العمادى ابن الملك الافضل نور الدين على ابن السلطان الملك المظفر تقى الدين ولد السلطان الملك المنصور ولد السلطان الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وهو الذى مابرحت عيون مملكته اليه متشوفة ولسان الحال يتلو ضمن الغيب قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى ان أظهر الله مافي غيبه المكنون * وأنجز له في أيامنا الوعود وصدق الظنون * وشيد الله منه الملك بأرفع عماد * ووصل ملكه بملك أسلافه وسيبقى في عقبه ان شاء الله الى يوم التناد * فلذلك رسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى الباهرى لازالت الممالك معمورة من عطائه * والملوك تسرى من ظل كنفه تحت مسبول غطائه * أن يستقر في يد المقام العالى العمادى المشار اليه جميع المملكة الحموية وبلادها وأعمالها وما هو منسوب اليها ومباشرها التى يعرضها قلمه وقسمه * ومنارها التى يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه * وكثيرها وقليلها * وحقيرها وجليلها * على عادة الشهيد الملك المظفر تقى الدين محمود الى حين وفاته ومنه وقلدناه ذلك تقليدا * يضمن للنعمة تخليدا * وللسعادة تجديدا * ومنه في آخره والله تعالى يؤهل بالنصر مغناه * ويجمل ببقائه صورة دهر هو معناه * والاعتماد على الخط الشريف أعلاه * وكتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثنتى عشرة وسبعمائة حسب المرسوم الشريف والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وصحبه وسلم

وسلم ثم رسم لى بالعود الى بلدى فخرجت من القاهرة يوم الثلاث الثانى من جمادى الاولى من هذه السنة وسرت الى دمشق وكان قد وصل اليها الامير سيف الدين تنكز الناصرى نائبا واستقر في نيابة السلطنة بها بعد جمال الدين أقوش الذى كان نائبا بالكرك وأحسن الامير المذكور الىّ وتلقانى بالاكرام ووصلت الى حماة واجتمع الناس وقرئ التقليد الشريف عليهم في يوم الاثنين الثانى والعشرين من جمادى الاولى الموافق للخامس والعشرين من ايلول ولما وصلت الى حماة كان قد سافر الامراء الغرباء منها الى حلب فانى لما كنت بالابواب الشريفة استخبرنى مولانا السلطان عن أحوالى وما أشكو منه فلم أفصح له بشئ فاطلع بعلمه الشريف وحدة ذهنه وقوة فراسته على تقلقى من الامراء المماليك السلطانية المقيمين بحماة فانهم استجدوا بحماة لما خرجت من البيت التقوى الايوبى فاطلع السلطان على تعبى معهم وانهم ربما لايكونون وفق غرضى فاقتضى مرسومه الشريف نقلهم الى حلب واستمرار اقطاعاتهم التى كانت لهم بحماة عليهم الى ان يتجلى مايعوضهم به فتقدم مرسومه اليهم بذلك ووصل اليهم المرسوم على البريد بتوجههم الى حلب قبل وصولى الى حماة بأيام يسيرة فحال وصول المرسوم خرجوا من حماة عن آخرهم ولم يبيتوا بها وانتقلوا بأهلهم وجندهم وكانوا نحو أربعة عشر أميرا بعضهم بطبلخاناه وبعضهم أمراء عشرات ووصلت الى حماة ولم يبق بها غير من اخترت مقامه عندى وكان هذا من أعظم الشفقة والصدقة

(ذكر تجريد العسكر الى حلب ووصول العدو ومنازلة الرحبة)

(وفي هذه السنة) فى يوم السبت سابع عشر رجب خرجت من حماة بعساكر حماة ودخلت حلب في يوم السبت الآخر الرابع والعشرين من رجب المذكور وأقمت بها وكان النائب بها الامير سيف الدين سودى ثم وصل بعض عسكر دمشق مع سيف الدين بهادراص وقويت أخبار التتر وجفل أهل حلب وبلادها ثم وصلت التتر الى بلاد سيس وكذلك وصلوا الى الفرات فعندها رحل الامير سيف الدين سودى وجميع العساكر المجردة من حلب في يوم الخميس ثامن رمضان في هذه السنة ووصلنا الى حماة في يوم السبت سابع عشر رمضان المذكور وكان خربندا نازل الرحبة بجموع المغل في آخر شعبان من هذه السنة الموافق لاواخر كانون الاول وأقام سيف الدين سودى بعسكر حلب وغيره من العساكر المجردة بظاهر حلب ونزل بعضهم في الخانات وكان البرد شديدا والجفال قد ملؤا المدينة واستمرينا مقيمين بحماة وكشافتنا تصل الى عرض والسخنة وتعود الينا باخبار المخذول واستمر خربندا محاصرا للرحبة وأقام عليها المجانيق وأخذ فيها النقوب ومعه قراسنقر والافرم ومن معهما وكانا قد

أطمعا خربندا انه ربمـا يسلم اليه النائب بالرحبة قلعة الرحبة وهو بدر الدين بن اركى الكردى لان الافرم هو الذى كان قد سعى للمذكور في نيابة السلطنة بالرحبة وأخـذ له امرأة الطبلخاناه فطمع الافرم بسبب تقدم احسانه الى المذكور أن يسلم اليه الرحبـة وحفظ المذكور دينه وما في عنقه من الايمان للسلطان وقام بحفظ القلعة أحسن قيام وصبر على الحصار وقاتل أشد قتال ولمـا طال مقام خربندا على الرحبة بجموعه وقع في عسكره الغلاء والفناء وتعذرت عليه الاقوات وكثرت منه المقفزون الى الطاعـة الشريفة وضجروا من الحصار ولم ينالوا شيأ ولا وجد خربندا لمـا أطمعه به قرا سنقر والافرم صحة فرحل خربندا عن الرحبة راجعا على عقبه في السادس والعشرين من رمضان من هذه السنة بعد حصارنحو شهر وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالهـا فنزلت أهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها الى الرحبة * ولما جرى ذلك رحل سودى وعسكر حلب من حماة وعادوا الى حلب واستمر بهادراص ومن معه من عسكر دمشق مقيما بحماة مدة ثم ورد لهم الدستور فساروا الى دمشق

(ذكر مسير السلطان بالعساكر الاسلامية الى الشام ثم توجهه الى الحجاز)

﴿ وفي هذه السنة) سار مولانا السلطان بالعساكر الاسلامية من ديار مصر وكان مسيره بسبب نزول التتر على الرحبة حسبما ذكرناه ووصل الى دمشق يوم الثلاث الثالث والعشرين من شوال من هذه السنة أعنى سنة اثنى عشرة وسبعمائة بعد رحيل العدو عن الرحبة وعودهم على أعقابهم فلمـا لم يبق في البلاد عـدو عزم على الحجاز الشريف لاداء حجـة الفرض فرتب العساكر بالشام وأمر بعضـهم بالمقام باللجون وسواحل عكا وقاقون وجرد بعضهم على حمى حمص وترك نائب السلطنة المقر السيفى أرغون ونائب السلطنة بالشام الامير سيف الدين تنكز مقيمين بدمشق وعندهما باقى العساكر واستخار السلطان بالله تعالى وخرج من دمشق متوجها الى الحجاز الشريف في يوم الخميس الثانى من ذى القعدة الموافق لاول اذار وأتم المسير ووصل الى عرفات وأكمل مناسك الحج وعاد مسرعا فوصل الى الكرك سلخ هذه السنة ثم كان ماسنذكره ان شاء الله تعالى ﴿ وفيها ﴾ ولد ولدى محمد بن اسماعيل بن على بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب وكانت ولادته في اقامة الساعة الثانية من نهار الخميس مستهل رجب الفرد من هذه السنة أعنى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة الموافق الثانى يوم من تشرين الثانى من شهور الروم (وفيها) انخسف القمر مرتين مرة في صفر ومرة في شعبان (وفيها) كانت الامطار قليلة حتى خرج فصل الشتاء ثم تداركت الامطار

في فصل الربيع الى ان زادت الانهر زيادة عظيمة في آخر نيسان على خلاف ماعهد (وفيها) قوى استيحاش الامير مهنا بن عيسى أمير العرب لمـا اعتمد من مساعدة قرا سنقر ولغير ذلك من الامور وكاتب خربندا ثم أخذ منه اقطاعاً بالعراق وهو مدينة الحلة وغيرها واستمر اقطاعه من السلطان بالشام وهو مدينة سرمين وغيرها على حاله وعامله السلطان بالتجاوز ولم يؤاخذه بمـا بدئ منه وحلف على ذلك مرارا فلم يرجع عمـا هو عليه وجعل مهنا ولده سليمان بن مهنا منقطعا الى خـدمة خربندا ومترددا اليه واستمر ابنه موسى بن مهنا في صدقة السلطان ومترددا الى الخدمة واستمر مهنا على ذلك يأخذ الاقطاعين بالشام والعراق ويصل اليه الرسل من الفريقـين وخلعهما وانعامهما وهو مقيم بالبرية ينتقل الى شط الفرات من منازله لايروح الى أحـد الفئتين وهذا أمر لم يعهد مثله ولا جرى نظيره فان كلا من الطائفتين لو اطلعوا على أحدهم أنه يكتب الى الطائفة الاخرى سطرا قتلوه لساعته ولا يمهلونه ساعة ووافق مهنا في ذلك سعادة خارقة (ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمائة)

ذكر وصول السلطان من الحجاز الشريف

(وفي هذه السنة) وصل مولانا السلطان الى دمشق في يوم الثلاث حادى عشر المحرم عائداً من الحجاز الشريف بعد ان أقام بالكرك أياماً وجمع الله له بذلك سعادة الدنيا والآخرة وتوجهت الى خدمته من حماة وحضرت بين يديه بدمشق المحروسة في يوم الخميس الثالث عشر من المحرم من هذه السنة الموافق لعاشر ايار وهنأته بقدومه الى مملكته وعبيده وقدمت ماحضرته من الخيول والقماش والمصاغ فقابله بالقبول وشملنى احسانه بالخلع والاكرام على جارى عوائد صدقاته وأرسل الى هـدية الحجاز حجر أشقر وطاقات طائفى مع الامير طاشتمر الخاصكى

ذكر خروج المعرة عن حماة

﴿ وفي هذه السنة ﴾ في المحرم خرجت المعرة عن حماة وأضيفت الى حلب واستقر بيدى حماة وبارين وسبب ذلك ان الامراء الذين كانوا بحماة ثم انتقلوا الى حلب حسبما ذكرناه في سنة اثنتى عشرة وسبعمائة استقرت اقطاعاتهم بحماة لعـدم اقطاعات محلولة فى بجملة مالهم فصعب عليهم نقلهم الى حلب جـدا فأخذوا في التعنت والشكوى من بسبب اقطاعاتهم ونقودهم المرتبة بحماة وانضم الى ذلك انه صار يتغير بعض اقطاعاتهم ويدخل فيها شئ من بلاد حلب بحكم تنقل أو زيادة ترد المناشير الشريفة بذلك وتخالط بلاد المملكة الحموية ببلاد المملكة الحلبية وغـيرها من الممالك السلطانيـة وصارت اطماعهم معلقة بالعود الى حماة وهم مجتهدون على ذلك تارة بالتثقيـل على السلطان

وفيها) قطع حمزة فياض بن مهنا بن عيسى فقطع طريق ... (وفيها) في شهر
رمضان وصل الى حلب قاضي القضاة نور الدين محمد بن الصائغ على قضاء الشافعية
و وصل تقليد حسن السيرة عادلا (وفيها) في شوال حضر الينا نائب بحلب
زين الدين قراجا بن دلغادر التركماني بحبل الملك وهو عاصي في جبال خيجان فاعتصم
... ونهب في عسكره وأسر وجرح وما نالوا منه طائلا وكبر قدره بذلك واشتهر
اسمه وعظم على الناس شره وكانت هذه حركة رديئة من بلغا (وفيها) توفي كمال
الدين عمر بن شهاب الدين محمد بن العجمي الحلبي كان قد تفنن وعرف أصولا وفقها
وبحث على شرح الشافية الكافية في النحو مرة وبعض أخرى ودفن ببستانه رحمه الله
وما خرج من بني العجمي مثله * ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة)* فيها في
صفر حوصرت الكرك ونقبت وأخذ الملك الناصر أحمد وحمل الى أخيه الملك الصالح
بمصر فكان آخر العهد به (وفيها) وصل الى ابن دلغادر من من السلطان وأفرج
عن حريمه وكان بحلب واستقر في الاسلحتين (وفيها) في ربيع الآخر بلغنا وفاة الشيخ
أثير الدين (أبي حيان) النحوي المغربي بالقاهرة كان بحرا زاخرا في النحو وهو فيه
ظاهري وكان يستهزئ بالفضلاء من أهل القاهرة ويجحدونه حقوق اشتغالهم عليه
وكان يقول عن نفسه انا أبو حيات بالتاء يعني بذلك الامتداد وله مصنفات جليلة منها
تفسير القرآن العظيم وشرح التسهيل وارتشاف الضرب من ألسنة العرب مجلد كبير جامع
ومختصرات في النحو وله نظم ليس على قدر فضيلته فمن أحسنه قوله

وقابلني في الدرس أبيض ناعم   وأسمر لدن أورثاني جسمي الردى
فذا هز من عطفيه رمحا مثقفا   وذا سل من جفنيه عضبا مهندا

(وفيها) في جمادى الاولى توفي بحلب الحاج محمد بن سلمان الحلبي المعزم كان عنده
ديانة وايثار وله مع المصر وعين وقائع وعجائب (وفيه) توفي بطرابلس الامير الفاضل
صلاح الدين يوسف بن الاسعد الدوادار أحد الامراء بطرابلس وهو واقف المدرسة
الصلاحية بحلب كما تقدم وكان من أكمل الامراء ذكيا فطنا معظما لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حسن الخط وله نظم كان كاتباً ثم صار دوادار قبجق بحماة ثم شاد الدواوين
بحلب ثم حاجباً بها ثم دوادار الملك الناصر ثم نائباً بالاسكندرية ثم أميرا بحلب وشاد
المال والوقف ثم أميراً بطرابلس رحمه الله تعالى (وفيها) في شعبان بلغنا وفاة الشيخ
نجم الدين القحفزي بدمشق فاضل في العربية والاصولين ظريف حسن الاخلاق ومن
ذلك انه أنشد مرة قول الشاعر * يخاتي سامي * الخ فقال له بعض التلامذة ياسيدي
وما تيس الماء * فقال الشيخ ان شئت ان تعرفه فانظر في الخابية تره (وفيها) توفي

بدمشق قاضي القضاة جلال الدين الحنفي الرازي (وفيها) توفي الامير علاء الدين
أيدغدي الزراق اتابك عسكر حلب مدة وله سماع وحكى لي انه حر الاصل من
أولاد المسلمين وهو فاتح قلعة خندروس كما تقدم *وتوفي كندغدي العمري نائب البيرة
مسنا عزل عنها قبل موته بأيام وعزموا على الكشف عليه فستره الله بالوفاة ببركة محبته
للعلماء والفقراء وسيف الدين بلبان جركس نائب قلعة المسلمين طال مقامه بها وخلف
مالا كثيرا لبيت المال (وفيها) في شهر رمضان اتفق سيل عظيم بطرابلس هلك فيه
خلق منهم ابنا القاضي تاج الدين محمد بن البارنباري كاتب سرها وكان أحد الابنين
الفريقين ناظر الجيش بها والآخر موقع الدست ورق الناس لابيهما فقلت وفيه تضمين
واهتدام

وارحمتاه له فان مصابه   بابن يبرحه فكيف ابنان
ما أصفته الحادثات رمينه   بموعدين وما له قلبان

وزاد نهر حماه وغرق دورا كثيرة واصم العاصي خرطالة شيزر فأخذها وتلفت بساتين
البلد لذلك ويحتاج اعادتها الى كلفة كبيرة (وفيها) في ذي القعدة توفي بدمشق القاضي
شمس الدين محمد بن النقيب الشافعي وتولى تدريس الشامية مكانه تاج الدين عبدالوهاب
ابن السبكي ثم تولاها السبكي بنفسه خوفا عليها كان ابن النقيب بقية الناس ومن أهل
الايثار وأقام حرمة المنصب لما كان قاضي حلب فقيها كبيرا محدثا أصولياً متواضعا مع
الضعفاء شديدا على النواب (قال رحمه الله) دخلت وأنا صبي أشتغل على الشيخ محي
الدين النووي فقال لي أهلا بقاضي القضاة فنظرت فلم أجد عنده أحدا غيري فقال
اجلس يامدرس الشامية * وهذا من جملة كشف الشيخ محيى الدين وابن النقيب
حكى هذا بحلب قبل توليته الشامية * وحكى لي يوما وان كنت قد وقفت عليه في
مواضع من الكتب انه رفع الى أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما مسلم
قتل كافرا فحكم عليه بالقود فأتاه رجل برقعة ألقاها اليه فيها

ياقاتل المسلم بالكافر   جرت وما العادل كالجائر
يامن ببغداد وأعمالها   من علماء الناس أوشاعر
استرجعوا وابكوا على دينكم   واصطبروا فالاجر للصابر

فبلغ الرشيد ذلك فقال لابي يوسف تدارك هذا الامر بحيلة لئلا تكون فتنة فطالب
أبو يوسف أصحاب الدم ببينة على صحة الذمة وثبوتها فلم يأتوا بها فأسقط القود وحكى
لنا يوما في بعض دروسه بحلب ان مسألة قيت على المدرسين والفقهاء بدمشق فحلها
لا عامل المدرسة وهي رجل صلى الخمس بخمسة وضوآت وبعد ذلك علم انه ترك مسح

الرأس في أحد الوضوآت فتوضأ خمس وضوآت وصلى الخمس ثم تيقن أيضا انه ترك مسح الرأس في أحد الوضوآت * الجواب يتوضأ ويصلى العشاء فيخرج عن العهدة بيقين لان الصلاة المتروكة المسح أولا ان كانت العشاء فقد صحت الصلوات الاربع قبلها وهذه العشاء المأمور بفعلها خاتمة الخمس وان كانت غير العشاء فالعشاء الاولى والصلوات الخمس المعادة والعشاء الثالثة صحيحة وغايته ترك مسح في تجديد وضوء ولهذا يجب أن يشترط عدم الحدث الى أن يصلى الخمس ثانيا (قلت) التحقيق ان الوضوء ثانيا كان يغنيه عنه مسح الرأس وغسل الرجلين لان الشرط انه لم يحدث الى ان يصلى الخمس ثانيا وكذلك كان ينبغى للمجيب أن يقول له ان كنت لم تحدث الى الآن فامسح رأسك واغسل رجليك وصل العشاء اذ الجديد عدم وجوب التتابع وان كنت محدثا الآن فلا بد من الوضوء كما قال ﴿وفيها﴾ * استرجع السلطان الملك الصالح ماباعه الملك المؤيد وابنه الافضل بحماه والمعرة وبلادهما من أملاك بيت المال وهو بأموال عظيمة وكان غالب الملك قد طرح على الناس غصبا وقد اشتريت به تقادم الى الملك الناصر فقال بعض المعربين في ذلك

* طرحوا علينا الملك طرح مصادر ... ثم استردوه بلا أثمان
وإذا يد السلطان طالت واعتدت ... ويل لأهل على يد السلطان

وكأنما كاشف هذا القائل فان مدة السلطان لم تطل بعد ذلك (ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمائة) والتتار مختلفون مقتتلون من حين مات القان أبو سعيد وبلاد الشرق والعجم في غلاء ونهب وجور بسبب الخلف من حين وفاته الى هذه السنة (وفيها) في ربيع الآخر (توفي السلطان) الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون بوجع المفاصل والقولنج وكان فيه ديانة ويقرأ القرآن وفي آخر يوم موته جلس مكانه أخوه السلطان الملك الكامل شعبان وأخرج آل ملك نائب أخيه الى نيابة صفد وقمارى الى نيابة طرابلس (وفيها) في ربيع الآخر نقل يلبغا الناصرى من نيابة حلب الى نيابة دمشق مكان طقزتمر وسافر طقزتمر الى مصر بعد المبالغة في امتناعه من النقلة من دمشق فما أجيب الى ذلك وتوفي طقزتمر بمصر بعد مدة يسيرة وكان عنده ديانة (وفيه) وصل الامير سيف الدين ارقطاى الى حلب نائبا وأبطل الخمور والفجور بعد اشتهارها ورفع عن القرى الطرح وكثيرا من المظالم ورخص السعر وسررنا به (وفيها) عزل سيف بن فضل بن عيسى عن امارة العرب ووليها أحمد بن مهنا وأعيد اقطاع فياض بن مهنا اليه ورضى عنه واستعيد من ايدى العرب من الاقطاعات والملك شئ كثير وجعل خاصا لبيت المال ﴿وفيها﴾ * في جمادى الاولى

صلى

صلى بحلب صلاة الغائب على القاضى عز الدين بن المنجا الحنبلى قاضى دمشق وهو معرى الاصل ﴿وفيها﴾ * في شهر رمضان وصل القاضى بهاء الدين حسن بن جمال الدين سليمان بن ريان الى حلب ناظرا على الجيش على عادته عوضا عن القاضى بدر الدين محمد بن الشهاب محمود الحلبى ثم مامضى شهر حتى أعيد بدر الدين عوضاً عن بهاء الدين وهكذا صارت المناصب كلها بحلب قصيرة المدة كثيرة الكلفة (قلت)

ساكنى مصر أين ذاك التأنى ... والتأبى وما لكم عنه عذر
يخسر الشخص ماله وبقاسى ... تعب الدهر والولاية شهر

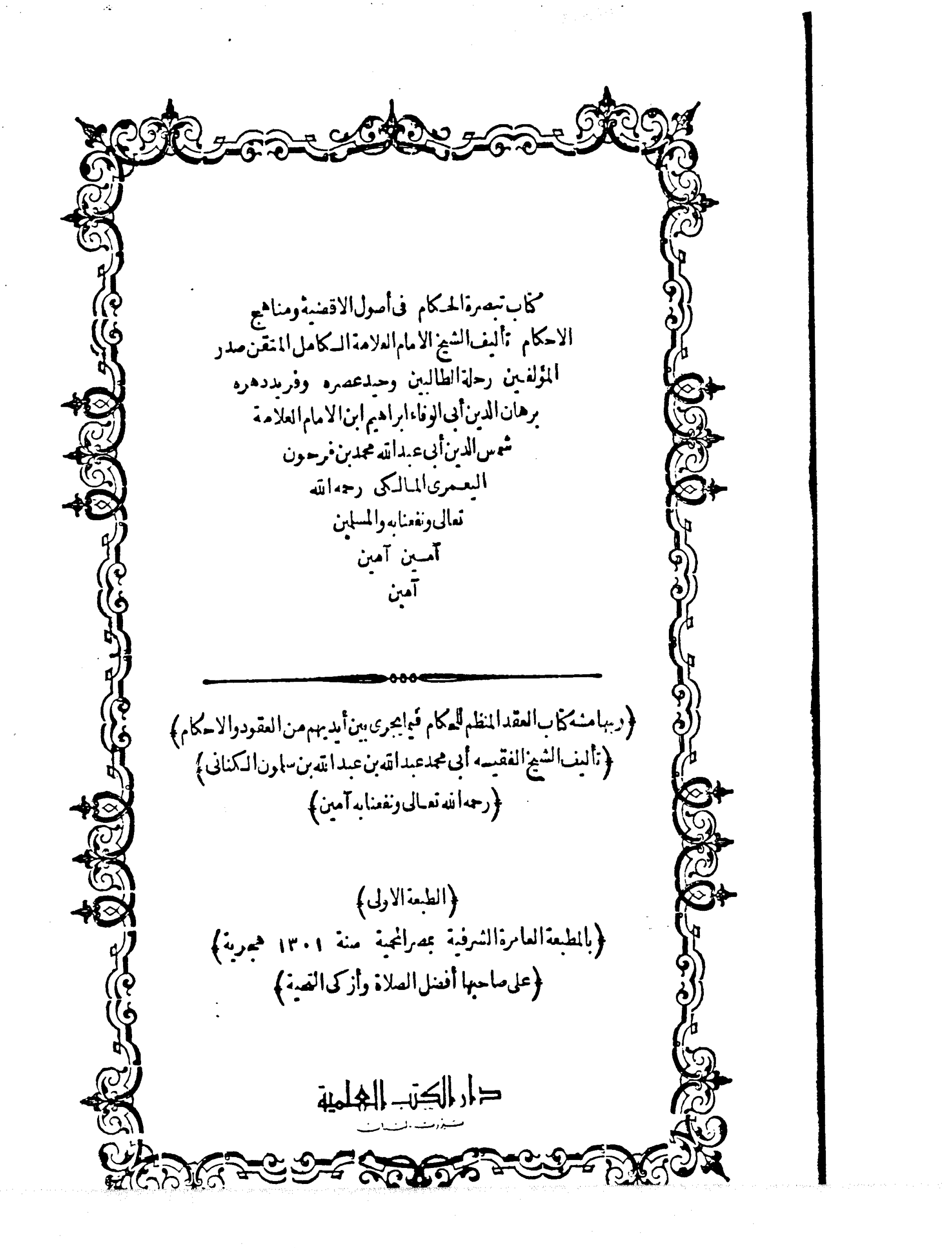
﴿وفيها﴾ * كتب على باب قلعة حلب وغيرها من القلاع نقرا في الحجر مامضمونه مسامحة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجندى والامير وذلك أحد عشر يوما وبعض يوم في كل سنة وهذا القدر هو التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية وهذه مسامحة بمال عظيم ﴿وفيها﴾ * قتلت الارمن ملكهم كنداصطبل الفرنجى كان عاجزا لايدارى المسلمين فخربت بلادهم وملكوا مكانه ﴿وفيها﴾ * في أواخرها ملكت التركمان قلعة كابان وربضها بالحيلة وهى من أمنع قلاع سيس مما يلى الروم وقتلوا رجالها وسبوا النساء والاطفال فبادر صاحب سيس الجديد لاستنقاذها فصادفه ابن دلغادر فأوقع بالارمن وقتل منهم خلقا وانهزم الباقون (قلت)

صاحب سيس الجديد نادى ... كابان عندى عديل روحى
* قلنا تأهب لغير هذا ... فهذا فتوح على الفتوح

وبعد فتحها قصد النائب بحلب أن يستنيب فيها من جهة السلطان فعتى ابن دلغادر عن ذلك فجهزوا عسكرا لهدمها ثم أخذتها الارمن منه بشؤم مخالفته لولى الامر وذلك في رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة ﴿وفيها﴾ * في ذى الحجة قبض على قمارى الناصرى نائب طرابلس وعلى آل ملك نائب صفد وولى طرابلس بيدمر البدرى وصفد ارغون الناصرى ﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة﴾ * والتتار مختلفون كما كانوا (وفيها) في المحرم طلب الحاج ارقطاى نائب حلب الى مصر وتمكن في مصر وارتفع شأنه وصار رأس مشورة مكان حسنكلى بن البابا فانه توفي قبل مدة بأيام وفيه أقبل الى حلب وبلادها من جهة الشرق جراد عظيم فكان أذاه قليلا بحمد الله (قلت)

رحل جراد صدها ... عن الفساد الصمد
فكم وكم لطفه ... في هذه الرجل يد

(وفيها) في ربيع الاول وصل الى حلب الامير سيف الدين طقتمر الاحمدى نائبا نقل اليها من حماه وولى حماه مكانه اسندمر العمرى (وفيها) في جمادى الاولى سافر



كتاب تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الاحكام

تأليف الشيخ الامام العلامة الكامل المتقن صدر
المؤلفين رحلة الطالبين وحيد عصره وفريد دهره
برهان الدين أبي الوفاء ابراهيم ابن الامام العلامة
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون
اليعمري المالكي رحمه الله
تعالى ونفعنا به والمسلمين
آمين آمين
آمين

(وبهامشه كتاب العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والاحكام)
(تأليف الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكناني)
(رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر المحمية سنة ١٣٠١ هجرية)
(على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية)

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ونحو ذلك فإن ثبوت هذه التصرفات الأخيرة فى هذه العقود يقتضى فسخ تلك العقود السابقة ظاهرا وقد تقدم ذكر ذلك (النوع الثانى) إثبات الصفات فى الذوات نحو ثبوت العدالة عند حاكم أو الجرح أو أهلية الإمامة للصلاة أو أهلية الحضانة أو أهلية الوصية ونحو ذلك فجميع إثبات الصفات مما هو من هذا النوع ليس حكما ولغيره من الحكام أن لا يقبل ذلك ويعتقد فسخه إذا ثبت سببه عنده ويقبل ذلك المجروح إن ثبت عنده عدالته وكذلك جميع هذه الصفات (النوع الثالث) ثبوت أسباب المطالبات نحو ثبوت مقدار قيمة المتلف فى المتلفات وإثبات الديون على الغرماء وإثبات النفقات للأقارب والزوجات وإثبات أجرة المثل فى منافع الأعيان ونحوه فإن إثبات الحاكم لجميع هذه الأسباب ليس حكما ولغيره من الحكام أن يغير مقدار تلك الأجرة وتلك النفقة وغيرها من الأسباب المقتضية للمطالبة (النوع الرابع) إثبات الحجج الموجبة لثبوت الأسباب الموجبة للاستحقاق نحو كون الحاكم يثبت عنده التحليف ممن يتعين عليه الحلف وثبوت إقامة البينات ممن أقامها وثبوت الإقرارات من الخصوم ونحو ذلك فإن هذه حجج توجب ثبوت أسباب موجبة لاستحقاق مسبباتها ولا يلزم من كون الحاكم أثبتها أن يكون حكما بل لغيره أن ينظر فى ذلك فيبطل أو لا يبطل بل إذا اطلع فيها على ذلك تعقبه ولا يكون ذلك الإثبات السابق مانعا من تعقب الخلل فى تلك الحجج (النوع الخامس) إثبات أسباب الأحكام الشرعية نحو الزوال ورؤية الهلال فى رمضان وشوال وذى الحجة مما يترتب عليه الصوم ووجوب الفطر أو فعل النسك ونحو ذلك فجميع إثبات ذلك ليس بحكم بل هو كإثبات الصفات وللمالكى أن لا يصوم فى رمضان إذا أثبته الشافعى بواحد لأنه ليس بحكم وإنما هو إثبات سبب فمن لم يكن ذلك عنده سببا فلا يلزمه أن يرتب عليه حكما (النوع السادس) من تصرفات الحكام الفتاوى فى العبادات وغيرها من تحريم الأبضاع وإباحة الانتفاع بطهارة المياه ونجاسة الأعيان فليس ذلك بحكم بل لمن لا يعتقد ذلك أن يفتى بخلاف ما أفتى به الحاكم والإمام الأعظم وكذلك إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر هو يعتقده منكرا أو معروفا فلمن لا يعتقد ذلك أن لا يفعل مثل فعلهم إلا أن يدعو إلى ما لا ينكر ويكون مخالفته شقاقا فتجب الطاعة لذلك وللحاكم ولا يعد عدمه اعتقاد نحو خلاف ما هو عليه إلا أن يخشى فتنة ينهى الشرع عن المسامحة فيها (النوع السابع) تنفيذات الأحكام الصادرة عن الحاكم فى تقدم حكم فيه من غير متغير يقول

رحمه الله تعالى إذا شك فى الحديث تركه البتة فلا يحدث به وهو ليس من قرنهم بل من القرن الثانى فما بالك بهم وهم خير الخيار ووصفهم فى الحفظ والضبط لا يمكن الإحاطة به ولا يصل إليه أحد فجزاهم الله عن أمة نبيهم خيرا لقد أخلصوا لله تعالى الدعوة وذبوا عن دينه بالحمية قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم اهـ وقال العارف الشعرانى فصل فى بيان استحالة خروج شىء من أقوال المجتهدين عن الشريعة وذلك لأنهم بنوا قواعد مذاهبهم على الحقيقة التى هى أعلى مرتبتى الشريعة كما بنوا على ظاهر الشريعة على حد سواء وأنهم كانوا عالمين بالحقيقة أيضا لا كما يظنه بعض المقلدين فيهم فكيف يصح خروج شىء من أقوالهم عن الشريعة ومن نازعنا فى ذلك فهو جاهل بمقام الأئمة فو الله لقد كانوا علماء بالحقيقة والشريعة معا وأن فى قدرة كل واحد منهم أن ينشر الأدلة الشرعية على مذهبه ومذهب غيره بحكم مرتبتى الميزان فلا يحتاج أحد بعده إلى النظر فى أقوال مذهب آخر لكنهم رضى الله تعالى عنهم كانوا أهل إنصاف وأهل كشف فكانوا يعرفون أن الأمر يستقر على عدة مذاهب مخصوصة لا على مذهب واحد فأبقى كل واحد لمن بعده عدة مسائل عرف من طريق الكشف أنها تكون من مذهب غيره فترك الأخذ بها من طريق الانصاف والاتباع لما أطلعهم الله عليه من طريق كشفهم لا من باب الإيثار بالقرب الشرعية والرغبة عن السنة وسمعت سيدى عليا الخواص يقول لا يصح خروج شىء من أقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة أبدا عند أهل الكشف قاطبة وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد أقوالهم فى الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤاله عن كل شىء توقفوا فيه من الأدلة هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا يقظة ومشافهة وكذلك كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن كل شىء من الكتاب والسنة قبل أن يدونوه فى كتبهم ويدينوا الله تعالى به ويقولون يا رسول الله قد فهمنا كذا من آية كذا وفهمنا كذا من قولك فى الحديث الفلانى كذا فهل ترضاه أم لا ويعملون بمقتضى قوله وإشارته صلى الله عليه وسلم ومن توقف فيما ذكرناه من كشف الأئمة ومن اجتماعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث الأرواح قلنا له هذا من جملة كرامات الأولياء بيقين وإن لم يكن المجتهدون أولياء فما على وجه الأرض ولى أبدا وقد اشتهر عن كثير

ثبت عندى أنه ثبت عند فلان من الحكام كذا فهذا ليس بحكم من المنفذ البتة وكذلك إذا قال ثبت عندى أن فلانا حكم بكذا فليس حكما من هذا المثبت بل لو اعتقد أن ذلك الحكم على خلاف الإجماع صح منه أن يقول ثبت عندى أنه ثبت عند فلان كذا وكذا لأن التصرف الفاسد والحرام قد يثبت عند الحاكم ليرتب عليه تأديب ذلك الحاكم أو عزله. (تنبيه) كل تسجيل يتضمن إرجاء الحجة لغائب أو صغير أو حاضر بعدت بينته فللقاضى الثانى تعقبه بما يجب بخلاف التسجيلات المطلقة (النوع الثامن) تصرفات الحكام بتعاطى أسباب الاستخلاص ووصول الحقوق إلى مستحقيها من الحبس والإطلاق وأخذ الكفلاء الأملياء وأخذ الرهون لذوى الحقوق وتقدير مدة الحبس بالشهور وغير ذلك فهذه التصرفات كيفما تقلبت ليست حكما لازما ولغير الأول من الحكام تغيير ذلك وإبطاله بالطرق الشرعية على ما تقتضيه المصلحة شرعا. (النوع التاسع) التصرفات فى أنواع الحجج بأن يقول لا أسمع البينة لأنك حلفت قبلها مع علمك بها وقدرتك على إحضارها فلغيره من الحكام أن يفعل ما تركه وقد تقدم هذا وما معه من الصور التى ليست بحكم. (النوع العاشر) من التصرفات تولية النواب فى الأحكام ونصب الكتاب والقسام والمترجمين والمقومين وأمناء الحكم للأيتام وإقامة الحجاب والوزعة ونصب الأمناء فى أموال الغياب والمجانين فهذا وما أشبهه ليس بحكم فى هذه المواطن ولغيره من الأحكام نقض ذلك وإبداله بالطرق الشرعية لا بمجرد التشهى والغرض: (النوع الحادى عشر) إثبات الصفات فى الذوات الموجبة للتصرف فى الأموال كالترشيد وإزالة الحجر عن المفلسين والمجانين والمبذرين ونحو ذلك فليس ذلك بحكم يتعذر نقضه بل لغيره أن ينظر فى تلك الأسباب ومتى ظهر له وتحقق عنده ضد ما تحقق عند الأول نقض ذلك وحكم بضده فيطلق من حجر عليه ويحجر على من أطلقه الأول لأنه إثبات صفة لا إنشاء حكم (النوع الثانى عشر) من تصرفات الأئمة الإطلاقات من بيت المال وتقدير مقاديرها فى كل عطاء والإطلاقات من الفىء والخمس فى الجهاد والإطلاقات من أموال الأيتام التى تحت أيدى الحكام على مصالح الأيتام والإطلاقات فى الأرزاق للقضاة والعلماء وأئمة الصلاة والقسام وأرباب البيوت والصلحاء وإطلاقات الإقطاعات للأجناد وغيرهم فهذا كله ليس حكما ولغيره

كثير من الأولياء الذين هم دون المجتهدين فى المقام بيقين أنهم كانوا يجتمعون برسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ويصدقهم أهل عصرهم على ذلك كسيدى الشيخ عبد الرحيم القناوى وسيدى الشيخ أبى مدين المغربى وسيدى الشيخ أبى السعود ابن أبى العشائر وسيدى الشيخ إبراهيم الدسوقى وسيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى وسيدى الشيخ أبى العباس المرسى وسيدى الشيخ إبراهيم المتبولى وسيدى الشيخ جلال الدين السيوطى وسيدى الشيخ أحمد الزواوى البحيرى وجماعة ذكرناهم فى طبقات الأولياء. ورأيت ورقة بخط الشيخ جلال الدين السيوطى عند أحد أصحابه هو الشيخ عبد القادر الشاذلى مراسلة لشخص سأله فى شفاعة عند السلطان قايتباى اعلم يا أخى أنى قد اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتى هذا خمسا وسبعين مرة يقظة ومشافهة ولولا خوفى من احتجابه صلى الله عليه وسلم عنى بسبب دخولى للولاة لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان وإنى رجل من خدام حديثه صلى الله عليه وسلم وأحتاج إليه فى تصحيح الأحاديث التى ضعفها المحدثون من طريقهم ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك يا أخى انتهى ويؤيد الشيخ جلال الدين فى ذلك ما اشتهر عن سيدى محمد بن زيد المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة ولما حج كلمه من داخل القبر ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شخص من التجار أن يشفع له عند حاكم البلد فلما دخل عليه أجلسه على بساطه فانقطعت عنه الرؤية فلم يزل يتطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤية حتى تراءى له من بعيد فقال تطلب رؤيتى مع جلوسك على بساط الظلمة لا سبيل لك إلى ذلك فلم يبلغنا أنه رآه بعد ذلك حتى مات انتهى وقد بلغنا عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى وتلميذه الشيخ أبى العباس المرسى وغيرهما أنهم كانوا يقولون لو احتجبت عنا رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عددنا أنفسنا من جملة المسلمين فإذا كان هذا قول آحاد الأولياء فالأئمة المجتهدون أولى بهذا المقام وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا ينبغى لمقلد أن يتوقف فى العمل بقول من أقوال أئمة المذاهب ويطالبهم بالدليل على ذلك لأنه سوء أدب فى حقهم وكيف ينبغى التوقف عن العمل بأقوال قد بنيت على صحيح الأحاديث بالكشف الصحيح الذى لا يخالف الشريعة أبدا فإن علم الكشف إخبار بالأمور على ما هى عليه فى نفسها وهذا إذا حققته وجدته لا يخالف الشريعة فى شىء بل هو الشريعة بعينها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخبر إلا بالواقع لعصمته من الباطن والظن انتهى وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول مرارا كان

إذا رفع إليه أن ينظر بما يراه من الطرق الشرعية (النوع الثالث عشر) اتخاذ الأحمية من الأرض المشتركة بين عامة المسلمين ترعى فيها إبل الصدقة وغيرها كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهذا ليس حكما ولغيره بعده أن يبطل ذلك الحمى ويفعل في تلك الأرض ما تقتضيه المصلحة الشرعية (النوع الرابع عشر) تأمير الأمراء على الجيوش والسرايا ليس بحكم فقد عزم الصحابة رضي الله عنهم على رد جيش أسامة وكان النبي صلى الله عليه وسلم جهزه وهو مريض فنفذه أبو بكر رضي الله عنه لما ظهر له أن تنفيذه هو المصلحة لأن تنفيذه عقيب موت النبي صلى الله عليه وسلم يدل على اجتماع كلمة المسلمين وقوتهم على ما كانوا عليه وتهاونهم بالجيوش والسرايا ولم ينفذه (١) لتعذر نقضه (النوع الخامس عشر) تعيين أحد الخصال في عقوبة المحاربين وذلك التعيين ليس بحكم فيرفعه لغيره ممن يرى التخيير مطلقا قبل التنفيذ ورأى المصلحة في تعيين غيره أعني الأول كان ذلك له لأن تعيين الأول ليس حكما شرعيا (النوع السادس عشر) تعيين مقدار من التعزيرات إذا رفع إلى غير ذلك الحاكم قبل التنفيذ فرأى خلاف ذلك فله تعيين مقدار وإبطال الأول لأنه ليس بحكم شرعي بل اجتهاد في سبب هو جناية فإذا ظهر للثاني أنها لا تقتضي ذلك فله الحكم بما يراه وهذا بخلاف تعيين الأسارى للرق ونحوه لأنها مسألة خلاف بين العلماء فقال بعضهم إن الأسارى يقتلون فقط ومذهبنا ومذهب الشافعي أبي حنيفة جواز الاسترقاق أو ضرب الجزية فإذا اختار أحدهما فهو حكم منه بالذي اختاره وهو إنشاء حكم في مختلف فيه وكذلك كل خصلة من الخصال الخمس التي يخير فيها الإمام بين الأسر والمن والفداء وضرب الجزية والقتل والاسترقاق فاختياره لخصلة من ذلك إنشاء حكم في مختلف فيه بخلاف مقادير التعزيرات ليس فيها خلاف وإنما هو بحسب القائل والمقول فيه والقول أو وقع منه فعل فالتعزير بحسب عظمه وحقارته وكذلك اختياره لخصلة من عقوبة المحاربين إن وجد من المحارب القتل وعين الإمام القتل فإن ذلك إنشاء حكم في مختلف فيه فإذا عين الإمام

(١) قوله ولم ينفذه هكذا في النسخ ولعله سقط منه لفظ لو قبل لم ينفذه فليتأمل اهـ.

ثم المذاهب رضي الله عنهم وارثين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في علم الأحوال وعلم الأقوال معا خلاف ما يتوهمه بعض الصوفية حيث قال: إن المجتهدين لم يرثوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علم القول فقط حتى إن بعضهم قال جميع ما علمه المجتهدون كلهم ربع علم رجل كامل عندنا في الطريق إذ الرجل لا يكمل عندنا حتى يتحقق في مقام ولا يتهيأ بعلوم الحضرات الأربع في قوله تعالى «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» وهؤلاء المجتهدون لم يتحققوا بسوى علم حضرة اسمه الظاهر فقط لاعلمهم بعلوم حضرة الأزل والأبد ولا بعلم الحقيقة انتهى: قلت: وهذا كلام جاهل بأحوال الأئمة الذين هم أوتاد الأرض في قواعد الدين وسمعت سيدي عليا الخواص يقول كل من نور الله قلبه وجد مذاهب المجتهدين وأتباعهم كلها تتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق السند الظاهر بالعنعنة ومن طريق إمداد قلبه صلى الله عليه وسلم لجميع قلوب علماء أمته فما اتقد مصباح عالم إلا من مشكاة نور قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته يقول مرة أخرى ما من قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم إلا وينتهي سنده برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم بحضرة الله عز وجل التي تجل عن التكييف من طريق السند الظاهر والسند الباطن الذي هو علم الحقيقة المؤيدة بالعصمة فمن نقل علمها على الحقيقة لم يصح منه خطأ في قول من أقواله وإنما يقع الخطأ في طريق الأخذ عنه فقط فكما نقول إن جميع ما رواه المحدثون بالسند الصحيح المتصل ينتهي سنده إلى حضرة الحق جل وعلا فكذلك يقال فيما نقله أهل الكشف الصحيح من علم الحقيقة وذلك لأن جميع مصابيح علماء الظاهر والباطن قد اتقدت من نور الشريعة فما من قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم إلا وهو مؤيد بأقوال أهل الحقيقة لاشك عندنا في ذلك انتهى: وسمعت أخي الشيخ أفضل الدين وقد جادله فقيه في مسألة يقول والله ما بنى أحد من أئمة المذاهب مذهبه إلا على قواعد الحقيقة المؤيدة بالكشف الصحيح ومعلوم أن الشريعة لا تخالف الحقيقة أبدا وإنما تتخلف الحقيقة عن الشريعة في مثل حكم الحاكم بشهادة شهود الزور الذين اعتقد الحاكم عدالتهم فلو كانوا شهود عدالة ما تخلفت الحقيقة عن الشريعة فكل حقيقة شريعة وعكسه وإيضاح ذلك أن الشارع أمرنا بإجراء أحوال الناس على الظاهر ونهانا أن نتعب وننظر ما في قلوبهم رحمة بهذه الأمة كما قال تعالى «سبقت رحمتي غضبي» ولا تسبق الرحمة الغضب إلا بكثرة وقوع الناس في المعاصي والزور وزيادة ذلك في الإقامة على الطاعات والصدق فافهم وعلى هذا الذي قررناه يكون اجراء أحكام الناس على الظاهر على الشرع المقرر بتقرير الشارع ونظير ذلك

اكتفاؤنا

القتل في محارب لم يقتل بل عين القتل لعظم رأيه ودهائه وأن قتله مصلحة للمسلمين فهذه مسألة خلاف والشافعي يمنع قتل المحارب إلا إذا قتل ولا يقطعه إلا إذا قطع فتصير هذه كمسألة الأسارى فتتعين خصلة من خصال عقوبة المحارب ويكون على هذا التقدير إنشاء حكم في مختلف فيه لا يجوز لغيره نقضه وكذلك تعيين أرض العنوة للبيع أو القسم أو الوقف إنشاء حكم في مختلف فيه (النوع السابع عشر) الأمر بقتل الجناة وردع الطغاة إذا لم ينفذ ليس هو إنشاء حكم في مختلف فيه ولغيره من القضاة إذا اتصل به أن ينظر في تحقيق سببه إلا أن تكون المسألة مختلفا فيها كتارك الصلاة وقتل الزنادقة فإنه إذا عين القتل وحكم به كان هذا إنشاء حكم في مختلف فيه فليس لغيره نقضه بخلاف قتال البغاة المجمع عليه ونحوه فإنه متفق عليه (النوع الثامن عشر) عقد الصلح بين المسلمين والكفار ليس من المختلف فيه بل جوازه عند سببه مجمع عليه لأن الصلح إنما هو التزام لكفاية الشر حالة الضعف ولغيره بعده أن ينظر هل السبب يقتضي ذلك فيبقيه أو لا فينقضه ويبطله (النوع التاسع عشر) عقد الجزية للكفار لا يجوز نقضه لكن ليس لكونه حكما إنشائيا كالقضاء بصحة العقود المختلف فيها بل لأن الشرع وضع هذا العقد موجبا للاستمرار في حق المعقود له ولذريته إلى يوم القيامة إلا أن يكون وقع على وجه يقتضي النقض كعقده لأهل دين لا يجوز إقرارهم على ذلك نحو الزنادقة والمرتدين ونحوهم (النوع العشرون) تقرير الخارج على الأرضين وما يؤخذ من تجار الحربيين ليس بحكم إنما هو ترتيب تقتضيه الأسباب الحاضرة فإن ظهر لغيره أن السبب على خلاف ما اعتقده الأول فعل غير ذلك وإن تبين أن العقد على خلاف الغبطة للمسلمين نقضه كما إذا باع مال اليتيم بالبخس فإنه ينقض.

(فصل) في بيان ما يفتقر لحكم الحاكم وما لا يفتقر إليه وبيان المواضع التي يدخلها الحكم والتي لا يدخلها والأحكام على أربعة أقسام (القسم الأول) لابد فيه من حكم حاكم وهو ما يحتاج إلى نظر وتحرير وبذل جهد في تحرير سببه ومقدار مسببه وذلك كالطلاق بالإعسار والطلاق بالضرر والطلاق على المولى لأنه يفتقر إلى تحقيق الإعسار وهل هو ممن يلزمه الطلاق بعدم النفقة أم لا كما لو تزوجت فقيرا علمت بفقره فلا تطلق عليه بالإعسار بالنفقة وكذلك تحقيق حاله وهو هل هو ممن يرجى له شيء أم لا وكذلك تحقيق صورة الإضرار وكذلك

اكتفاؤنا من المكلف بفعل التكاليف ظاهرا، وقد يكون في باطنه زنديقا على خلاف ما أظهره لنا وإن كان مراد الشارع بشريعته حقيقة إنما هو ما وافق فيه الظاهر الباطن فمن شهد أو صلى غير مؤمن فليس هو على شرع مطلقا في نفس الأمر حتى يقابل بالحقيقة وإنما ذلك من غير الدين وقد ينتصر الحق تبارك وتعالى لمنصف الشرع فينفذ حكم الحاكم بشهادة الزور ظاهرا وباطنا وبه قال بعض الأئمة فيسامح شهود الزور في الآخرة ويعفو عنهم ويمشي حكم الحاكم في مسألتهم كما تمشي شهادة العدول ويرضى الخصوم كل ذلك فضل منه تعالى ورحمة لعباده وستر على فضائحهم عند بعضهم بعضا وسمعت سيدي عليا الخواص يقول لا يكمل إيمان العبد بأن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم إلا إن سلك طريق القوم وأما أصحاب الحجب الكثيفة من غالب المقلدين فمن لازمهم سوء الاعتقاد في غير إمامهم ويسلمون له قوله وفي قلبهم منه حزازة فلو كأن تكلفوا أحدا منهم بهذا الاعتقاد الشريف في غير إمامهم إلا بعد السلوك وإن شككت في هذا فاعرض عليهم أقوال المذاهب وقل لكل واحد اعمل بقول غير إمامك فإنه لا يعطيك في ذلك ويقول لك أنت تريد تهدم قواعد مذهبه عنده بل ولو سلم لك ظاهرا لا يقدر على انشراح قلبه باطنا وقد بلغنا أن من وراء النهر جماعة من الشافعية والحنفية يفطرون في نهار رمضان ليتقووا على الجدال وإدحاض بعضهم حجج بعض انتهى. واعلم يا أخي أن الأئمة المجتهدين ما سموا بذلك إلا لبذل أحدهم وسعه في استنباط الأحكام الكامنة في الكتاب والسنة، فإن الاجتهاد مشتق من الجهد والمبالغة في تعاب الفكر وكثرة النظر في الأدلة فالله تعالى يجزي جميع المجتهدين خيرا فإنهم لولا استنبطوا للأمة الأحكام من الكتاب والسنة ما قدر أحد من غيرهم على ذلك وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجتهدين لنا ما أجمل في الكتاب والسنة لما قدر أحد منا على ذلك كما أن الشارع لولا بين لنا بسنته أحكام الطهارة ما اهتدينا لكيفيتها من القرآن ولا قدرنا على استخراجها منه وكذلك القول في بيان عدد الركعات الصلوات من فرض ونفل وكذلك القول في أحكام الصوم والحج والزكاة وكيفيتها وبيان أنصبتها وشروطها وبيان فرضها من سنتها وكذلك القول في سائر الأحكام التي وردت مجملة في القرآن فلولا أن السنة بينت لنا ذلك ما عرفناه ولله تعالى في ذلك أسرار وحكم يعرفها العارفون انتهى قال بعضهم إن الناس الآن يصلون إلى ذلك من طريق الكشف فقط لا من طريق النظر والاستدلال فإن ذلك مقام لم يدعه أحد بعد الأئمة الأربعة إلا الإمام محمد بن جرير ولم يسلموا له ذلك وجميع من ادعى



المدونة الكبرى

لإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الأصبحي

رواية الامام سحنون بن سعيد التنوخي

عن الامام عبد الرحمن بن القاسم العتقي

رضي الله تعالى عنهم أجمعين

﴿أول طبعة ظهرت على وجه البسيطة لهذا الكتاب الجليل﴾

﴿تنبيه﴾

لايجوز لاحد أن يطبع المدونة الكبرى أو بعضها تكملة لما حصل عليه منها على نسخة من النسخ التى طبعت على نفقتنا وكل من تعدى على ذلك يكون مسؤلا أمام القضاء حيث انا لم نحصل على أصول هذه النسخة الا بعد تحمل المشقات الزائدة وتكبد المصاريف الباهظة واضاعة الاوقات النفيسة وقد سجلناها رسمياً بالمحاكم المختلطة فكل من يتجارى على الطبع من هذه النسخه يد[illegible] عن الاصول التى طبع منها ويكلف بابرازها فى محل الاقتضاء والله المستعان

محمد ساسى المغربي
التونسى

﴿طبعت بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٢٣ هجريه﴾

فأنا أرى فيها الخمس ولا أرى فيها الزكاة ﴿ قال ﴾ وقال مالك وما نيل من المعادن بعمل يتكلف فيه وكانت فيه المؤنة حتى أصاب مثل الذي وصفت لك من الندرة فانما فيه الزكاة ﴿ قال ﴾ وقال مالك وما نيل من المعادن مما لم يتكلف فيه عمل أو تكلف فيه عمل يسير فأصيب فيه مثل هذه الندرة ففيه الخمس وما تكلف فيه العمل والمؤنة والطلب ففيه الزكاة ﴿ وقال أشهب ﴾ فى المعدن يوجد فيه الذهب النابت لاعمل فيه فقال لي كلما كانت المعادن فيها الزكاة لما تكلف فيها من المؤنة فكذلك ما وجد فيها من الذهب نابتاً لا عمل فيه يكون ركزاً ففيه الخمس ﴿ قلت ﴾ أرأيت المعادن تظهر فى أرض العرب (فقال) ما زالت المعادن تظهر فى أرض العرب ويعمل فيها الناس وتكون زكاتها للسلطان وقد ظهرت معادن كثيرة بعد الاسلام قال فمارأيت ذلك يختلف عند مالك وما كان منها فى الجاهلية ﴿ قال ﴾ ولو اختلف ذلك عند مالك فى أرض العرب أو عند أحد منهم لعلمت ذلك من قوله ان شاء الله وما شأن ما ظهر فى الجاهلية وشأن ما ظهر فى الاسلام الا سيان واحد ﴿ قال ﴾ وبلغنى عن مالك وسئل عن معادن البربر التى ظهرت فى أرضهم فقال أرى ذلك الى السلطان يليها ويقطع بها من يليها ويأخذ منها الزكاة ﴿ قلت ﴾ أرأيت قول مالك تؤخذ الزكاة من المعدن مما خرج منه (فقال) قال مالك ذلك بعد ما يخرج ذهبه أو فضته ﴿ قلت ﴾ فالذى يؤخذ منه خمسه الذى ينال بغير عمل (فقال) ذلك انما هو فضة كله يؤخذ منه خمسه اذا خرج ﴿ قال ﴾ وقال لى مالك يؤخذ مما خرج من المعدن وان كان الذى خرج به عليه دين لم ينظر فى دينه وأخذت منه الزكاة اذا كان ما يخرج له مائتى درهم أوعشرين ديناراً فصاعداً قال وهو مثل الزرع ﴿ قلت ﴾ أرأيت ما خرج من المعدن لم جعل فيه مالك الزكاة لئن كان مغنما انما ينبغى أن يكون فيه الخمس وان كان انما فيه الزكاة لانه فائدة فانه ينبغى أن لا يؤخذ منه شئ حتى يحول عليه الحول من يوم أفاده (فقال) قال مالك انما هو مثل الزرع اذا حصد كانت فيه الزكاة مكانه اذا كان فيه ما تجب فيه الزكاة ولا ينتظر به شئ اذا حصد قال وكذلك

المعدن اذا خرج منه ما يبلغ أن تكون فيه الزكاة زكى مكانه ولم ينتظر به حتى يحول عليه الحول ﴿ قال ﴾ وقال أشهب انها لما كانت ذهباً وفضة وكانت تعتمل كما يعتمل الزرع وكان أصله النابت كنبات الزرع جعلته بمنزلة الزرع وقد قال الله تبارك وتعالى وآتوا حقه يوم حصاده فكما كان يكون فى الزرع الزكاة اذا حصد وان لم يحل عليه الحول اذا بلغ مافيه الزكاة كان فى المعدن الزكاة مكانه حين أخرجه وصفاه وان كان لم يحل عليه الحول من يوم أخرجه أو من يوم عمل فيه اذا بلغ ماتجب فيه الزكاة مع مافيه من الآثار ﴿ قلت ﴾ أرأيت زكاة المعادن أتفرق فى الفقراء كما تفرق الزكاة أم تصير مثل الجزية (فقال) بل تفرق فى الفقراء كما تفرق الزكاة ﴿ قلت ﴾ وهذا قول مالك (قال) لما قال مالك فيما خرج من المعدن الزكاة وحمله محمل الزكاة علمنا أنه فى الفقراء وهو مثل الزكاة محمله محمل الزكاة ﴿ ابن القاسم ﴾ عن مالك عن ربيعة وغير واحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع لبلال بن الحارث المزنى معادن القبلية [1] وهى من ناحية الفرع فتلك المعادن لا يؤخذ منها الا الزكاة الى اليوم ﴿ أشهب ﴾ عن ابن أبى الزناد أن أباه حدثه أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ من المعادن ربع العشر الا أن تأتى ندرة [2] فيكون فيها الخمس كان يعد الندرة الركزة [3] فيخمسها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الركاز الخمس (قال أبو الزناد) والركزة أن يصيب الرجل الندرة من ذهب أو فضة يقع عليها ليس فيها كبير مؤنة ﴿ ابن مهدى ﴾ عن سفيان بن عيينة قال سمعت عبد الله بن أبى بكر يذكر أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ من المعادن من كل مائتى درهم خمسة دراهم

---

(١) (القبلية) بفتح القاف والباء الموحدة موضع من الفرع بقرب المدينة (والفرع) وزان قفل عمل من أعمال المدينة الصفراء اهـ مصباح (٢) (ندرة) الندرة بفتح النون مشددة وسكون الدال المهملة القطعة من الذهب توجد في المعدن اهـ (٣) (الركزة) بكسر الراء وسكون الكاف قال في القاموس الركزة بهاء واحدة الركاز وهو ما ركزه الله في المعادن أي أحدثه ودفين أهل الجاهلية وقطع عظام من الفضة والذهب تخرج من المعدن اهـ كتبه مصححه

فأنا أرى فيها الخمس ولا أرى فيها الزكاة ﴿ قال ﴾ وقال مالك وما نيل من المعادن بعمل يتكلف فيه وكانت فيه المؤنة حتى أصاب مثل الذى وصفت لك من الندرة فانما فيه الزكاة ﴿ قال ﴾ وقال مالك وما نيل من المعادن مما لم يتكلف فيه عمل أو تكلف فيه عمل يسير فأصيب فيه مثل هذه الندرة ففيه الخمس وما تكلف فيه العمل والمؤنة والطلب ففيه الزكاة ﴿ وقال أشهب ﴾ فى المعدن يوجد فيه الذهب النابت لاعمل فيه فقال لي كلما كانت المعادن فيها الزكاة لما تكلف فيها من المؤنة فكذلك ما وجد فيها من الذهب نابتاً لا عمل فيه يكون ركزاً ففيه الخمس ﴿ قلت ﴾ أرأيت المعادن تظهر فى أرض العرب (فقال) ما زالت المعادن تظهر فى أرض العرب ويعمل فيها الناس وتكون زكاتها للسلطان وقد ظهرت معادن كثيرة بعد الاسلام قال فمارأيت ذلك يختلف عند مالك وما كان منها فى الجاهلية ﴿ قال ﴾ ولو اختلف ذلك عند مالك فى أرض العرب أو عند أحد منهم لعلمت ذلك من قوله ان شاء الله وما شأن ما ظهر فى الجاهلية وشأن ما ظهر فى الاسلام الا سيان واحد ﴿ قال ﴾ وبلغنى عن مالك وسئل عن معادن البربر التى ظهرت فى أرضهم فقال أرى ذلك الى السلطان يليها ويقطع بها ممن يليها ويأخذ منها الزكاة ﴿ قلت ﴾ أرأيت قول مالك تؤخذ الزكاة من المعدن مما خرج منه (فقال) قال مالك ذلك بعد ما يخرج ذهبه أو فضته ﴿ قلت ﴾ فالذى يؤخذ منه خمسه الذى ينال بغير عمل (فقال) ذلك انما هو فضة كله يؤخذ منه خمسه اذا خرج ﴿ قال ﴾ وقال لى مالك يؤخذ مما خرج من المعدن وان كان الذى خرج به عليه دين لم ينظر فى دينه وأخذت منه الزكاة اذا كان ما يخرج له مائتى درهم أوعشرين ديناراً فصاعداً قال وهو مثل الزرع ﴿ قلت ﴾ أرأيت ما خرج من المعدن لم جعل فيه مالك الزكاة لئن كان مغنما انما ينبغى أن يكون فيه خمس وان كان انما فيه الزكاة لانه فائدة فانه ينبغى أن لا يؤخذ منه شئ حتى يحول عليه الحول من يوم أفاده (فقال) قال مالك انما هو مثل الزرع اذا حصد كانت فيه الزكاة مكانه اذا كان فيه ما تجب فيه الزكاة ولا ينتظر به شئ اذا حصد قال وكذلك

المعدن اذا خرج منه ما يبلغ أن تكون فيه الزكاة زكى مكانه ولم ينتظر به حتى يحول عليه الحول ﴿ قال ﴾ وقال أشهب انها لما كانت ذهباً وفضة وكانت تعتمل كما يعتمل الزرع وكان أصله النابت كنبات الزرع جعلته بمنزلة الزرع وقد قال الله تبارك وتعالى وآتوا حقه يوم حصاده فكما كان يكون فى الزرع الزكاة اذا حصد وان لم يحل عليه الحول اذا بلغ مافيه الزكاة كان فى المعدن الزكاة مكانه حين أخرجه وصفاه وان كان لم يحل عليه الحول من يوم أخرجه أو من يوم عمل فيه اذا بلغ ماتجب فيه الزكاة مع مافيه من الآثار ﴿ قلت ﴾ أرأيت زكاة المعادن أتفرق فى الفقراء كما تفرق الزكاة أم تصير مثل الجزية (فقال) بل تفرق فى الفقراء كما تفرق الزكاة ﴿ قلت ﴾ وهذا قول مالك (قال) لما قال مالك فيما خرج من المعدن الزكاة ونحمله محمل الزكاة علمنا أنه فى الفقراء وهو مثل الزكاة محمله محمل الزكاة ﴿ ابن القاسم ﴾ عن مالك عن ربيعة وغير واحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع لبلال بن الحارث المزنى معادن القبلية [1] وهى من ناحية الفرع فتلك المعادن لا يؤخذ منها الا الزكاة الى اليوم ﴿ أشهب ﴾ عن ابن أبى الزناد أن أباه حدثه أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ من المعادن ربع العشر الا أن تأتى ندرة [2] فيكون فيها الخمس كان يعد الندرة الركزة [3] فيخمسها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الركاز الخمس (قال أبو الزناد) والركزة أن يصيب الرجال النَّدرة من ذهب أو فضة يقع عليها ليس فيها كبير مؤنة ﴿ ابن مهدى ﴾ عن سفيان بن عيينة قال سمعت عبد الله بن أبى بكر يذكر أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ من المعادن من كل مائتى درهم خمسة دراهم

---

(١) (القبلية) بفتح القاف والباء الموحدة موضع من الفرع بقرب المدينة (والفرع) وزان قفل عمل من [illegible] مصحح (٢) (ندرة) الندرة بفتح النون مشددة وسكون [illegible] القطعة من الذهب توجد في المعدن اهـ (٣) (الركزة) بكسر الراء وسكون الكاف قال في القاموس الركزة بهاء واحدة الركاز وهو ما ركزه الله في المعادن أي أحدثه ودفين أهل الجاهلية وقطع عظام من الفضة والذهب تخرج من المعدن اهـ كتبه مصححه

نفح الطيب

من

غصن الأندلس الرطيب

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني

حققه

الدكتور احسان عباس

دار صادر

بيروت

تدمير ، وصارت كلها صلحاً ليس فيها عَنْوة . وكتبوا إلى أميرهم طارق بالفتح ، وخلفوا بقصبة تدمير رجالاً منهم ، ومضى معظمهم إلى أميرهم بفتح طُلَيْطُلَة .

رواية ابن حيان في فتح طليطلة

قال ابن حيان : وانتهى طارق إلى طُلَيْطُلَة دارِ مملكة القوط . فألفاها خالية قد فرّ عنها أهلها ولجؤوا إلى مدينة بها خلف الجبال ، فضم اليهود إلى طُلَيْطُلَة ، وخلف بها رجالاً من أصحابه ، ومضى خلف مَنْ فرّ من أهل طُلَيْطُلَة فسلك وادي الحجارة . ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمي به بعد . فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل ، وهي منسوبة لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، وهي خضراء من زَبَرْجَد . حافاتها منها وأرجلها . وكان لها ثلثمائة وخمسة وستون رجلاً ، فأحرزها عنده . ثم مضى إلى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبل . فأصاب بها حلياً ومالاً ، ورجع ولم يتجاوزها إلى طُلَيْطُلَة سنة ثلاث وتسعين . وقيل : إنه لم يرجع ، بل اقتحم أرض جِلِّيقية واخترقها حتى انتهى إلى مدينة استرقة ، فدوخ الجهة . وانصرف إلى طُلَيْطُلَة . والله أعلم . وقيل : إن طارق دخل الأندلس بغير أمر مولاه موسى ابن نُصَيْر . فالله أعلم . قال بعضهم : وكانت إقامته في الفتوح وتدويخ البلاد إلى أن وصل سيده موسى بن نُصَيْر سنة . وكان ما سيذكر .

وأنشد في المسهب وابن اليسع في المغرب لطارق من قصيدة قالها في الفتح :

ركبنا سَفيناً بالمجاز مُقَـــيَّرَا عسى أن يكونَ اللهُ منّا قد اشترى (١)

نفوساً وأموالاً وأهلاً بجَنَّةٍ إذا ما اشتهينا الشيءَ فيها تَيَسَّرَا

ولسْنَا نُبَالِي كيفَ سالَتْ نفوسُنَا إذا نحن أدركنا الذي كانَ أجْدَرَا (٢)

قال ابن سعيد : وهذه الأبيات مما يكتب لمراعاة قائلها ومكانته ، لا لعلو طبقتها ، انتهى .

---

(١) أخذ معاني هذا البيت والذي بعده من قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) .

(٢) النفوس ههنا الدماء ، وهي التي تسيل

شأن أولاد غيطشة

وأما أولاد غَيْطَشَة فإنهم لما صاروا إلى طارق بالأمان ، وكانوا سببَ الفتح حسبما تقدم ، قالوا لطارق : أنت أمير نفسك أم فوقك أمير؟ فقال : بل على رأسي أمير ، وفوق ذلك الأمير أمير عظيم . فاستأذنوه في اللحاق بموسى بن نُصَيْر بإفريقية ليؤكد سببهم به ، وسألوه الكتاب إليه بشأنهم معه . وما أعطاهم من عهده ، ففعل . وساروا نحو موسى فتلقَّوْه في انحداره إلى الأندلس بالقرب من بلاد البربر وعرّفوه بشأنهم ، ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمّتهم وسابقتهم . فأنفذهم إلى أمير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق ، وكتب إليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم . فلما وصلوا إلى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهدَ طارق في ضِيَاع والدهم ، وعقد لكل واحد منهم سجلاً ، وجعل لهم أن لا يقوموا لداخلٍ عليهم ، فقدموا الأندلس . وحازوا ضِيَاع والدهم أجمع ، واقتسموها على موافقة منهم ، فصار منها لكبيرهم ألمند ألف ضيعة في غرب الأندلس . فسكن من أجلها إشبيلية مقترباً منها . وصار لأرطباش ألف ضـيعة . وهو تلوه في السن ، وضياعه في مُوَسَّطَة الأندلس . فسكن من أجلها قُرْطُبة . وصار لثالثهم وَقْلَة ألفُ ضـيعةٍ في شرقيّ الأندلس وجهة الثغر . فسكن من أجلها مدينة طُلَيْطُلَة . فكانوا على هذه الحال صَدْرَ الدولة العربية . إلى أن هلك ألمند كبيرهم . وخلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين . فبسط يده أرطباش على ضياعهم . وضمها إلى ضياعه ، وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك . فأنشأت سارة بنت ألمند مركباً بإشبيلية حصيناً كامل العدة . وركبت فيه مع أخويها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بعَسْقَلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره دمشق . فأنهت خبرها ، وشكت ظُلامتها من عمها وتعدّيه عليها . واحتجت بالعهد المنعقد لأبيها وإخوته على الخليفة الوليد بن عبد الملك . فأوصلها هشام إلى نفسه ، وأعجبه صورتها وحزمها ، وكتب إلى حَنْظَلَة ابن صَفْوَان عامله بإفريقية بإنصافها من عمها أرطباش وإمضائها وأخويها على سُنَّة

عشت تسعين وأر جو أن أعيش مائه

فعش كما تمنى ، رحمه الله تعالى !.

أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي التميمي

ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر ، الأنطاكي ، الإمام ، أبو الحسن ، التميمي .

نزيل الأندلس ومقرئها ومسندها ، أخذ القراءة عرضاً وسماعا عن إبراهيم ابن عبد الرزاق ومحمد بن الأخرم وأحمد بن يعقوب التائب وأحمد بن محمد ابن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان ، وصنف قراءة وَرْش ، قرأ عليه جماعة : منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وإبراهيم بن مبشر المقرى وطائفة آخرون من قراء الأندلس . وسمع منه عبد الله بن أحمد بن مُعَاذ الداراني .

قال أبو الوليد بن الفرضي : أدخل الأنطاكي الأندلسَ علماً جماً ، وكان بصيرا بالعربية والحساب . وله حظ من الفقه ، قرأ الناسُ عليه ، وسمعت أنا منه ، وكان إماماً في القراءات[1] ، لا يتقدّمه أحد في معرفتها في وقته ، وكان مولده بأنطاكية سنة ٢٩٩ ، ومات بقرطبة في ربيع الأول سنة ٣٧٧ ، رحمه الله تعالى !

أبو البركات عمر بن مودود الفارسي ، البخاري

ومنهم عمر بن مودود بن عمر ، الفارسي ، البخاري ، يكنى أبا البركات .

ولد بسلماس ، ونشأ بها ، وكتب الحديث هنالك ، وتعلم العربية والفقه ، وهو من أبناء الملوك ، وانتقل إلى المغرب ، فدخل الأندلس ، ونزل مالقَة في حدود ثلاثين وستمائة ، ودخل إشبيلية ، وكانت له رواية بالمشرق .

قال ابن الأبار : أجاز لي ما رواهُ ، ولم يسم أحدا من شيوخه ، وبلغني أنه سمع صحيح البخاري بالدامغان[2] على أبي عبد الله محمد بن محمود ، وكانت إجازته لي سنة ٦٣١ ، وعاش بعد ذلك ، وتوفي بمراكش بعد الأربعين وستمائة ، وحدّث

(١) في ا « وكان رأسا في القراءات »

(٢) الدامغان : بلد كبير بين الري ونيسابور ، وهو قصبة قومس . وقد نسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم

بالأندلس ، وأخذ عنه الناس ، وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام ، رحمه الله تعالى !

نجم الدين بن مهذب الدين البغدادي

ومنهم الشريف الأجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين .

وكنت لا أتحقق من أي البلاد هو من المشرق ، ثم إني علمت أنه من بغداد إذ وقفت على كتابين كتبهما في شأن العناية به الأديبُ العلامة أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي : أحدهما لأبي العلاء حسان ، والثاني لكاتب أبي الحسن العَنْسي[1] ، وهو الذي يفهم منه أنه من بغداد .

ونص الأول :

يا ابن الوصي إذا حملت وصيتي أوجَبْتَ حقَّ للحقوق يُضَافُ

وتحيـــتي كلٌّ التحايا دونها وكذاكَ دون رسولها الأشراف

أحْسِنْ بأن تلْقَى ابنَ حَسَّان بها مهتزة لورودها الأعطافُ

كالروض باكرهُ الندى فَتعَرَّفها يا ابنَ النبي على الندىَ مَعَاف

وغلاكَ إن أبا العلا ومكانه يلْقَى به الإسعاد والإسعاف

وأحق مَنْ عرف الكرام بوصفهم مَنْ جُمِعَت منهمْ له أوصاف

هذه ياسيدي تحية نجبها إجابة وَحِيَّة[2] ، ونصلح بها هَشَاشة وأريحية ، أودعتها بطن هذه العُجَالة ، وبعثتها مع صَدْر من أبناء الرسالة ، ولله دره من راضع درّ النبوة ، متواضع مع شرف الأبوة ، نازعته طُرف الأشعار ، وأطراف الأخبار ، فوجدته[3] بحراً حَصَاه الدرُّ النفيس ، وروضاً يَجْنِي منه أطايبَ السمر[4] الجليسُ . ويُنْعَت بنجم الدين وهو كنَعْته نجم يضيء سناه ، ويحل بيتاً من الشرف ربه بناه ، وقد جاب الفضاء العريض ، ورأى القصور الحمر والبيض ، وورد الحَجُون ، بعد ما شرب

(١) في ا « العنسي »

(٢) وحية : سريعة

(٣) في ا « فوجدت بحراً »

(٤) في ا « أطايب الثمر »

الجواري الحسان والصور الجميلة والنساء الفاتنات الحسن لم يجتمع به إلا في هذه الخلوة ، من أجل أنه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصوّرة في الحائط ومجسمة بين يديه ، ويرى كل منهم صاحبه على هذه الصفة ، ورأيت في صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليه أنبوب مركب في صدره ، وأنبوب آخر برسم الماء البارد ، والأنبوب الأول برسم الماء الفاتر ، وعن يمنة الحوض[1] ويساره عمدان صفار منحوتة من البلور وضع عليها مباخر الندّ والعود ، وأبصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة ، وسألت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة : من أي شيء صنعت ؟ فقال لي : ما أعلم .

قال الحاكي : فما رأيت في عمري ولا سمعت بمثال تلك الخلوة ، ولا بأحسن من ذلك الحمام ، مع أني ما أحسن أن أصفهما كما رأيتهما ، فإنه لم تتكرر رؤيتي لهم ، ولا اتفق لي الظفر بصناعتهما ومباشرتهما ، وفي الذي ذكرت كفاية ، انتهى .

وصف دار جمال الملك البغدادي

ولما اتصل أبو القاسم علي بن أفلح البغدادي الكاتب بأمير المؤمنين المسترشد بالله العباسي ، ولقبه جمال الملك ، وأعطاه أربع دور في درب الشاكرية اشترى دوراً أخرى إلى جانبها ، وهدم الكل ، وأنشأ داره الكبيرة ، وأعانه الخليفة في بنائها ، وأطلق له أموالا وآلات البناء ، وكان في جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرة وأجريت الدار بالذهب ، وصنع فيها الحمام العجيب الذي فيه بيت مستراح فيه أنبوب إن فركه الإنسان يمينا خرج ماء حار وإن فركه شمالا خرج ماء بارد ، وكان على إيوان الدار مكتوباً[2] :

إن عجِبَ الراؤن من ظاهري ... فباطني لو علموا أعجب
شيدني مَنْ كفّه مُزْنة ... يهمل منها العارض الصَّيِّبُ

(١) في ا « وعن يمينه الحوض ويساره عمدان – إلخ » وليس بشيء
(٢) في نسخة « وكان على باب الدار » وفي ا « مكتوب »

ودبجت روضة أخلاقه ... فيَّ رياضا نَوْرُهَا مُذْهَبُ
صدركما صدري من نوره ... شمسا على الأيام لا تغرب

وكتب على الطرز :

ومن المروءة للفتى ... ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها ... واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما ... وعدت، وهذي ساخره

وكتب على النادي :

وناد كأن جنان الخلود ... أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما ... ن أن لا تُلِمَّ به موثقَا
فأضحى يتيه على كل ما ... بنى مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عُكَّفاً ... وتُمسِي الضُّيُوفُ بِهِ طُرَّقَا
بقيت له يا جمال الملو ... ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك رَيْبُ الزمان ... ووقيت فيه الذي يُتَّقَى

بعض ما قيل في الحمام

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن :

وما أشبه الحمام بالموت لامرىء ... تذكر ! لكن أين مَنْ يتذكر
يُجَرَّدُ عن أهل ومال وملبس ... ويصحبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله :

وحمامكم كعبة للوفود ... تحج إليه حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبه ... كتاب الطهارة باب المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل

الدارس في تاريخ المدارس

تأليف

عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي

المتوفى ٩٢٧

١٩٨٨

تحقيق

جعفر الحسني

عضو المجمع العلمي العربي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

١٤ ميدان العتبة . ت : ٩٢٢٦٢٠

٢٩ — المدرسة الأسدية [1]

بالشرف القبلي ظاهر دمشق ، وهي المطلة على الميدان الأخضر ، وهي على الطائفتين الشافعية والحنفية ، قال أبو شامة : وقال القاضي عز الدين ابن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة : المدرسة الأسدية على الفريقين [أنشأها أسد الدين شيركوه الكبير انتهى]. وقوله [2] على الفريقين أي الشافعية والحنفية كما في الدماغية والمذراوية والظاهرية ، فهذه مشتركة بيننا وبين الحنفية . وذكر قبل ذلك في كلامه على الجامع الأموي عبارة سقتها في الصلاحية بالكلاسة ، وفي آخر عبارته : مدرسة الملك المظفر أسد الدين شافعية انتهى فتأمله .

قال الذهبي في سنة أربع وستين وخمسمائة : شيركوه بن شادي بن مروان الملك المنصور أسد الدين قد ذكرنا من أخباره سابقاً ، توفي بالقاهرة فجأة في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ، ثم نقل إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان بطلاً شجاعاً شديد البأس ممن يضرب بشجاعته المثل ، له صيت بعيد ، توفي شهيداً بخانوق عظيم قتله في ليلة وكان كثيراً ما يعتريه ، وورثه ولده الملك القاهر ناصر الدين محمد [3] صاحب حمص انتهى .

وقال الأسدي في تاريخه في سنة أربع وستين وخمسمائة : شيركوه ابن شادي بن مروان بن يعقوب وقيل مروان بن محمد بن يعقوب الملك المنصور أسد الدين ، مولده بدوين [4] بلدة من طرف أذربيجان ، ونشأ

(١) درست منذ أمد بعيد .

(٢) من (م) .

(٣) توفي سنة ٥٨١ .

(٤) في (ص) : « بدرين » والصحيح من (مج و م) الموافق لما في معجم البلدان والوفيات والطبقات .

بتكريت إذ كان أبوه متولي [1] قلعتها . قال ابن الأثير : أصلهم من الأكراد الحذبانية [2] ، وأنكر جماعة من بني أيوب النسبة إلى الأكراد وقالوا إنما نحن عرب نزلنا عند الأكراد وتزوجنا منهم ، وأسد الدين هذا من أمراء نور الدين رحمه الله تعالى ، سيره إلى مصر عوناً لشاور [3] يعني الوزير السعدي ولم يف [4] له شاور فعاد إلى دمشق ، وفي سنة ثنتين وستين عاد إلى مصر أسد الدين طامعاً في أخذها ، فكانت تلك الوقعة عند الأشمونيين [5] وكسر عسكر مصر والفرنج إلى أن قال : وولي أسد الدين وزارة مصر ، فأقام خمسة وستين يوماً ، وتوفي في جمادى الآخرة بالقاهرة ، ثم نقل إلى المدينة النبوية — على الحالّ بها أفضل الصلاة والسلام — بوصية منه رحمه الله تعالى ، وكانت الفرنج تهابه وتخافه ، وأقطعه نور الدين [6] الرحبة وحمص مع ماله من الأقطاع ، وإليه تنسب المدرسة الأسدية بالشرف القبلي والخانقاه داخل باب الجابية انتهى .

وقال ابن كثير في سنة أربع وستين وستمائة : وفيها قدم ولد الخليفة المستعصم ابن المستنصر [7] الناصر العباسي واسمه علي [8] إلى دمشق ، وأنزل بالدار الأسدية تجاه المدرسة العزيزية ، وقد كان أسيراً في أيدي

(١) في (ص) : « مستولي » وصوابه ما أثبتناه .

(٢) في ابن الأثير : « الروادية » وفي مختصر الدول لمعري : « الروادية » وفي الوفيات في ترجمة صلاح الدين : « ان على باب دوين قرية يقال لها اجدانقان جميع أهلها أكراد روادية وبها مولد أيوب والد صلاح الدين وشادي أخذ ولديه . . » .

(٣) أمير الجيوش ابن مجير الدين السعدي . مات سنة ٥٦٤ هـ ترجمته في الشذرات وابن كثير .

(٤) في (ص) : « لم يقف » والصحيح من (م) الموافق لما في الوفيات .

(٥) في (ص) : « الأشرنيين » ، والصحيح من الوفيات فقد جاء فيه في ترجمة شيركوه : « وقعة البابين عند الأشمونيين » .

(٦) محمود بن زنكي (٥١١ – ٥٦٩ هـ) ترجمته في الشذرات والوفيات ودول الاسلام ومرآة الزمان والروضتين . وستأتي ترجمته في فصل المدرسة الصلاحية .

(٧) في (ص) : « ابن المنتصر » وصوابه ما أثبتناه .

(٨) علي بن المستعصم بالله العباسي . جاء في ابن كثير : « الأمير مبارك أصغر أولاد المستعصم »

تراثنا

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والارشاد القومي

من سيئة غطّت على حسنتين كبيرتين. ثم أومأ إليه بالجلوس وقال: آحفظه يا عبد الله، فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء.

ومن الكِبْر المستهجَن ما رُوى: أن وائل بن حُجْر أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأقطعه أرضًا. وقال لمعاوية: آعرض هذه الأرض عليه وآكتبها له. فخرج مع وائل فى هاجرة شديدة، ومشى خلف ناقته. وقال له: أردفنى على عَجُز راحلتك، فقال: لست من أرداف الملوك. قال: فأعطنى نعليك. فقال: ما بخلٌ يمنعنى يا ابن أبى سفيان، ولكن أكره أن يبلغ أقيالَ اليمن أنك لبست نعلى، ولكن آمش فى ظل ناقتى. فحسبك به شرفًا. وقيل: إن وائلا أدرك زمن معاوية ودخل عليه، فأقعده معه على سريره وحدّثه.

والعرب تجعل جَذِيمة الأبرش الغاية فى الكِبْر. ورُوى: أنه كان لا ينادم أحدًا ترفّعا وكبرًا، ويقول: إنما ينادمنى الفَرْقَدان. ومنه قول متمّم:

وكنّا كندمانَىْ جَذيمة حِقْبةً

قيل: إنما أراد الفرقدين، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعَقِيل.

وقيل: كان أبو نَوْبة أقبحَ الناس كِبْرًا، رُوى: أنه قال لغلامه آسقنى ماء، فقال: نعم. قال: إنما يقول: "نعم" من يقدر على أن يقول: "لا" وأمر بضربه. ودعا أكّارًا فكلّمه، فلما فرغ دعا بماء، وتمضمض آستقذارا لمخاطبته.

قال عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود:

ولا تعجبن أن تُؤْتَى فتكلّما فما خُشِىَ الأقوامُ شرٌّ من الكِبْر

قال الجاحظ: المذكورون بالكِبْر من قريش: بنو مَخْزوم، وبنو أميّة، ومن العرب: بنو جعفر بن كلاب، وبنو زُرارة بن عُدَس. وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدّون الناس إلا عبيدا، وأنفسهم إلا أربابا. والكِبْر فى الأجناس الذليلة أرسخ، ولكن القلّة والذلّة مانعتان من ظهور كِبْرهم. ومن قَدَر من الوضعاء أدنى قُدرة، ظهر من كِبْره ما لا خفاء به، ولم أر ذا كِبْر قطّ علا مَنْ دونه، إلا وهو يذلّ لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه.

قال: أما بنو مخزوم، وبنو أمية، وبنو جعفر بن كلاب، وآختصاصهم بالتِّيه، فإن نظرهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة. ولو كان فى قُوَى عقولهم فضلٌ عن قُوَى دواعى الحَمِيّة فيهم، لكانوا كبنى هاشم فى تواضعهم وفى إنصافهم مَنْ دونهم.

وقال أبو الوليد الأعرابى:

ولستُ بتيّاهٍ إذا كنتُ مُثْرِيًا ولكنه خُلْقى إذا كنت مُعْدِما

وإن الذى يعطى من المال ثروةً إذا كان ذلّ الوالدين لَمُظْلِمَا

ومن المتكبرين: عُمَارةُ بن حمزة، حُكِىَ عنه: أنه دخل على المهدىّ، فلما آستقر به الجلوس، قام رجل كان المهدىّ قد أعدّه له ليتهكّم به، فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين. قال: مَنْ ظلمك؟ قال: عُمارة غصبنى ضيعتى، وذكر ضيعة من أحسن ضياع عُمارة وأكثرها خَرَاجا. فقال المهدىّ لعُمارة: قم فآجلس مع خصمك، قال: يا أمير المؤمنين، ما هو لى بخَصْم، إن كانت الضيعة له، فلستُ أنازعه فيها، وإن كانت لى فقد وهبتُها له، ولا أقوم من مجلس شرّفنى به أمير المؤمنين. فلما آنصرف المجلس، سأل عُمارة عن صفة الرجل، وما كان لباسه، وأين كان موضع

يقول لابنته : يا بنية ، إذا أنا مت فلا تندبيني ، والناس يسمعونك ، وتقولين : وا أبتاه ، أندبك للصوم والصلاة ، للفقه والقرآن ، فيكذب الناس و يلعنوني ، ثم التفت فرأى المرأة ، فغطى وجهه بكمه وقال لها : يا فلانة ، بالله إن كنت استحسنت شيئا مما أنا فيه ، فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني ؛ فغضبت المرأة وقالت : سخنت عينك ! وفى أى شىء أنت مما يستحسن ؟ أنت فى آخر رمق ! قال : قد عمت . ولكن قلت لئلا تكوني[1] قد استحسنت خفة الموت علىّ وسهولة النزع ، فيشتد ما أنا فيه . فخرجت من عنده وهى تسبه ، وضحك من كان حوله من كلامه ومات .

ذكر شىء من نوادر أبى دُلَامة

هو أبو دُلَامة زَنْد بن الجَوْن ، و زند بالنون . وهو كوفىّ ، أسود ، مولى لبنى أسد ؛ كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له قصافص ، فأعتقه . وأدرك آخر زمن بنى أمية ولم يكن له نباهة فى أيامهم ، ونبغ فى أيام بنى العباس ، فانقطع الى أبى العباس السفّاح وأبى جعفر المنصور والمهدىّ ، وكانوا يقدّمونه و يفضّلونه و يستطيبون مجالسه ونوادره .

قال أبو الفرج الأصفهانىّ : كان أبو دُلامة ردىء المذهب ، مرتكبا للمحارم ، مُضيِّعا للفروض ، متجاهرا بذلك ؛ وكان يُعلَم هـذا منه و يُعرَف به ، فيُتجافَى عنه للطف محلّه . وله أخبار وأشعار ليس هذا موضع ذكرها ، وإنما نثبت فى هذا الموضع ما له من نادرة أو حكاية مستظرفة . فمن ذلك أنه دخل على أبى جعفر المنصور ، وكان المنصور قد أمر أصحابه بلُبْس السواد والقلانس الطوال ، تُدعَم[2] بعيدان من

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «ولكن قد لا تكونين» وهو تحريف .

(٢) كذا فى الأغانى (ج ٩ ص ١ طبع بولاق) . وفى الأصول : «وتدعم» .

داخلها ، وأن يعلّقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) . فلما دخل عليه أبو دُلامة فى هذا الزىّ قال له المنصور : ما حالك ؟ قال : شرّ حال يا أمير المؤمنين ، وجهى فى نصفى ، وسيفى فى استى ، وقد صَبَغتُ بالسواد ثيابى ونبذتُ كتاب الله وراء ظهرى ؛ ثم أنشد :

وكنا نرجى منحةً من إمامنا * فجاءت بطُولٍ زاده فى القَلَانس

تراها على هام الرجال كأنها * دِنانُ[1] يهودٍ جُلِّلتْ بالبَرَانس

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذّره من ذلك . وقال : إياك أن يسمع هذا منك أحد .

وحكى عنـه : أنه كان واقفا بين يدى السفاح أو المنصور ، فقال له : سلنى حاجتك . فقال أبو دلامة : كلب صيد ؛ قال : أعطوه إياه . قال : ودابّة أتصيّد عليها . قال : أعطوه . قال : وغلام يقود الكلب و يتصيّد به ؛ قال : أعطوه غلاما . قال : وجارية تُصلح لنا الصيد وتُطعمنا منه ؛ قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال[2] فلا بدّ لهم من دار يسكنونها ؛ قال : أعطوه دارا تجمعهم . قال : وإن لم يكن ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أقطعتك مائة جَرِيب[3] عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نبات فيه . قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد . فضحك وقال : اجعلوا المائتين كلها عامرة . قال : فَأْذَنْ لى أن أقبّل يدك ؛ قال : أمّا هذه فدعها . قال : والله ما منعت عيالى شيئا أقلّ عليهم ضررا منها .

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «ديار» وهو تحريف .

(٢) فى الأغانى : «عبيدك» .

(٣) الجريب : مقدار معين من مساحة الأرض .

ورُوى : أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

إن الخليط أجدّوا البين فانجعوا * وزوّدوك خبالاً بئس ما صنعوا

والله يعلم أن كادت لبينهم * يوم الفراق حصاة القلب تنصدع

عجبتُ من صِبيتى يوماً وأمِّهم * أمّ الدُّلامة لمّا هاجها الجزع

لا بارك الله فيها من مُنَبِّهةٍ * هبّتْ تلوم عيالى بعد ما هجعوا

ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا * سود قباح وفى أسمائنا شُنَعُ

إذا تشكّتْ إلىّ الجوعَ قلت لها * ما هاج جوعَك إلا الرّىّ والشِّبَعُ

أذاك الجوع مذ صارت عيالتنا[1] * على الخليفة منه الرّىّ والشبع

لا والذى يا أمير المؤمنين قضى * لك الخلافة فى أسبابها الرُّفَعُ

ما زلت أُخلصها كسبى فتأكله * دونى ودون عيالى ثم تضطجع

شوهاءُ مَشْنأةٌ[2] فى بطنها ثَجَلٌ[3] * وفى المَفَاصِلِ من أوصالها فَدَعُ[4]

ذَكَّرتُها بكتابِ الله حُرْمَتَنا * ولم تكن بكتاب الله ترتجعُ

فاخْرَنْطَمتْ[5] ثم قالت وهى مُغْضَبةٌ[6] * أأنت تتلو كتاب الله يا لُكَعُ!

(١) ورد هذا البيت فى الأصول : «قالت أذابك قد صارت الخ ...» . وهو تحريف . وقد أورد صاحب الأغانى هذا البيت على أنه رواية أخرى فى البيت قبله وهى الرواية الجيدة . ولذلك كا[illegible] [illegible] .

(٢) مشنأة : قبيحة .

(٣) ثجل : عظم البطن واسترخاؤه .

(٤) الفدع : عوجاج الرسغ فى يد أو رجل .

(٥) اخرنطمت : رفعت أنفها تكبراً أو غضباً .

(٦) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «[illegible]» وهو تحريف .

أخرُجْ تبغّ لنا مالاً ومزرعةً * كما لجيراننا مالٌ ومُزْدَرَعُ

واخْدَعْ خليفتَنا عنّا بمسألةٍ * إن الخليفة للسؤّال ينخدع

قال : فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عنه بمائتى جريب عامرة — ويروى ستمائة جريب عامرة وغامرة — فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنّجف ، وإن شئت زدتُك . فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة .

قال : ولمّا توفّى السفّاح دخل أبو دُلامة على المنصور والناس عنده يعزّونه ، فقال :

أمسيتَ بالأنبارِ يابن محمد * لم تستطعْ عن عُقْرِها تحويلا

ويلى عليك وويل أهلى كلّهم * ويلاً وعَوْلاً فى الحياة طويلاً

فلتَبْكِيَنّ لك النساءُ بعَبْرةٍ * وليبكينّ لك الرجالُ عويلا

مات الندى إذ متّ يابن محمد * فجعلته لك فى التراب عديلا

إنى سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم * فوجدتُ أسمحَ من سألتُ بخيلا

ألشقوتى أُخِّرتُ بعدك للتى * تدعُ العزيزَ من الرجال ذليلا؟

فلأحلفنّ يمينَ حقٍّ بَرّةٍ * بالله ما أُعطيتُ بعدك سولا

قال : فأبكى الناسَ قولُه . فغضب المنصور غضباً شديداً وقال : إن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعنّ لسانك . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ أبا العباس أمير المؤمنين كان لى مكرماً ، وهو الذى جاء بى من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ . فسُرّى عن المنصور وقال : قد أقلتك يا أبا دُلامة . فسل حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً ، وهو مريض ولم أقبضها . فقال المنصور : ومن يعلم ذلك؟ قال : هؤلاء (وأشار إلى جماعة ممن حضر) فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدَق أبو دُلامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبى

هوتْ هِرَقلةُ لمّا أن رأتْ عجبًا * جوائما[1] تَرْتمى بالنّفط والنّار

فطرِب الرشيد وآستعاده مرارًا ؛ وهو شعر مُدِح به الرشيدُ فى فتح هِرَقلة . فأقبل الرشيد على آبن جامع دون غيره . فغمز مخارِقٌ إبراهيمَ بعينه وتقدّمه إلى الخلاء، فلما جاء قال له : مالى أراك مُنكسِرًا ؟ فقال له : أمَا ترى إقبالَ أمير المؤمنين على آبن جامع بسبب هذا الصوت ! فقال مخارقٌ : قد والله أخذتُه . فقال : ويحك ! إنه الرشيد . وآبنُ جامعٍ من تَعلَم، ولا يُمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه وإلا فهو الموت ! فقال : دعنى وخَلاك ذَمٌّ . وعرِّفه أنى أُغنّى به . فإن أحسنتُ فإليك يُنسَب، وإن أسأتُ فإلىّ يعود . فقال إبراهيم للرشيد : يا أمير المؤمنين، أراك مُتعجّبًا من هذا الصوت بغير ما يستحقّه وأكثر مما يستوجبه ! فقال : لقد أحسن فيه آبن جامع ما شاء . قال : أوَ لآبنِ جامع هو؟ قال : نعم، كذا ذكر . قال : فإنّ عبدَك مخارقًا يغنّيه . فنظر إلى مخارق؛ فقال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هاتِه؛ فغنّاه وتحفّظ فيه فأتى بالعجائب، وطرِب الرشيدُ حتى كاد يطير؛ ثم أقبل على آبن جامع فقال : ويلك ! ما هذا ؟ فآبتدأ يحلِف بالطلاق وكلِّ مُحرِجة أنه لم يسمع ذلك الصوتَ قطّ من غيره وأنه صنَعه وأنها حيلةٌ جَرَتْ عليه . فأقبل على إبراهيم وقال : أصْدُقنى بحياتى؛ فصدَقه عن قصّة مخارق . فقال لمخارق : اجلس إذًا مع أصحابك، فقد تجاوزتَ مرتبةَ من يقوم . وأعتقه ووصلَه بثلاثة آلاف دينار وأقطعه ضَيْعةً ومنزلا .

وقد روى أبو الفرج الأصفهانىّ عن هارون بن مخارق، قال : كان أبى إذا غنّى هذا الصوت :

يارَبْعَ سلمى لقد هيّجتَ لى طَرَبا * زدتَ الفؤادَ على عِلّاته وَصَبا
رَبْعٌ تبدّل ممن كان يسكنه * عُفْرَ الظباء وظُلمانًا به عُصَبا

(١) فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٣) : «حوائما» .

يبكى ويقول : أنا مولى هذا الصوت . فقلت له : كيف يا أبتِ؟ فقال : غنّيتُه مولاى الرشيد . فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال : أحسنتَ يا مخارق ! فسَلْنى حاجتَك . فقلت : تُعتِقُنى يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار؛ فقال : أنت حرٌّ لوجه الله تعالى، فأعِد الصوتَ فأعدتُه؛ فبكى وشرب رِطلا، ثم قال : أحسنتَ يا مخارق ! فسلنى حاجتَك . فقلتُ : ضَيعةٌ تُقيمنى غَلّتُها[1]؛ فقال : قد أمرتُ لك بها، أعِد الصوتَ فأعدتُه، فبكى وقال : سل حاجتَك؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، تأمر لى بمنزل وفرس وخادم؛ فقال : ذلك لك، أعِد الصوت فأعدتُه، فبكى وقال : سل حاجتَك؛ فقبّلتُ الأرضَ بين يديه وقلت : حاجتى أن يُطيل اللهُ بقاءَك ويُديم عزَّك ويجعلنى من كل سوءٍ فداءك؛ فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاى .

ويُروى أيضا عن الحسين بن الضحّاك عن مُخارق أنّ الرشيد قال يوما للمغنّين وهو مصطبح : مَن منكم يغنّى :

* يا ربعَ سَلْمى لقد هيّجتَ لى طربا *

فقمتُ وقلت : أنا يا أمير المؤمنين . فقال : هاتِه؛ فغنّيتُه فطرِب وشرب ثم قال : علىّ بهرثمةَ؛ فقلت فى نفسى : ماذا يريد منه ! فجاء هرثمةُ فقال له : مخارق الشّارى الذى قتلناه بنواحى المَوْصِل ما كانت كنيتُه؟ فقال : أبو المُهنّا؛ فقال : آنصرِف فآنصرف؛ ثم أقبل الرشيد علىّ فقال : قد كنّيتُك أبا المهنّا لإحسانك . وأمر لى بمائة ألف درهم؛ فآنصرفتُ بها وبالكُنْية .

قال أبو عبد الله بن حمدون : كنّا عند الواثق وأمّه عليلةٌ . فلما صلّى المغربَ دخل إليها وأمر ألا نبرح . فجلسنا فى صحن الدار، وكانت ليلةً مقمِرةً وأبطأ الواثقُ علينا؛ فاندفع مخارق يغنّى، فآجتمع علينا الغِلمان . وخرج الواثقُ فصاح : يا غلام، فلم يُجبه

(١) كذا فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٤) . وفى الأصل : «غلها» وهو تصحيف .

التي كان عليها أولا وآخرا، فدخلت أترنّم وأصفّق . فقال لي : أُدْنُ؛ فقلت : ما بقي عليك؟ فقال : اجلس وآرفع سَجْفَ هــذا الباب؛ فرفعته فاذا عشرون بدرة مع تلك العشر . فقلت : ما تنتظر الآن ؟ فقال : ويحك! ما هو إلا أن حَصلتْ حتى جرت مجْــرى ما تقدّم . فقلت : والله ما أظن أحدًا نال من هذه الدولة ما نلتَ ! فلِمَ تبخل على نفسك بشيء تمنيتَه دهرًا وقد ملّكك الله أضعافه! ثم قال : اجلس نخذ هذا الصوت . فألقى عليّ صوتا أنساني صوتي الأوّلين وهو :

أفي كلّ يومٍ أنتَ صَبٌّ وليلةٍ * إلى أمّ بكرٍ لا تُفيــق فتُقصرُ

أُحبُّ على الهِجرانِ أكنافَ بيتها * فيالكَ من بيت يُحَبُّ ويُهجــرُ

إلى جعفرٍ سارتْ بنا كلُّ جَسْرةٍ * طواها سُراهـا نحـوه والتّهجُّرُ

إلى واسـع للمجتدين فِناؤُهُ * تروح عطاياه عليهـم وتَبْــكُرُ

— وهو شعر مروان بن أبي حفصة يمدح جعفر[بن يحيي](1) — قال مخارق : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هــذا قطّ ؟ فقلتُ : ما سمعتُ قط مثلـه ! فلم يزل يردّده عليّ حتى أخذته، ثم قال لي : امضِ إلى جعفر فافعـل به كما فعلتَ بأبيـه وأخيه . قال : فمضيت ففعلت مثل ذلك وأخبرته بما كان وعرضت عليه الصوت؛ فسُرَّ به ودعا خادمًا فأمره أن يضرب السِّتارة، وأحضر الجاريةَ وقعد على كرسيّ؛ ثم قال : هاتِ يا مخارقُ؛ فألقيتُ الصوتَ عليهـا حتى أخذته؛ فقـال : أحسنتَ يا مخارق وأحسن أستاذُك، فهل لك في المُقام عندنا اليوم؟ فقلت : يا سيّدي، هذا آخرُ أيامنا، وإنما جئتُ لموقع الصوت منّي حتى ألقيته على الجارية . فقال : يا غلام، احْمِل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصليّ ثلثمائة ألف درهم . فصرتُ إلى منزلي بالمال وأقمتُ ومَن عندي مسرورين نشرب طولَ يومنا ونطرَب . ثم بكّرتُ إلى إبراهيم

فتلقّاني قائما، ثم قال لي : أحسـنتَ يا مخارق! فقلتُ : ما الخبر؟ قال : اجْلِس فجلستُ، فقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما أنتم عليه(1) ثم رفع السَّجفَ فإذا المـالُ . فقلت ما خبر الضَّيعة؟ فأدخل يده تحت مِسْوَرة(2) وهو متكئ عليها فقال : هذا صكّ الضَّيعة اشتراها يحيي بن خالد وكتب إليّ : "قد علمتُ أنك لا تسخو نفسُك بشراء هذه الضَّيعة من مال يحصُل لك ولو حويتَ الدنيا كلَّها، وقد آبتعتها من مالي". ووجّه إليّ بصكّها، وهذا المـال كما تَرى، ثم بكى وقال : يا مخارقُ، إذا عاشرتَ فعاشِرْ مثـلَ هؤلاء، وإذا خنكرت فخَنْكِرْ(3) لمثل هؤلاء . ستمائة ألف، وضيعة بمائة ألف، وستون ألف درهم لك، حصّلنا ذلك أجمع وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه، متى يُدْرَك مثلُ هؤلاء! .

ورُوِي عنه قال : أتيتُ الفضلَ بن يحيي يوما فقلت له : يا أبا العبّاس، جُعِلتُ فداك! هَبْ لي دراهم فإن الخليفة قد حبس برّه . فقال : ويحك يا أبا إسحاق ما عندي ما أرضاه لك . ثم قال : هاه! إلا أنّ ها هنا خَصْلةً . أتانا رســولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه، ووجّه [إلينا](4) بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبّتنا . فما فعلتْ ضياءُ جاريتُك ؟ قلت : عندي جعلتُ فداك . قال : فهو ذا، أقول لهم يشترونها(5) منك فلا تنقُصْها من خمسين ألف دينار . فقبّلتُ رأسه ثم آنصرفتُ . فبكّر عليّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ له ولي، فقال : جاريتُك فلانة [عندك](6)؟ قلتُ : عندي . قال : آعْرِضها عليّ فعرضتُها عليـه؛ فقال : بكم؟ فقلت : بخمسيـن ألف دينار ولا أنْقُصُ منها دينارا واحدا، وقد أعطاني الفضـلُ بن يحيي أمس هذه العطيّةَ،

(1) في الأغاني : «فيما أنتم فيه» . (2) المسورة : الوسادة من الجلد .

(3) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ٤١١ طبع دار الكتب المصرية) ومعناه : إذا أردت أن تغني فغن لمثل هؤلاء . وفي الأصل : «وإذا احتكرت فاحتكر» وهو تحريف . (4) الزيادة عن الأغاني . (5) كذا في الأغاني . وفي الأصل : «حتى يشترونها» . (6) الزيادة عن الأغاني .

خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه : أجيبوا داعى الله عز وجل ، يقال له أحمد ، قال : فقلت هذا والله نبأ ما سمعت ، فثرت[1] إلى الصنم فكسرته أجذاذا . وشددت راحلتي ورحلت ، حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرح لى الإسلام فأسلمت ، وأنشأت أقول :

كسرتُ باجر أجذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ضلا بتضلال

فالهاشمى هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه منى على بال[2]

يا راكبا بلغن عمرا وإخوته[3] * أنى لما قال ربى باجر قال

قال مازن : فقلت يا رسول الله إنى امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر ، والهلوك[4] من النساء ، وألحت علينا السنون[5] فأذهبن الأموال ، وأهزلن الذرارى والعيال ، وليس لى ولد . فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ، ويأتينى بالحيا ، ويهب لى ولدا .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، [وبالخمر رِيًّا لا إثم فيه ، وبالعهر عِفّة الفَرْج[6]] وائته بالحيا ، وهب له ولدا .

قال مازن : فأذهب الله عنى كل ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر[7] ووُهب لى حيان بن مازن ، وأنشأت أقول :

---

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « فثرت إلى الصنم » .

(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « دينه شيء » .

(٣) فى دلائل أبى نعيم ص ٧٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « عمرا وإخوتها » ، وعمر هذا [illegible] وإخوته بنى الصامت وبنى خطامة ، وهى بطن من طيء .

(٤) الهلوك من النساء : [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) عن عيون الأثر ١ : [illegible] ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ .

(٧) فى دلائل أبى نعيم ص ٧٧ : « حرائر ، وحفظت شطر القرآن » ، [illegible]

إليك رسولَ الله خبّت مطيتى * تجوب الفيافى من عُمانَ إلى العَرْج

لتشفع لى ياخيرَ من وطئ الحصا * فيغفرَ لى ربى فأرجعَ بالفَلْج[1]

إلى معشرٍ خالفتُ فى الله دينَهم * فلا رأيهم رأيى ولا شَرْجُهم شَرْجى[2]

وكنت امرأً بالعُهْر[3] والخمر مولَعا * شبابى حتى آذنَ الجسمُ بالنَّهْج[4]

فبدّلنى بالخمر خوفًا وخشيةً * وبالعُهْر إحصانًا وحَصّنَ لى فرجى

فأصبحتُ همّى فى جهادٍ ونيّتى * فلله ما صَومى ولله ما حجّى

قال مازن : فلما رجعت إلى قومى أنّبونى وشتمونى ، وأمروا شاعرهم فهجانى ، فقلت إن هجوتهم فإنما أهجو نفسى ، فتركتهم ، قال : ثم إن القوم ندموا وكنت القيّم بأمورهم ، فقالوا ما عسى أن نصنع به ، فجاءنى منهم أَزْفَلة[5] عظيمة فقالوا : يا ابن عم ، عِبْنا عليك أمرا فنهيناك عنه ، فإذ أبيت فنحن تاركوك ، ارجع معنا . فرجعت معهم ، وأسلموا بعدُ كلّهم .

ومازن هذا هو الذى أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض عمان .

ومنه ما روى عن جبير بن مُطْعِم عن أبيه قال : كنا جلوسا عند صنم لنا ، فإذا صائح يصيح من جوفه : اسمعوا إلى العَجَب ، وتوقعوا حادثا قد اقترب ، استراق السمع ذهب ، وتُرمَى [الجنُّ] بالشُّهُب ، لنبى من العرب ، هاشمىّ النسب ،

---

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ ، ٢٠٢ : « ليغفر لى ذنبى » ، والفلج : الفوز والظفر .

(٢) الشرج : الشكل والطريق . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٢ ؛ وفى الأصل : « ولا شرجهم » [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) الأزفلة بفتح الهمزة والفاء : الجماعة من الناس ؛ وفى الأصل : « ازفلة » تصحيف .

وآذَوْا رسولَ الله فيها بجُــلِّلوا * مَخَازِى تَبْــقَى عُمُّوها وفُضِّحُوا
وصُبَّتْ عليهم مُحْصَــداتٌ كأنها * شآبيبُ قَطْرٍ من ذُرَى المُزْنِ تَسْفَحُ[1]

وحكى أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة مِسْطح – وهو عوف بن أُثاثة بن عبّاد ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قُصىّ ، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر خالة أبو بكر الصدّيق . قال : وذكر الأموى عن أبيه عن ابن إسحاق قال قال أبو بكر يذكر مسطحا :

يا عوفُ ويحكَ هلّا قلتَ عارفةً * من الكلام ولم تُتبع بها طمَعَا
وأدركَتْكَ حُمَيَّا مَعْشَرٍ أُنُفٍ * ولم تكن قاطعًا يا عوفُ مَنْ قطعَا
هلّا حَرِبْتَ من الأقوام إذ حسدوا * فلا تقولُ ولو عاينتَه قَذَعَا
لمّا رمَيْتَ حَصانًا غيرَ مُقْرِفَةٍ * أمينةَ الجَيْبِ لم نعلم لها خَضَعَا
فيمن رماها وكنتم مَعْشَرًا أُفُكًا * فى سَيِّءِ القول من لفظ الخَنَا شرَعَا
فأنــزل الله وَحْيًا فى براءتها * وبين عَوفٍ وبين الله ما صَنَعَا
فإن أعِشْ أَجْزِ عوفًا عن مقالته * شَرَّ الجزاءِ إذا أُلْفِيتُه تَبِعَا

ولعل هذا الشِّعر إن صحّ عن أبى بكر فيكون قاله قبل نزول قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ الآية . فإنه قد صح أن أبا بكر قال عند نزولها : والله إنى أُحِبّ أن يغفر الله لى ، ورَجَع إلى مِسْطح النفقةَ التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها عنه أبدا .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثنى أبى إسحاق بن يَسَار عن بعض رجال بنى النّجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : ألا تسمع ما يقول

(١) محصدات : يعنى سياط محكمة الفتل شديدات . شآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والذرى : الأعالى . وتسفح : تسيل .

الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنتِ يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا واللهِ ما كنتُ لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خيرٌ منك . فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال أهل الإفك ، ثم قال : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ ، أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته .

قال ابن إسحاق : وكان حسّان بن ثابت قال شعرا يُعرِّض فيه بصفوان بن المعطَّل ، فاعترضه صفوان فضربه بالسيف ، ثم قال :

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيفِ عنكَ فإنّنى * غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب ثابت بن قيس بن شَمّاس على صفوان بن المعطَّل حين ضرب حسّان فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخَزْرج ، فلقيه عبد الله بن رَوَاحة فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبك[1] ! ضربَ حسّانَ بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله ؛ فقال له عبد الله بن رَوَاحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ؛ قال : لقد اجترأتَ ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسّان وصفوان ، فقال صفوان : يارسول الله ، آذانى وهجانى ، فحملنى الغضب فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ياحسّان ، أتَشَوَّهْتَ[2] على قومى أن هداهم الله للإسلام " ؟ ثم قال : " أحسِنْ يا حسّان فى الذى قد أصابك " قال : هى لك ؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا عنها بَيْرَحا – وهى قصر بنى حُدَيْلة – كانت مالا لأبى طلحة وتصدّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها حسّانَ فى ضربته ، وأعطاه

(١) قال السهيلى : « معناه أما جعلك تعجب ، تقول عجبت من الشىء وأعجبنى الشىء إذا كان ذلك التعجب من مكروه أو محبوب » . (٢) تشوهت على قومى : قبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله .

١٠٠١، وخمسين بيضة ، وثلثمائة سيف وأربعين سيفا ، وكانت بنو النضير صفيًّا[١] لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، خالصة له حُبسا[٢] لنوائبه ، لم يخمّسها ولم يُسهم منها لأحد ، إلا أنه أعطى ناسا من أصحابه ، ووسّع فى الناس ، فكان ممن أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين أبو بكر [الصديق][٣] رضى الله عنه ، أعطاه بئر حِجر ، وعمر بن الخطاب بئر جرم[٤] ، وعبد الرحمن بن عوف سوالة ، وصُهيب بن سنان الضراطة[٥] ، والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البُويلة[٦] ، وسهل بن حُنيف وأبو دُجانة مالا ، يقال له : مال ابن خَرَشة . حكاه محمد بن سعد فى طبقاته .

قال : ولما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، قال : امضوا فإن هذا أول الحشر وإنا على الأثر .

وأنزل الله عز وجل فى بنى النضير سورة « الحشر » بكمالها .

يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ .

(١) صفيا : أى مختارة . (٢) حبسا : وقفا . (٣) سافطة فى ا .
(٤) كذا فى ا ، والطبقات . وفى جـ : « حرم » .
(٥) كذا فى جـ . وفى ا : « الضراطه » . وفى الطبقات : « الضراطه » .
(٦) البويلة : مكان معروف بين المدينة وبين تيماء من جهة مسجد قباء إلى جهة الغرب . ويقال لها أيضا : « البويرة » . شرح المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٩١
وقال صاحب معجم البلدان ، فى « النضير » : « لم أر أحدا من أهل السير ذكر أسماء منازل بنى النضير فبحثت فوجدت منازلهم التى غزاهم النبى صلى الله عليه وسلم فيها تسمى وادى بطحان والبويرة »

قال الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى ، رحمه الله : « أهل الكتاب » بنو النضير « من ديارهم » التى كانت بيثرب « لأول الحشر » قال الزهرى : كانوا من سِبط[١] لم يصبهم جلاء فيما مضى ، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء ، ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا ، قال : وكانوا أول حشر فى الدنيا حشر إلى الشام[٢] . وقال الكلبى : إنما قال : « لأول الحشر » لأنهم أول من حُشر من أهل الكتاب ، ونفوا من الحجاز . وقال مُرّة الهمْدانى : كان هذا أول الحشر من المدينة ، والحشر الثانى من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا[٣] من الشام فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعلى يديه . وقال قتادة : كان هذا أول الحشر ، والحشر الثانى : نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتَقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل منهم من تخلّف . « ما ظننتم » أيها المؤمنون « أن يخرجوا » من المدينة « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله » حيث دربوها وحصنوها « فأتاهم الله » أى أمر الله وعذابه « [من][٤] حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب » قيل : بقتل سيدهم كعب بن الأشرف . « يخربون بيوتهم بأيديهم » قال ابن إسحاق : وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم . وقال ابن زيد : كانوا يقتلعون العمد ، وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب[٥] ، حتى الأوتاد ، يخربونها لئلا يسكنها المسلمون حسدا منهم وبغضا . وقال ابن عباس : كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم[٦] هدموها لتتسع لهم المقاتل ، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارهم فيخرجون إلى التى

(١) السبط : ولد الولد . والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب .
(٢) كذا فى الأصول . [illegible] : « وكانوا أول حشر حشروا فى [illegible] » .
(٣) كذا فى الأصول ومعجم البلدان . وفى القاموس : [illegible]
(٤) ساقطة من ا . (٥) فى ا : « الأخشاب » . (٦) فى ا : « دارهم » .

قال : وقدم عليه أبو حرب بن خُوَيلد بن عامر بن عُقَيل ، فقرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن، وعَرَض عليه الإسلام . فقال : أمَا وايْمُ الله لقد لَقِيتُ اللهَ أو لقيتُ من لَقِيه ، فإنك لتقولُ قولًا لا نُحسن مثلَه ، ولكن سوف أضرب بقِداحي هذه على ما تدعوني إليه ، وعلى ديني الذي أنا عليه، وضرب بالقِداح، فخرج على سهم الكفر، ثم أعاد فخرج عليه ثلاث [مرات](1) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبى هذا إلّا ما ترى » . ثم رجع إلى أخيه عِقَال(2) بن خُوَيلد، فقال له : قَلّ خَيْسُك ، أى قلّ خيرُك . فقال : هل لك في محمد بن عبد الله يدعو إلى دين الإسلام ، ويقرأ القرآن، وقد أعطاني العَقيق إن أنا أسلمت ، فقال له عِقال : أنا والله أُخطّك أكثر مما يُخطّك محمد ، ثم ركب فرسه وجرّ رمحه على أسفل العقيق ، فأخذ أسفله وما فيه من عَين، ثم إن عقالا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الإسلام ، وجعل يقول له : « أتشهد أن محمدا رسول الله » ؟ فيقول : أشهد أن هُبَيرة بن النُّفاضة نعم الفارس يوم قَرْنَى لُبان(3) . ثم قال : « أتشهد أن محمدا رسول الله » ؟ قال : « أشهد أن الصَّريح تحت الرَّغوة(4) » . ثم قال له الثالثة : « أتشهد » ؟ قال : فشهد وأسلم .

(1) الزيادة من طبقات [illegible] .

(2) ذكره [illegible] «عقال» [illegible] صحيح .

(3) [illegible]

(4) [illegible]

قال : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُصَين بن المُعَلَّى بن ربيعة ابن عُقَيل، وذو الجَوْشَن(1) الضِّبابي، فأسلما .

ذكر وفد جَعْدة

قال محمد بن سعد : وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب، فأعطاه صلى الله عليه وسلم بالفَلَج(2) ضَيْعة ، وكتب له كتابا وهو عندهم .

ذكر وفد قُشَير بن كعب

قال : وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَر من بنى قُشَير، قبل حجة الوداع وبعد حُنَين ، فيهم ثَور بن عَزْرة بن عبد الله بن سَلَمة بن قُشَير فأسلم، فأقطعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قطيعة(3)، وكتب له بها كتابا . وفيهم حَيْدة بن معاوية ابن قُشَير، وفيهم قُرّة بن هُبَيرة بن سَلَمة الخير بن قُشَير فأسلم . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكساه بُردا، وأمره أن يتصدّق على قومه، أى يلى الصدقة(4) .

(1) ذو الجوشن : اختلف في اسمه فقيل أوس بن الأعور ، وقيل شرحبيل بن الأعور [illegible] قيل له ذو الجوشن لأن صدره كان ناتئا . (2) الفلج : مدينة بأرض اليمامة .

(3) في أسد الغابة : أقطعه حماه [illegible] .

(4) [illegible]

قال : وقدم عليه أبو حرب بن خُوَيلد بن عامر بن عُقَيل ، فقرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن، وعَرَض عليه الإسلام، فقال : أَمَا وايْمُ الله لقد لَقيتُ اللهَ أو لقيتُ من لَقيه ، فإنك لتقولُ قولًا لا نُحسن مثلَه . ولكن سوف أضرب بقِداحى هذه على ما تدعونى إليه ، وعلى دِينى الذى أنا عليه، وضَرَب بالقِداح، فخرج على سهم الكفر، ثم أعاد فخرج عليه ثلاث [مرّات][1] . فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أَبَى هذا إلّا ما ترى . ثم رجع إلى أخيه عِقال[2] بن خُوَيلد، فقال له : قَلَّ خَيْسُكَ . أى قلّ خيرُك . فقال : هل لك فى محمد بن عبد الله ؟ يدعو إلى دين الإسلام ، ويقرأ القرآن، وقد أعطانى العَقيق إن أنا أسلمتُ ، فقال له عقال : أنا والله أُخَطُّك أكثرَ مما يَخُطُّك محمد ، ثم ركب فرسه وجَرّ رُمْحَه على أسفل العقيق ، فأخذ أسفله وما فيه من عَين، ثم إن عقالا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الإسلام ، وجعل يقول له : « أتشهد أن محمدا رسول الله » ؟ فيقول : أشهد أن هُبَيرة بن النُّفاضة نعم الفارسُ يوم قَرْنَى لَبان[3] . ثم قال : « أتشهد أن محمدا رسول الله » ؟ قال : « أشهد أن الصَّرِيح تحتَ الرَّغوة[4] » ، ثم قال له الثالثة : « أتشهد » ؟ قال : فشهد وأسلم .

---

(١) الزيادة من [illegible] .

(٢) [illegible] « عقال » [illegible] صحيح .

(٣) [illegible]

قال : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُصَين بن المُعَلَّى بن ربيعة ابن عُقَيل، وذو الجَوْشَن الضِّبابى[1] فأسلما .

ذكر وفد جَعْدة

قال محمد بن سعد : وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب، فأعطاه صلى الله عليه وسلم بالفَلَج[2] ضَيعة . وكتب له كتابا وهو عندهم .

ذكر وفد قُشَير بن كعب

قال : وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من بنى قُشَير قبل حجة الوداع وبعد حُنَين ، فيهم ثَور بن عَزْرة بن عبد الله بن سَلَمة بن قُشَير فأسلم ، فأقطعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قطيعةً[3]، وكتب له بها كتابا . وفيهم حَيْدة بن معاوية ابن قُشَير، وفيهم قُرَّة بن هُبَيرة بن سَلَمة الخير بن قُشَير فأسلم . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكساه بُرْدا[4] ، وأمره أن يتصدق على قومه ، أى يلى الصدقة[5] .

---

(١) ذو الجوشن : اختلف فى اسمه فقيل أوس بن الأعور ، وقيل شرحبيل بن الأعور [illegible] قيل له ذو الجوشن لأن صدره كان ناتئا . (٢) الفلج : مدينة بأرض [illegible] .

(٣) [illegible] : أقطعه [illegible] .

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

ذكر وفادات أهل اليمن

ذكر وفد طيِّئ وخبر زيد الخَيْل وعَدِىّ بن حاتم

قالوا : وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيِّئ خمسة عشر رجلا ، رأسهم ، وسيِّدهم زَيْد الخَيْل بن مُهَلْهِل ، من بنى نَبْهان ، وفيهم وَزَر بن جابر بن سَدُوس النَّبْهانى[1] ، وهو قاتل عَنْتَرة ، وقَبِيصة بن الأسْوَد بن عامر من جَرْم طيِّئ ، ومالك بن عبد الله بن خَيْبَرى[2] من بنى مَعْن ، وقُعَيْن[3] بن خَلَف من جَدِيلة[4] ، ورجل من بنى بَوْلان[5] ، فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فعَقَلوا رواحلهم بفناء المسجد ، ثم دخلوا فدَنَوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا وأجازهم بخمس أواق فضة لكل رجل منهم ، وأعطى زيد الخيل اثنتى عشرة أُوقيّةً ونَشًّا . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ذُكِر لى رجلٌ من العرب إلا رأيتُه دون ما ذُكِر لى إلا ما كان من زيد الخيل ، فإنه لم يَبْلُغ كلّ ما كان فيه » .

وسَمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « زيد الخير » ، وقَطَع له فَيْد[6] وأرَضِين معه ، وكتب له بذلك كتابا ، فخرج مع قومه راجعًا ، فقال رسول الله صلى الله

(١) فى أسد الغابة والإصابة : وزر بن سدوس ، ولأن الإصابة نقل فيها عن الرشاطى : وزر بن جابر . وعنترة الذى قتله هو العبسى المشهور . ونقل عن أبى الفرج أن وزر هذا لحق بالشام وتنصر ومات على ذلك . (٢) خيبرى ، بفتح الراء وألف مقصورة ابن أفلت بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن . (٣) قعين : تصغير من القعن وهو ارتفاع فى أرنبة الأنف وقصر فاحش فى الأنف . وفى الطبقات ابن خليف بالتصغير . (٤) جديلة : من قبائل طيئ ، وهى أم جندب وحور[illegible] . وفى الطبقات : « ابن جديلة » وليس بصحيح [illegible] . (٥) هو بولان بن عمرو بن [illegible] .
(٦) فيد مثال بيع : منزل فى نجد بطريق مكة من العراق . وفى التاج : [illegible] فى الأرض بين أسد وطيّئ فى الجاهلية ، فلما قدم زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعه فيدا .

عليه وسلم : « إنْ يَنْجُ زيدٌ من حُمّى المدينة فإنّه[1] » ، فلما انتهى زيد من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فَرْدة[2] أصابته الحُمّى فمات ، فعمدت امرأته إلى ما كان النبىّ صلى الله عليه وسلم كتب له فحرّقته بالنار .

هذا ما كان من خبر زيد الخيل .

وأمّا عَدِىّ بن حاتم فكان من خبره أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى الفُلْس[3] — صَنَمِ طيِّئ — ليهدمه ويشنّ الغارات ، فخرج فأغار على حاضر آل حاتم ، وأصابوا ابنة حاتم[4] ، كما قدّمنا ذكر ذلك فى الغزوات والسّرايا ، فقُدِم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا طيِّئ . وقيل : إنما سَبَاها من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلٌ كان عليها خالد بن الوليد ، وهرب عَدِىّ بن حاتم حتى لحق بالشام .

حكى محمد بن إسحق رحمه الله قال : كان عَدِىّ بن حاتم يقول — فيما بلغنى — : ما من رجل من العرب كان أشدّ كراهيةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منّى ، أمّا أنا فكنت امرأً شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسير

٢٧
١٦

(١) فى شرح المواهب : يبناء « ينج » للفعول و (إن) جازمة ، أى فإنه لا يصاب بسوء كما قدره بعض ، أو لم يصبه ضرر ، يعنى أن جواب الشرط محذوف تقديره : فإنه لا يصاب بسوء . ولم يقدر فى الإصابة الجواب كأنه اكتفى بوضوحه ، وذكر أنه أصابته الحمى بماء يقال له قردة فمات . (٢) هكذا بالقاف وكذا والذى فى شرح المواهب : « فردة بالفاء المفتوحة والدال المهملة بينهما راء ساكنة ثم تاء تأنيث » . راجع معجم ياقوت ، ففيه بسط فى الخلاف بالفاء أو بالقاف ، وتحديد المكان فى ج ٣ ص ٨٧١ (طبع أوروبا) .
(٣) الفلس بكسر الفاء وسكون اللام هو ضبط القاموس ، وفى ياقوت بضم الفاء ، وأكثرهم على أنه صحيح اهـ . (راجع الأصنام لابن الكلبى ص ١٥ وص ٥٩ طبع دار الكتب) .
(٤) اسمها سفانة ، بفتح السين المهملة وشد الفاء ، ثم ألف فنون وتاء التأنيث . والسفانة : اللؤلؤة ، وكان حاتم يكنى بها ، ويقال : هو أجود من أبى سفانة .

[illegible] في [illegible] لأهل [illegible] ، فلما كان ببعض الطريق ،

لقيه رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه إبل من إبل الصدقة ،

[illegible] فلما [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم فعضها فيمن كان يلي

[illegible] رسول الله [illegible] [1] [illegible] وطيبا [illegible] .

قال محمد بن سعد : وقدم أبو سبرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي على

النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابناه سبرة وعزيز فأسلموا[2] ، وسمى رسول الله صلى الله

عليه وسلم عزيزا عبد الرحمن ، وقال أبو سبرة : يا رسول الله ، إن بظهر كفي

سلعة قد منعتني من خطام راحلتي ، فدعا بقدح ، وجعل يضرب به على السلعة

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابنيه [illegible]

يا رسول الله ، أقطعني وادي قومي باليمن ، وكان يقال له جردان[4] ، ففعل ، فعبد

وعبد الرحمن هذا هو أبو خيثمة عبد الرحمن .

ذكر وفد مراد

قالوا : قدم فروة بن مسيك[5] المرادي[6] على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقة

لملوك كندة ومباعدا لهم ، وقال في ذلك :

(1) [illegible] وذكوان : [illegible] ومنها عصية ، أم لحيان من هذيل .

(2) [illegible] في أسد الغابة : « عبد العزى » فسماه صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن فقال : [illegible] [illegible] فقال رسول الله صلى الله عليه [illegible] [illegible] لا إله أنت عبد الرحمن [illegible] [illegible]

[illegible] (الصحاح) .

(4) [illegible] : واد من مخلاف . (5) في أسد الغابة : [illegible]

[illegible] . (6) نسبة إلى مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ [illegible]

[illegible] : مراد من [illegible] .

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالرجل خان الرجل عرق نسائها[1]

قربت راحلتي أؤم محمدا ... أرجو فواضلها وحسن ثرائها

وبايع النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزل على سعد بن عبادة ، وكان يتعلم

القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتي

عشرة أوقية ، وحمله على بعير وأعطاه حلة من نسج عمان ، واستعمله على مراد

وزبيد ومذحج ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات [illegible]

[illegible] فرائض الصدقة . فلم يزل على الصدقة حتى توفي رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

ذكر وفد زبيد

قال ابن سعد : قدم وفد عمرو بن معدي كرب الزبيدي على رسول الله صلى الله

عليه وسلم المدينة ، في عشرة نفر من زبيد ، فنزل على سعد بن عبادة فأكرمه سعد

وراح به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم هو ومن معه ، وأقام أياما ، ثم

أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف إلى بلاده ، فأقام مع قومه على

الإسلام ، وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد ،

ثم رجع إلى الإسلام ، وأبلى يوم القادسية وغيرها .

قال محمد بن إسحق : كان عمرو بن معدي كرب قد قال لقيس بن مكشوح

المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياقيس ، إنك سيد

[illegible] عرق يخرج من الورك [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

« أرجو فواضله وحسن ثنائه » .

[illegible] عمرو بن معدي كرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد فارس العرب [illegible]

[illegible] فراشه من لسع حية .

قرية» . فخرج فَوُعِكَ[1] في بعض الطريق ، فوأل إلى أدنى قرية فمات رحمه الله ؛ واسمه ربيعة[2] .

ذكر وفد الداريين وما كتب لهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اختص به تميم الداري وإخوته

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله ، وروح بن زنباع الجذامي عن أبيه قالا : قدم وفد الداريين[3] على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وهم عشرة نفر ، فيهم تميم ونعيم ابنا أوس بن خارجة بن سُود[4] بن جذيمة[5] ابن دراع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم ، ويزيد بن قيس ابن خارجة ، والفاكه بن النعمان بن جبلة بن صفارة بن ربيعة بن ذراع بن عدي ابن الدار ، وجبلة بن مالك بن صفارة ، وأبو هند والطيب ابنا ذر — قال ابن [إسحق] : بَرّ[6] — وهو عبد الله بن ذر بن غميت بن ربيعة بن ذراع ، وهانئ بن حبيب ، وعزيز ومُرّة ابنا مالك بن سُواد[7] . قال ابن إسحق : عزرة . وقال ابن هشام : عَزّة . وقال ابن إسحق في مُرّة : مروان[8] .

قال ابن سعد : فأسلموا وسمّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيب عبد الله ، وسمّى عزيزاً عبد الرحمن .

(١) في أسد الغابة : «فوعك [illegible]» أي وجعا .
(٢) في أسد الغابة والإصابة إن اسمه ربيعة بن رواء العنسي .
(٣) نسبة الداريين إلى جدهم الدار بن هانئ بن نمارة — بفتح النون — بن لخم بن عدي ابن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .
(٤) وقيل : سواد . (٥) وقيل : خزيمة .
(٦) القائل هو ابن إسحق كما في سيرة ابن هشام ، والمقطع سقط من الأصول .
(٧) في نسخة : «ابن سود» . (٨) وقيل : «مران» .

قال : وأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر وأفراسا وقَباء مُخَوَّصا[1] بالذهب ، فقبل الأفراس والقباء وأعطاه العباس بن عبد المطلب ، فقال : ما أصنع به ؟ قال : «تنزع الذهب فتحليه نساءك ، أو تستنفقه ، ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه» ، فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم .

قال : وقال تميم : لنا جيرة من الروم ، لهم قريتان يقال لإحداهما حبرى[2] والأخرى بيت عينون ، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي ، قال : «فهما لك» فلما قام أبو بكر رضي الله عنه أعطاه ذلك ، وكتب له به كتابا[3] . وأقام وفد الداريين حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجاد مائة وسق من خيبر ، هكذا حكى ابن سعد في طبقاته .

٣٥ / ١٦

وشاهدت أنا عند ورثة الصاحب الوزير فخر الدين أبي حفص عمر ابن القاضي المرحوم الرئيس مجد الدين عبد العزيز المعروف بابن الخليلي التميمي رحمه الله ، كتابا يتوارثونه كابرا عن كابر ، يقولون : هو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه لتميم الداري وإخوته ، وهو في قطعة من أدم مربعة دون الشبر قد غُلّفت بالأطلس[4] الأبيض ، يزعمون أن ذلك من خُفّ كان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد بقي بهذه القطعة الأدم آثار أحرف خافية ، لا تكاد تبين إلا بعد إمعان التأمل ، وتحقيق النظر ، وعلى هذه القطعة

(١) قباء : ضرب من الثياب ، ومخوص : مطرز بالذهب ومزين .
(٢) حبرى تذكر وتسمى حبرون كزيتون ، وهي مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام وغلب عليها اليوم [illegible] وفي رواية كعب الأحبار أنه دفن في قبر الخليل صلوات الله وسلامه [illegible]
(٣) في [illegible]
(٤) الأطلس : الحرير ، وليس بعربي .

الأَدَم من الجلالة ولها من الموقع فى النفوس والمَهابة ما يقوّى أنها صادرة عن المحل المُنيف[1]، وقرين هذه القطعة الأَدَم قرطاس أبيض قديم، يزعمون أن أسلافهم نقلوا ما فيه من الكتابة من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل أن تزول حروفه. وفيه نسخة أسطار بما فى ذلك من الشهادة، وقد رأيت أن أثبت ذلك فى هذا الكتاب على هيئته فى العدد، وإن لم يراع الخط، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما انطا[2] محمد رسول الله لتميم
الدارى واخوته حبرون والمرطوم[3]
وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن
نطية بتّ بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك
لهم ولأعقابهم فمن اذاهم اذاه
الله فمن اذاهم لعنه الله شهد عتيق
ابن ابو قحافة[4] وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان
وكتب على بن ابو طالب وشهد .

(١) المنيف: المرتفع المشرف من أناف ينيف إنافة ارتفع وأشرف.

(٢) أنطى: أعطى، بلغة أهل اليمن. التحقيق أنها لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار يجعلون العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء. وقد قرئ بها «إنا أنطيناك الكوثر» وهى قراءة الحسن وطلحة بن مصرف وابن محيصن، وقراءتهم من الشواذ. وقد شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه اللغة بالنطق بها فقال: "لا مانع لما أنطيت" فى أحاديث. وقد ترك الكاتب الهمزة [illegible]

(٣) مرطوم كذا فى الأصل [illegible] مرطوم [illegible] جاء ذكره فى كتاب رسول الله إلى أبى شريح.

(٤) كذا فى الأصل؛ تركناه على شرط المؤلف.

هكذا شاهدت تلك الورقة التى هى قرين الكتاب، والكتاب بأيديهم إلى تاريخ هذا [illegible] فى العشر الآخر من ذى القعدة سنة ست عشرة وسبعمائة. وهذه الضياع الأربعة المذكورة بأيديهم إلى وقتنا هذا، لا يُنازَعون فيها. وكان الصاحب [illegible] الدين عمر بن الخليلى رحمه الله، إذا نابته نائبة، أو صُودر أو أوذى بوجه من وجوه الأذى، توسّل إلى الله تعالى بكتاب نبيه صلى الله عليه وسلم، وأظهره [illegible] فكفّوا عن طلبه، وانزجروا عنه. ولنرجع إلى أخبار الوفود.

ذكر وفد الرهاويين

والرَّهاويّون حىّ من مَذْحِج[1]، قال ابن سعد: وفد خمسة عشر رجلا من مَذْحِج على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحدّث عندهم طويلا. وأهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم هدايا، منها فرس يقال له المِرْواح، فأمر به فشُوِّر[2] بين يديه فأعجبه. فأسلموا وتعلّموا القرآن والفرائض. وأجازهم كما يجيز الوفد، أرفعهم ثنتى عشرة أوقية ونشًّا، وأخفضهم خمس أواق. ثم رجعوا إلى بلادهم.

ثم قدم منهم نفر حُجّاجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوصى لهم بجادّ مائة وَسْق من خيبر فى الكَتيبة جارية عليهم، وكتب لهم بها كتابا، فباعوا ذلك فى زمن معاوية.

(١) [illegible] مذحج [illegible] أكمة ولدت عليها أمهم فسموا بها.

(٢) شوّر: أُجرى بين يديه ليعرف قوته.

أمر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
بطبع هذا الكتاب بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري

المعيار المعرب

والجامع المغرب

عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب

تأليــف

أبى العباس أحمد بن يحيي الونشريسي

المتوفى بفاس سنة 914 هـ

خرجه جماعة من الفقهاء

بإشراف الدكتور محمد حجي

نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية

المشتري عالماً بأنه اشترى ملك الغير فلهم نصيبهم منها، وإن لم يكن عالماً بما اشتراه بغصب لهم فالغلة له إلى يوم الاستحقاق، والله الموفق بفضله.

[مسألة في امرأة اختلعت من زوجها بجنان ثم استظهرت أمها برسم تصييره لها في دين قبل الخلع]

وسئل عن رجل أصدق زوجه نصف جنان على الإشاعة واشترت منه النصف الآخر وكان يتصرف فيه تصرف المالك في أملاكه على عين والدة الزوجة المذكورة من نحو سبعة أعوام إلى أن اختلعَت، ثم إن والدة الزوجة المذكورة استظهرت برسم يتضمن أن ابنتها المذكورة صيرته لها قبل هذا الخلع في إنفاق كان لها عليها وبين تاريخ الرسم المذكور والخلع مدّة من نحو خمسة أعوام، ولم يزل الجنان المذكور على حسب ما ذكر، وليس في رسم التصيير المذكور قبض ولا حوز غير مجرد القبول من المرأة المذكورة، فهل يكون القبول المذكور بمنزلة القبض والحوز ويكون التصيير صحيحاً ولا يدخله فسخ الدين في الدين وتكون الزوجة غرت الزوج والفرض أنها عديمة لا مال لها؟ أو لا بد من الإشهاد بالقبض والحوز ورفع يد الزوج عنه؟ بين لنا الحكم في هذا الخلع باللزوم أو بعدم اللزوم وفي التصيير بالصحة أو بالفساد.

فأجاب: ان كانت والدة الزوجة حاضرة للخلع بالجنان فلم تنكر حتى انقضى المجلس أو لم تحضر المجلس لكن سكتت بعد العلم مدة طويلة فلما قام لم يكن لها متكلم وإن لم يكن لها متكلم لم تكن في ذلك على حقها والأمر في التصيير محمول على القبض لا يحتاج إلى معاينة البينة كما لم يحتج الصرف، لكن إذا قامت البينة أن الجنان لم يزل بيد المصير أو من ينوب عنه لم يتم التصيير على المشهور، وقيل يتم والخلع ماضٍ على كل حال، والله الموفق بفضله.

[مسألة فيمن بيدهم أرض بأمرٍ سلطانيٍّ وورثت عنهم]

وسئل عن قوم بأيديهم أرض بأوامر السلاطين المتقدمين ومن بعدهم يغتلّونها بأنواع الاغتلال من الحرث وغيره إلى عام المجاعة الكبرى الواقعة في

عام ستة وسبعين عمد رجل منهم لقطعة فاغترسها بأنواع الشجر ثم توفي قبل تمام ذلك فبقي ذلك بعد موته إلى أن دثر فعمد وارثه للقطعة فباعوها من رجل فصار المشتري يحرثها وينتفع بها مدة طويلة فقام أربابُ الأرض فانتزعوها منه هل لهم ذلك أم لا؟

فأجاب: الأرض التي للائمة إنما يعطونها في العادة إمْتاعاً لا تمليكاً، وهي لجماعة المسلمين، والحق فيها لغير معين، وإنما تعين الانتفاع بتعيين الامام مع كون الأرض لبيْتِ المال لا يمضي فيها البيع ولو كان على علم الذين تعدى عليهم أو رضي منهم والله الموفق بفضله.

[مسألة في رَجُلٍ توفي عن زوجته ولها عليه دَيْن من صَدَاقِها]

وسئل عن رجل توفي عن زوجته وأولاد ولها على الميت دين من صداقها فكانت تطالب الأولاد بصداقها فيعدونها بذلك ثم إن بعض الأولاد عمد إلى جنة كانت للهالك وباعها وقبض ثمنها وتصرف لنفسه فيها ولم تشعر الزوجة لتأخذ صداقها منها وميراثها هل لها ذلك أو إنما مطلبها على المتعدي من الأولاد في بيعها لحصول الثمن في يده؟

فأجاب: في المدونة ان كان الميت يعرف بالدين فباع الورثة مبادرة لم يجز بيعهم وللغرماء انتزاع عروضه من يَدِ مَنْ هِيَ بيده ويتبع المشتري الورثة بالثمن، وهذه مسألتك فللزوجة رد بيع الوارث حتى تستوفي دينها.

[مسألة في امرأة باعت جنة بيع سَفَهٍ]

وسئل عن امرأة تزوجت رجلاً وبنى بها وهي بكر بالغ فانتقلت من موضعها لبلد آخر فجاءها رجل من أهل موضعها لموضع هي فيه فتحيل عليها فابتاع منها جنّة لها بالموضع الذي انتقلت منه بأربعة عشر ذهباً وقيمة ذلك ثلاثون ذهباً وهي كما بلغت ولا عرفت قدر ما باعت ولا معرفة لها بالبيع والشراء وباعت ذلك بيع سَفَهٍ ثم إنها رجعت لبلدها وأرادت القيام في ذلك هل تمكن من ذلك إن ثبت السفه والغبن أم لا؟

قال: ليس لهم أن يأخذوا منهم إلَّا ما طابت به أنفسهم غير أنه إن كانت فيه فضلة لا يشك فيها فلهم أخذها بالثمن وما استغنى عنه أربابه.

قيل له فإن اشترى رجل أرضاً من بعض أهل ذلك النهر ولم يسم للأرضِ شرباً من الماء فأراد أن يأخذ من حظ البائع ما يسقي به تلك الأرض.

قال إن كان كل واحد من أهل النهر يصرف حصته من الماء حيث شاء فليس لمشتري الأرض أن يسقي به بعد من يليه.

[مسالة ثالثة في المياه]

وسئل عن قوم لهم أرض يزرعونها فنبت في طرفها سمار فخرج منه ماء فاستغنى عنه أهل الأرض فسال إلى أرض قوم آخرين فكانوا يسقون به نحو ستين سنة ثم احتاج إليه أصحاب الأرض التي أصله فيها فأرادوا صرفه عن أولئك.

فأجاب: إن ثبت أنه ظهر في ملك أولئك فإن كان من حازه يدعيه ملكاً لنفسه بالملك طول هذه المدة بحضرة من هو في أرضه وعلم بدعواه ولا ينكر فهو لمن حازه.

[مسالة في حانوت يبيع صاحبه البزّ خارج سوق البزازين]

وسئل أبو العباس الغبريني عمن له حانوت بمدينة يكريه منذ أحد وعشرين عاماً ممن يبيع به البز وهذا الحانوت المذكور مقابل سوق البزازين ليس بينه وبينه إلَّا مقدار أربعة أذرع ولم يغير عليه في المدة حال المذكورة مغير، ثم قام الآن عليه قائم في ذلك ومنعه من كرائه من البزازين وزعم أن من يعمره يلتقي الجلابين للسوق المذكور به ويمنع من يأت شراء من أهل السوق المذكور قبلهم وفي ذلك ضرر على أهل السوق المذكور ومفسدة، فهل يمنع من يبيع به ما ذكر أو لا يمنع لقربه من السوق المذكور وجري عادته في هذه المدة؟

فأجاب: له أن يعمر الحانوت المذكور ولا يحل له أن يلتقي الجلابين للسوق المذكور حتى يصلوا إلى السوق يبيعونه، ويمنع من ذلك أشد المنع، وأما كونه يبيع ممن يأتي للشراء من أهل السوق المذكور قبلهم فلا حجة في ذلك ولا يمنع منه وبالله التوفيق.

[مسالة في الإقطاع]

وسئل ابن عرفة عن الأرض التي تقطع الاعراب وغيرهم من الناس هل تملك ملكاً تاماً أم لا؟

فأجاب: بأن اقطاعها إنما هو إقطاع انتفاع لا ملك.

[مسالة أخرى في الإقطاع]

وسئل عمن أقطعت له ثم مات وخلف ورثته فجرد ظهيرها بعضهم من إمام آخر.

فأجاب بأن قال: الإقطاع الثاني ناسخ للأول.

[مسالة في بيع أرض القانون وإرثها]

وسئل سيدي محمد بن مرزوق عن بيع أرض القانون وإرثها.

فأجاب: العادة جرت بيع الأرض القانونية بالمغرب وإرثها، والظاهر من حالها أنها مملوكة.

قيل اختلف في أرض المغرب، فقيل عنوية وقيل صلحية وقيل التفصيل بين السهل والجبل وقيل بالوقف، وأما أرض افريقية فقال ابن أبي زيد في أرض العنوة والصلح من النوادر عن سحنون قال كشفت عن أرض افريقية فلم أقف منها على حقيقة من عنوة أو صلح، وسألت عن ذلك علي بن زياد فقال لم يصح عندي فيها شيء، وأما بلاد المصامدة وأرض مراكش فقال ابن عبد الحكم اتفق أشياخ بلادنا من أهل العلم أنها أسلم عليها أربابها وليس فيها صلح ولا عنوة وقال عن أبي الأصبغ القرشي أدركنا

نظام الحكومة النبوية

المسمّى

التراتيب الادارية

تأليف

العلّامة الشيخ عبد الحي الكتّاني رحمه الله تعالى

باب في خليفة كل كاتب من كتابهِ عليهِ السلام

ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد أن حنظلة بن الربيع كان خليفة كل كاتب من كتابه عليه السلام اذا غاب عن عمله ه انظر ص ١٤٤ من الجزء الثاني (ز قلت) فائدة = شرحبيل بن حسنة هو اول كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قاله في المواهب. وفيها ايضا نقلا عن الحافظ بن حجر اول من كتب له عليه السلام بالمدينة أبي بن كعب قبل زيد وغيره واول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري قال الزرقاني خرج شرحبيل بن حسنة لانه كندي فلا يرد على قوله إنه اول من كتب ه وفي صبح الاعشى ص ٨٩ من الجزء الاول في الباب الرابع من المقدمة في التعريف بحقيقة ديوان الانشاء واصل وضعه في الاسلام بعد أن بين أن الديوان اسم الموضع الذي يجلس فيه الكتاب قال الفصل الثاني في اصل وضعه في الاسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك ما نصه: اعلم أن هذا الديوان اول ديوان وضع في الاسلام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه واصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه وكتب الى من قرب من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام وبعث اليهم رسله بكتبه وكتب لعمرو بن حزم عهدا حين وجهه الى اليمن وكتب لتميم الداري واخوته باقطاع بالشام وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية وكتب الامانات احيانا الى غير ذلك مما سيأتي ذكره في الاستشهاد به في مواضع وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الانشاء بخلاف ديوان الجيش فإن اول من وضعه ورتبه

عمر بن الخطاب في خلافتهِ ه وفي كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة للشيخ عصام الدين أحمد بن مصطفى المعروف بطاشكبري زاده علم الشروط والسجلات وهو العلم في ١٥ منهُ قال وهو من فروع الفقهِ وهو علم باحث عن كيفية اثبات الاحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج بهِ عند انقضاء شهود الحال وموضوعه تلك الاحكام من حيث الكتابة وبعض مباديهِ ماخوذ من الفقه وبعضها من علم الانشاء وبعضها من الرسوم والعادات والامور الاستحسانية ولمحمد بن الصافي تاليف حسن في هذا العلم والذي يوافق عرف هذا الزمن تاليف محمد بن افلاطون ، واعلم أن هذا العلم من فروع علم الادب باعتبار تحسين الالفاظ واخراجها على مقتضى الحال وقد يجعل من فروع علم الفقه من حيث تراتيب معانيه على وجه يوافق قوانين الشرع وهذا أوردناه في القسم الادبي وفي القسم العلمي أخرى فلا تاخذ في نفسك شيئا قبل أن تقف على حقيقة الحال ه ونحوه في كشف الظنون بعد أن ذكر من ألف فيه ومنهم أبو زيد أحمد بن زيد الشروطي الحنبلي ، وذكر الجرجاني في ترجيح مذهب أبي حنيفة أن الشروطي لم يسبقه احد وأجاب أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي في رده بأن النبي صلى الله عليه وسلم اول من أملا كتب العهود والمواثيق ، منها عهده لنصارى ايلة بخط علي بن أبي طالب ه ص ٥٦ من الجزء الثاني. (ز قلت)

باب في كتاب السر

قال المقريزي في الخطط كتاب السر رتبة قديمة لها اصل في السنة فقد خرج

أن يصدر من مثله ولم يجب بشيء غير السب والثلب ، ولو أجابه بأن استعمال المحققين من المصنفين ذلك طوالع تواليفهم يكفي دليلا على جوازه لكان كافيا هـ (قلت) السنة حجة على الجميع وقد أومأ الى ذلك الزرقاني بما سبق عنه من أن المدار على اتباع ما جاءت به فانظره . (ز قلت)

احتياطه عليه السلام في مكاتبه الرسمية

قال الشيخ زروق في حواشيه على الصحيح : انما قال صلى الله عليه وسلم في كتابه لهرقل عظيم الروم ولم يقل ملك الروم لئلا يكون تقريرا لملكه هـ وقال الخفاجي في شرح الشفا وقال صلى الله عليه وسلم عظيم الروم وعظيم القبط ولم يقل ملك الروم ولا ملك القبط لانه لا يستحق ذلك العنوان الا من كان مسلما ومع ذلك فلم يخل بتعظيمهما تأليفا لقلوبهما في اول الدعوة الى الحق هـ (ز قلت)

باب اتخاذه عليه السلام أما بعد لفصل من فصول الكتاب
(ورءوس المسائل)

ترجم البخاري في الادب المفرد باب أما بعد فذكر فيها عن هشام بن عروة قال رأيت رسائل من رسائله صلى الله عليه وسلم كلما انقضت قصة قال أما بعد هـ (ز قلت)

فصل في نص اصح كتاب حفظ لنا التاريخ نصه من كتبه عليه السلام

اصح كتاب حفظ لنا التاريخ نصه من كتبه عليه السلام كتابه الى هرقل وهو في الصحيح ونصه : (بسم الله الرحمان الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني

أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين فإن توليت فإن عليك اثم اليريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) هـ من اصح المصادر وهو صحيح البخاري ساقه فيه هكذا مكررا في مواضع . (ز قلت)

آخر مكتوب نبوي حفظ التاريخ عينه لنا من كتبه عليه السلام
(لاهل الاسلام وتحافظهم عليه)

آخر مكتوب حفظ التاريخ جلدة المكتوب فيه بعينه له عليه السلام الكتاب الذي أقطع به تميم الداري ارضا بالشام وهو مكتوب مشهور معروف في العصور السابقة تكلم عليه اهل الحديث والتاريخ والفقه وغيرهم ، ففي ترجمة تميم من تاريخ ابن عساكر بسنده الى أبي هند الداري قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ستة نفر ، وفي سيرة ابن هشام عدهم ثمانية تميم بن اوس ونعيم بن اوس أخوه ويزيد بن قيس وأبو هند بن عبد الله وهو صاحب الحديث وأخوه الطيب بن عبد الله كان اسمه برا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمان وفاكه بن النعمان وسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعنا ارضا من ارض الشام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شئتم فقال تميم أرى ان نسأله بيت المقدس وكورها فقال ابو هند هذا محل ملك العجم وكذلك يكون فيه ملك العرب واخاف ان لا يتم لنا هذا فقال تميم بيت جبرين وكورها فقال ابو هند هذا اكبر واكبر فقال فأي شيء نسأله فقال ارى ان نسأله القرى

التي يقع بها تل مع آثار ابراهيم فقال تميم أصبت ووفقت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم أتحب ان تخبرني بما كنتم فيه او أخبرك فقال تميم بل اخبرنا يارسول الله نزداد ايانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اردتم امرا فاراد هذا غيره ونعم الرأي رأى قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة جلد من ادم فكتب لنا كتابا نسخته: بسم الله الرحمان الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب رسول الله [illegible] الارض وهب لهم بيت عينون وجيرون وبيت ابراهيم [illegible] ابدا شهد عباس بن عبد المطلب وجهم بن قيس وشرحبيل بن حسنة [illegible] ثم دخل بالكتاب الى منزله فعالج في زاوية الرقعة وغشاه بشيء لا يعرف وعقده من خارج الرقعة بسير او عقدتين وخرج به الينا مطويا وهو يقول (إن اولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المومنين) ثم قال انصرفوا حتى تسمعوا باني قد هاجرت قال ابو هند انصرفنا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه فسالناه ان يجدد لنا كتابا فكتب لنا كتابا نسخته : بسم الله الرحمان الرحيم هذا ما اعطى محمد رسول الله لتميم الداري واصحابه إني اعطيتكم عينون وجيرون والرطومة وبيت ابراهيم برمتهِ وجميع ما فيه عطية بت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم ابد الابد فمن آذاهم فيها آذاه الله شهد ابو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وكتب فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي ابو بكر وجه الجنود الى الشام فكتب لنا كتابا نسخته:

بسم الله الرحمان الرحيم من أبي بكر الصديق الى عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا إلاه الا هو أما بعد: امنع من كان يومن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين وإن كان اهلها قد رحلوا عنها وأراد الداريون أن يزرعوها فليزرعوها فإذا رجع اهلها اليها فهي لهم واحق بهم والسلام عليك . وروى بسنده ايضا الى الزهري وثور بن يزيد عن راشد بن سعد قال قدم تميم الداري وهو تميم بن اوس رجل من لخم فقال يارسول الله إن لي جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال لها جرن وأخرى يقال لها بيت عينون إن فتح الله عليك الشام فهبهما لي قال هما لك قال فاكتب لي بذلك فكتب له بسم الله الرحمان الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن اوس الداري إن له قرية جرا وبيت عينون قريتها كلها سهلها وجبلها وماءها وحرثها وانباطها وبقرها ولعقبهِ لا يحاقهُ فيها احد ولا يلجهُ احد عليهم بظلم فمن ظلمه او أخذ من احدهم شيئا فعليهِ لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وكتب علي ، فلما ولي أبو بكر كتب لهم كتابا نسخته: هذا كتاب من أبي بكر امين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استخلف في الارض بعده كتبه للداريين أن لا تفسد عليهم ماثرتهم قرية جرن وبيت عينون فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منها شيئا وليقم عمرو بن العاص فليمنعهما من المفسدين – انظر ص ٣٥١ من اختصار تاريخ ابن عساكر ، وروى ابن مندة بسنده الى عمرو بن حزم رضي الله عنه قال أقطع النبي صلى الله عليه وسلم لتميم الداري وكتب بسم الله الرحمان الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن اوس

الداري إن له صهيون قريتها كلها سهلها وجبلها وماءها وكرومها وانباطها وورقها ولعقبه من بعده لايحاقة فيها احد ولا يدخل عليهم بظلم فمن أراد ظلمهم او اخذه منهم فان عليهِ لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ﻫ وفي عيون التواريخ في حوادث سنة اربعين بعد الهجرة حين ترجم لتميم وذكر قصة الاقطاع هذا مانصه: ورأيت النسخة بيد الداريين التي كتبها لهم صلى الله عليهِ وسلم سنة تسع من الهجرة في قطعة ادم من خف امير المومنين علي وبخطه رأيتها مرتين مرة سنة ٣٦ ومرة سنة ٧٤٩ وهي : بسم الله الرحمان الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري واخوته جبرون والمرضوم وبيت عينون وبيت ابراهيم نطية بتة بذمتهم ونفذت وسلمت لهم ولاعقابهم فمن آذاهم آذاه الله وكتب وشهد عتيق بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان وكتب علي بن بوطالب وشهد كذا رأيته في النسخة باثبات الانف في أبي قحافة وباسقاطها في بوطالب وأما الادم فقد رأيته وقد احمر وخلق ﻫ بواسطة سمط اللآل للشيخ قويسم التونسي ونقل ايضا عن خصائص المحقق قالب الدين الخيضري ما نصه: وبأيدي الداريين الآن نسخة قديمة في قطعة ادم يزعمون أنها كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم بذلك وأنها بخط علي بن أبي طالب وقد وافق على صحتها جماعة من علمائنا المتقدمين ونقلوا منها نسخا وقفت منها على نسخة بخط القاضي شهاب الدين بن فضل العمري صاحب مسالك الامصار ﻫ (قلت) وقد تكلم ابن فضل الله العمري المذكور على هذا الكتاب في مسالكهِ ص ١٧٢ من الجزء الاول من النسخة المطبوعة وذلك أنه بعد أن ذكر

زيارته لبيت المقدس والخليل سنة ٧٤٥ قال فلما قضينا من الزيارة الارب وهزنا من النوبة الخليلية الارب بعثت وراء الصاحب ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن الخليلي التميمي الداري وهو بقية هذا البيت الجليل والمنتهى اليهِ النظر على وقف الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبلد أبيه ابراهيم الخليل والتمسنا منه احضار الكتاب الشريف المكتتب لهم بهذه النطية (العطية) والمشرف لهم به على سائر البرية فأنعم باجابة الملتمس وجاء به اقرب من رجع النفس وهو في خرقة سوداء من ملحم قطن وحرير من كم الحسن أبي محمد المستضيء بالله امير المومنين وبطانتها من كتان ابيض على تقدير كل اصبع منه ميلان اسودان مشقوقان بميل ابيض جعل ضمن اكياس يضمها صندوق من آبنوس يلف في خرقة من حرير والكتاب الشريف في خرقة من خف من ادم أظنها من ظهر القدم وقد موه سواد الجلد على الخط الا أنه أذهبه وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ماكتبه وهو بالخط الكوفي المليح القوي فقبلنا تلك الآثار وتمتعنا منه بمدد الانوار ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصه شاهدة لهم بمضمونه ومزيلة لشك الشاك المريب وظنونه ومضمون ما كتبه كهيئته وسطوره نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم الذي كتبهُ لتميم الداري واخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه من غزوة تبوك في قطعة ادم من خف امير المومنين علي وبخطه نسخته كهيئته بسم الله الرحمان الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري واخوته جبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن نطية بتة بذمتهم ونفذت

وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم لعنه الله شهد
عتيق بن ابو قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكتب علي بن بوطالب
وشهد . هذه نسخة المكتوب الشريف وأبو قحافة ألف وباء وواو ثم قحافة
وبوطالب باء وواو ثم طالب وليس في بو الف بين ذلك ليعرف وكتب في
ذكر علي رضي الله عنه مقدمه وشهد مؤخره بين ذلك ليعرف وقد
رأيت ذلك كله بعيني ومن خط المستضي، نقلت وهو خطه المعروف
المألوف وقد رأيته وأعرفه معرفة لاأشك فيها ولا أرتاب وقرأته من
الكتاب النبوي نفسه لابن شاكر الكتبي وهو موافق لما كتبه المستضي،
نقلا منه على أن آثاره كادت تعفى وتحجب عن الناس لفساد الزمان
وتتخفى – قال وكنت رأيت ذلك مرة أخرى متقدمة سنة ٧٣٩ ولا كني
اذ ذاك لم أنقله هـ كلام ابن فضل الله الجامع الذي ما وصف احد هذا
المكتوب كوصفه ولا دقق النعت احد كتدقيقه جزاه الله خيرا . وفي
كتاب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لقاضي القضاة أبي اليمن
مجير الدين الحنبلي ص٤٤٨ اقطاع تميم الداري الذي أقطعه له النبي صلى الله
عليه وسلم وهي الارض التي بها بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام
وماحولها من الارض وكتب له ذلك في قطعة اديم من خف امير المومنين
علي بن ابي طالب بخطه وقد حكى المؤرخون لفظ الاقطاع على وجوه مختلفة
وقد رايت عند التكلم على الاقطاع المشار اليه القطعة الاديم التي يقال
إنها من خف امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد صارت
[illegible] مكتوبة في الصندوق

الذي فيه القطعة الاديم منسوب خط هذه الورقة الى امير المومنين المستنجد
العباسي تغمده الله برحمته كتب فيها نسخة الاقطاع ، وصورة ما كتبه
المستنجد بخطه: الحمدلله نسخة كتاب رسول الله الذي كتب لتميم الداري
واخوته سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه من غزوة تبوك في قطعة اديم
من خف امير المومنين علي وبخطه نسخته كهيئته رضي الله عنه: بسم الله
الرحمان الرحيم هذا ماأنطي محمد رسول الله لتميم الداري واخوته جرون
والمرطون وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهم نطية بتة بينهم ونفذت
ذلك وسلمته لهم ولاعقابهم ومن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم لعنه الله يشهد
عتيق بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكتب علي بن
أبي طالب وشهد ، وقد نسخت ذلك من خط المستنجد بالله كهيئته ،
ولعل هذا اصح ما قيل فيه والله اعلم ، واستمر هذا الاقطاع بيد ذرية
تميم الداري يا كلونهُ الى يومنا هذا وهم مقيمون ببلد سيدنا الخليل عليه
الصلاة والسلام وهم طائفة كثيرة يقال لهم الدارية وتقدم عند ذكر
الصحابة أن تميم الداري كان اميرا على بيت المقدس ، وقد تعرض بعض
الولاة لآل تميم وأراد انتزاع الارض منهم ورفع امرهم الى القاضي أبي
أبي حاتم الهروي الحنفي قاضي القدس الشريف فاحتج الداريون
الكتاب فقال القاضي هذا الكتاب ليس بلازم لان النبي صلى الله عليه
وسلم أقطع تميما ما لم يملك فاستفتى الوالي الفقهاء وكان أبو حامد الغزالي
حينئذ ببيت المقدس قبل استيلاء الفرنج عليه فقال هذا القاضي كافر
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال زويت لي الارض كلها وكان يقطع في

الجنة فيقول قصر كذا لفلان فوعده صلى الله عليه وسلم صدق وعطاؤه
حق فخزي القاضي والوالي وبقي آل تميم على ما بأيديهم وكانت هذه
الحادثة لما كان القاضي أبو بكر بن العربي بالشام هـ (قلت) ما ذكره
عن ابن العربي هو له في شرح الموطا المسمى بالقبس في كتاب البيوع لما
تكلم على حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال هي صحيفة صحيحة
وانما تركها من تركها لقولهم انها غير مسموعة وهذا لايمنع من الاحتجاج
وقد كان عند اولاد تميم الداري كتاب النبي صلى الله عليه وسلم في قطعة
اديم بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ازلى محمد رسول الله تميما الداري أقطعه
قريتين جبرون وبيت عينون ببلد الخليل فبقي ذلك في يده ويشاهد الناس
كتابة الى أن غلب الافرنج على القدس والخليل سنة ٤٩٢ قال ولقد
اعترض بعض الولاة على آل تميم ايام كنت بالشام وأراد انتزاعها منهم
لحضر القاضي حامد الهروي وكان حنفيا في الظاهر معتزليا في الباطن
ملحدا شيعيا فاحتج اولاد تميم بالكتاب فقال القاضي هذا الكتاب ليس
بلازم لان النبي صلى الله عليه وسلم أقطع تميما ما لايملك فاستفتى الوالي
الفقهاء وكان الطوسي يعني الغزالي حينئذ ببيت المقدس فقال هذا القاضي
كافر فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال زويت لي الارض كلها وكان يقطع
الجنة فيقول قصر كذا لفلان ووعده صدق وعطاؤه حق قال فخزي القاضي
والوالي وبقي اولاد تميم على ما بأيديهم هـ هذا ما رأيت في شرح الموطا
وممن نقل كلامه هذا الصلاح الصفدي في تذكرته وغيره من الاعلام
وساق ابن العربي في قانون التاويل وهو كتاب جمعه من فوائد الغزالي

فتوى للغزالي في النازلة أفاد بها وأجاد ، وساق كلام قانون التاويل الخيضري
في خصائصه والشيخ قويسم في سمط اللآل فانظره فيهما . وفي السيرة
الشامية قال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي قال الصاحب الامام
سفير الخلافة أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسين البادراني رحمه الله تعالى
انه شاهد خط امير المومنين رضي الله عنه الذي كتبه بإذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا ما أعطى محمد رسول الله تميم الداري واخوته جرون
والمرطون وبيت عينون وبيت ابراهيم عطية البت بذمتهم ونفذت ذلك
وسلمته لاعقابهم فمن آذاهم آذاه الله ومن آذاهم لعنه الله شهد عتيق بن
أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكتبه علي بن أبي طالب وشهد
ثم قال الشامي تواردت الروايات الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أقطع تميما واخاه نعيما واصحابهما وذريتهم قرى وكتب لهم بذلك كتابا
ولعن فيه من عارضهم ولم يزل هذا الكتاب بأيديهم الى وقتنا هذا . وقد
ألف الحافظ ابو الفضل بن حجر والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين
الدمشقي وشيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في صحة ذلك مؤلفا وفي
كل ما ليس في الآخر فمن اراد الزيادة على ما هنا فليراجع ذلك هـ
(قلت) تاليف الحافظ بن حجر ذكره هو في الاصابة في ترجمة ابي هند
الداري قال قال أبو نعيم هو اخو تميم قدم مع تميم ومن معهما على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يقطعهم ارضا بالشام فكتب لهم ما بها
فلما كان زمن ابي بكر أتوه بذلك الكتاب فكتب لهم الى ابي عبيدة
بإنفاذه ، قلت والكتاب المذكور مشهور بيد ذرية تميم وقد كتبت في

شأنهِ جزءا سميتهُ البناء الجليل بحكم بلد الخليل ه منها ص ٢٠٨ من الجزء السابع ، وتاليف الحافظ السيوطي الذي ذكره الشامي سماه الفضل العميم في اقطاع تميم وهو موجود في المكتبة الخديوية المصرية — انظر قسم المجاميع ص ٦٣ من الجزء السابع من برنامجها وله كتاب اخر في الاقطاع موجود في مكتبة باريز العمومية . وأما كتاب ابن ناصر فقال عنهُ القطب الخيضري في خصائصهِ صنف شيخنا الحافظ الحجة أبوعبد الله محمد بن ابي بكر بن ناصر الدين مسند تميم الداري وذكر فيهِ قصة هذا الكتاب وأنهُ وقف على اصله وحرر ذلك تحريرا شافيا ه وفي صبح الاعشى حين ذكر المكتوب المذكور عن تاريخ ابن عساكر ص ١٠٢٢ من الجزء الثالث عشر مانصهُ: قلت وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليهِ وسلم بيد التميميين خدام حرم الخليل الى الآن وكلما نازعهم احد أتوا بها الى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكف عنهم من يظلمهم وقد أخبرني برؤيتها غير واحد والاديم التي هي فيهِ قد خلق لطول الامر ه منه ، وفي الزرقاني على المختصر عند شرح قول خ في باب الزكاة وحكمه للامام لخ ما نصه اقطاعه صلي الله عليهِ وسلم تميما الداري بعض اراضي بنواحي بيت المقدس قبل فتحهِ من خصائصهِ عليه الصلاة والسلام كما في خصائص السيوطي الصغرى ونصه: وكان يقطع الاراضي قبل فتحها لان الله ملكه الارض كلها ، وأفتى الغزالي بكفر من عارض اولاد تميم الداري فيما أقطعهم ه وزاد المناوي في شرحها ونقله ابن العربي عنه في القانون وسلمه ه وقول الاجهوري راجعت الخصائص فما وقفت علي ذلك فيها معناه: لم يتنزلوا

في الخصائص للتعبير بأنهُ أقطع تميما بتقدير الفتح لان الله ملكهُ الدنيا والجنة يقطع فيهما من أراد وأراد جميع مايفتح عليهِ وعلى أمتهِ ه المقصود وفي شرح المناوي لالفية السير قبل قول العراقي: كذا له أن يحيي المواتا، بنفسه ، ما نصهُ: ويقطع الارض قبل فتحها لان الله تعالى ملكه الارض وأفتى الغزالي بكفر من عارض اولاد تميم الداري فيما أقطعهم وقال كان يقطع في الجنة فالدنيا اولى ه وقوله كما للسيوطي في الخصائص الصغرى هي انموذج اللبيب في خصائص الحبيب ، ومانقله عنه فيها ذكره في الفصل الثالث منها . وقال الاجهوري عند قول خليل وبإقطاع مانصه: قال التتائي في شرح الجلاب ما نصه: وقد أقطع صلي الله عليه وسلم بلال بن الحارث القبليه بفتح القاف والباء الموحدة . وأقطع تميما الداري قرية عينون بالشام قبل فتحها ، والى ثعلبة الخشني شيئا من بلاده قبل فتحها وهو من المعجزات واذا كان له أن يقطع الجنة لان الله تعالى ملكها له كما ذكره الغزالي في بعض كتبهِ لاختصاصهِ بذلك دون سائر خلقه فكيف لايقطع الدنيا ه (قلت) وما نقلوه عن الغزالي صرح الروضي في شرح انموذج اللبيب بأنهُ صرح به في منهاج العابدين المنسوب لهُ وساق نصه وسبق عن غيره أن ذلك للغزالي في فتاويه . وفي شرح الزرقاني على المواهب ص ٢٧٨ من ج ٥ أن السبكي أفتى بنحو ما للغزالي ، وقد أشار لمعنى كلامه الشيخ علي الاجهوري حيث قال في شرح الانموذج وغيره فقال:

قد خص رب العلى تعالى   نبينا الكامل المكمل
بملك جنته وآذن   بقطعها فيما يرى ويفعل

« تنبيه » = وفي فواتح الانس برحلتي لوادي القدس للشيخ مصطفى اسعد
اللقيمي وهو من اهل القرن الثاني عشر بعد أن ساق اقطاع المصطفى
المذكور لتميم ونصهُ كما سبق ، قال وهذا الاقطاع مستمر بيد ذرية تميم
يا كلونهُ الى يومنا هذا وهم مقيمون ببلد الخليل ونواحيها وهم طائفة كثيرة
يقال لهم الدارية وهذا ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ه (قلت) ولا زال
ذرية الداريين هؤلاء بالقدس وجهاته وهم الى الآن اهل علم وفضل ،
وممن لقيته منهم ببلد الخليل لما زرنه عام ١٣٢٤ في رحلتنا الحجازية الشامية
خطيب الحرم الخليلي الشيخ عبد الحي بن الخطيب الحاج عبد الفتاح التميمي
الداري وكان عالم الخليل قريبا من ذلك التاريخ ومفتيه الشيخ خليل
الداري الازهري من مشاهير ذلك العصر في الجهات الفلسطينية . ثم
وجدت الحجة من ائمة النسب فخر الاندلس الامام ابن حزم نص في جمهرته
على أن تميما الداري هذا لم يعقب . وفي الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة
تميم ويكنى أبا رقية بابنة له تسمى رقية لم يولد له غيرها ه ونحوه للنووي
في تهذيب الاسماء واللغات . وفي ترجمته من تهذيب التهذيب ص ٥١٠ ج
١ للحافظ ابن حجر قال يعقوب بن سفيان لم يكن له ذكر انما كانت له
ابنة تسمى رقية . وقال ابن سميع مات بالشام ولا عقب له ه وفي شرح
الاربعين النووية للشهاب ابن حجر الهيثمي والبرهان الشبرخيتي لدى
الحديث العاشر المصدر من النووي بعن أبي رقية تميم الداري قالا مصغر
ابنة لم يولد له غيرها ه ونحوه في نسيم الرياض . وقد سبق قول الحافظ
ابن العربي في القبس فا ستظهر اولاد تميم بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم

وبقي اولاد تميم بكتابهم . وقول مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلي واستمر
هذا الاقطاع بيد ذرية تميم الداري . وقوله ايضا فيما سبق عنه ايضا وقد
تعرض بعض الولاة لآل تميم . وقوله بقي آل تميم يعبر بالآل لا بالاولاد
وفي السيرة الشامية نقلا عن نص الاقطاع النبوي : هذا ما أعطى محمد
رسول الله لتميم واخوته ، ولكن سبق عن اختصار تاريخ ابن عساكر
في احدى الروايات نص الاقطاع النبوي لتميم ولعقبه من بعده كما سبق
عن الحافظ بن حجر وبيد ذرية تميم ، وقول السيوطي اولاد تميم الا أن
يكونوا أرادوا اولاد بنته والله اعلم . « تنبيه » = ما سبق عن عيون
التواريخ من وكتب علي بن بوطالب كذلك رأيته في سمط الآل بخط
مؤلفه . ونحوه رأى بعينه ابن فضل الله العمري كما سبق عن المسالك
والممالك له من وشهد عتيق بن ابو قحافة وكتب علي بن بو طالب . وقد
ذكر ابن سلطان في شرح الشفا في مبحث فصاحته عليه السلام أن ابن أبي زيد
حكى في نوادره عن الاصمعي عن يحيى بن عمر أن قريشا كانت لا تغير
الاب في الكنية تجعله مرفوعا في كل وجه من الجر والنصب والرفع ه
اي كما يقال علي بن ابو طالب . وقرئ تبت يدا أبو لهب . ورأيت في كتاب
عمدة الطالب في انساب أبي طالب لجمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن
مهنا بن عتبة الداودي أنه رأى هو وغيره عدة مصاحف بخط علي بن
أبي طالب كتب اسم والده هكذا (علي بن أبيطالب) . وذكر ايضا
أنه رأى بالمزار مصحفا بخط سيدنا علي في مجلد واحد وفي آخره بعد تمام
كتابة القرآن : بسم الله الرحمان الرحيم كتبه علي بن أبيطالب ه والله اعلم

أبو بكر عبد الله بن أبي داوود السجستاني في كتاب المصاحف عن زيد
بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها تاتيني كتب لا أحب
أن يقرأها كل احد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية او قال السريانية
فقلت نعم فتعلمتها في سبع عشرة ليلة .

فصل في ذكر كتاب الرسائل والاقطاع

في الاستيعاب ص ٢٦ من ج ١ والاصابة عن الواقدي اول من كتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي مقدمه المدينة أبي بن كعب وهو
اول من كتب في آخر الكتاب وكتبه فلان وكان اذا لم يحضر دعا زيد
بن ثابت فكتب وكان أبي وزيد يكتبان بين يديه صلى الله عليه وسلم
ويكتبان كتبه لمناس ومايقطع وغير ذلك ، قال أبو عمر كان من المواظبين
على كتب الرسائل عبد الله بن الارقم الزهري ، وذكر عن ابن اسحاق
أنه قال كان زيد بن ثابت يكتب الوحي ويكتب الى الملوك ايضا وكان
اذا غاب عبد الله بن الارقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب الى أمراء
الاجناد والملوك او الى انسان بقطيعة أمر من حضر أن يكتب له
والاقطاع كما في المشارق تسويغ الامام من مال الله لمن يراه اهلا لذلك
وفي الاستيعاب وكتب زيد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر
وعمر وكان على بيت المال في خلافة عثمان ، وذكر محمد بن اسحاق عن
محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكتب عبد
الله بن الارقم فكان يجيب عنه الى الملوك وبلغ من امانته عنده أنه كان

يامره أن يكتب الى بعض الملوك فيكتب ويامره أن يطبعهُ ويختمه
وما يقرؤه لامانته عنده . (ز قلت) ما نقله عن ابن اسحاق في حق عبد
الله بن الارقم خرجه البيهقي ، قال الحافظ في كتاب الاحكام من الفتح
بإسناد حسن وخرجه ايضا البغوي وقال مالك عن زيد بن اسلم عن أبيه
قال عمر كتب الى رسول الله كتاب فقال لعبد الله بن الارقم الزهري أجب
هؤلاء عني فأجابهم ثم جاء به فعرضه عليه عليه السلام فقال أصبت بما
كتبت قال عمر فما زالت في نفسي حتى جعلته على بيت المال ، وذكر
هذه القصة في العتبية وزاد قال عمر ما رأيت اخشى لله منه حاشا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروى ابن وهب عن مالك قال بلغني أن عثمان أجاز
عبد الله بن الارقم وكان له على بيت المال ثلاثين الفا فأبى أن يقبلها وروى
أنه بلغ من امانته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يامره أن
يكتب الى بعض الملوك فيكتب ويامره أن يطبعه ويختمه ما يقرؤه
لامانته عنده هـ من البيان والتحصيل لابن رشد . (ز قلت)

باب فيمن كان يكتب عن النبي صلى الله عليه وسلم للبوادي

كان يكتب له للبوادي معاوية فقد قال المدائني كما في شرح المواهب
كان زيد بن ثابت يكتب الوحي ومعاوية يكتب للنبي صلى الله عليه
وسلم فيما بينه وبين العرب انظر ص ٣٦٩ من الجزء الثالث . (تنبيه)
في الشفا أن رجلا قال للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية
يعني ايهما افضل وخصهما بالسؤال لانهما امويان فغضب المعافى على السائل

شأنهِ جزءا سميتهُ البناء الجليل بحكم بلد الخليل ﻫ منها ص ٢٠٨ من الجزء السابع ، وتاليف الحافظ السيوطي الذي ذكره الشامي سماه الفضل العميم في اقطاع تميم وهو موجود في المكتبة الخديوية المصرية — انظر قسم المجاميع ص ٦٣ من الجزء السابع من برنامجها وله كتاب اخر في الاقطاع موجود في مكتبة باريز العمومية . وأما كتاب ابن ناصر فقال عنهُ القطب الخيضري في خصائصهِ صنف شيخنا الحافظ الحجة أبو عبد الله محمد بن ابي بكر بن ناصر الدين مسند تميم الداري وذكر فيهِ قصة هذا الكتاب وأنهُ وقف على اصله وحرر ذلك تحريرا شافيا ﻫ وفي صبح الاعشى حين ذكر المكتوب المذكور عن تاريخ ابن عساكر ص ١٠٢٢ من الجزء الثالث عشر ما نصهُ: قلت وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليهِ وسلم بيد التميميين خدام حرم الخليل الى الآن وكلما نازعهم احد أتوا بها الى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكف عنهم من يظلمهم وقد أخبرني برؤيتها غير واحد والاديم التي هي فيهِ قد خلق لطول الامر ﻫ منه ، وفي الزرقاني على المختصر عند شرح قول خ في باب الزكاة وحكمه للامام لخ ما نصه اقطاعه صلي الله عليهِ وسلم تميما الداري بعض اراضي بنواحي بيت المقدس قبل فتحهِ من خصائصهِ عليه الصلاة والسلام كما في خصائص السيوطي الصغرى ونصه: وكان يقطع الاراضي قبل فتحها لان الله ملكه الارض كلها ، وأفتى الغزالي بكفر من عارض اولاد تميم الداري فيما أقطعهم ﻫ وزاد المناوي في شرحها ونقله ابن العربي عنه في القانون وسلمه ﻫ وقول الاجهوري راجعت الخصائص فما وقفت علي ذلك فيها معناه: لم يتنزلوا

في الخصائص للتعبير بأنهُ أقطع تميما بتقدير الفتح لان الله ملكهُ الدنيا والجنة يقطع فيهما من أراد وأراد جميع مايفتح عليهِ وعلى أمتهِ ﻫ المقصود وفي شرح المناوي لالفية السير قبل قول العراقي: كذا له أن يحيي المواتا، بنفسه ، ما نصهُ: ويقطع الارض قبل فتحها لان الله تعالى ملكه الارض وأفتى الغزالي بكفر من عارض اولاد تميم الداري فيما أقطعهم وقال كان يقطع في الجنة فالدنيا اولى ﻫ وقوله كما للسيوطي في الخصائص الصغرى هي انموذج اللبيب في خصائص الحبيب ، وما نقله عنه فيها ذكره في الفصل الثالث منها . وقال الاجهوري عند قول خليل وبإقطاع ما نصه: قال التتائي في شرح الجلاب ما نصه: وقد أقطع صلي الله عليه وسلم بلال بن الحارث القبليه بفتح القاف والباء الموحدة . وأقطع تميما الداري قرية عينون بالشام قبل فتحها ، والى ثعلبة الخشني شيئا من بلاده قبل فتحها وهو من المعجزات واذا كان له أن يقطع الجنة لان الله تعالى ملكها له كما ذكره الغزالي في بعض كتبهِ لاختصاصهِ بذلك دون سائر خلقه فكيف لا يقطع الدنيا ﻫ (قلت) وما نقلوه عن الغزالي صرح الروضي في شرح انموذج اللبيب بأنهُ صرح به في منهاج العابدين المنسوب لهُ وساق نصه وسبق عن غيره أن ذلك للغزالي في فتاويه . وفي شرح الزرقاني على المواهب ص ٢٧٨ من ج ٥ أن السبكي أفتى بنحو ما للغزالي ، وقد أشار لمعنى كلامه الشيخ علي الاجهوري حيث قال في شرح الانموذج وغيره فقال:

قد خص رب العلى تعالى نبينا الكامل المكمل
بملك جنته وآذن بقطعها فيما يرى ويفعل

من الرعية ويحجر عنهم الظلم ويتعرف احوالهم في قرب وليكون للرعية
وقت معلوم ينهون فيه شكاويهم . (ز قلت)

باب في الاوصياء والوصاية

أخرج الحاكم من طريق السراج في تاريخه ثم من طريق محمد بن عمارة
عن زينب بنت نبيط أن المصطفى حلا أمها وخالتها اثاثا من تبر وذهب
فيه لؤلؤ وكان أبوهما اسعد بن زرارة أوصى بهما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انظر ترجمة اسعد من الاصابة والاستبصار لابن قدامة المقدسي
قال وزينب بنت نبيط قد ذكرت في الصحابة من اجل روايتها لهذا الحديث
وفي نهاية الارب في معرفة انساب العرب للقلقشندي صاحب صبح الاعشى
لدى كلامه على الجعافرة ابناء سيدنا جعفر بن أبي طالب قال كان له اولاد
محمد وعبد الله مسح النبي صلى الله عليه وسلم على رؤوسهم حين جاء نعي أبيهم
جعفر وقال أنا وليهم في الدنيا والآخرة هـ وترجم في سمط الجوهر الفاخر
لذكر الايتام الذين كان صلى الله عليه وسلم وصيا عليهم فكانوا في حجره
وهم محمد بن عبد الله بن جحش مات أبوه في أحد وأوصى به للنبي صلى
الله عليه وسلم فاشترى له مالا بخيبر وأقطعه دارا بسوق الرقيق بالمدينة
ثم ذكر قصة بنات أبي أمامة اسعد بن زرارة السابقة وقال وكان في
حجره صلى الله عليه وسلم امرأة من بني ليث بن بكر يقال لها النصينة
بضم الصاد المهملة على وزن جهينة الليثية ، وكانت عائشة استوهبت عبد
الله بن الزبير من أبويه فكان في حجرها يدعوها أما ، وتقدم أن علي بن
أبي طالب ضمه اليه فلم يزل معه الى أن زوجه بنته فاطمة بالمدينة . وروى

يعقوب بن سفيان عن مطيع بن الاسود أنه أوصى الى الزبير فأبى فقال
أسألك بالله والرحم الا قبلت فإني سمعت عمر يقول الزبير ركن من اركان
الدين . وروى الحميدي في النوادر أنه أوصى اليه عثمان وأوصى الي الزبير
سبعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عثمان وعبد الرحمان بن عوف
والمقداد وابن مسعود وابن عوف وغيرهم فكان يحفظ اموالهم وينفق
على اولادهم من ماله . ونحوه في أسد الغابة عن هشام بن عروة وزاد
الزبير بن بكار كما في الاصابة مطيع بن الاسود وأبو العاص بن الربيع
ووقع في شرح أبي عبد الله زنيبر السلوي على الهمزية ما نصه: وأوصى
اليه سبعون من الصحابة بأموالهم واولادهم لحفظها وكان ينفق عليهم
من ماله هـ منه . « تنبيه » = خرج البخاري عن أبي هريرة وأحمد وأبو
داوود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا اولى بكل مومن من نفسه
فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته
وكان صلى الله عليه وسلم يؤتى في اول الاسلام بالرجل المتوفى فيسأل هل
عليه دين وهل له وفاء فإن قالوا له عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على
صاحبكم والا صلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنائم قال عليه السلام من
مات وعليه دين فعلي قضاؤه فقيل إنه كان واجبا عليه وارتضى امام
الحرمين والماوردي أنه لم يكن واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما وهل
كان صلى الله عليه وسلم يقضيه من الغنائم او من خالص ماله احتمالان قاله
في نسيم الرياض .

(وهو الرجل يكون له البصر بالبناء يبعثه الامام يحكم بين المتنازعين)
(فيوخذ بقوله)

﴿ ذكر من كان كذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر أبو عمر في الاستيعاب في ص٩٧ من ج١ عن جارية بن ظفر اليمامي أن دارا كانت بين اخوين فخظرا في ذلك حظارا ، والحظار كل شيء مانع بين شيئين فهو حظار ثم هلكا وتركا عقبا فادعى عقب كل منهما أن الحظار له من دون صاحبه فاختصم عقباهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل حذيفة بن اليمان يقضي بينهما فقضى بالحظار لمن وجد معاقد القمط تليه ثم رجع فأخبر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبت وأحسنت واصله في تاريخ البخاري . (ز قلت) القصة مخرجة ايضا في طبقات ابن سعد في ترجمة جارية المذكور بلفظ إن قوما اختصموا في خص فارتفعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث معهم حذيفة فقضى به حذيفة للذين يليهم القمط فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأجازه انظر ص٤٠٣ من ج ٥ والخص كما في القاموس بالضم البيت من القصب او البيت يسقف بخشبة كالازج جمع خصاص وخصوص . وفي ترجمة العلاء بن عقبة من الاصابة ذكره المرزباني فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثه هو والارقم في دور الانصار ه وقد وقع لابي زيد العراقي اجحاف في اختصار هذا المحل من الاصابة فإنه قال ما نصه : العلاء بن عقبة ممن كان في عهد عمرو بن حزم وبعثه مع الارقم لدور الانصار ه وعبارة الاصل تفيد ما لا يفيده

الاختصار فتأمله ، وفي ترجمة تميم بن اسد الخزاعي من طبقات ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه عام الفتح فجدد انصاب الحرم ، وفي ترجمة الصحابي مخرمة بن نوفل من تهذيب النووي كان له سن وعلم بأيام الناس وبقريش خاصة وهو احد من أقام انصاب الحرم في خلافة عمر بن الخطاب أرسله عمر وازهر بن عبد عوف وسعيد بن يربوع وحويطب بن عبد العزى فجددوها ه ونحوه في ترجمة المسور بن مخرمة من التهذيب ايضا . وفي الخطط للمقريزي عن القضاعي ولما رجع عمر بن الخطاب من الاسكندرية ونزل موضع فسطاطه ضمت القبائل بعضها الى بعض فتنافسوا في المواضع فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج التجيبي وشريك بن سمي القطيفي وعمرو بن مخزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المعافري وكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة احدى وعشرين ه وإن تعجب فاعجب لقول « بتلر » احد المشتغلين بتاريخ الاسلام من الاروبيين الظاهر أن الذي قام بتنفيذ هذا الامر انما هم القبط لدرايتهم بفن العمارة التي كان يجهلها العرب ه وما ذلك الا من التعصب على العرب وارادة طمس معلوماتهم وحب القضاء على آثارهم واي حاجة بقيت للتعقل بعد تصريح المقريزي بأسمائهم وانسابهم ، وفيما سيأتي في باب البناآت كفاية في الدلالة على علم العرب بالبناء الصحي الهندسي واساليبه . (ز قلت)

﴿ معرفته عليه السلام واهل الصدر الاول بأمور الهندسة ﴾
(والبناء واصلاح الطرقات)

في طبقات ابن سعد لما أقطع عليه السلام الدور بالمدينة خط لعثمان

بن عفان داره اليوم ويقال إن الخوخة التي في دار عثمان اليوم وجاه باب
النبي عليه السلام الذي كان المصطفى عليه السلام يخرج منه اذا دخل دار
عثمان . وفي ازهار الرياض للامام أبي العباس المقري نقلا عن خط أبي
زيد عبد الرحمان الغرناطي على هامش الشفا عند ذكر عياض أنه عليه
السلام قال وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا مانصه: هو داخل في معرفته
صلى الله عليه وسلم بالهندسة والبناء ذكره أبو نعيم في رياضة المتعلمين
ورواه عن أبي رافع قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع
فقال نعم الحديث قال فبني فيه الحمام ه وقال الخفاجي في نسيم الرياض
على هذا المحل فيه الاخبار بمحال البناء ومهاب الاهوية ه وسياتي في باب
المنادي عن سنن أبي داوود أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أن ينادى في
معسكره أن من ضيق منزلا او قطع طريقا فلا جهاد له وذلك لما ضيق
الناس المنازل وقطعوا الطرق فيوخذ منه عليه السلام كان يحب النظام
حتى في نصب الاخبية في السفر فكيف لايحب ذلك في محل الاستيطان
والبناء المشيد ، قال شارح السنن فيه أنه لايجوز لاحد تضييق الطريق
التي يمر منها الناس ونفي جهاد من فعل ذلك على طريق المبالغة في الزجر
والتنفير و كذلك لايجوز تضييق المنازل لما في ذلك من الاضرار ه
وفي سيرة عمر أنه لما اذن ببناء البصرة والكوفة خطوا الشوارع على
عرض عشرين ذراعا وطول اربعين ذراعا والازقة تسعة اذرع والقطائع
ستين ذراعا وبنوا المسجد الجامع الوسط بحيث تتفرع الشوارع وذلك
بأمر عمر رضي الله عنه ، وهذا يدل على نفاد سوق الهندسة حتى في البناء

في الزمن الاول سفرا وحضرا وتخطيطا ، وفي سيرة عمر ايضا أنه لما جاء
الشام سنة ١٧ رتب الشواتي والصوائف اي الجنود التي تغزو في الصيف
والجنود التي تغزو في الشتاء وسد فروج الشام ومساكنها وهي النقط
العسكرية وخطوط الدفاع ، وفي فتوح البلدان أن معاوية كتب الى عمر
بعد موت أخيه يزيد يصف له سوء حال الشام فكتب اليه في حرمة
حصونها وترتيب المقاتلة فيها واقامة الحرس على مناظيرها واتخاذ المواقيد
لها (والمناظير قباب مبنية على رءوس الجبال العالية بين كل بلد وآخر
بحيث يتقارب بعضها ويشرف بعضها على بعض ويقام فيها حراس يوقدون
النيران عند ما يرون اقبال العدو من جهتهم فيوقد حراس المناظير الذين
يلونهم كذلك وهكذا حتى يصل الخبر الى المدينة او الثغر او المسلحة
في زمن قليل فيسرعون لامداد الجهة التي أقبل منها العدو وهذا كذلك
يدل على نفاق اسواق الهندسة في البناآت الحربية والمراكز العسكرية
وفي فتوح البلدان ايضا أن عمر كان يشترط على اهل الذمة اصلاح الجسور
والطرق ، وفي باب المفعول فيه من حاشية ابن غازي على الالفية «لطيفة»
ذكر أبو حيان عن السهيلي عن قاسم بن ثابت قال سمي الميل ميلا لانهم
كانوا ينصبون على الطرق اميالا كانوا يعرفون بها الخطى التي مشوها
فيجعلون على رأس كل ثلاثة آلاف ذراع بناء كهيئة الميل يكتبون فيه
العدد الذي مشوه . وقال هشام لاعرابي كان يسير معه انظر في الميل
كم مشينا وكان الاعرابي أميا لايقرأ فنظر ثم جاء فقال فيه مخطف وحلقة
وثلاثة كأطباء الكلبة وهامة كهامة القطا فضحك هشام وعلم أن في الميل

كتاب
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

تأليف

أبي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني
المعروف بالشريف الإدريسي
(من علماء القرن السادس الهجري)

عالم الكتب

أ

26 وأما العراق فإنه في الطول من حد تكريت إلى حد عبادان على فم بحر فارس وعرضه من القادسية على الكوفة وبغداد إلى حلوان و عرضه أيضا من نواحي واسط الى قرب الطيب وقرقوب ونواحي البصرة إلى جبى.

27 ومسافاته تكون من حد تكريت إلى البحر مما يلي المشرق مقوسا نحو شهر ومن البحر راجعا في حد المغرب مقوسا إلي تكريت مثل ذلك ومن بغداد إلى سر من رأى ثلاث مراحل ومن سر من رأى إلى تكريت مرحلتان ومن بغداد إلى الكوفة خمس مراحل ومن الكوفة إلى القادسية ثلاث مراحل ومن بغداد إلى واسط ثماني مراحل ومن واسط إلى البصرة سبع مراحل ومن بغداد إلى حلوان ست مراحل وكذلك من بغداد إلى السيروان والصيمرة ست مراحل ومن الكوفة إلى واسط على طريق البطائح ست مراحل ومن البصرة إلى البحر مرحلتان وعرض العراق على سمت بغداد من حلوان إلى القادسية إحدى عشرة مرحلة وعرض العراق من سر من رأى إلى حدود شهرزور من أرض آذربيجان خمس مراحل والعامر منه أقل من مرحلة والعرض بواسط من الكوفة إلى نواحي خوزستان نحو أربع مراحل وبنواحي البصرة من البصرة إلى جبى مرحلة.

28 ولنبدأ من مدنها بذكر بغداد فبغداد مدينة كبيرة ابتناها المنصور في الجانب الغربي من دجلة وجعل جوانبها قطائع اقتطعها لمواليه وأتباعه فلما وليها المهدي

P, L, A

كثيث ,P كثيب [الطيب 3 • A وعرضها | LA وبغداذ 2 • A بر [على | LA فاما 1
رأى 6 • LA بغداذ 5 • LA جهة :P حد | A ومسافاته 4 • L حي ,PA حتى [جبى | L
.om ومن الكوفة – ثماني مراحل | LA بغداذ 7 • P أربع مراحل [مرحلتان | alt. om. A
| .codd الشيروان | LA بغداذ 9 • om. LA سبع مراحل – إلى حلوان | L بغداذ 8 • A
وكذلك من بغداد – :ست مراحل post | om. L ومن الكوفة – ست مراحل 10 • A الصيمرة
| LA من واسط [بواسط 14 • LA بغداذ | .codd ومن [وعرض 11 • rep. P والصيمرة
L حي ,P حتى [جبى | A ومن [من 15 • A من نواحي [وبنواحي | om. LA من الكوفة
• A ولاتباعه 17 • .codd وبغداد (LA وبداذ) | LA بغداذ | A الى [بذكر 16 • A

جعل عسكره في الجانب الشرقي فسمي بعسكر المهدي وبنى الناس أقطاعهم فعمرت بهم واتصلت المباني من الكرخ أسفل بغداد إلى الجويث وقصر المهدي متوسط منها يقابل قصر المنصور من الضفة الأخرى الغربية وتتصل عمارة بغداد شرقا إلى كلواذا وكلواذا مدينة بها مسجد جامع وبين المدينتين من بغداد جسران مربوطان بالسفن يجتاز عليهما من أراد الجواز والتصرف من البلدة الغربية إلى البلدة الشرقية وبالضد.

29 والجانب الشرقي بساتينه وأشجاره تسقى بماء النهروان وتامرا وهما نهران عظيمان وماؤهما يرتفع منه الكفاية سقيا وشربا وليس يرتفع به من ماء دجلة شيء إلا القليل الذي لا يكفي ولا يرضي والجانب الغربي يجري إليه نهر عيسى من الفرات كما قدمنا ذكره وعلى فوهته قنطرة دمما ويتشعب منه نهر صغير يسمى الصراة فيصب ماؤه في الجانب الغربي من بغداد فيسقي بساتينهم وضياعهم ويدخل المدينة فينتفع به ويشرب منه ونهر عيسى تجري فيه السفن من الفرات إلى بغداد وليس به سد ولا حاجز وأما نهر الصراة فلا تقدر السفن على ركوبه لكثرة أسداد الأرحاء المتخذة عليه وعلى نهر عيسى مدينة بادوريا ولها ديوان مفرد من أجل الدواوين وتتفجر فيها أنهار كثيرة تشق أسواقها ومحلاتها وعليها المباني والدور والبساتين والضياع.

30 وبين بغداد والكوفة سواد متصل وأعمال غير متميزة تخترق إليها أنهار

P, L, A

قصور 3 • L الجرث ,PA الخريث [الجويث | LA بغداذ 2 • PL معسكر [بعسكر 1
بها مدينة | A وكلوادا | A كلوادا ,L كلوذا | LA بغداذ 4 • A القربية [الغربية | A
الدجلة 9 • LA اليه [به 8 • A نهروان [نهران | A وتامدا 7 • LA بغداذ 5 • LA
| A السراة [الصراة 11 • A دنيا ,L دميا ,P دمينا [دما | P وفوهته [وعلى فوهته 10 • .codd
,L بادزوريا ,P باذوريا 15 • A السراة | LA بغداذ 13 • LA بغداذ | P يصب [فيصب
• A يخترق | LA بغداذ 17 • L وتنفجر ,P وتتفجر | A باذوريا

مجموع فتاوى

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

قدس الله روحه

جمع وترتيب الفقير إلى الله

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي

وساعده ابنه محمد وفقهما الله

طبع بأمر

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

سعود بن عبد العزيز آل سعود

الطبعة الأولى

١٣٨١ هـ

مطابع الرياض

بيت المـال كان ذلك جائزاً . ومال الديوان الاسـلامي ليس كله ولا أكثره حراما . حتى يقال فيه ذلك . بل فيه من أموال الصـدقات والفيء وأموال المصالح مالا يحصيه الا الله ، وفيه ما هو حرام أو شبهة . فان علم أن الذي اعطاه من الحرام لم يكن له أخـذ ذلك ، وان جهل الحال لم يحرم عليه ذلك . والله أعلم .

وسئل رحمه الله

عن رجـل أعطاه ولي الأمر اقطاعا ، وفيـه شيء من المكوس . فهل يجوز له الأكل منها ، او يقطعها لأجناده ، او يصرفها في علف خيوله ، وجامكية الغلمان ؟ .

فأجاب — الحمد لله — أما المال المأخوذ من الجهات . فـلا يخلو عن شبهة ، وليس كله حراماً محضاً ؛ بل فيه ما هو حرام ، وفيه ما يؤخذ بحق ، وبعضه أخف من بعض .

فما على الساحل واقطاعه أخف مما على بيع العقار ، ونحو ذلك من السلع ، ومما على سوق الغزل ونحوه . فان هذا لا شبهة فيه ، فانه ظلم بين . وكذلك ضمان الأفراح ، فانه قد يؤخذ إما من الفواحش المحرمة ، وإما من المناكح المباحة . فهذا ظلم ، وذلك إعانة على الفواحش الـتي

تسمى « مغاني العرب » ونحو ذلك . فان هـذا فيـه ضمان الحانة في بعض الوجوه . فهـذا أقبح ما يكون ، بخلاف ساحل القبلة ، فانه قد يظلم فيه كثير من الناس .

لكن أهل الاقطاعات الكثيرة الذين أقطعوا أكثر مما يستحقونه ، إذا أمر السلطان ان يؤخـذ منهـا بعض الزيادة ، لم يكن هـذا ظلماً واقطاعه أصلها زكاة ، لكن زيد فيها ظلم .

وإذا كان كذلك فمن كان في إقطاعـه شـيء من ذلك ، فليجعل الحلال الطيب لأكله وشربه ، ثم الذي للناس ، ثم الذي يليـه يجعل لعلف الجمال ، ويكون علف الخيل أطيب منها فانهـا أشرف ، ويعطى الذي يليه للدبادب والبوقات والبازيات ونحوهم . فان الله يقول : (اتقوا الله ما استطعتم) فعلى كل انسان ان يتقي الله ما استطاع ، وما لم يمكن إزالته من الشر يخفف بحسب الامكان ، فان الله بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها .

كما يقطع الموات لمن يحييه بتملكه . واقطاع استغلال : وهو إقطاع منفعة الأرض لمن يستغلها . إن شاء ان يزرعها ، وان شاء ان يؤجرها ، وان شاء ان يزارع عليها .

وهذا الاقطاع هو من هذا الباب : فان المقطعين لم يقطعوا مجرد خراج واجب على شيء من الأرض بيده ، كالخراج الشرعي الذي ضربه أمير المؤمنين عمر على بلاد العنوة . وكالأحكار التى تكون في ذمة من استأجر عقارا لبيت المال . فمن أقطع ذلك فقد أقطع خراجاً . وأما هؤلاء فاقطعوا المنفعة .

واذا عرف هذا . فاذا انفسخ الاقطاع في أثناء الأمر : إما لموت المقطع ، وإما لغيره . واقطع لغيره : كانت المنفعة الحادثة للمقطع الثانى ، دون الأول ؛ بحيث لو كان المقطع الأول قد أجر الأرض المقطعة ثم انفسخ اقطاعه انفسخت تلك الاجارة ، كما تنفسخ اجارة البطن الأول إذا انتقل الوقف الى البطن الثاني ، في أصح الوجهين .

واذا كان كذلك فان كان الاقطاع انتقل في نصف المدة : كان للثانى نصف المنفعة ، وان كان في ربعها الماضي كان له ربع المنفعة . فان كان أهل الديوان أعطوا الثاني ثلاثة أرباع المنفعة المستحقة بالاقطاع ، والأول الربع ؛ لكون الثانى قام بثلاثة الأرباع بمائة . استحق الاقطاع .

مثل ان يخدم ثلاثة أرباع المدة المستوفية للمنفعة ، فقد عدلوا فى ذلك .

ثم ان المقطع الأول لما ازدرعه بعمله وبذره وبقره ، وصار بعض المنفعة مستحقا لغيره ، صار مزدرعا فى أرض الغير ؛ لكن ليس هو غاصباً يجوز اتلاف زرعه ؛ بل زرعه زرع محترم ، كالمستأجر . وأولى . فهنا للفقهاء ثلاثة أقوال :

أحدها : ان يكون الزرع للمزدرع ، وعليه اجرة المثل لمنفعة الثانى .

والثانى : ان يكون الزرع لرب الأرض ، وعليه ما أنفقه الأول على زرعه . وهذان القولان معروفان . فمن زرع فى أرض غيره بغير إذنه : هل الزرع للمزدرع ؟ او لرب الأرض يأخذه ويعطيه نفقته ؟ كما في السنن عن رافع بن خديج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من زرع في أرض قوم بغير إذنهم ، فليس له من الزرع شيء وعليه نفقته » على القولين . والمسألة معروفة .

وهذا الثانى مذهب أحمد وغيره . والأول مذهب الشافعي وغيره .

والمزدرع في صورة السؤال ليس غاصباً ؛ لكن بمنزلة أنه مما بعد زرع فى أرض الغير بغير إذنه ، فهو كما لو اتجر في مال يظنه لنفسه ، فبان انه لغيره .

وفى هذه المسألة « قول ثالث » هو الذي حكم به أهل الديوان .

والذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من المخابرة إنما كانوا يعملونه ، وهو ان يشترطوا لرب الأرض زرع بقعة بعينها ، فهذا هو المنهي عنه ، كما جاء مفسراً في الحديث الصحيح .

وأما القوة التي تجعل في الأرض فانها ليست قرضاً محضاً كما يظنه بعض الناس . فان القرض المطلق هو ما يملكه المقترض ، فيتصرف فيه كما شاء . وهذه القوة مشروطة على من يقبضها ان يبذرها في الأرض ، ليس له التصرف فيها بغير ذلك ، فقد جعلت قوة فى الأرض ينتفع كل من يستعمل الأرض من مقطع وعامل ؛ اذ مصلحة الأرض لا تقوم إلا بها ، كما لو كان فى الأرض صهريج ماء ينتفع به ، ولهذا يقال : من دخل على قوة خرج على نظيرها . وإذا كان الصهريج ملآن ماء عند دخولك ، فاملأه عند خروجك .

وحقيقة الأمر أن للسلطان ان يشترط على المقاطعة ان يتركوا فى الأرض قوة ، وهذا من المصلحة ، وإذا كان الأول قد ترك فيها قوة ، والثانى محتاج اليها ، فرأى من ولى من ولاة الأمر ان يجعل عطاءها للأول بقسطه بحسب المصلحة ، كان ذلك جائزاً .

واذا جرت العادة بأن من دخل على قوة خرج على نظيرها ومن أعطى قوة من عنده استوفاها مؤجلة : كان اقطاع ولي الأمر لهذا

الشرط ، وذلك جائز ؛ فان الزرع انما ملكه بالاقطاع ، وأورث الأول ما استحقه قبل الموت .

وأما نصف العشر المذكور فلم يذكر وجهه ، حتى يفتى به . واقطاع ولي الأمر هو بمنزلة قسمته بيت مال المسلمين ؛ ليست قسمة الامام للاموال السلطانية . كالفيء بمنزلة قسمة المال بين الشركاء ، المعينين ؛ فان المال المشترك بين الشركاء المعينين كالميراث يقسم بينهم على صنف منه إن كان قبل القسمة ، وإلا بيع وقسم ثمنه عند أكثر الفقهاء . كمالك ، وأحمد ، وأبى حنيفة . وتعدل السهام بالأجزاء إن كانت الاموال متماثلة : كالمكيل ، والموزون . وتعدل بالتقويم إن كانت مختلفة كأجزاء الأرض . وان كانت من المعدودات كالابل والبقر والغنم قسمت أيضا على الصحيح ، وعدلت بالقسمة .

وأما الدور المختلفة ففيها نزاع ، وليس لأحد الشريكين ان يختص بصنف وأما أموال الفيء فللامام ان يخص طائفة بصنف ، وطائفة بصنف . بل وكذلك فى المغانم على الصحيح ، ولو أعطي الامام طائفة إبلا ، وطائفة غنماً جاز . وهل يجوز للامام تفضيل بعض الغانمين لزيادة منفعة ؟ على قولين للعلماء : أصحها الجواز . كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه نفل فى بدايته الربع بعد الخمس ، وفي رجعته الثلث بعد الخمس » وثبت عنه أنه نفل سلمة بن الأكوع وغيره .

ان ما يأخــذه قدر حقه . وكل واحد انما يشهد استحقاق نفسه دون استحقاق بقية الناس . وهو لا يعلم مقدار الأموال المشتركة . وهل يجعل له منها بالقيمة هذا او أقل ؟ والانسان ليس له ان يكون حاكما لنفسه . ولا شاهدا لنفسه ، فكيف يكون قاسماً لنفسه ؟ .

ومعلوم عنــد كل أحــد ان دخول الشركاء تحت قاسم غــيرهم ، ودخول الخصماء تحت حاكم غيرهم ، ولو كان ظالماً او جاهلا [اولى] من ان يكون كل خصم حاكما لنفسه ، وكل شريك قاسماً لنفسه ، فان الفساد فى هذا أعظم من الفساد فى الأول .

والشريعــة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسـد وتقليلها ، ورجحت خير الخيرين بتفويت أدناهما ، وهــذا من فوائـد نصب ولاة الأمور . ولو كان على ما يظنه الجاهل لـكان وجود السلطان كعدمه ، وهذا لا يقوله عاقل ، فضلا عن ان يقوله مسلم ؛ بل قد قال العقلاء : ستون سنة من سلطان ظالم خير من ليلة واحدة بلا سلطان . وما أحسن قول عبد الله بن المبارك :

لو لا الأئمة لم يأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

وأصل هذه المسئلة مبسوط بسطاً تاماً في غير هذا الموضع ، وانما نبهنا على قــدر ما يعرف به مقصود الجواب . والله أعلم .

وسئل

عن قرية كانت جارية في إقطاع رجل ، وأخذت ثم أقطعت لاثنين بعد ان زرع فـلاحوها أراضيها من غـلة المقطع الأول . ثم طلب أحـد المقطعين المستجدين ان يقسم حصتـه من زرعه . فهل يجوز ذلك وهل نصح القسمة ؟ وهل يجب استمرار الناحية مشاعا إلى حيث يقسم المغل . ويتناول كل ذي حق حقــه من جميع المغــل ؟ او يقسم قبــل إدراك المغل ؟ .

فأجاب : ان لم تنقص حصة الشركاء لا فى الأرض ، ولا في الزرع فعليهم إجابة طالب القسمــة التى ليس فيها ضرر عليهم ، وان كان في ذلك ضرر بنقص قسمة انصبائهم لم يرفع الضرر بالضرر ؛ بل إن أمكن انقسام عوض المقسوم من غير ضرر فعل .

وسئل

عن صاحب إقطاع . هل له ان يأخذ من الزرع جزءاً معيناً ؟ . وهل له إذا شاطره بجزء مشاع ، وعلم أنهم قد حابوه ان يأخذ زائداً على ذلك ؟ ام لا ؟ .

فأجاب : الحمد لله . تجوز المزارعة بجزء شائع سواء كان أقل من النصف او أكثر من النصف . ولا فرق عند الأئمة الأربعة ونحوهم : ان يزارع بالنصف ، او الثلث ، او الثلثين ، ونحو ذلك من الأجزاء الشائعة ، كثلاثة أخماس ، وخمسين . وقد ثبت جواز المزارعة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة باتفاق الصحابة ، وهي أعدل من التسجيل ، وإذا شرط عليه نصف الزرع فأخذوا زائدا على ذلك فله ان يأخذ منهم بقدر الزائد .

وسئل رحمه الله

عن رجل معه دراهم حرام فدفعها إلى والده ، وأخذ منه عوضها من دراهمه الحلال ، واشترى منها شيئاً يعود منه منفعة ؛ إما نتاج الابل والغنم ، وإما زرع ارض واستعملها . هل هي حرام ؟ أم لا ؟

فأجاب : متى اعتاض عن الحرام عوضاً بقدره ، فحكم البدل حكم المبدل منه ، فان كان قد نمى بفعله نماء من ربح او كسب او غير ذلك ، ففيه خلاف بين العلماء . وأعدل الأقوال ان يقسم النماء بين منفعة المال ، وبين منفعة العامل ؛ بمنزلة المضاربة . كما فعل عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فى المال الذي اتجر منه أولاده من بيت المال ، وهكذا كل نماء بين أصلين . إذا بيع الأصل .

وأجاب ايضا : أعدل الأقوال فى هذه المسألة وشبهها ، ان يقسط الزرع الحادث من منفعة الأرض والبذر والعامل والبقر على هذه الأصول ، فيكون قسط الحرام لمن يجب صرفه اليه ، وقسط الحلال لمن يستحقه ، كسائر الحادث عن الأصول المشتركة .

وسئل رحمه الله

عن رجل له اقطاع من السلطان ، فزرعها لفلاح مشاطرة : هل يجوز الاشهاد بينهما ؟ أو ان بعض العدول امتنع من الاشهاد بينهما . وهل اذا اشترط على الفلاح . مثل دجاج ، او خراق ، او نحو ذلك من سائر الأصناف ، مع رضا الفلاح بذلك . هل يجوز ؟ ام لا ؟

فأجاب : الحمد لله . دفع الأرض الملك ، والاقطاع او غيرها ، إلى من يعمل فيها بشطر الزرع · فيه قولان للعلماء ؛ لكن الصواب المقطوع به أن ذلك جائز ؛ فان ذلك إجماع من الصحابة : آل أبي بكر ، وآل عمر ، وآل علي ، وعبد الله بن مسعود ، وسعد بن أبي وقاص ، وغيرهم ، وهو عمل المسلمين من عهد نبيهم . والرسول صلى الله عليه وسلم لم ينه عن ذلك ؛ وإنما نهى عن ما إذا اشترط لرب المال زرع بقعة بعينها ؛ بل قد عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من تمر وزرع . وقد ثبت عنه فى الصحيح انه شرط عليهم ان يعمروها من أموالهم .

ولهذا كان الصواب انها تجوز ، وان كان البذر من العامل ؛ بل

هذه المعاملة أحل من دفع الأرض بالمؤاجرة : فان كلاهما مختلف فيه ، والاجارة أقرب الى الغرر ؛ لأن المؤجر بأخذ الأجرة ، والمستأجر لا يدري : هل يحصل له مقصوده أم لا ؟ بخلاف المشاطرة . فانهما يشتركان فى المغنم والمغرم ، إن أنبت الله زرعا كان لهما ، وان لم ينبت كان عليهما ، ومنفعة أرض هذا كمنفعة بذر هذا ، كما في المضاربة . ولا يجوز فى المشاطرة ان يشترط على العامل شيء معين لا دجاج ولا غيره .

وأما الشهادة على ذلك فانها جائزة ، ولو كان الشاهد ممن لا يجيزها ؛ لأنه عنده مختلف فيه ، والشاهد يشهد بما جرى ؛ لا سيما والمحققون من أصحاب ابي حنيفة والشافعي على تجويزها ، كما هو مذهب فقهاء أهل الحديث .

وسئل

عن مقطع يجمع غلته من الفلاحين ، وفيها غلة نظيفة ، وغلة علثة فى ايام القسم ، وخلطها إلى ايام البذر ، ثم فرقها عليهم خلال ذلك ؟

فأجاب : إذا كانت حنطة بعضهم خيراً من حنطة بعض فليس له أن يخلط ذلك ، وان كانت الحنطة سواء وقد احتاج إلى الخلط فلا بأس .

وسئل رحمه الله

عن جندي له أرض خالية . فقال له فلاح : أنا أزرع لك هذه الأرض ، والثلثان لي ، والثلث لك ، على ان يقوم للجندي بالثلث المذكور بخراج معين ، وشرط له ذلك ، ثم إن الجندي أعطى الفلاح المذكور ، وسق بزر كتان يزرعه فى تلك الأرض المذكورة ، وتوفى الجندي قبل إدراك المغل ، فاستولى الفلاح على جميع الزرع ، ومنع الورثة المبلغ المعين . فهل له ذلك ؟ والشرط بغير مكتوب ؟

فأجاب : ما يستحقه الجندي من خراج او مقاسمة او غير ذلك فانه ينتقل الى ورثته ، وسواء كان الشرط بمكتوب ، او غير مكتوب . ومتى شهد شاهد عدل ، أو مزكى ، وحلف المدعى مع الشاهد حكم له بذلك .

وسئل

عن رجل لم يكن فلاحا ، ولا له عادة بزرع . فهل يجوز لأحد ان يزارعه من غير اختياره ؟ أم لا ؟

فأجاب : ليس لأحد ان يكرهه على فلاحة لم تجب عليه ، فان ذلك ظلم ، والله تعالى يقول فيما رواه عنه رسوله : « ياعبادي إنى حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً . فلا تظالموا » . بل مثل هذا لا يجوز إكراهه ، لا في الشريعة المطهرة ، ولا فى العادة السلطانية .

وسئل

عمن يزرع فى أرض مشتركة بغير إذن الشركاء ، ولا أعلمهم ؟

فأجاب : إذا كانت العادة جارية : بأن من يزرع فيها يكون له نصيب معلوم ، ولرب الأرض نصيب ، فانه يجعل ما زرعه فى مقدار أنصباء شركائه ، مقاسمة بينهم على الوجه المعتاد . والله أعلم .

المنتظم

في تاريخ الملوك والأمم

تأليف

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

الى طهران وهى قرية اخرى من قرى خراسان الا ان طهران الرى اشهر من تلك – توفى ابن حماد بعسقلان فى ربيع الآخر من هذه السنة (١) .

٧٥- مسلم بن الحجاج بن مسلم

ابو الحسين القشيرى النيسابورى . سمع بنيسابور يحيى بن يحيى وقتيبة بن سعيد واسحاق بن راهويه وغيرهم، وبالرى محمد بن مهران وغيره، وببغداد احمد بن حنبل وغيره، وبالبصرة القعنبى وغيره، وبالكوفة حفص بن غياث وغيره، وبالمدينة اسمعيل بن ابى اويس وغيره، وبمكة سعيد بن منصور وغيره، وبمصر حرملة بن يحيى وغيره . وكان تام القامة ابيض الرأس واللحية وكان من كبار العلماء واوعية العلم وله مصنفات كثيرة منها المسند الكبير على الرجال وما نظن انه سمعه منه احد، وكتاب الجامع الكبير على الابواب، وكتاب الاسامى والكنى، وكتاب المسند الصحيح، وقال صنفته من ثلثمائة الف حديث مسموعة، وكتاب التميز، وكتاب العلل، وكتاب الوحدان، وكتاب الافراد، وكتاب الاقران، وكتاب سؤالات احمد بن حنبل، وكتاب الانتفاع باهب السباع، وكتاب عمرو بن شعيب بذكر من لم يحتج بحديثه وما اخطأ فيه . وكتاب مشايخ مالك بن انس، وكتاب مشايخ الثورى، وكتاب مشايخ شعبة، وكتاب ذكر من ليس له الا راو واحد من رواة الحديث وكتاب المخضرمين وكتاب اولاد الصحابة فمن بعدهم من المحدثين، وكتاب ذكر اوهام المحدثين، وكتاب تفضيل سنن (١) وكتاب طبقات التابعين، وكتاب افراد الشاميين من الحديث وكتاب معرفة . قدم بغداد مرارا آخر قدومه كان فى سنة تسع وخمسين ومائتين سمع منه يحيى بن صاعد ومحمد بن مخلد .

اخبرنا عبد الرحمن بن محمد اخبرنا احمد بن على بن ثابت قال اخبرنا محمد بن المقرئ حدثنا محمد بن عبد الله النيسابورى قال سمعت ابا عبد الله محمد بن يعقوب يقول سمعت احمد بن سلمة يقول عقد لمسلم مجلس للمذاكرة فذكر له حديث لم يعرفه

(١) فى تاريخ بغداد – احد وسبعين –ك (٢) كذا .

فانصرف (٤)

فانصرف الى منزله واوقد السراج وقال لمن فى الدار لا يدخلن احد منكم هذا البيت ! فقيل له اهديت لنا سلة فيها تمر فقال قدموها الى فقدموها اليه فكان يطلب الحديث ويأكل تمرة تمرة فاصبح وقد فنى التمر ووجد الحديث . قال محمد بن عبد الله اخبرنى الثقة من أصحابنا انه مات منها . توفى مسلم فى رجب هذه السنة .

سنة ٢٦٢

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين

فمن الحوادث فيها خروج المعتمد الى حرب يعقوب بن الليث الصفار وكان يعقوب قد عصى وتجبر فعسكر المعتمد يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة واستخلف على سامرا ابنه جعفرا ثم سار وقدم اخاه ابا احمد لحربه فجعل ابو احمد على ميمنته موسى بن بغا وعلى ميسرته مسرورا والتقى العسكران يوم الاحد العاشر من رجب مع الظهر فشدت ميسرة يعقوب على ميمنة ابى احمد فهزمتها وقتلت منها جماعة وكره أصحابه القتال لما علموا ان السلطان قد حضر القتال فحملوا على يعقوب فانهزم أصحابه اقبح هزيمة . وقرئ على الناس كتاب وما لم يزل المارق المسمى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة حتى احدث الاحداث المنكرة من مصيره الى فارس مرة بعد مرة واستيلائه على اموالها واتيانه الى باب امير المؤمنين مظهر المسألة امور أجابه امير المؤمنين فيها الى ما لم يكن يستحقه استصلاحا له فولاه خراسان والرى وفارس وقزوين وزنجان والشرطة ببغداد وأمر ان يكنى فى كتابه وأقطعه الضياع النفيسة فما زاده ذلك الا طغيانا وبغيا وامره بالرجوع فأبى فنهض امير المؤمنين لدفع الصفار » ثم غلب يعقوب ابن الليث على فارس ثم رجع المعتمد الى معسكره وعاد الى المدائن . وفى هذه السنة ولى القضاء على بن محمد بن ابى الشوارب وولى اسمعيل بن اسحاق قضاء الجانب الشرقى من بغداد وجمع له الجانبان .

ومن الحوادث فى هذه السنة . ما انبأنا به ابو بكر بن محمد بن ابى طاهر البزار عن

٥٧٥ - هارون بن محمد بن هارون

ابن على بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن اسيد بن تيم بن صبيح بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ابو جعفر والد القاضى ابى عبدالله الحسين بن هارون وكان اسلافه ملوك عمان فى قديم الزمان واول من دخل عمان من ملوك بنى ضبة فتملك بها ثم لم تزل ولده من بعده يرثون هناك السيادة والشرف ويزيد بن جابر ادركه الاسلام فأسلم وحسن اسلامه واول من انتقل منهم من عمان هارون بن محمد فسكن بغداد وحدث بها روى عنه ابنه .

اخبرنا عبد الرحمن بن محمد اخبرنا احمد بن على بن ثابت اخبرنا عبدالكريم بن محمد المحاملى اخبرنا على بن عمر الدارقطنى وذكر هارون بن محمد فقال استولى على الفضائل وساد بعمان فى حداثة سنه ثم خرج منها فلقى العلماء بمكة والكوفة والبصرة ودخل مدينة السلام سنة خمس وثلثمائة فعلت منزلته عند السلطان وارتفع قدره وانتشرت مكارمه وعطاياه وانتابه الشعراء من كل موضع وامتدحوه فأكثروا واجزل صلاتهم وأنفق امواله فى بر العلماء والافضال عليهم وفى صلات الاشراف والطالبيين والعباسيين وغيرهم واقتناء الكتب المنسوبة وكان مبرزا فى العلم باللغة والشعر والنحو ومعانى القرآن والكلام وكانت داره مجمعا لاهل العلم من كل فن الى ان توفى فى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة .

سنة ٣٣٦

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة

فمن الحوادث فيها انه ظهر كوكب مذنب فى صفر من ناحية المشرق طوله نحو ذراعين فمكث عشرة ايام ثم اضمحل .

وسار الخليفة ومعز الدولة من واسط فى البرية على الطفوف فلما صار فى البرية ورد على معز الدولة رسول من الهجريين القرامطة بكتاب منهم اليه باللوم على سلوكه البرية بغير امرهم اذ كانت لهم فلم يجبهم عن الكتاب وقال للرسول يقول لهم ومن انتم حتى تستأذنون فى سلوك البرية وكأنى انما اقصد البصرة

تصدى

تصدى انما هو بلدكم واليكم اخرج من البصرة بعد فتحى اياها باذن الله وستعرفون خبركم . ولما افتتح معز الدولة البصرة قطع عن الخليفة الالفى درهم التى كان يقيمها له فى كل يوم لنفقته وعوضه عنها ضياعا من ضياع البصرة وغيرها زيادة على قدر ضياع الخليفة بنحو مائتى الف دينار ثم نقص ارتفاعها على ممر السنين الى ان صار خمسين الف دينار فى السنة .

وورد الكتاب بتقلد القاضى أبى السائب عتبة بن عبيدالله القضاء فى الجانب الغربى ومدينة ابى جعفر مكان القاضى أبى الحسين محمد بن صالح فاجتمعت له مدينة السلام .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٥٧٦ - احمد بن جعفر

ابن محمد بن عبيدالله بن يزيد ابو الحسين المعروف بابن المنادى ، ولد لثمان عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة ست وخمسين ومائتين وسمع جده محمد بن عبيدالله ومحمد بن اسحاق الصاغانى والعباس بن محمد الدورى وخلقا كثيرا وكان ثقة امينا ثبتا صدوقا ورعا حجة صنف كتبا كثيرة وجمع علوما جمة ولم يسمع الناس من مصنفاته الا اقلها لشراسة خلقه وروى عنه جماعة آخرهم محمد بن فارس الغورى .

اخبرنا عبد الرحمن بن محمد اخبرنا احمد بن على بن ثابت قال حدثنى ابو الفضل عبيد الله بن احمد الصيرفى قال كان ابو الحسين ابن المنادى صلب الدين حسن الطريقة شرس الاخلاق فلذلك لم تنتشر عنه الرواية ، قال وقال لى ابو الحسن ابن الصلت كنا نمضى مع ابن قح الوراق الى ابى الحسين ابن المنادى لنسمع منه فاذا وقفنا ببابه خرجت الينا جارية له وقالت كم انتم؟ فنخبرها بعددنا ويؤذن لنا فى الدخول ويحدثنا فحضر مرة انسان علوى وغلام له فلما استأذنا قالت الجارية كم انتم؟ فقلنا نحوا ثلاثة عشر وما كنا حسبنا العلوى والغلام فى العدد فدخلنا عليه فلما رآنا خمسة عشر نفسا قال لنا انصرفوا اليوم فلست احدثكم . فانصرفنا

اخبرنا ابو منصور القزاز اخبرنا ابو بكر احمد بن على الخطيب قال حدثنى ابو النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد الارموى قال : رأيت اهل الموصل يوهنون ابا الفتح الازدى جدا ولا يعدونه شيئا ، قال وحدثنى محمد بن صدقة ان ابا الفتح قدم بغداد على الامير يعنى ابن بويه فوضع له حديثا ان جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم فى صورته فأجازه واعطاه دراهم كثيرة ، قال الخطيب وسألت ابا بكر البرقانى فأشار الى انه كان ضعيفا ، قال ورأيته فى جامع المدينة وأصحاب الحديث لا يرفعون به رأسا ويتجنبونه ، توفى فى هذه السنة وبعضهم يقول فى سنة تسع وستين وثلثمائة .

١٧٩ - محمد بن الحسين (١)

ابن ابراهيم بن مهران ابو بكر الحربى سمع ابا جعفر بن بريه ودعلج بن احمد، روى عنه الازهرى وقال كان شيخا صالحا .

سنة ٣٧٥

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة

فمن الحوادث فيها انه تقدم فى يوم الخميس لثمان بقين من ربيع الاول خلع الطائع لله على صمصام الدولة وطوقه وسوره وحمله على فرس بمركب ذهب وقاد بين يديه مثله .

وفى ربيع الاول ورد الخبر من الكوفة بورود اسحاق وجعفر الهجريين وهما من القرامطة الذين يدعون بالسادة فى جموع كثيرة وكان دخولهما اياها على وجه التغلب واقاموا الخطبة لشرف الدولة واعتزوا الى ملك الجهة فوقع الانزعاج الشديد من ذلك لما كان تمكن من النفوس من هيبة هؤلاء القوم وانهم ممن لا يصطلى بنارهم ولأن جماعة من الملوك كانوا يصانعونهم حتى عضد الدولة اقطعهم بواسط ناحية واقطعهم عز الدولة قبله بشقى الفرات اقطاعا وانتشر اصحابهما فى النواحى واكبوا على تناول الغلات واستخراج المال فنفذ

(١) هذه الترجمة سقطت من ص .

من

من بغداد عسكر طردهم وبطل ناموسهم .

وفى ذى الحجة ورد كتاب من الرى بوفاة ابن مؤيد الدولة فجلس صمصام الدولة للعزاء به وركب الطائع الى تعزيته فى سفينة لابسا السواد وعلى رأسه شمسة والقراء والاولياء فى الزبازب تقدم الى مشرعة دار الملك ونزل صمصام الدولة وقبل الارض بين يديه ورده بعد خطاب تردد بينهما فى العزاء والشكر .

وفى هذه السنة هم صمصام الدولة ان يجعل على الثياب الابريسميات والقطنيات التى تنسج ببغداد ونواحيها ضريبة وكان ابو الفتح الرازى قد كثر ما يحصل من هذا الوجه وبذل تحصيل الف الف درهم منه فى كل سنة فاجتمع الناس فى جامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكاد البلد يفتتن فاعفوا من احداث هذا الرسم .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

١٨٠ - الحسن بن الحسين

ابن ابى هريرة الفقيه ابو على القاضى كان احد اصحاب الشافعى وله مسائل فى الورع محفوظة ، توفى فى رجب هذه السنة .

١٨١ - الحسن بن على

ابن داود بن خلف ابو على المطرز المصرى ولد سنة تسعين ومائتين ، تقدم بغداد وحدث بها عن محمد بن بدر الباهلى وغيره . روى عنه البرقانى وابو العلاء الواسطى وكتب الناس عنه بانتخاب الدارقطنى وكان ثقة، وتوفى بمكة فى صفر هذه السنة .

١٨٢ - الحسين بن على

ابن محمد بن يحيى ابو احمد النيسابورى ويقال له حسينك ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ورباه ابو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة فسمع منه الحديث ومن غيره

اطلاق ستين دينارا لنفقة من يصحبه من الغلمان والتزم بعض القواد منها ثلاثة
دنانير ونصفا فلما كان الليل من ليلة الاثنين سادس ربيع الاول خرج فى نفر
من غلمانه فمضى الى عكبرا على وجه المخاطرة فبادر الغلمان الى دار المملكة فنهبوا
ما فيها وكتب الاصفهسلارية عن نفوسهم وعن فرق من الغلمان وطوائفهم
كتبا الى الملك ابى كاليجار فعلموه فى خدمته وهناوه باجتماع الكلمة على طاعته
واستدعوا منه انفاذ من يدبر الامور ويحفظ نظام الجمهور واخرجوا بها ركابية
فقال هؤلاء الاتراك يكتبون ما لا يعقدون الوفاء به ويعدون ولا يصدقون
فان كانوا محقين فى طاعتهم فليظهروا شعارنا وليخرجوا من عندهم ولا اقل
من ان يخرجوا الينا منهم خمسمائة غلام ليكون توجهنا معهم فاما بالاغترار
باقوال لا يعرف ماوراءها فلا الوجه ان يعانى القوم بالمدافعة وتوقعوا ما تحدثه
الايام فانهم فى كل يوم يضعفون وتدعوهم الضرورة الينا فنأخذ الامر عفوا
ونربح المال الذى ننفقه والغرر الذى نركبه وكان من وزراء ابى كاليجار ابو منصور
ابن فنة وكان فاضلا ومن آثاره دار كتب وقفها على طلاب العلم جمع فيها تسعة
عشر الف مجلد ما فيها الا اصل منسوب وفيها اربعة آلاف ورقة بخط بنى مقلة
ثم اختلت المملكة وقطع عن جلال الدولة المادة حتى اخرج من ثيابه وآلاته
الحقيرة وباعها فى الاسواق وخلت داره من حاجب وفراش وبواب وصار
اكثر الابواب مغلقا وقطع ضرب الطبل له فى اكثر الايام لانقطاع الطبالين
وظهر العيارون وكثر الاستقفاء والكبسات ومد الاتراك ايديهم الى الغصوب
وتشاور القواد فى ان يخطب للملك ابى كاليجار فقال بعضهم لا نخطب لأحد
حتى تستقر امورنا معه وخرج الملك الى عكبرا وقصد حلة كمال الدولة ابى
سنان فاستقبله وقبل الارض بين يديه وقال له خزائنى واموالى وبلادى لك
وانا اتوسط بينك وبين جندك وزوجه ابنته ثم مضى اليه جماعة من الجند
واعتذروا مما فعلوا وأعيدت خطبة جلال الدولة فى السابع عشر من ربيع الاول
واقيمت فى جامع المدينة وجامع الرصافة ولم تقم فى جامع الخليفة ثم اقيمت فيه

فى الجمعة الثالثة .
وفى يوم السبت الثامن عشر منه خرج ابو منصور بن طاس الحاجب وابو القاسم
على بن ابى على وخادمان الى حضرة الملك بكتاب من الخليفة يتضمن
الاستيحاش لبعده ويهنئه بالسلامة واسفار الامور عن الاستقامة ثم بعث
الخليفة القاضى ابا الحسن الماوردى ومبشرا الخادم الى الملك ابى كاليجار الى
الاهواز بكتاب ، قال الماوردى ، قدمنا عليه فتلقينا وانزلنا دارا عامرة وحملت
الينا انزال (١) كثيرة ثم استدعينا الى حضرته وقد فرشت دار الامارة بالفروش
الجميلة ووقف الخواص والاصحاب على مراتبهم من جانبى سريره واقيم الجند
فى المجلس والصحن صفين فما يتجاوز قدم قدما وفى آخر الصفين ستمائة غلام
دارية البزة الحسنة (٢) والأتبية الملونة لخدمنا وسلمنا واوصلنا الكتاب وتردد
من القول بين استخبار الاخبار وابتداء وجواب ما يتردد مثله وانصرفنا ،
واقيمت الخطبة فى يوم الجمعة السابعة ليوم اللقاء (ثم جرى الخوض فيما طلبوه
من اللقب – ٣) واقترحوا ان يكون اللقب السلطان المعظم مالك الأمم
فقلت ، هذا لا يمكن لأن السلطان المعظم الخليفة وكذلك مالك الامم ، فعدلوا
الى ملك الدولة فقلت ، ربما جاز واشرت ان يخدم الخليفة بالطاف ، فقالوا ،
يكون ذلك بعد التلقيب ، فقلت الاولى بان يقدم ، ففعلوا وحملوا معى الفى
دينار سابورية وثلاثين الف درهم نقرة وعشرة امناء كافورا والف
مثقال عنبر والف مثقال مسكا وثلثمائة صحن صينى وعشرة اثواب خزا سوسيا
ومائة ثوب ديباجيا مرتفعة ومائة اخرى دونها وعشرين منا عودا ووقع
باقطاع وكيل الخدمة خمسة آلاف دينار مغربية من معاملات البصرة وان يسلم
اليه ثلاثة آلاف قوصرة كل سنة ويجاز بغير مؤنة ولا ضريبة وافرد عميد
الرؤساء ابو طالب ابن طالب بن ايوب بخمسمائة دينار وعشرة آلاف درهم
وعشرة اثواب ديباجا وعدنا الى بغداد فرسم لى الخروج الى جلال الدولة
واعلامه الحال فخرجت وتلطفت فى اجراء حديث اللقب وما سأله الملك فثقل

---

(١) ص – الأتراك (٢) كذا (٣) ليس فى ص .

ابن يوسف ابنته وكان شيخا لم ير أحسن منه واظهر صباحة وكان اصل بضاعته عشرة نصافى (١) يتحدر بها من عكبرا الى بغداد ووسع عليه الرزق حتى كان يحزر بثلثمائة الف دينار وهو الذى دفع الى قريش بن بدران عند مجيئه مع البساسيرى عشرة آلاف دينار حتى حمى داره من النهب وكان فيها خاتون خديجة زوجة القائم ولما اجتمعت بعمها طغرلبك اخبرته بحقه عليها فجاء الى داره شاكرا وكانت داره بباب المراتب يضرب بها المثل وكانت تشتمل على ثلاثين دارا وعلى بستان وحمام ولها بابان على كل باب مسجد اذا اذن فى احدهما لم يسمع الآخر وكان لا يخرج عن حال التجار فى ملبسه ومأكله وهو الذى بنى المسجد المعروف به بنهر معلى وقد ختم فيه القرآن الوف توفى ليلة الاربعاء ودفن يوم الاربعاء عاشر ذى القعدة من هذه السنة فى التربة الملاصقة لتربة القزوينى بالحربية .

سنة ٤٧٧

ثم دخلت سنة سبع وسبعين واربعمائة

فمن الحوادث فيها ان كوكبا انقض فى ليلة الثلاثاء لعشر بقين من صفر من المشرق الى المغرب كان حجمه كحجم القمر ليلة البدر وضوءه كضوئه وسار مدى بعيدا على تمهل وتؤدة فى نحو ساعة ولم يكن له شبه فى الكواكب المنقضة .

وفى شوال اعطى الخليفة الوزير ابا شجاع اقطاعا ببضعة عشر الف دينار وخرج التوقيع بمدحه الوافر .

وفى هذا الشهر اعاد السلطان ملكشاه جماعة من اولاد العرب الذين اخذوا فى وقعة بينهم وبين التركمان وجمالا كثيرة .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

١٠ – اسمعيل بن مسعدة

ابن اسمعيل بن ابراهيم ابو القاسم الجرجانى الاسماعيلى ولد سنة سبع واربعمائة وسمع الكثير وكان دينا فاضلا متواضعا وافر العقل تام المروءة صدوقا يفتى ويدرس

(١) نوع من قماش منسوج من حرير وكتان – ك

وكان

وكان بيته جامعا لعلم الحديث والفقه ودخل بغداد سنة اثنتين وسبعين فحدث بها فسمع منه جماعة من شيوخنا وحدثونا عنه وتوفى بجرجان فى هذه السنة .

١١ – احمد بن محمد

ابن دوست ابو سعد (١) النيسابورى الصوفى صحب ابا سعيد بن ابى الخير مدة وسافر الكثير وحج مرات حتى انقطعت طريق الحج وكان يجمع جماعة من الفقراء ويخرج معهم ويدور فى قبائل العرب فينتقل من حلة الى حلة وقدم مرة من البادية فنزل عند صاحبه ابى بكر الطريثيثى وكانت له زاوية صغيرة فقال له يا ابا بكر لو بنيت للاصحاب موضعا اوسع من هذا وارفع بابا فقال له اذا بنيت رباطا للصوفية فاجعل له بابا يدخل فيه جمل براكبه فذهب ابو سعد الى نيسابور فباع جميع املاكه وجاء الى بغداد وكتب الى القائم بأمر الله يلتمس منه خربة يبنى فيها رباطا وكانت له خدمة فى زمن البساسيرى فأذن له وامر بعرض المواضع عليه فبنى الرباط وجمع الاصحاب واحضر ابابكر الطريثيثى واركب رجلا جملا فدخل راكبا من الباب فقال يا ابابكر قد امتثلت ما رسمت ثم جاء الغرق فى سنة ست وستين فهدم الرباط فأعاده اجود مما كان وكان قبل بناء الرباط ينزل فى رباط عتاب فخرج يوما فرأى الخبز النقى فقال فى نفسه ان الصوفية لا يرون مثل هذا فان قدر لى بناء رباط شرطت فى سجله ان لا يقدم بين يدى الصوفية خشكار فهم الآن على ذلك وتوفى ليلة الجمعة ودفن من يومه تاسع ربيع الآخر من هذه السنة (٢) ودفن فى مقبرة باب ابرز وقد نيف على السبعين واوصى ان يستخلف ابنه فاستخلف وكان له اثنا عشرة سنة .

١٢ – احمد بن الحسن

ابن محمد بن على بن العباس بن احمد بن العطار الوكيل ابو الحسن بن ابى يعلى بن ابى بكر بن الحسن ولد سنة احدى واربعمائة وسمع اباعلى بن شاذان وابا القاسم الخرقى وابا الحسن بن مخلد وغيرهم روى عنه اشياخنا وكان عالما بالوكالة

(١) فى الاصل سعيد – وفى الشذرات – سعد (٢) وفى الشذرات مات سنة ٤٧٩

ابو المكارم على بن احمد البخارى .

وفى ربيع الاول قبلت شهادة الارموى وابن الرزاز والهيتى وابى الفرج بن ابى خازم بن الفراء وانفرد الامام المسترشد اياما لايخرج من حجرته الخاصة هو ووالدته وجارية حتى ارجف عليه وكان السبب . . . (1) وقيل بل شغل قلبه .

وفى جمادى الاولى خلع على ابى على بن صدقة ولقب جلال الدين وظهر فى هذا الشهر غيم عظيم وجاء مطر شديد وهبت ريح قوية اظلمت معها السماء وكثر الضجيج والاستغاثة حتى ارتج البلد .

وذكر أن دبيسا راسل المسترشد إنه كان من شرطى فى اعادة الامير ابى الحسن انى اراه اى وقت اردت وقد ذكر أنه على حالة صعبة ، فقيل له ان احببت ان تدخل اليه فافعل او تنفذ من يختص بك فيراه او يكتب اليك بخطه فاما ان يخرج هو فلا . وكان قد ندم على تسليمه .

وورد كتب من سنجر فيها اقطاع للخليفة بخمسين الف دينار وللوزير بعشرة آلاف ، ورد الى الوزير العمارة والشحنكية ووزارة خاتون .

وفى شعبان وصل ابن الطبرى بتوقيع من السلطان بتدريس النظامية .

وعلى استقبال شوال وصل القاضى الهروى وتلقاه الوزير بالمهد واللواء ومعه حاجب الباب والنقيبان وقاضى القضاة والجماعة وحمل على فرس من الخاص ونزل باب النوبى وقبل الارض ثم حضر فى اليوم الثالث والعشرين فوصل الى المسترشد فاوصل له كتبا وحمل من سنجر ثلاثين تختا من الثياب وعشرة مماليك وهدايا كثيرة .

وفى العشر الاوسط من ذى الحجة اعتمد ابو الحسين احمد بن قاضى القضاة ابى الحسن الدامغانى الى امرأة فاشهد عليها بجملة من المال دينا له عليها وقال هذه اختى زوجة ابن يعيش وشهد عليهما شاهدان الارموى والمنبجى فلما علمت اخته وزوجها انكرا ذلك وشكيا الى المسترشد فكشفت الحال فقال انى اخطأت فى اسمها وانما هى اختى الصغرى فابدل اسم باسم فوافقه على ذلك المنبجى واما

(1) كأنه سقط شىء — ح

الارموى

الارموى فقال ما شهدت الاعلى الكبرى وكشط من الكتاب الكبرى وكتب اسم الصغرى فصعب هذا عند الخليفة وتقدم فى حقه بالعظائم واختفى ابو الحسين فحضر اخوه تاج القضاة عند شيخ الشيوخ اسمعيل واحضر كتابا فيه اقرار بنت الزينبى زوجة الوزير عميد الدولة بن صدقة لاخيها قاضى القضاة الاكمل بجملة كبيرة من المال اما ثلاثة آلاف او نحوها وفيه خطوط اثنى عشر شاهدا وانه ثبت على قاضى القضاة ابى الحسن الدامغانى انه زور على اخته وظهر هذا للشهود حتى رجعوا عن الشهادة فان كان اخى قد اخطأ ومعه شاهد واحد وقد خالفه شاهد واحد فهذا قاضى القضاة اليوم يكذبه اثناعشر شاهدا ، فكتب شيخ الشيوخ الى الخليفة بالحال فخرج التوقيع بالسكوت عن القصتين جميعا ، ذكر هذا شيخنا ابو الحسن ابن الزاغونى فى تاريخه .

وفى هذه السنة شدد التضييق على الامير ابى الحسن وسد الباب وابقى منه موضع تصل منه الحوائج ثم احضره وقال له قد وجد فى قبة دارك تشعيث ولعله منك وانك قد عزمت على الهرب مرة اخرى وجرى بينهما خطاب طويل وحلف انه لم يفعل وتنصل ثم اعيد الى موضعه على التضييق .

وورد الخبر بان دبيس بن مزيد كسر المنبر الذى فى مشهد على عليه السلام والذى فى مشهد الحسين وقال لا تقام هاهنا جمعة ولا يخطب لأحد .

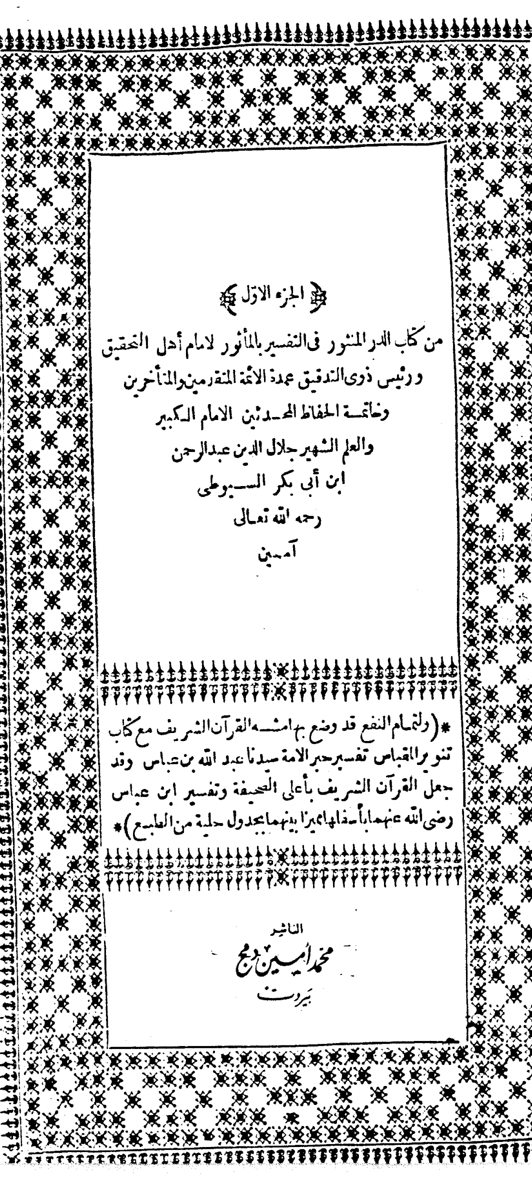
ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٣٥٦ - ابراهيم بن على

ابن ابراهيم بن يوسف ابوغالب النوبندجانى الصوفى ونوبندجان من نواحى فارس سمع من ابن المهتدى وابن النقور وغيرهما وحدث وكان صالحا دينا وتوفى ليلة نصف شعبان ودفن عند رباط الزوزنى .

٣٥٧ - احمد بن محمد

ابن شاكر الجزاء ابوسعد ابن القزوينى سمع منه ومن المشارى والجوهرى



الجزء الاول

من كتاب الدر المنثور فى التفسير بالمأثور لامام أهل التحقيق
ورئيس ذوى التدقيق عمدة الائمة المتقدمين والمتأخرين
وخاتمة الحفاظ المحدثين الامام الكبير
والعلم الشهير جلال الدين عبد الرحمن
ابن أبى بكر السيوطى
رحمه الله تعالى
آمين

*(ولتمام النفع قد وضع بهامشه القرآن الشريف مع كتاب
تنوير المقباس تفسير حبر الامة سيدنا عبد الله بن عباس وقد
جعل القرآن الشريف بأعلى الصحيفة وتفسير ابن عباس
رضى الله عنهما بأسفلها مميزا بينهما بجدول حلية من الطبع)*

الناشر
محمد امين دمج
بيروت

و جدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون) بحبس من لم نجد متاعنا عنده (فلما استيأسوا منه) أيسوا منه (خلصوا نجيا) خلوا نجيا المناجاة فيما بينهم (قال كبيرهم) أعقلهم في العقل وهو يهوذا (ألم تعلموا) يا اخوتاه (ان ابا كم قد أخذ عليكم موثقا من الله) لتردنه على (ومن قبل) من قبل هذا الغلام (ما فرطتم) ما تركتم عهده وميثاقه (في يوسف فلن أبرح الارض) أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) بالرجوع ويقال باذن لى أبى حتى انا جزهم القتال (أو يحكم الله لى) في رد أخي (وهو خير) أفضل (الحاكمين) في رده الى ثم قال لهم يهوذا (ارجعوا) يا اخوتى (الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق) صواع الملك اناء من ذهب ويقال أخذ بالسرقة ان قرأت بضم السين وخفض الراء بالتشديد (وما شهدنا الا بما علمنا) رأينا ان السرقة أخرجت من رحله (وما كنا للغيب حافظين) يقول لو علمنا الغيب ماذهبنا به ويقال ما كنا له بالليل حافظين (واسئل القرية) أهل القرية (التى كنا فيها) وهى قرية من قرى مصر (والعير) أهل العير (التى أقبلنا فيها) جئنا معهم وكان صحبهم قوم من كنعان (وانا لصادقون) فيما قلنا لك فقالوا ليعقوب هذا القول (قال) يعقوب لهم (بل سولت) زينت

عما يعلم به على أهل دينه فحلف فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى قوله ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاصى ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدى بن بداء * وأخرج البخارى فى تاريخه والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر والنحاس والطبرانى وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن ابن عباس قال خرج رجل من بنى سهم مع تميم الدارى وعدى بن بداء فمات السهمى بأرض ليس فيها مسلم فأوصى اليهما فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله ما كتمتماها ولا اطلعتما ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدى فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم وأخذوا الجام وفيهم نزلت يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم * وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عكرمة قال كان تميم الدارى وعدى بن بداء رجلين نصرانيين يتجران الى مكة فى الجاهلية ويطيلان الاقامة بها فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم حولا متجرهما الى المدينة فخرج بديل بن أبى مارية مولى عمرو بن العاصى تاجرا حتى قدم المدينة فخرجوا جميعا تجارا الى الشام حتى اذا كانوا ببعض الطريق اشتكى بديل فكتب وصيته بيده ثم دسها فى متاعه وأوصى اليهما فلما مات فتحا متاعه فأخذا منه شيأ ثم حجراه كما كان وقدما المدينة على أهله فدفعا متاعه ففتح أهله متاعه فوجدوا كتابه وعهده وما خرج به وفقدوا شيأ فسألوهما عنه فقالوا هذا الذى قبضناه ودفع اليناه فقالوا لهما هذا كتابه بيده قالوا ما كتمنا له شيأ فترافعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله انا اذا لمن الآثمين فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستحلفوهما فى دبر صلاة العصر بالله الذى لا اله الا هو ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه فمكثا ما شاء الله أن يمكثا ثم ظهر معهما على اناء من فضة منقوش مموه بذهب فقال أهله هذا من متاعه قالا نعم ولكنا اشتريناه منه ونسينا أن نذكره حين حلفنا فكرهنا ان نكذب نفوسنا فترافعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية الاخرى فان عثر على أنهما استحقا اثما فأمر النبى صلى الله عليه وسلم رجلين من أهل الميت أن يحلفا على ما كتما وغيبا ويستحقانه ثم ان تميما الدارى أسلم وبايع النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول صدق الله ورسوله أنا أخذت الاناء ثم قال يا رسول الله ان الله يظهرك على أهل الارض كلها فهب لى قريتين من بيت لحم وهى القرية التى ولد فيها عيسى فكتب له بهما كتابا فلما قدم عمر الشام أتاه تميم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أنا حاضر ذلك فدفعها اليه * وأخرج عبد بن حميد عن عاصم انه قرأ شهادة بينكم مضاف ورفع شهادة بغير نون ويخفض بينكم * وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والنحاس من طريق على عن أبى طلحة عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم هذا لمن مات وعنده المسلمون أمره الله ان يشهد على وصيته عدلين من المسلمين ثم قال أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم فى الارض فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين أمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين فان ارتيب بشهادتهما استحلفا بالله بعد الصلاة ما اشترينا بشهادتنا ثمنا فان اطلع الاولياء على أن الكافرين كذبا فى شهادتهما قام رجلان من الاولياء فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة فذلك قوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما يقول ان اطلع على ان الكافرين كذبا قام الاوليان فحلفا انهما كذبا ذلك أدنى ان يأتى الكافران بالشهادة على وجهها أو يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم فتترك شهادة الكافرين ويحكم بشهادة الاوليان فليس على شهود المسلمين اقسام انما الاقسام اذا كانا كافرين * وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس فى قوله اثنان ذوا عدل منكم قال من أهل الاسلام أو آخران من غيركم قال من غير أهل الاسلام وفى قوله فيقسمان بالله يقول يحلفان بالله بعد الصلاة وفى قوله فآخران يقومان مقامهما قال من أولياء الميت فيحلفان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما يقول فيحلفان بالله ما كان صاحبنا ليوصى بهذا وانهما لكاذبان وفى قوله ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم يعنى أولياء الميت فيستحقون ماله بايمانهم ثم يوضع ميراثه كما أمر الله وتبطل شهادة الكافرين وهى منسوخة * وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية اثنان ذوا عدل منكم قال ما من الكتاب الا

(لكم أنفسكم أمرا) ففعلتموه (فصبر جميل) فعلى صبر جميل بلا جزع (عسى الله) لعل الله (ان يأتينى بهم جميعا) بيوسف وأخيه من أبيه وأمه بنيامين ويهوذا (انه هو العليم) بمكانهم (الحكيم) بردهم على (وتولى عنهم) خرج من بينهم (وقال يا أسفا) يا حزنا (على يوسف وابيضت عيناه من الحزن) من البكاء (فهو كظيم) مغموم يتردد حزنه فى جوفه (قالوا) ولده وولد ولده (تالله) والله (تفتأ) لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) حتى تكون دنفا (أو تكون من الهالكين) بالموت (قال) يعقوب (انما أشكو بثى) ادفع غمى (وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) يقول أعلم ان رؤيا يوسف صادقة وانا لنسجد له ويقال اعلم من رحمة الله وجميل نظره وصنعه ما لا تعلمون ويقال أعلم ان يوسف حى لم يمت لانه دخل عليه ملك الموت فقال له هل قبضت روح ابنى يوسف فيمن قبضت قال لا فبذلك قال (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فاستخبروا واطلبوا خبر يوسف وأخيه بنيامين (ولا تيأسوا من روح الله) من رحمة الله (انه لا ييأس من روح الله) من رحمة الله (الا القوم الكافرون) بالله ورحمته (فلما دخلوا عليه) على يوسف فى المرة الثالثة (قالوا يا أيها العزيز مسنا) أصابنا (وأهلنا الضر) الجوع (وجئنا ببضاعة

الا وقد جاء على شئ جاء على ادلاله غير هذه الآية ولئن انا لم أخبركم الا انا أجهل من الذى يترك الغسل يوم الجمعة هذا رجل خرج مسافرا ومعه مال فادركه قدره فان وجد رجلين من المسلمين دفع اليهما تركته وأشهد عليهما عدلين من المسلمين فان لم يجد عدلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب فان أدى فسبيل ما أدى وان هو جحد استحلف بالله الذى لا اله الا هو دبر صلاة ان هذا الذى وقع الى وما غيبت شيأ فاذا حلف برئ فاذا أتى بعد ذلك صاحبا الكتاب فشهدا عليه ثم ادعى القوم عليه من تسميتهم ما لهم جعلت ايمان الورثة مع شهادتهم ثم اقتطعوا حقه فذلك الذى يقول الله ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم * وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن مجاهد شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت قال ان يموت المؤمن فيحضر موته مسلمان أو كافران لا يحضره غير اثنين منهم فان رضى ورثته ما عاينا عنه من تركته فذلك ويحلف الشاهدان انهما صادقان فان عثر قال وجد لطخ أو لبس أو تشبيه حلف الاثنان الاولان من الورثة فاستحقا وأبطلا ايمان الشاهدين * وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والضياء فى المختارة عن ابن عباس فى قوله أو آخران من غيركم قال من غير المسلمين من أهل الكتاب * وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن سعيد بن المسيب فى قوله اثنان ذوا عدل منكم قال من أهل دينكم أو آخران من غيركم قال من أهل الكتاب اذا كان ببلاد لا يجد غيرهم * وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن شريح قال لا تجوز شهادة اليهودى ولا النصرانى الا فى وصية ولا تجوز فى وصية الا فى سفر * وأخرج عبد الرزاق وأبو عبيد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه والحاكم وصححه عن الشعبى ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاء ولم يجد أحدا من المسلمين يشهد على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى الاشعرى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعرى هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما * وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم فى قوله شهادة بينكم الآية كلها قال كان ذلك فى رجل توفى وليس عنده أحد من أهل الاسلام وذلك فى أول الاسلام والارض حرب والناس كفار الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة وكان الناس يتوارثون بينهم بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل المسلمون بها * وأخرج ابن جرير عن الزبير قال مضت السنة ان لا تجوز شهادة كافر فى حضر ولا سفر انما هى فى المسلمين * وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال هذه الآية منسوخة * وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن عكرمة أو آخران من غيركم قال من المسلمين من غير حيه * وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد والنحاس وأبو الشيخ والبيهقى فى سننه اثنان ذوا عدل منكم قال من قبيلتكم أو آخران من غيركم قال من غير قبيلتكم ألا ترى انه يقول تحبسونهما من بعد الصلاة كلهم من المسلمين * وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من طريق عقيل قال سألت ابن شهاب عن هذه الآية قلت أرأيت الاثنين الذين ذكر الله من غير أهل المرء الموصى أهما من المسلمين أو هما من أهل الكتاب ورأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما أتراهما من أهل المرء الموصى أم هما فى غير المسلمين قال ابن شهاب لم نسمع فى هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أئمة العامة سنة أذكرها وقد كنا نتذاكرها أناسا من علمائنا أحيانا فلا يذكرون فيها سنة معلومة ولا قضاء من امام عادل ولكنه مختلف فيها رأيهم وكان أعجبهم فيها رأيا الينا الذين كانوا يقولون هى فيما بين أهل الميراث من المسلمين يشهد بعضهم الميت الذى يرثونه ويغيب عنه بعضهم ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوى القربى فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضروا من وصية فان سلموا أجازت وصيته وان ارتابوا ان يكونوا بدلوا قول الميت وآثروا بالوصية من أرادوا ممن لم يوص اليهم الميت بشئ حلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة وهى ان المسلمين يقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فاذا أقسما على ذلك جازت شهادتهما وايمانهما ما لم يعثر على أنهما استحقا اثما فى شئ من ذلك قام آخران مقامهما من أهل الميراث من الخصم الذين ينكرون ما شهد عليه الاولان المستحلفان أول مرة فيقسمان بالله لشهادتنا على تكذيبكما وابطال ما شهدتما به وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين * وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبى حاتم

ولباسهم فيها حرير
وهدوا الى الطيب
من القول وهدوا
الى صراط الحميد ان
الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله والمسجد
الحرام الذي جعلناه
للناس سواء العاكف
فيه والباد

ـــــــــــــــــــــــ

داخل النار معكم (وما
منا) قال جبريل عليه
السلام ومامنا (الا له
مقام معلوم) معروف
في السماء (وانا لنحن
الصافون) في الصلاة
(وانا لنحن المسبحون)
المصلون (وان كانوا)
وقد كان أهل مكة
(ليقولون) قبل مجيء
محمد صلى الله عليه وسلم
اليهم (لو أن عندنا ذكرا
من الاولين) رسولا
مثل رسل الاولين كما
كان للاولين (لكنا
عباد الله المخلصين)
الموحدين (فكفروا
به) بمحمد عليه السلام
والقرآن حين جاءهم
(فسوف يعلمون) ماذا
يفعل بهم عند الموت وفي
القبر ويوم القيامة
(ولقد سبقت) وجبت
(كلمتنا) بالنصرة والدولة
(لعبادنا المرسلين انهم
لهم المنصورون) بالحجة
والعذر (وان جندنا)
الرسل والمؤمنين (لهم
الغالبون) بالحجة والعدد
الى يوم القيامة (فتول
فاعرض يامحمد (عنهم)

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله يصهر به مافي بطونهم والجلود قال يسقون ماء اذا دخل بطونهم اذابها والجلود مع البطون * وأخرج عبد حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله يصهر به مافي بطونهم قال يذاب اذابة * وأخرج ابن أبي شيبة عن الضحاك مثله * وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة يصهر به قال يذاب * وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء الخراساني في قوله يصهر به قال يذاب كما يذاب الشحم * وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله ولهم مقامع قال مطارق * وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن قال كان عمر يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد *وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الارض ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان *وأخرج ابن المبارك وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن سلمان قال النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها ثم قرأ كلما أرادوا ان يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها * وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر القاري انه قرأ هذه الآية كلما أرادوا ان يخرجوا منها من غم فبكى وقال أخبرني زيد بن أسلم في هذه الآية ان أهل النار في النار لا يتنفسون *وأخرج ابن ابي حاتم عن الفضيل بن عياض في الآية قال والله ما طمعوا في الخروج لان الارجل مقيدة والايدي موثقة ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها * قوله تعالى (ولباسهم فيها حرير) * أخرج البخاري ومسلم عن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة * وأخرج النسائي والحاكم عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب في الآخرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة * وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قال ابن الزبير من قبل نفسه ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة لان الله تعالى قال ولباسهم فيها حرير *وأخرج النسائي والحاكم وابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه * قوله تعالى (وهدوا الى الطيب) الآية * أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله وهدوا الى الطيب قال ألهموا * وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله وهدوا الى الطيب من القول قال في الخصومة اذ قالوا الله مولانا ولا مولى لكم *وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن اسمعيل بن أبي خالد وهدوا الى الطيب من القول قال القرآن وهدوا الى صراط الحميد قال الاسلام *وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك وهدوا الى الطيب من القول قال الاخلاص وهدوا الى صراط الحميد قال الاسلام *وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله وهدوا الى الطيب من القول قال لا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الذي قال اليه يصعد الكلم الطيب * قوله تعالى (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس) * أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال الحرم كله هو المسجد الحرام * وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في قوله سواء العاكف فيه والباد قال خلق الله فيه سواء * وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير مثله * وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله سواء يعني شرعا واحدا العاكف فيه قال أهل مكة في مكة أيام الحج والباد قال من كان في غير أهلها من يعتكف به من الآفاق قال هم في منازل مكة سواء فينبغي لاهل مكة ان يوسعوا لهم حتى يقضوا مناسكهم * وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال البادي وأهل مكة سواء في المنزل والحرم * وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد وعطاء سواء العاكف فيه والباد قال الا سواء في تعظيم البلد وتحريمه * واخرج عبد بن حميد والبيهقي في شعب الايمان عن قتادة في الآية قال سواء في جواره وأمنه وحرمته العاكف فيه أهل مكة والباد من يعتكفه من أهل الآفاق * وأخرج عبد بن حميد عن ابن حصين قال سألت سعيد بن جبير أعتكف بمكة قال لا أنت معتكف

ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب أليم

ـــــــــــــــــــــــ

من كفار مكة (حتى
حين) الى وقت هلاكهم
يوم بدر (وأبصرهم)
أعلمهم عذاب الله
(فسوف يبصرون)
يعلمون ماذا يفعل بهم
(أفبعذابنا يستعجلون)
أفبمثل عذابنا يستعجلون
قبل أجله (فاذا نزل
بساحتهم) بقربهم
(فساء صباح المنذرين)
فبئس الصباح لمن
أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا
(وتول) أعرض (عنهم)
يامحمد (حتى حين) الى
وقت هلاكهم يوم بدر
(وأبصر) اعلم (فسوف
يبصرون) يعلمون ماذا
يفعل بهم (سبحان ربك)
نزه نفسه عن الولد
والشريك (رب العزة)
المنعة والقدرة (عما
يصفون) يقولون من
الكذب (وسلام) منا
سلامة (على المرسلين)
بتبليغهم الرسالة (والحمد
لله) الشكر والوحدانية
لله بنجاة الرسل وهلاك
قومهم (رب العالمين)
سيد الانس والجن
*(ومن السورة التي
يذكر فيها ص وهي
كلها مكية آياتها ست
وثمانون آية وكلماتها
سبعمائة واثنتان
وثلاثون كلمة وحروفها
ثلاثة آلاف وستة
وستون حرفا)*

ما أنت قال الله سواء العاكف فيه والباد *وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مجاهد في الآية قال الناس بمكة سواء ليس أحد أحق بالمنازل من أحد * وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن عبد الله بن عمر وقال من أخذ من أجور بيوت مكة شيئا انما يأكل في بطنه نارا * وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن عطاء انه كان يكره ان تباع بيوت مكة أو تكرى *وأخرج عبد بن حميد عن ابراهيم انه كان يكره اجارة بيوت مكة *وأخرج عبد بن حميد عن ابن عمران عمر نهى أن تغلق أبواب دور مكة فان الناس كانوا ينزلون منها حيث وجدوا حتى كانوا يضربون فساطيطهم في الدور *وأخرج ابن سعد عن عمر بن الخطاب ان رجلا قال له عند المروة يا أمير المؤمنين اقطعني مكانا لي ولعقبي فاعرض عنه عمر وقال هو حرم الله سواء العاكف فيه والباد *وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد قال بيوت مكة لا تحل اجارتها * وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن جريج قال أنا قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز على الناس بمكة ينهاهم عن كراء بيوت مكة ودورها *وأخرج ابن أبي شيبة عن القاسم قال من أكل شيئا من كراء مكة فانما يأكل نارا * وأخرج ابن أبي شيبة عن عطاء قال كان عمر يمنع أهل مكة ان يجعلوا لها أبوابا حتى ينزل الحاج في عرصات الدور * وأخرج ابن أبي شيبة عن جعفر عن أبيه قال لم يكن للدور بمكة أبواب كان أهل مصر وأهل العراق يأتون فيدخلون دور مكة *وأخرج ابن ابي شيبة عن ابن سابط في قوله سواء العاكف فيه والباد قال البادي الذي يجيء من الحج والمقيمون سواء في المنازل ينزلون حيث شاؤا ولا يخرج رجل من بيته *وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى سواء العاكف فيه والباد قال سواء المقيم والذي يرحل * وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله سواء العاكف فيه والباد قال ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام *وأخرج ابن مردويه عن ابن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال مكة مباحة لا تؤجر بيوتها ولا تباع رباعها *وأخرج ابن أبي شيبة وابن ماجه عن علقمة بن نضلة قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة الا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن * وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن عمر انه قال يا أهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادي حيث شاء * وأخرج الدارقطني عن ابن عمر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكل كراء بيوت مكة أكل نارا * قوله تعالى (ومن يرد فيه بالحاد) الآية * أخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن راهويه وأحمد وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود رفعه في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال لو ان رجلا هم فيه بالحاد وهو بعدن أبين لاذاقه الله تعالى عذابا أليما * وأخرج سعيد بن منصور والطبراني عن ابن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال من هم بخطيئة فلم يعملها في سوى البيت لم تكتب عليه حتى يعملها ومن هم بخطيئة في البيت لم يمته الله من الدنيا حتى يذيقه من عذاب أليم *وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في عبد الله بن أنيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه مع رجلين أحدهما مهاجري والآخر من الانصار فافتخروا في الانساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الانصاري ثم ارتد عن الاسلام وهرب الى مكة فنزلت فيه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يعني من لجأ الى الحرم بالحاد يعني بميل عن الاسلام * وأخرج عبد الرزاق وابن جرير والبيهقي في شعب الايمان عن قتادة في قوله ومن يرد فيه بالحاد الآية قال من لجأ الى الحرم ليشرك فيه عذبه الله *وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال بشرك * وأخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال هو ان يعبد فيه غير الله * وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ومن يرد فيه بالحاد بظلم يعني ان تستحل من الحرام ماحرم الله عليك من لسان أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فاذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم * وأخرج ابن جرير عن حبيب بن أبي ثابت في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال هم المحتكرون الطعام بمكة *وأخرج البخاري في تاريخه وعبد بن حميد وأبو داود وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن يعلى بن امية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه * وأخرج سعيد بن منصور والبخاري

جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ

للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد:
ابن الأثير الجزري
٥٤٤ - ٦٠٦هـ
رحمه الله وغفر لنا وله

أشرف على طبعه
العلامة الفقيه الأستاذ الأكبر
الشيخ عبد المجيد سليم
شيخ الجامع الأزهر

حققه
محمد حامد الفقي
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

الطبعة الأولى
١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م

الطبعة الثانية
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

الطبعة الثالثة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الطبعة الرابعة
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

وأثنى عليه . ثم قال : أما بعدُ ، أيها الناس . فإن الناس يكثرون ، وتَقِلُّ الأنصار ، حتى يكونوا كالملح في الطعام . فمن وَلِيَ منكم أمرًا يَضُرُّ فيه أحداً أو ينفعُه ، فَلْيَقْبَلْ من محسنهم . ويتجاوزْ عن مسيئهم » .

وفي رواية مثله . وفيه « بملحفة . وقد عصب رأسه بعصابة دَهْماء – وذكره – وقال : فمن وَلِيَ منكم شيئا يَضرّ فيه قوماً ، وينفع فيه آخرين ، فليقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم . فكان آخرَ مجلسٍ جلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم » أخرجه البخاري .

٦٧١١ (ت – أبو سعيد الخدري رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا إن عَيْبَتي التي آوي إليها : أهلُ بيتي . وإن كَرِشِيْ الأنصارُ ؛ فاعْفُوا عن مسيئهم ، واقبلوا من محسنهم » أخرجه الترمذي

٦٧١٢ (ت – أنس بن مالك رضي الله عنه) أن أبا طلحة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَقْرِئْ قومَك السلام ؛ فإنهم ما علمتُ : أَعِفَّةٌ صُبُرٌ » أخرجه الترمذي .

٦٧١٣ (خ م ت س – أُسيد بن حضير رضي الله عنه) أن رجلاً من الأنصار قال « يا رسول الله ، ألا تستعملني ، كما استعملت فلانا ؟ فقال : إنكم ستلقون بعدي أَثَرةً . فاصْبروا حتى تلقوني على الحوض » . أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

٦٧١٤ (خ – أنس بن مالك رضي الله عنه) قال « دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار لِيَكْتُبَ لهم بالبَحْرَيْن . فقالوا : لا والله ،

حتى تكتبَ لإخواننا من قريش بمثلها . فقال : ذلك لهم ما شاء الله ، كلَّ ذلك يقولون له . قال : فإنكم سترون أَثَرَةً ، فاصبروا حتى تلقوني » .

وفي رواية « دعا الأنصارَ إلى أن يُقْطِعَ لهم البحرين ، فقالوا : لا ، إلا أن تُقْطِعَ لإخواننا من المهاجرين مِثْلَها . فقال : إمّا لا ، فاصبروا حتى تلقوني ؛ فإنه سَيُصيبكم أَثَرةٌ بعدي » .

وفي رواية : أنه قال للأنصار « إنكم ستلقون بعدي أثَرةً ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

أخرج الثانية والثالثة البخاري . والأولى ذكرها رزين .

٦٧١٥ (خ – قتادة) قال « ما نَعْلَمُ حيًّا من أحياء العرب أكثر شهيداً أعزّ يوم القيامة من الأنصار . قال : وقال أنس رضي الله عنه : قُتِلَ منهم يوم أُحُدٍ سبعون ، ويوم بئر مَعونةَ سبعون ، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر سبعون » أخرجه البخاري .

٦٧١٦ (خ – عائشة رضي الله عنها) قالت « كان يومُ بُعاث يوماً قَدَّمه الله لرسوله . فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افْتَرَق مَلَؤُهم ، وقُتِلَتْ سَرَوَاتُهم ، وَجُرِّحوا . فقدمه الله لرسوله في دخولهم في الإسلام » أخرجه البخاري .

٦٧١٧ ([1]) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « يُسَمّي خَيْلَنا خَيْلَ الله ، ويقول : ياخَيْلَ الله اركبي » أخرجه رزين .

(١) كذا بياض بالأصل .

ما يكفيني وَوَلَدِى ، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خُذِى مايكفيكِ بالمعروفِ » .

وفى رواية « إن أبا سفيان رجل مَسِيك ، هَلْ علىَّ حَرَجٌ أن أُطْعِمَ من الذى له عِيالَنَا بالمعروف ؟ » أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

٨١١٣ (ط ـ القاسم بن محمد رحمه الله) قال : جاء رجل إلى ابن عباس . فقال « إن لى يتيما ، وله إبلٌ . أفأشرب من لَبَن إبله ؟ فقال له ابن عباس : إن كنتَ تَبْغِى ضالَّة إبله ، وتَهْنَأُ جَرْباءها ، وتَلِيطُ حوضها ، وتَسْقِيهاَ يوم وِرْدِها . فاشرب غير مُضِرٍّ بِنَسْلٍ ، ولا ناهِكٍ فى الحَلْب » أخرجه الموطأ .

٨١١٤ (عائشة رضى الله عنها) قالت « يأ كل الوصِيُّ بقدر عمالته » أخرجه رزين

الثانى : أجرة كَتْب القرآن وتعليمه

٨١١٥ (خ ـ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أحَقَّ ماأخذتم عليه أجراً كتابُ الله » أخرجه البخارى فى ترجمة باب

٨١١٦ (عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) أنه سُئل عن أجرة كتابة المصحف ؟ فقال « لا بأس ، إنما هم مُصَوِّرُون . وإنما يأ كلون من عمل أيديهم » أخرجه رزين .

الثالث : فى أرزاق العمال

٨١١٧ (د ـ بريدة رضى الله عنه) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من استعملناه على عمل ، فرزقناه رزقا . فما أخذَ بعد ذلك فهو غُلول » أخرجه أبو داود

٨١١٨ (د ـ المستورد بن شداد رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ كان لنا عاملاً فليكتسب زَوْجَةً ، وإن لم يكن له خادم

فليكتسب خادماً . وإن لم يكن له مسكَنٌ فليكتسب مَسْكَنًا . قال أبو بكر[١] أُخْبِرْتُ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من اتخذ غير ذلك فهو غالٌّ أو سارقٌ » أخرجه أبو داود .

٨١١٩ (خ ـ عائشة رضى الله عنها) قالت « لما استُخْلِفَ أبو بكر . قال : لقد عَلِمَ قومى أن حِرْفَتِى لم تكن تَعْجِزُ عن مؤنة أهلى ، وشُغِلْتُ بأمر المسلمين . فيأ كل آلُ أبى بكر من هذا ، ويحترف للمسلمين فيه » أخرجه البخارى .

٨١٢٠ (س ـ عبد الله بن السعدى رضى الله عنه) أنه قدم على عمر فى خلافته فقال له عمر « ألم أُحَدَّث أنك تلى من أعمال الناس أعمالا . فإذا أُعْطِيتَ العُمالة كرهْتَها ؟ فقلت : بلى . قال عمر : ماتريد إلى ذلك ؟ فقلت : إن لى أفراساً وأعْبُداً وأنا بخير ، وأريد أن تكون عُمَالَتِى صدقة على المسلمين . قال عمر : لا تفعل . فإنى كنت أردت الذى أردتَ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء . فأقول : أعْطِهِ أفقر إليه منى ، حتى أعطانى مَرَّةً مالا . فقلت : أعْطِهِ أفقر إليه منى . فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذه فَتَمَوَّلْهُ وتَصَدَّقْ به . فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشرافٍ فخذه . ومالا فلا تُتْبِعْهُ نَفْسك » .

أخرجه النسائى . وقد أخرج هو والبخارى ومسلم وأبو داود هذا المعنى نحوه ، وهو مذكور فى كتاب القناعة من حرف القاف .

الرابع : فى الإقطاع

٨١٢١ (د ت ـ وائل بن حجر رضى الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقْطَعَهُ أرضاً بِحَضْرَمَوْتَ . وكان معاوية أميراً بها إذ ذاك . وكتب إليه

(١) يشبه أن يكون الصديق ، وقد رواه أحمد فى المسند من عدة طرق عن المستورد . وليس فيه « قال أبو بكر » .

ـطيَهُ إياها . فطلب معاوية أن يُرْدِفَه على دابته ، فأبى ، وقال : لستَ من أرداف ولـ . ثم جاءه بعدُ فى خلافته فأعطاه . فقال : ليتنى حَمَلْتُكَ إذ ذاك »

وفى رواية « أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطعَهُ أرضاً بحضرَمَوْتَ » زاد رواية « وبعث معه معاوية لِيُقطِعَها إيَّاهُ » أخرج الأولى رزين ، والتى بعدها ـرجها الترمذى . وأخرج أبو داود الثانية بغير الزيادة .

٨١٢٢ (ط د - كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى) عن أبيه عن جده ، رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقطع بلال بنَ الحارث المزنى مَعادن القَبَلِيَّة ـسِيَّها وغوريَّها - وفى رواية : جَلْسَها وغَوْرَها - وحيث يصلح الزرعُ من قُدْس ، يُعطِه حق مسلم . وكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد ـول الله بلال بن الحارث ، أعطاه مَعادنَ القَبَلِيَّة جَلْسِيَّها وغوريَّها - زاد فى رواية : ـرْسها وذات النصُب ، ثم اتفقتا - وحيث يَصلح الزرعُ مِنْ قُدسٍ . ولم يُقْطِعْهُ ـَّ مُسْلِمٍ » زاد فى رواية « وكَتَبَ أُبَىّ بنُ كعب » أخرجه أبو داود[١] . وقال رواية « وكتب ثَور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس مثله » .

وفى رواية للموطأ ولأبى داود قال مالك : بلغنى عن ربيعة بن عبد الرحمن ـ غير واحد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقطعَ بلال بن الحارث مَعادن ـبَلية . وهى من ناحية الفَرْعِ . وتلك المعادن لا يؤخذ منها إلا الزكاة حتى اليوم »

٨١٢٣ (د ت - أبيض بن حَمال رضى الله عنه) « أنه وفَدَ إلى رسول الله ـلى الله عليه وسلم فاستقطعه الملح الذى بمأرِبَ ، فقطعه له . فلما أن ولّى قال رجل ـ المجلس : أتدرى ما قطعت له يارسول الله ؟ إنما قطعتَ له الماءَ العِدَّ . فانتزَعه منه

---

(١) قال المنذرى (رقم ٢٩٤٠) قال أبو عمر : غريب من حديث ابن عباس . وكثير عبد الله لا يحتج بحديثه .

قال : وسألته عمَّا يُحْمَى مِنَ الأراكِ ؟ قال : ما لم تَنَلْهُ أخفاف الإبل » قال أبو داود قال محمد بن الحسن المخزومي : يعنى أن الإبل تأكل منتهى رءوسها ، ويُحْمَى ما فوقَهُ أن يُنْقَصَ »

وفى رواية « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حِمَى الأراكِ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حِمَى فى الأراكِ . فقال : أراكةٌ من حِظَارِى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا حِمَى فى الأراكِ » .

قال فرج - وهو ابن سعيد السبأى المأربى - يعنى « بحظاري » الأرضَ التى فيها الزرع المُحَاطُ عليها . أخرجه أبو داود . وأخرج الترمذى الأولى .

٨١٢٤ (د - عبد الله بن حسان العنبرى) قال : حدثتنى جدَّتاى صَفِيَّةُ وَدُحَيْبَةُ ابنتا عُلَيْبَةَ - وكانتا ربيبتى قَيْلَةَ بنتِ مخرمة . وكانت جدَّةَ أبيهما - أنها أخبرتْهُمَا . قالت « قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتقدم صاحبى - تعنى حُرَيْثَ بن حسان وَافِدَ بكر بن وائل - فبايَعَهُ على الإسلام ، عليه وعلى قومه ، ثم قال : يارسول الله ، اكتُبْ بيننا وبين بني تميم بالدهناء : أن لا يجاوزها إلينا منهم أحدٌ إلا مُسافرٌ أو مجاورٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب له ياغلامُ بالدهناء . قالت : فلما رأيته قد أمَرَ له بها شُخِصَ بى ، وهى دارى ووطنى . فقلت : يارسول الله ، إنه لم يسألكَ السويَّةَ من الأرض إذ سألك ؛ إنما هذه الدهناء عندك مُقَيَّدُ الجمل ، ومَرْعَى الغنم ، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك . فقال : أمْسِكْ ياغلامُ . صدقت المسكينة . المُسلِمُ أخو المسلِمِ ، يسعهما الماء والشجر . ويتعاونان على الفُتَّانِ » قال أبو داود : الفتان الشيطان .

٨١٢٥ (د - سبرة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة بن معبد) عن أبيه عن جده « أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل موضع المسجد تحت دَوْمَةٍ . فأقام ثلاثا ،

مطيَّةُ إياها . فطلب معاويةُ أن يُرْدِفَه على دابته ، فأبى ، وقال : لَسْتَ من أرداف
لوك . ثم جاءه بعدُ في خلافته فأعطاه . فقال : ليتني حَمَلْتُكَ إذ ذاك »

وفي رواية « أن النبي صلى الله عليه وسلم أَقْطَعَهُ أرضاً بحضرَمَوْتَ » زاد
رواية « وبعث معه معاوية لِيُقْطِعَها إيَّاهُ » أخرج الأولى رزين ، والتي بعدها
رجها الترمذي . وأخرج أبو داود الثانية بغير الزيادة .

٨١٢٢ (ط د - كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني) عن أبيه عن جده
رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقطع بلال بنَ الحارث المزني مَعادن القَبَلِيَّة
سيَّهَا وغوريَّها - وفي رواية : جَلْسَهَا وغَوْرَها - وحيث يصلح الزرعُ من قُدْسٍ ،
يُعطِه حق مسلم . وكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد
ول الله بلال بن الحارث ، أعطاه مَعادنَ القَبَلِيَّة جَلْسيَّها وغوريَّها - زاد في رواية :
رسها وذات النصب ، ثم اتفقتا - وحيث يَصلح الزرعُ مِنْ قُدسٍ . ولم يُقْطِعْهُ
مُسْلِمٍ » زاد في رواية « وكَتَبَ أُبَيّ بْنُ كعب » أخرجه أبو داود[1] . وقال
رواية « وكتب ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس مثله » .

وفي رواية للموطأ ولأبي داود قال مالك : بلغني عن ربيعة بن عبد الرحمن
غير واحدٍ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقطعَ بلال بن الحارث مَعادن
بَلية . وهي من ناحية الفَرْعِ . وتلك المعادن لا يؤخذ منها إلا الزكاة حتى اليوم »

٨١٢٣ (د ت - أبيض بن حَمّال رضي الله عنه) « أنه وفَدَ إلى رسول الله
الله عليه وسلم فاستقطعه الملح الذي بمأْرِبَ ، فقطعه له . فلما أن وَلَّى قال رجل
المجلس : أتدري ماقطعت له يارسول الله ؟ إنما قطعتَ له الماءَ العِدَّ . فانتزعه منه

(١) قال المنذري (رقم ٢٩٤٠) قال أبو عمر : غريب من حديث ابن عباس . وكثير
عبد الله لايحتج بحديثه .

قال : وسألته عمَّا يُحْمَى مِنَ الأراك ؟ قال : مالم تَنَلْهُ أخفاف الإبل » قال أبو داود
قال محمد بن الحسن المخزومي : يعني أن الإبل تأكل منتهى رءوسها ، ويُحْمَى
ما فوقَهُ أن يُنْقَصَ »

وفي رواية « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حِمَى الأراك ؟ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حِمَى في الأراكِ . فقال : أراكةٌ من حِظَارِي ؟
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا حِمَى في الأراكِ » .

قال فرج - وهو ابن سعيد السبائي المأربي - يعني « بحظاري » الأرضَ التي
فيها الزرع المُحاطُ عليها . أخرجه أبو داود . وأخرج الترمذي الأولى .

٨١٢٤ (د - عبد الله بن حسان العنبري) قال : حدثني جَدَّتايَ صَفِيَّةُ وَدُحَيْبَةُ
ابنتا عُلَيْبَةَ - وكانتا ربيبتي قَيْلَةَ بنتِ مخرمة . وكانت جَدَّةَ أبيهما - أنها أخبرتْهُمَا .
قالت « قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتقدم صاحبي - تعني حُرَيْثَ
بن حسانٍ وَافِدَ بكر بن وائل - فبايَعَهُ على الإسلام ، عليه وعلى قومه ، ثم
قال : يارسول الله ، اكْتُبْ بيننا وبين بني تميم بالدهناء : أن لايجاوزها إلينا منهم
أحدٌ إلا مُسافرٌ أو مجاوزٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب له ياغلامُ
بالدهناء . قالت : فلما رأيته قد أمَرَ له بها شُخِص بي ، وهي داري ووطني . فقلت :
يارسول الله ، إنه لم يسألكَ السويَّةَ من الأرض إذ سألك ؛ إنما هذه الدهناء عندك
مُقَيَّدُ الجمل ، ومَرْعَى الغنم ، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك . فقال : أَمْسِكْ ياغلامُ .
صدقت المسكينة . المُسلِمُ أخو المسلِمِ ، يسعهما الماء والشجر . ويتعاونان على
الفَتَّانِ » قال أبو داود : الفتان الشيطان .

٨١٢٥ (د - سبرة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة بن معبد) عن أبيه عن
جده « أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل موضع المسجد تحت دَوْمَةٍ . فأقام ثلاثاً ،

ـطيَهُ إياها . فطلب معاويةُ أن يُرْدِفَه على دابته ، فأبى ، وقال : لَسْتَ من أرداف
ـوك . ثم جاءه بعدُ فى خلافته فأعطاه . فقال : ليتنى حَمَلْتُكَ إذ ذاك »

وفى رواية « أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطعَهُ أرضاً بحضرَمَوْتَ » زاد
ـ رواية « وبعث معه معاوية لِيُقْطِعَها إيَّاهُ » أخرج الأولى رزين ، والتى بعدها
ـرجها الترمذى . وأخرج أبو داود الثانية بغير الزيادة .

٨١٢٢ (ط د ـ كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى) عن أبيه عن جده
ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقطع بلال بنَ الحارث المزنى مَعادن القَبَلِيَّة
ـسيَّهَا وغوريَّها ـ وفى رواية : جَلْسَيَّها وغَوْرها ـ وحيث يصلح الزرعُ من قُدْسٍ ،
ـ يُعطه حق مسلم . وكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد
ـول الله بلال بن الحارث ، أعطاه مَعادنَ القَبَلِيَّة جَلْسِيَّها وغوريَّها ـ زاد فى رواية :
ـرسها وذات النصُب ، ثم اتفقتا ـ وحيث يَصلح الزرعِ مِنْ قُدسٍ . ولم يُقْطِعْهُ
ـ مُسْلِمٍ » زاد فى رواية « وكَتَبَ أُبَيّ بنُ كعب » أخرجه أبو داود[1] . وقال
ـ رواية « وكتب ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس مثله » .

وفى رواية للموطأ ولأبى داود قال مالك : بلغنى عن ربيعة بن عبد الرحمن
ـ غير واحد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقطع بلال بن الحارث مَعادن
ـبلية . وهى من ناحية الفُرْع . وتلك المعادن لا يؤخذ منها إلا الزكاة حتى اليوم »

٨١٢٣ (د ت ـ أبيض بن حمال رضى الله عنه) « أنه وفَدَ إلى رسول الله
ـ الله عليه وسلم فاستقطعه الملح الذى بمأرِبَ ، فقطعه له . فلما أن وَلَّى قال رجل
المجلس : أتدرى ماقطعت له يارسول الله ؟ إنما قطعتَ له الماء العِدّ . فانتزعه منه

---

(١) قال المنذرى (رقم ٢٩٤٠) قال أبو عمر : غريب من حديث ابن عباس . وكثير
عبد الله لا يحتج بحديثه .

قال : وسألته عَمّا يُحمَى مِنَ الأراك ؟ قال : مالم تَنَلْهُ أخفاف الإبل » قال أبو داود
قال محمد بن الحسن المخزومي : يعنى أن الإبل تأكل منتهى رءوسها ، ويُحمَى
ما فوقَهُ أن يُنْقَصَ »

وفى رواية « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حِمَى الأراك ؟ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حِمَى فى الأرَاكِ . فقال : أراكَةٌ من حِظَارِى ؟
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا حِمَى فى الأرَاكِ » .

قال فرج ـ وهو ابن سعيد السبأى المأربى ـ يعنى « بحظاري » الأرضَ التى
فيها الزرع المُحَاطُ عليها . أخرجه أبو داود . وأخرج الترمذى الأولى .

٨١٢٤ (د ـ عبد الله بن حسان العنبرى) قال : حدثنى جَدَّتَاى صَفِيَّةُ وَدُحَيْبَةُ
ابنتا عُلَيْبَةَ ـ وكانتا ربيبتى قَيْلَةَ بِنْتِ مخرمة . وكانت جَدَّةَ أبيهما ـ أنها أخبرَتْهُمَا .
قالت « قدمْنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتقدم صاحبى ـ تعنى حُرَيْثَ
بن حسانٍ وَافِدَ بكر بن وائل ـ فبايَعَهُ على الإسلام ، عليه وعلى قومه ، ثم
قال : يارسول الله ، اكْتُبْ بيننا وبين بني تميم بالدهناء : أن لايجاوزها إلينا منهم
أحدٌ إلا مُسافرٌ أو مجاورٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب له ياغلامُ
بالدهناء . قالت : فلما رأيته قد أمَرَ له بها شُخِصَ بى ، وهى دارى ووطنى . فقلت :
يارسول الله ، إنه لم يسألْكَ السويَّةَ من الأرض إذ سألك ؛ إنما هذه الدهناء عندك
مُقَيَّدُ الجمل ، ومَرْعَى الغنم ، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك . فقال : أمْسِكْ ياغلامُ .
صدقت المسكينة . المُسلِمُ أخو المسلِمُ ، يسعهما الماء والشجر . ويتعاونان على
الفَتَّانِ » قال أبو داود : الفتان الشيطان .

٨١٢٥ (د ـ سبرة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة بن معبد) عن أبيه عن
جده « أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل موضع المسجد تحت دَوْمَةٍ . فأقام ثلاثاً ،

طيّه إياها . فطلب معاوية أن يُرْدِفَه على دابته ، فأبى ، وقال : لَسْتَ من أرداف
ولك . ثم جاءه بعدُ فى خلافته فأعطاه . فقال : ليتنى حَمَلْتُكَ إذ ذاك »

وفى رواية « أن النبى صلى الله عليه وسلم أَقطعَهُ أرضاً بحضرَمَوْتَ » زاد
رواية « وبعث معه معاوية لِيُقْطِعَها إيَّاهُ » أخرج الأولى رزين ، والتى بعدها
رجها الترمذى . وأخرج أبو داود الثانية بغير الزيادة .

٨١٢٢ (ط د - كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى) عن أبيه عن جده
رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقطع بلال بنَ الحارث المزنى مَعادن القَبَلِيَّة
سيَّها وغوريَّها - وفى رواية : جَلْسَها وغَوْرها - وحيث يصلح الزرعُ من قُدْس ،
يُعطِه حق مسلم . وكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد
ول الله بلال بن الحارث ، أعطاه مَعادنَ القَبَلِيَّة جَلْسِيَّها وغوريَّها - زاد فى رواية :
رْسها وذات النصُب ، ثم اتفقتا - وحيث يَصلح الزرع مِنْ قُدس . ولم يُقطِعْهُ
ّ مُسْلِمٍ » زاد فى رواية « وكَتَبَ أُبَيّ بنُ كعب » أخرجه أبو داود(1) . وقال
رواية « وكتب ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس مثله » .

وفى رواية للموطأ ولأبى داود قال مالك : بلغنى عن ربيعة بن عبد الرحمن
غير واحد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقطع بلال بن الحارث مَعادن
بَلية . وهى من ناحية الفَرْعِ . وتلك المعادن لا يؤخذ منها إلا الزكاة حتى اليوم »

٨١٢٣ (د ت - أبيض بن حمال رضى الله عنه) « أنه وفَدَ إلى رسول الله
لى الله عليه وسلم فاستقطعه الملح الذى بمأرِبَ ، فقطعه له . فلما أن وَلّى قال رجل
المجلس : أتدرى ماقطعت له يارسول الله ؟ إنما قطعتَ له الماء العِدّ . فانتزعه منه

(1) قال المنذرى (رقم ٢٩٤٠) قال أبو عمر : غريب من حديث ابن عباس . وكثير
عبد الله لا يحتج بحديثه .

قال : وسألته عَمّا يُحْمَى مِنَ الأراك ؟ قال : مالم تَنَلْهُ أخفاف الإبل » قال أبو داود
قال محمد بن الحسن المخزومي : يعنى أن الإبل تأكل منتهى رءوسها ، ويُحْمَى
ما فوقَهُ أن يُنْقَصَ »

وفى رواية « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حِمَى الأراك ؟ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حِمَى فى الأرَاكِ . فقال : أراكةٌ من حِظَارِى ؟
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا حِمَى فى الأراكِ » .

قال فرج - وهو ابن سعيد السبأى المأربى - يعنى « بحظاري » الأرضَ التى
فيها الزرع المُحَاطُ عليها . أخرجه أبو داود . وأخرج الترمذى الأولى .

٨١٢٤ (د - عبد الله بن حسان العنبرى) قال : حدثتنى جَدَّتَايَ صَفِيَّةُ وَدُحَيْبَةُ
ابنتا عُلَيْبَةَ - وكانتا ربيبتى قَيْلَةَ بنْتِ مَخْرَمة . وكانت جدَّةَ أبيهما - أنها أخبرَتْهُمَا .
قالت « قدمْنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتقدم صاحبى - تعنى حُرَيْثَ
بن حسانٍ وَافِدَ بكر بن وائل - فبايَعَهُ على الإسلام ، عليه وعلى قومه ، ثم
قال : يارسول الله ، اكتُبْ بيننا وبين بني تميم بالدهناء : أن لا يجاوزها إلينا منهم
أحدٌ إلا مُسافرٌ أو مجاورٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب له ياغلامُ
بالدهناء . قالت : فلما رأيتُه قد أمَرَ له بها شُخِص بى ، وهى دارى ووطنى . فقلت :
يارسول الله ، إنه لم يسألْكَ السويَّةَ من الأرض إذ سألك ؛ إنما هذه الدهناء عندك
مُقَيَّدُ الجمل ، ومَرْعَى الغنم ، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك . فقال : أمْسِكْ ياغلامُ .
صدقت المسكينة . المُسلِمُ أخو المسلِمِ ، يسعهما الماء والشجر . ويتعاونان على
الفَتَّانِ » قال أبو داود : الفتان الشيطان .

٨١٢٥ (د - سبرة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة بن معبد) عن أبيه عن
جده « أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل موضع المسجد تحت دَوْمَةٍ . فأقام ثلاثا ،

خرج إلى تَبوكَ ، وأن جُهينة لحقوه بالرَّحْبَةِ . فقال لهم : مَنْ أهل ذى المروة ؟
الوا : بنو رفاعة من جهينة . فقالوا : قد أقطعتها لبنى رفاعة ، فاقتسموها . فمنهم
ن باع ، ومنهم من أمْسَكَ فعمل . ثم سألتُ أباه عبد العزيز عن هذا الحديث ؟
دَّثني ببعضه ، ولم يحدثني به كله » أخرجه أبو داود .

٨١٢٦ (د - عبد الله بن عمر رضى الله عنهما) « أن رسول الله صلى الله
يه وسلم أقطع الزبير حُضْرَ فَرَسِه . فأجرى فَرَسَهُ حتى قام ، ثم رَمَى سَوْطَهُ .
ال : أَعْطُوهُ من حيث بلغ السوطُ » أخرجه أبو داود .

٨١٢٧ (د - عمرو بن حريث رضى الله عنه) قال « خطَّ لى رسول الله صلى الله
يه وسلم داراً بالمدينة بقَوسٍ . وقال : أَزْبُدُكَ ؟ أَزْبُدُكَ[1] ؟ » أخرجه أبو داود

الخامس : فى كسب الحجّام

٨١٢٨ (خ م د ت عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) « أن رسول الله صلى الله
يه وسلم احْتَجَمَ . وأعطى الحجامَ أَجْرَهُ . واسْتَعَطَ » أخرجه البخارى ومسلم .

ولمسلم قال « حَجَمَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عَبْدٌ لبنى بَيَاضَةَ . فأعطاه النبي
جْرَهُ . وكلَّمَ سَيِّدَهُ ، فَخَفَّفَ عنه من ضريبته ، ولو كان سُحْتًا لم يعطه النبيُّ
لى الله عليه وسلم » وفى رواية أبى داود « لو عَلِمَهُ خبيثاً لم يُعطِهِ »

٨١٢٩ (خ م ط د ت حميد الطويل) قال : سمعت أنساً رضى الله عنه
قول « دَعَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غُلامًا لَنَا حَجَّامًا فَحَجَمَهُ . فأمَرَ له بِصَاعٍ
و صاعين ، أو بمدٍّ أو مُدَّين . وكلّم فيه فَخُفِّف عن ضَرِيبَتِهِ » .

وفى رواية قال « سُئِلَ أَنَسٌ عن أجر الحجام ؟ فقال : احتجم رسول الله
لى الله عليه وسلم ، حَجَمَهُ أبو طَيْبَةَ . وأعطاه صاعين من طعام . وكلَّمَ مواليه

(١) الزبد : العطاء .

خَفَّفوا عنه . وقال : إن أمْثَلَ ما تَدَاوَيْتُمْ به الحِجَامَةُ والقُسْطُ البحرىّ . فلا
تُعَذِّبُوا صِبْيانكم من الغَمْزِ من العُذْرَةِ . عليكم بالقسط » .

أخرجه البخارى ومسلم . وأخرج الترمذى إلى قوله « ماتَدَاوَيْتُمْ به
الحجامة » .

وفى رواية الموطأ وأبى داود قال « حَجَمَ أبو طَيْبَةَ رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم . فأمَرَ له بِصَاعٍ من تمرٍ ، وأمَرَ أهله أن يُخَفِّفُوا مِنْ خَرَاجِهِ »

السادس : فى أشياء متفرقة

٨١٣٠ (د - رجل من المهاجرين) من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال
« غَزَوْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثًا ، أسْمَعُه يقول : المسلمون شركاء
فى ثَلَاثٍ : الماء ، والكلأ ، والنار » أخرجه أبو داود .

٨١٣١ (د - أسمر بن مضرس الطائى) قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم
فقال « مَنْ سَبَقَ إلى مَاءٍ لَمْ يَسْبِقْهُ إليه مسلم فهو له . قال : فخرج القوم يَتَعَادَوْنَ
يتخاطُّون » أخرجه أبو داود[1] .

الفصل الثالث : فى المكروه والمحظور من المكاسب والمطاعم

وفيه نوعان : منهيات مشتركة

٨١٣٢ (خ م ط د ت س أبو مسعود رضى الله عنه) قال « نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ثَمَنِ الكلب ، ومَهْرِ البَغِيِّ ، وحُلْوَانِ الكاهِنِ » .

أخرجه الجماعة . وقال مالك : يعنى بمهر البغيّ : ماتُعْطَى المرأة على الزنا وحُلْوَانِ
الكاهن : رِشوته ، وما يعطى على أن يتكهّن .

(١) قال المنذرى (رقم ٢٩٤٧) قال أبو القاسم البغوى : لاأعلم . لهذا الاسناد حديثا
غير هذا .

خرج إلى تبوك ، وأن جُهينة لحقوه بالرَّحْبَة . فقال لهم : مَنْ أهل ذي المروة ؟
الوا : بنو رفاعة من جهينة . فقالوا : قد أقطعتها لبني رفاعة ، فاقتسموها . فمنهم
ن باع ، ومنهم من أمْسَكَ فعمل . ثم سألتُ أباه عبد العزيز عن هذا الحديث ؟
دَّثني ببعضه ، ولم يحدثني به كله » أخرجه أبو داود .

٨١٢٦ (د - عبد الله بن عمر رضي الله عنهما) « أن رسول الله صلى الله
ليه وسلم أقطع الزبير حُضْرَ فَرَسِه . فأجرى فَرَسَهُ حتى قام ، ثم رَمَى سَوْطَهُ .
ال : أَقْطِعُوهُ من حيث بلغ السوطُ » أخرجه أبو داود .

٨١٢٧ (د - عمرو بن حريث رضي الله عنه) قال « خطَّ لي رسول الله صلى الله
ليه وسلم داراً بالمدينة بقوس . وقال : أَزِيدُكَ ؟ أَزِيدُكَ[1] ؟ » أخرجه أبو داود

الخامس : في كسب الحجّام

٨١٢٨ (خ م د ت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) « أن رسول الله صلى الله
ليه وسلم احْتَجَمَ . وأعطى الحجامَ أجْرَهُ . واسْتَعَطَ » أخرجه البخاري ومسلم .

ولمسلم قال « حَجَمَ النبيّ صلى الله عليه وسلم عَبْدٌ لبني بَيَاضَةَ . فأعطاه النبي
جْرَهُ . وكلَّم سَيِّدَهُ ، فَخَفَّفَ عنه من ضريبته ، ولو كان سُحْتاً لم يعطه النبيُّ
صلى الله عليه وسلم » وفي رواية أبي داود « لو عَلِمَهُ خبيثاً لم يُعْطِهِ »

٨١٢٩ (خ م ط د ت حميد الطويل) قال : سمعت أنساً رضي الله عنه
يقول « دَعَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غُلاماً لنا حَجَّاماً فَحَجَمَهُ . فأمَرَ له بصاعٍ
و صاعين ، أو بمدٍّ أو مُدَّين . وكلّم فيه فَخُفِّف عن ضَريبَتِهِ » .

وفي رواية قال « سُئِلَ أَنَسٌ عن أجر الحجام ؟ فقال : احتجم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، حَجَمَهُ أبو طَيْبَةَ . وأعطاه صاعين من طعام . وكَلَّمَ مواليه

(١) الزبد : العطاء .

فَخَفَّفوا عنه . وقال : إن أمْثَلَ ما تداوَيْتُمْ به الحِجامَةُ والقُسْطُ البحريّ . فلا
تُعَذِّبُوا صِبْيانكم من الغَمْزِ من العُذْرَةِ . عليكم بالقسط » .

أخرجه البخاري ومسلم . وأخرج الترمذي إلى قوله « ماتَدَاوَيْتُمْ به
الحجامة » .

وفي رواية الموطأ وأبي داود قال « حَجَمَ أبو طَيْبَةَ رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم . فأمَرَ له بصاعٍ من تمرٍ ، وأمَرَ أهله أن يُخَفِّفُوا مِنْ خَرَاجِهِ »

السادس : في أشياء متفرقة

٨١٣٠ (د - رجل من المهاجرين) من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال
« غَزَوْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، أسْمَعُهُ يقول : المسلمون شركاء
في ثلاثٍ : الماء ، والكلأ ، والنار » أخرجه أبو داود .

٨١٣١ (د - أسمر بن مضرس الطائي) قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقال « مَنْ سَبَقَ إلى مالَمْ يَسْبِقْهُ إليه مسلم فهو له . قال : فخرج القوم يَتَعَادَوْنَ
يتخاطّون » أخرجه أبو داود[1] .

الفصل الثالث : في المكروه والمحظور من المكاسب والمطاعم

وفيه نوعان : منهيات مشتركة

٨١٣٢ (خ م ط د ت س أبو مسعود رضي الله عنه) قال « نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ثَمَنِ الكلب ، ومَهْرِ البَغِيِّ ، وحُلْوانِ الكاهن » .

أخرجه الجماعة . وقال مالك : يعني بمهر البغيّ : ماتُعْطَى المرأة على الزنا وحُلْوانِ
الكاهن : رِشوته ، وما يعطى على أن يتكهّن .

(١) قال المنذري (رقم ٢٩٤٧) قال أبو القاسم البغوي : لاأعلم . بهذا الاسناد حديثا
غير هذا .

خرج إلى تبوك ، وأن جُهينة لحقوه بالرَّحْبَة . فقال لهم : مَنْ أهل ذى المروة ؟
الوا : بنو رفاعة من جهينة . فقالوا : قد أقطعتها لبنى رفاعة ، فاقتسموها . فمنهم
ن باع ، ومنهم من أمْسَكَ فعمل . ثم سألتُ أباه عبد العزيز عن هذا الحديث ؟
دَّثنى ببعضه ، ولم يحدثنى به كله » أخرجه أبو داود .

٨١٢٦ (د ـ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما) « أن رسـول الله صلى الله
ليه وسلم أقطع الزبير حُضْرَ فَرَسِه . فأجرى فَرَسَهُ حتى قام ، ثم رَمَى سَوْطَهُ .
ال : أَقْطِعُوهُ من حيث بلغ السوطُ » أخرجه أبو داود .

٨١٢٧ (د ـ عمرو بن حريث رضى الله عنه) قال « خطَّ لى رسول الله صلى الله
يه وسلم داراً بالمدينة بقوسٍ . وقال : أَزْبُدُكَ ؟ أَزْبُدُكَ[1] ؟ » أخرجه أبو داود

الخامس : فى كسب الحجّام

٨١٢٨ (خ م د ق عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) « أن رسول الله صلى الله
يه وسلم احْتَجَمَ . وأعطى الحجام أجْرَهُ . واسْتَعَطَ » أخرجه البخارى ومسلم .

ولمسلم قال « حَجَمَ النبيّ صلى الله عليه وسلم عَبْدٌ لبنى بَيَاضَةَ . فأعطاه النبى
جْرَهُ . وكلَّم سَيِّدَهُ ، فَخَفَّفَ عنه من ضريبته ، ولو كان سُحْتًا لم يعطه النبيُّ
لى الله عليه وسلم » وفى رواية أبى داود « لو عَلِمَهُ خبيثاً لم يُعطِهِ »

٨١٢٩ (خ م ط د ت ق حميد الطويل) قال : سمعت أنساً رضى الله عنه
قول « دَعَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غُلامًا لَنَا حَجَّامًا فَحَجَمَهُ . فأمَرَ له بِصَاع
و صاعين ، أو مُدٍّ أو مُدَّين . وكلّم فيه فَخُفف عن ضَرِيبَتِهِ » .

وفى رواية قال « سُئِلَ أَنَسٌ عن أجر الحجام ؟ فقال : احتجم رسول الله
لى الله عليه وسلم ، حَجَمَهُ أبو طَيْبَةَ . وأعطاه صاعين من طعام . وكلَّمَ مواليه

(١) الزبد : العطاء .

خَفَّفُوا عنه . وقال : إن أَمْثَلَ ما تَدَاوَيْتُمْ به الحِجَامَةُ والقُسْطُ البحرىّ . فلا
تُعَذِّبُوا صِبْيانكم من الغَمْزِ من العُذْرَةِ . عليكم بالقسط » .

أخرجه البخارى ومسلم . وأخرج الترمذى إلى قوله « ماتَدَاوَيْتُمْ به
الحجامة » .

وفى رواية الموطأ وأبى داود قال « حَجَمَ أبو طَيْبَةَ رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم . فأمَرَ له بِصَاعٍ من تمرٍ ، وأمَرَ أهله أن يُخَفِّفُوا مِنْ خَرَاجِهِ »

السادس : فى أشياء متفرقة

٨١٣٠ (د ـ رجل من المهاجرين) من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال
« غَزَوْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ، أسْمَعُهُ يقول : المسلمون شركاء
فى ثَلَاثٍ : الماء ، والكلأ ، والنار » أخرجه أبو داود .

٨١٣١ (د ـ أسمر بن مضرس الطائى) قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم
فقال « مَنْ سَبَقَ إلى مَالَمْ يَسْبِقْهُ إليه مسلم فهو له . قال : فخرج القوم يتَعَادَوْنَ
يتخاطُّون » أخرجه أبو داود[1] .

الفصل الثالث : فى المكروه والمحظور من المكاسب والمطاعم

وفيه نوعان : منهيات مشتركة

٨١٣٢ (خ م ط د ت س ق أبو مسعود رضى الله عنه) قال « نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ثَمَنِ الكلب ، ومَهْرِ البَغِيّ ، وحُلْوَانِ الكاهِنِ » .

أخرجه الجماعة . وقال مالك : يعنى بمهر البغىّ : ماتُعْطَى المرأة على الزنا وحُلْوَانِ
الكاهن : رِشوته ، وما يعطى على أن يتكَهَّن .

(١) قال المنذرى (رقم ٢٩٤٧) قال أبو القاسم البغوى : لاأعلم . لهذا الاسناد حديثا
غير هذا .

الكامل في التاريخ

تأليف

الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف

بابن الأثير

دار صادر
للطباعة والنشر

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

فهم بها ، فنزل شُرَحْبيل بالنّاس فِحلاً ، وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال ، وكتبوا إلى عمر ، وكانت العرب تسمّي تلك الغزاة ذات الرَّدَغة وبَيْسان وفِحْل . وأقام النّاسُ ينتظرون كتاب عمر ، فاغترّهم الرومُ فخرجوا وعليهم سقلار بن مخْراق[1] ، فأتوهم والمسلمون حذرون ، وكان شُرَحْبيل لا يبيت ولا يصبح إلاّ على تعبية . فلمّا هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا أشدّ قتال كان لهم ليلتهم ويومهم إلى الليل ، وأظلم اللّيل عليهم وقد حاروا ، فانهزم الروم وهم حيارى وقد أُصيب رئيسهم سقلار والذي يليه [فيهم] نسطورس[1] ، وظفر المسلمون بهم وركبوهم ، ولم تعرف الروم مأخذهم ، فانتهت بهم الهزيمة إلى الوحل فركبوه ، ولحقهم المسلمون فأخذوهم ولا يمنعون يدَ لامِس[2] فوخزوهم بالرّماح ، فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالرداغ ، فأصيب الروم وهم ثمانون ألفاً لم يفلت منهم إلاّ الشريد ، وقد كان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون ، كرهوا البثوق والوحل ، فكانت عوناً لهم على عدوّهم وغنموا أموالهم فاقتسموها . وانصرف أبو عبيدة بخالد ومَنْ معه إلى حمص .

وممّن قُتل في هذه الحرب السائب بن الحارث بن قيس بن عديّ السّهميّ ، له صحبة .

(فِحْل بكسر الفاء ، وسكون الحاء المهملة ، وآخره لام) .

1) C. P. sine punctis ; بحراق .

١ نسطوس .
٢ بدُلامس .

ذكر فتح بلاد ساحل دمشق

لما استخلف أبو عُبَيْدة يزيدَ بن أبي سفيان على دمشق وسار إلى فِحْل سار يزيد إلى مدينة صَيْدا وعِرْقة وجُبَيْل وبَيروت . وهي سواحل دمشق . على مقدّمته أخوه معاوية ، ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيرٌ من أهلها ؛ وتولّى فتحَ عِرْقة معاوية بنفسه في ولاية يزيد . ثمّ إنّ الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأوّل خلافة عثمان . فقصدهم معاوية ففتحها ثمّ رمّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع .

ولما ولي عثمان الخلافة وجمع لمعاوية الشام وجّه معاويةُ سفيانَ بن مُجيب الأزديّ إلى طرابلس . وهي ثلاث مدن مجتمعة ، ثمّ بنى في مرج على أميال منها حصناً سُمّي حصن سُفيان وقطع المادّة عن أهلها من البرّ والبحر وحاصرهم . فلمّا اشتدّ عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدّهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى بلاد الروم ، فوجّه إليهم بمراكب كثيرة ركبوا فيها ليلاً وهربوا . فلمّا أصبح سفيان ، وكان يبيت هو والمسلمون في حصنه ثمّ يغدو على العدوّ ، وجد الحصن خالياً فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية ، فأسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود ، وهو الذي فيه المينا اليوم ، ثمّ بناه عبد الملك بن مروان وحصّنه . ثمّ نقض أهله أيّام عبد الملك ففتحه ابنه الوليد في زمانه .

ذكر فتح بَيْسان وطبرية

لما قصد أبو عُبَيْدة حِمْص من فِحْل أرسل شُرَحْبيل ومن معه إلى بيسان فقاتلوا أهلها ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً . ثمّ صالحهم مَنْ بقي على صُلح

أو شاء ، فقوّموا الإبل والغنم فتحاصّوها بالأثمان لعظم البُخت على العِراب [1] ، وكرهوا أن يزيدوا . وكتبوا إلى عمر بذلك ، فأجابهم : إذا رأيتم أن في البُخت فضلاً فزيدوا .

وقيل : إن الذي فتح كرمان عبد الله بن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر . ثمّ أتى الطَّبَسَين من كرمان . ثمّ قدم على عمر فقال : أقطعني الطَّبَسين . فأراد أن يفعل ، فقيل : إنّهما رستاقان ، فامتنع عمر من ذلك .

ذكر فتح سِجِستان

وقصد عاصم بن عمرو سجستان ، ولحقه عبد الله بن عمير ، فاستقبلهم أهلها ، فالتقوا هم وأهل سجستان في أداني أرضهم . فهزمهم المسلمون ، ثمّ اتبعوهم حتّى حصروهم بزَرَنْج ومخروا أرض سجستان ماه ، ثمّ إنّهم طلبوا الصلح على زَرَنج وما احتازوا من الأرضين فأُعطوا . وكانوا قد اشترطوا في صلحهم أن فدافدها حِمًى ، فكان المسلمون يتجنبونها خشية أن يصيبوا منها شيئاً فيُخفروا ، وأقيم [2] أهل سجستان على الخراج ، وكانت سجستان أعظم من خراسان وأبعد فروجاً ، يقاتلون القُنْدُهار والترك وأمماً كثيرة . فلم يزل كذلك حتّى كان زمن معاوية ، فهرب الشاه من أخيه رُتْبيل[1] إلى بلد فيها يدعى آمُل ، ودان لسَلْم بن زياد ، وهو يومئذ على سجستان ، [ففرح بذلك] وعقد لهم

1) C. P. h. l. s. p. ; B. رنسل , postea fere ubique زنبيل et رتبيل .

---

[1] العرب .
[2] قيّم .

وأنزلهم البلاد وكتب إلى معاوية بذلك يُري أنّه فُتح عليه . فقال معاوية : إنّ ابن أخي ليفرح بأمرٍ إنّه [1] ليحزنني [وينبغي له أن يحزنه] . قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنّ آمُل بلدة بينها وبين زَرَنج صعوبة وتضايق ، وهؤلاء قوم غُدُر ، فإذا اضطرب الحبل غداً [2] فأهون ما يجيء منهم أنّهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها . وأقرّهم على عهد سَلْم بن زياد . فلمّا وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل واعتصم منه رُتْبيل بمكانه ، ولم يرُضه ذلك حين تشاغل عنه الناس حتّى طمع في زَرَنج فغزاها وحصر من بها حتّى أتتهم الأمداد من البصرة ، وصار رُتْبيل والذين معه عصبة ، وكانت تلك البلاد مذلّلة إلى أن مات معاوية .

وقيل في فتح سجستان غير هذا ، وسيرد ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر فتح مُكْران

وقصد الحكم بن عمرو التغلبي مُكران حتّى انتهى إليها ، ولحق به شهاب ابن المخارق وسُهيل بن عديّ وعبد الله بن عبد الله بن عِتبان ، فانتهوا إلى دوين النهر ، وأهل مُكران على شاطئه ، فاستمدّ ملكُهم ملكَ السند ، فأمدّه بجيش كثيف ، فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقُتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم أيّاماً حتّى انتهوا إلى النهر ، ورجع المسلمون إلى مُكران فأقاموا بها . وكتب الحكم إلى عمرَ بالفتح وبعث إليه بالأخماس مع صُحار العبدي . فلمّا قدم المدينة سأله عمر عن مُكران ، فقال : يا أميرَ المؤمنين . هي

---

[1] ليفرح بإمارته .
[2] الحبل غدراً .

وغدروا . ففتح هَمِيد عنوةً واستبقى أهلها وأعطاهم أماناً وبنى بها قصراً يُعرف بقصر مجاشع ، وأتى السِّيرجان . وهي مدينة كرمان . فأقام عليها أيّاماً يسيرة وأهلها متحصّنون . فقاتلهم وفتحها عنوةً . فجلا كثير من أهلها عنها . وفتح جيرَفْت عنوةً . وسار في كرمان فدوّخ أهلها . وأتى القُفْص وقد تجمّع له خلق كثير من الأعاجم الذين جلوا ، فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم ، وهرب كثيرٌ من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمُكران وبعضهم بسجستان. فأُقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها واحتفروا لها القنيَّ في مواضع منها وأدّوا العشر منها.

ذكر فتح سجستان وكابُل وغيرهما

قد تقدّم ذكر فتح سِجستان أيّام عمر بن الخطّاب . ثمّ إن أهلها نقضوا بعده . فلمّا توجّه ابن عامر إلى خراسان سيّر إليها من كرمان الربيعَ بن زياد الحارثي . فقطع المفازة حتّى أتى حصن زالِق . فأغار على أهله يوم مهرجان وأخذ الدِّهقان ، فافتدى نفسه بأن غرز عَنَزَة وغمرها ذهباً وفضة وصالحه على صلح فارس . ثمّ أتى بلدة يقال لها كَرْكُويَه . فصالحه أهلها . وسار إلى زَرَنْج فنزل على مدينة رُوشت بقرب زَرَنْج . فقاتله أهلها وأصيب رجال من المسلمين . ثمّ انهزم المشركون وقُتل منهم مقتلة عظيمة . وأتى الربيعُ ناشِرُوذ ففتحها . ثمّ أتى شَرْواذ فغلب عليها . وسار منها إلى زرنج فنازلها وقاتله أهلها فهزمهم وحصرهم . فأرسل إليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فآمنه ، وجلس له الربيع على جسد من أجساد القتلى واتكأ على آخر وأمر أصحابه ففعلوا مثله . فلمّا رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف مع كلّ وصيف جام من ذهب . ودخل المسلمون المدينة . ثمّ سار منها إلى سَنَاروذ . وهي واد ، فعبره وأتى القرية التي بها مربط فرس رستم الشديد . فقاتله أهلها . فظفر بهم

ثمّ عاد إلى زَرَنْج وأقام بها نحو سنة ؛ وعاد إلى ابن عامر ، واستخلف عليها عاملاً ، فأخرج أهلُها العامل وامتنعوا .

فكانت ولاية الربيع سنة ونصفاً . وسبى فيها أربعين ألف رأس . وكان كاتبه الحسن البصري . فاستعمل ابنُ عامر عبدَ الرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان ، فسار إليها فحصر زرنج ، فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف . وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكَشّ من ناحية الهند ، وغلب من ناحية الرُّخَّج على ما بينه وبين الداوَر . فلمّا انتهى إلى بلد الداوَر حصرهم في جبل الزور[1] ثمّ صالحهم ودخل على الزور ، وهو صنم من ذهب ، عيناه ياقوتتان ، فقطع يده وأخذ الياقوتتين ، ثمّ قال للمرزبان : دونك الذهب والجوهر . وإنّما أردتُ أن أعلمك أنّه لا يضرّ ولا ينفع . وفتح كابُل وزابُلِستان ، وهي ولاية غزنة[2] . ثمّ عاد إلى زرنج فأقام بها حتّى اضطرب أمرُ عثمان ، فاستخلف عليها أُمَيرَ بن أحمر اليشكري وانصرف ، فأخرج أهلُها أُمَير بن أحمر وامتنعوا ؛ ولأمير يقول زياد بن[3] الأعجم :

لوْلا أُمَيرٌ هلكَتْ يَشكُرٌ   ويشكرٌ هَلكى على كلّ حالْ

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة عثمان . وفيها مات أبو الدرداء الأنصاري ، وهو بدري ، وقيل : سنة اثنتين وثلاثين . وفيها مات أبو طلحة الأنصاري .

1) C. P. الرور ; B. الرود ; Br. Mus. الروز .
2) C. P. et B. add. بعهد .
3) Om. S.

سبّ عليّ على منبر الريّ ، وبقي عليها إلى أن وليَ زياد الكوفة ، فأقرّه عليها ، وغزا الديلمَ ومعه عبد الله بن الحجّاج الثغلبي ، وقتل ديلميّاً وأخذ سلبه ، فأخذه منه كثير ، فناشده الله في ردّه عليه فلم يفعل ، فاختفى له وضربه على وجهه بالسيف أو بعصاً هشم وجهه ، فقال :

مَنْ مُبلغٌ أفناءَ خِندِفَ أنّني   أدركتُ طائلي من ابنِ شهابِ
أدركتُه ليلاً بعَقوَةِ دارِهِ   فضربْتُهُ قُدُماً على الأنيابِ
هلاّ خشيتَ وأنتَ عادٍ[1] ظالمٌ   بقصورِ أبهرَ أُسْرتي وعقابي[2]

ذكر ولاية بُسْر على البصرة

في هذه السنة وليَ بُسْر بن أبي أرطاة البصرة .

وكان السبب في ذلك أنّ الحسن لما صالح معاوية أوّل سنة إحدى وأربعين وثب حُمْران بن أبان على البصرة فأخذها وغلب عليها ، فبعث إليه معاويةُ بُسْرَ ابن أبي أرطاة وأمره بقتل بني زياد بن أبيه ، وكان زياد على فارس قد أرسله إليها عليّ بن أبي طالب ، فلمّا قدم بُسْر البصرة خطب على منبرها وشتم عليّاً ثمّ قال : نشدتُ الله رجلاً يعلم أنّي صادق إلاّ صدّقني أو كاذب إلاّ كذّبني . فقال أبو بكرة : اللهمّ إنّا لا نعلمك إلاّ كاذباً . قال : فأمر به فخُنق . فقام أبو لؤلؤة الضبّي فرمى بنفسه عليه فمنعه . وأقطعه أبو بكرة مائة جريب ، وقيل لأبي بكرة : ما حملك على ذلك ؟ فقال : يناشدنا بالله ثمّ لا نصدقه ؟

وأرسل معاوية إلى زياد : إنّ في يدك مالاً من مال الله فأدّ ما عندك منه .

1) C. P. عال ; R. غاز .   2) C. P. وصحابي .

فكتب إليه زياد : إنّه لم يبقَ عندي شيء ، ولقد صرفتُ ما كان عندي في وجهه ، واستودعتُ بعضه لنازلة إن نزلتْ ، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمة الله عليه . فكتب إليه معاوية : أن أقبِلْ ننظر فيما وليتَ فإن استقام بيننا أمر وإلاّ رجعتَ إلى مأمنك . فامتنع ، فأخذ بُسْر أولاد زياد الأكابر ، منهم : عبد الرحمن وعبيد الله وعبّاد ، وكتب إلى زياد : لتقدمنّ على أمير المؤمنين أو لأقتلنّ بنيك . فكتب إليه زياد : لستُ بارحاً من مكاني حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك ، وإن قتلتَ ولديّ فالمصير إلى الله ومن ورائنا الحسابُ ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[1] . فأراد بُسْر قتلهم فأتاه أبو بكرة فقال : قد أخذتَ ولد أخي بلا ذنب ، وقد صالح الحسنُ معاويةَ على ما أصاب أصحابُ عليّ حيث كانوا ، فليس [لك] عليهم ولا على أبيهم سبيل . وأجّله أيّاماً حتى يأتيه بكتاب معاوية ، فركب أبو بَكرة إلى معاوية ، وهو بالكوفة ، فلمّا أتاه قال له : يا معاوية إنّ الناس لم يُعْطوك بيعتَهم على قتْل الأطفال ! قال : وما ذاك يا أبا بَكرة ؟ قال : بُسْر يريد قتل بني أخي زياد . فكتب له بتخليتهم . فأخذ كتابه إلى بُسْر بالكفّ عن أولاد زياد ، وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد ، وقد أخرج بُسْر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم ، واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون أبا بَكرة إذ رُفع لهم على نجيب أو بِرْذَون يكدّه[2] ، فوقف عليه ونزل عنه وألاح بثوبه وكبّر وكبّر الناس معه ، فأقبل يسعى على رجلَيْه فأدرك بُسْراً قبل أن يقتلهم ، فدفع إليه كتاب معاوية ، فأطلقهم .

وقد كان معاوية كتب إلى زياد حين قُتل عليّ يتهدّده ، فقام خطيباً فقال : العجبُ من ابن آكلة الأكباد ، وكهف النفاق ، ورئيس الأحزاب يتهدّدني ،

1) Corani 26, vs. 227.   2) S.

ابن عمرو الطائيّ ، فافتتح من بلد التّرك رستاقاً وقرى كثيرة وأثّر فيها أثراً حسناً .

وفيها نقل أسد مَنْ كان بالبَرُوقان إلى بَلْخ من الجند وأقطع كلّ مَنْ كان له بالبروقان بقدر مسكنه ومَنْ لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً ، وأراد أن يُنْزِلهم على الأخماس فقيل له إنّهم ١ يتعصّبون فخلط ٢ بينهم . وتولّى بناء مدينة بلخ برمك أبو خالد بن برمك . وبينها وبين البروقان فرسخان .

وحجّ بالناس هذه السنة إبراهيم بن هشام ، وكان عمّال الأمصار مَنْ تقدّم ذكرهم في السنة قبلها .

وفيها مات سليمان بن يَسار وعمره ثلاث وسبعون سنة ، وعطاء بن يزيد الليثيّ وله ثمان وتسعون سنة ، ، وقد تقدّم ذكر وفاته سنة خمس ومائة[1] .

(يَسار بالياء المثنّاة من تحت ، وبالسين المهملة) .

1) R.

١ إن .

٢ فخلّوا .

١٠٨

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

ذكر غزوة الخُتّل والغُور

قيل : وفي هذه السنة قطع أسد النهر وأتاه خاقان فلم يكن بينهما قتال في هذه الغزوة ، وقيل: عاد مهزوماً من الخُتّل . وكان أسد قد أظهر أنّه يريد أن يشتو بسُرْخ دَرَه[1] ، فأمر الناسَ فارتحلوا . ووجّه راياته وسار في ليلة مظلمة إلى سُرْخ دَرَه[2] ، فكبّر الناسُ ، فقال : ما لهم ؟ فقالوا : هذه علامتهم إذا قفلوا . فقال للمنادي : نادِ إنّ الأمير يريد غوريين ، فمضى إليهم[3] ، فقاتلوهم يوماً وصبروا لهم . وبرز رجلٌ من المشركين بين الصفّين ، فقال سالم بن أحْوز لنصر بن سيّار : أنا حامل على هذا العلج فلعلّي أقتله فيرضى أسد ، فحمل عليه فطعنه فقتله ورجع سالم فوقف ثمّ قال لنصر : أنا حامل حملة أخرى ، فحمل فقتل رجلاً آخر ، وجُرِح سالم ، فقال نصر لسالم : قفْ حتّى أحمل عليهم ، فحمل حتّى خالط العدوّ فصرع رجلَيْن ورجع جريحاً وقال : أترى ما صنعنا يُرْضيه ؟ لا أرضاه الله ! قال : لا والله . قال : وأتاهما رسول أسد فقال : يقول لكما الأمير قد رأيتُ موقفكما وقلّة غَنائكما ١ عن المسلمين

1) C. P. بسرج دره ; Bodl. s. p.   2) Hic C. P. سرح درح .   3) Codd. إليها .

١ عنائكما .

ذكر خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادي

كان جماعة من بني هاشم وشيعة المهديّ قد خاضوا في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، والبيعة لموسى الهادي بن المهديّ. فلمّا علم المهديّ بذلك سرّه، وكتب إلى عيسى بن موسى بالقدوم عليه. وهو بقرية الرَّحْبَة، من أعمال الكوفة، فأحسّ عيسى بالذي يُراد منه، فامتنع من القدوم، فاستعمل المهديُّ على الكوفة رَوْحَ بن حاتم، للإضرار به، فلم يجد رَوْح إلى الإضرار به سبيلاً، لأنّه كان لا يقرب البلد إلّا كلّ جُمُعة أو يوم عيد.

وألحّ المهديّ عليه وقال له: إنّك إن لم تجبْني إلى أن تنخلع من ولاية العهد لموسى وهارون استحللتُ منك بمعصيتك، ما يُستحلّ من أهل المعاصي، وإن أجبتَني عوّضتُك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعاً؛ فلم يقدم عليه، وخيف انتقاضه، فوجّه إليه المهديّ عمّه العبّاس بن محمّد برسالة وكتاب يستدعيه، فلم يحضرْ معه، فلمّا عاد العبّاس، وجّه المهديُّ إليه أبا هُرَيرة محمّد بن فَرّوخ القائد في ألف من أصحابه ذوي البصائر في التشيّع للمهديّ، وجعل مع كلّ واحد منهم طبلاً، وأمرهم أن يضربوا طبولهم جميعاً عند قدومهم إليه. فوصلوا سَحَراً، وضربوا طبولهم، فارتاع عيسى روعاً شديداً، ودخل عليه أبو هريرة، وأمره بالشخوص معه، فاعتلّ بالشكوى، فلم يقبل منه وأخذه معه[1].

فلمّا قدم عيسى بن موسى نزل دار محمّد بن سليمان في عسكر المهديّ، فأقام أيّاماً يختلف إلى المهديّ ولا يُكلَّم بشيء، ولا يرى مكروهاً، فحضر الدارَ يوماً قبل جلوس[2] المهديّ فجلس في مقصورة للربيع، وقد اجتمع شيعة

---

1) Om. C. P. 2) A. حضور .

رؤساء المهديّ على خلعه، فثاروا به وهو في المقصورة، فأغلق الباب دونهم، فضربوا الباب بالعَمَد حتّى هشموه، وشتموا عيسى أقبح الشتم[1]، وأظهر المهديّ إنكاراً لما فعلوه، فلم يرجعوا، فبقوا في ذلك أيّاماً إلى أن كاشفه أكابر أهل بيته، وكان أشدّهم عليه محمّد بن سليمان.

وألحّ عليه المهديّ، فأبَى، وذكر أنّ عليه أيماناً في أهله وماله، فأحضر له من القضاة والفقهاء عدّة، منهم: محمّد بن عبد الله بن عُلاثة، ومسلم بن خالد الزّنجيّ، فأفتوه بما رأوا، فأجاب إلى خلع نفسه، فأعطاه المهديّ عشرة آلاف ألف درهم، وضياعاً بالزّاب وكَسْكَر، وخلع نفسه لأربع بقين من المحرّم، وبايع للمهديّ ولابنه موسى الهادي.

ثمّ جلس المهديّ من الغد، وأحضر أهل بيته، وأخذ بيعتهم، ثمّ خرج إلى الجامع، وعيسى معه، فخطب النّاس، وأعلمهم بخلع عيسى والبيعة للهادي، ودعاهم إلى البيعة، فسارع النّاس إليها، وأشهد على عيسى بالخلع، فقال بعض الشعراء:

كَرِهَ المَوْتَ أبو موسَى وَقَدْ ... كانَ في المَوْتِ نجاةٌ[2] وكَرَمْ
خلعَ المُلكَ وَأضْحَى مُلْبَساً ... ثوْبَ لُؤْمٍ ما تُرَى منهُ القَدَمْ

(الرُّحْبَة بضمّ الرّاء قرية عند الكوفة، وصُبِح بضمّ الصاد المهملة، وكسر **الباء الموحّدة**).

---

1) Om. A. 2) A. نجا .

نسبه ، فقال المهديّ : يا ابن سُميّة الزانية ! متى كنت ابن عمّي ؟ وغضب وأمر به ، فوُجىء في عنقه وأُخرج . وسأل عن استلحاق زياد ، ثمّ كتب إلى العامل بالبصرة بإخراج آل زياد من ديوان قُرَيش والعرب ، وردّهم إلى ثقيف ، وكتب في ذلك كتاباً بالغاً ، يذكر فيه استلحاق زياد ، ومخالفة حكم رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، فيه ، فأُسقطوا من ديوان قُرَيش ، ثمّ إنّهم بعد ذلك رَشَوا العمّال ، حتى ردّهم إلى ما كانوا عليه . فقال خالد النجّار :

إنّ زيـاداً ونافعـاً وأبا بَكرةَ عندي من أعجبِ العَجَبِ
ذا قُرَشيٌّ[1] كما يَقولُ وذا مَولًى وهذا بزعمه[1] عربي

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة توفّي عبد الله بن صَفْوان الجُمَحيّ ، أمير المدينة ، واستُعمل عليها مكانه محمّد بن عبد الله الكَثيريّ ، ثمّ عُزل واستُعمل مكانه زُفَر ابن عاصم الهلاليّ ، وجُعل على القضاء عبد الله بن محمّد بن عِمران الطلحيّ .

وفيها خرج عبد السلام الخارجيّ بنواحي الموصل .

وفيها عُزل بِسطام بن عمرو عن السّند ، واستُعمل عليها رَوْح بن حاتم ؛ وحجّ بالنّاس ، هذه السنة ، المهديّ ، واستخلف على بغداذ ابنه موسى وخاله يزيد بن منصور . واستصحب معه جماعة من أهل بيته . وابنه هارون الرشيد ،

1) C. P. قريشا .

١ ابن عمّه .

وكان معه يعقوب بن داود ، فأتاه بمكّة بالحسَن بن إبراهيم بن عبد الله العلويّ الذي كان استأمن له ، فوصله المهديّ وأقطعه .

وفيها نزع المهديّ كُسوة الكعبة وكساها ، كُسوة جديدة ، وكان سبب نزعها أنّ حجَبَة الكعبة[1] ذكروا له أنّهم يخافون على الكعبة أن تتهدّم لكثرة ما عليها من الكسوة ، فنزعها ، وكانت كُسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين ، وما قبلها من عمل اليمن ؛ وقسم مالاً عظيماً ، وكان معه من العراق ثلاثون ألف ألف درهم ، ووصل إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليمن مائتا ألف دينار ، ففرّق ذلك كلّه ، وفرّق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، ووسّع مسجد رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وأخذ خمسمائة من الأنصار يكونون حرَساً له بالعراق ، وأقطعهم بالعراق ، وأجرى عليهم الأرزاق .

وحمل إليه محمّد بن سليمان الثلج إلى مكّة ، وكان أوّل خليفة حُمل إليه الثلج إلى مكّة ، وردّ المهديّ على أهل بيته وغيرهم وظائفهم التي كانت مقبوضة عنهم .

وكان على البصرة ، وكُوَر دجلة ، والبحرين ، وعُمان ، وكور الأهواز ، وفارس ، محمّد بن سليمان ، وعلى خُراسان مُعاذ بن مسلم ، وباقي الأمصار على ما تقدّم ذكره .

وفيها أرسل عبدُ الرحمن الأمويّ بالأندلس أبا عثمان عبيد الله بن عثمان ، وتمام بن علقمة ، إلى شقنا ، فحاصراه شهوراً بحصن شَبَطْران ، وأعياهما أمره ، فقفلا عنه ، ثمّ إنّ شقنا ، بعد عودهما عنه ، خرج من شَبَطْرانَ إلى قرية من قُرى شَنْتَبَرِيّةَ راكباً على بغلته التي تُسمّى الخَلاصة ، فاغتاله

1) Om. A.

إلى الأمن والسكون .

وفيها أخذ الرشيد الخاتم من جعفر بن عيسى . فدفعه إلى أبيه[1] يحيَى ابن خالد .

وفيها ولّى جعفراً خُراسان وسجِستان . ثمّ عزله عنها بعد عشرين ليلة. واستعمل عليها عيسى بن جعفر . وولّى جعفر بن يحيَى الحرس .

وفيها هدم الرشيدُ سورَ الموصل بسبب العطّاف بن سفيان الأزديّ . سار إليها بنفسه ، وهدم سورها . وأقسم ليقتلنّ مَنْ لقي من أهلها . فأفتاه القاضي أبو يوسف ، ومنعه من ذلك ؛ وكان العطّاف قد سار عنها نحو أرمينية فلم يظفر به الرشيد ، ومضى إلى الرّقّة فاتّخذها وطناً .

وفيها عزل هَرْثَمةَ بن أعيَن عن إفريقية ، واستقدمه إلى بغداذ واستخلفه جعفر بن يحيَى على الحرس .

وفيها كانت بمصر زلزلة عظيمة سقط منها رأس منارة الإسكندريّة .

وفيها خرج حُرّاشة الشيبانيّ بالجزيرة ، فقتله مُسلم بن بكّار العُقَيليّ[1].

وفيها خرجت المُحمِّرة بجُرجان .

وفيها عُزل الفضلُ بن يحيَى عن طبرستان ، والرُّويان . ووليها عبد الله ابن خازم ، ووليَ سعيدُ بن سلم الجَزيرة . وغزا الصائفةَ محمّدُ بن معاوية ابن زُفَر بن عاصم .

وفيها سار الرشيد إلى الحيرة ، وابتنى بها المنازل . فأقطع أصحابه القطائع

1) Om. C. P.

١ أخيه .

فثار بهم أهل الكوفة . وأساءوا مجاورته ، فعاد إلى بغداذ .

وحجّ بالنّاس هذه السنة موسى بن عيسى بن موسى بن محمّد بن عليّ .

وفيها استعمل الرشيدُ على الموصل يحيَى بن سعيد الحَرَشيّ ، فأساء السيرة في أهلها . وظلمهم . وطالبهم بخراج سنين مضتْ . فجلا أكثر أهل البلد .

وفي هذه السنة توفّي المبارك بن سعيد الثّوْريّ أخو سفيان ؛ وسلمة الأحمر ؛ وسعيد بن خُثَيْم ؛ وأبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد ؛ وعبد العزيز بن أبي حازم ، وتوفّي وهو ساجد ؛ وأبو ضَمْرة أنَس بن عياض[1] اللّيثيّ المدنيّ .

وفيها أمر الرشيد ببناء مدينة عين زَرْبَى[1] وحصنها ، وسيّر إليها جنداً من أهل خراسان وغيرهم . فأقطعهم بها المنازل .

1) A. عباس .

١ زربة .

فنعل ذلك الرجل ما أمر ذو الرياستين . فأمر الأمين ابن ماهان بالمسير .

وقيل : كان سببه أنّ عليّاً قال للأمين إنّ أهل خراسان كتبوا إليه يذكرون أنّه إن قصدهم هو أطاعوه . وانقادوا له . وإن كان غيره ، فلا ! فأمره بالمسير . وأقطعه كُوَر الجبل كلّها : نهاوند . وهمَذان . وقُمّ . وأصبهان وغير ذلك . [وولاّه] حربَها وخراجَها . وأعطاه الأموال . وحكّمه في الخزائن . وجهّز معه خمسين ألف فارس . وكتب إلى أبي دُلَف القاسم بن ٥ إدريس بن عيسى[1] العِجْليّ . وهلال بن عبد الله الحَضرَميّ بالانضمام إليه . وأمدّه بالأموال والرجال شيئاً بعد شيء .

فلمّا عزم على المسير من بغداذ ركب إلى باب زبيدة أمّ الأمين ليودّعها ، فقالت له : يا عليّ ! إنّ أمير المؤمنين [و] إن كان ولدي وإليه انتهت[2] شفقتي . فإنّي على عبد الله منعطفةٌ . مشفقةٌ ، لما يحدث عليه من مكروه . وأذى . وإنّما ابني ملكٌ نافَسَ أخاه في سلطانه [وغارَه على ما في يده] ، والكريم يأكل لحمه ، ويُميقه غيره . فاعرفْ لعبد الله حقّ ولادته . وأُخوّته . ولا تجبهه بالكلام . فإنّك لستَ [له] بنظير . ولا تقتسرْه اقتسار العبيد . ولا توهِنْه بقيد ، ولا غلّ ، ولا تمنعْ عنه جارية . ولا خادماً . ولا تعنفْ عليه في السير ، ولا تساوه في المسير . ولا تركبْ قبله . وخُذْ بركابه . وإن شتمك فاحتملْ منه .

ثمّ دفعت إليه قيداً من فضّة . وقالت : إن صار إليك فقيّده بهذا القيد ! فقال لها : سأفعل مثل[3] ما أمرتِ .

ثمّ خرج عليُّ بن عيسى في شعبان . وركب الأمين يشيّعه ، ومعه القوّاد والجنود ، وذكر مشايخ بغداذ أنّهم لم يروا عسكراً أكثر رجالاً . وأفره

1) R. عيسى بن ادريس .   2) R. تذهب ; Br. Mus. تناهت .   3) R.

كُراعاً ، وأتمّ عدّةً وسلاحاً من عسكره ، ووصّاه الأمين . وأمره إن قاتله المأمون أن يحرص[1] على أسره .

ثمّ سار فلقيه القوافل عند جلولاء ، فسألهم . فقالوا له : إنّ طاهراً مقيم بالريّ يعرض أصحابه . ويرمّ آلته . والأمداد تأتيه من خُراسان ، وهو يستعدّ للقتال . فيقول : إنّما طاهر شوكة من أغصاني ، وما مثل طاهر يتولّى الجيوش ، ثمّ قال لأصحابه : ما بينكم وبين أن ينقصف انقصاف الشجر من الريح ، والريح العاصف ، إلاّ أن يبلغه عبورنا عقبة همَذان . فإنّ السّخال لا تقوى على النّطاح ، والبغال لا صبر لها على لقاء الأسد ، وإن أقام تعرّض لحدّ السيف وأسنّة الرماح ، وإذا ٥ قاربنا الرّيّ ودنونا منهم[1] فتّ ذلك في أعضادهم .

ثمّ أنفذ الكتب إلى ملوك الدّيلَم وطَبَرستان . وما والاها[2] من الملوك ، يعدهم الصلات . وأهدى لهم التيجان والأسْورة وغيرها ، وأمرهم أن يقطعوا طريق خُراسان . فأجابوه إلى ذلك ، وسار حتى أتى أوّل أعمال الريّ ، وهو قليل الاحتيال ، فقال له جماعة من أصحابه : لو أركبتَ العيون وعملتَ خندقاً لأصحابك ، وبعثتَ الطلائع لأمنتَ البياتَ . وفعلتَ الرأي . فقال : مثل طاهر لا يُستعدّ له ، وإنّ حاله يؤول إلى أمرين : إمّا [أن] يتحصّن بالرّيّ فيُبيّته أهلُها ، فيكفونا أمره . وإمّا أن يرجع ويتركها ، إذا قربت خيلنا منه ، فقالوا له : لو كان عزمه تركها والرجوع لفعل . فإنّنا قد قربنا منه فلم يفعل .

ولما صار بينه وبين الرّيّ عشرة فراسخ استشار طاهر أصحابه ، وأشاروا

1) C. P. صيرنا الري ورا ظهورنا .

١ يحرّض .
٢ ولاها .

قَتلُهُ مُذكِرٌ لقَتـلِ عليٍّ وحُسينٍ . ويوم أُوذي الرّسولُ
صَلَواتُ الإلهِ وقفـاً عليهم ما بكى[1] مُوجَعٌ وحَنّتْ[2] ثَكُولُ

ذكر ظهور الحسن بن زيد العلويّ

وفيها ظهر الحسن بن زيد بن محمّد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب . عليه السّلام . بطبرستان[3] .

وكان سبب ظهوره أنّ محمّد بن عبد الله بن طاهر لمّا ظفر بيحيى بن عمر أقطعه المستعين من ضواحي[1] السلطان بطبَرِستان قطائع منها قطيعة ، قرب ثغر الدّيلم . وهما[2] كُلار وشالوس . وكان بحذائهما أرض يحتطب منها أهل تلك الناحية . وترعى فيها مواشيهم . ليس لأحد عليها ملك . إنّما هي موات . وهي ذات غياض . وأشجار . وكلإٍ . فوجّه محمّد بن عبد الله نائبه لحيازة ما أُقطع ، واسمه جابر بن هارون النصرانيّ . وعاملُ طبرستان يومئذ سليمان ابن عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن طاهر خليفة محمّد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر . وكان الغالب على أمر سليمان محمّد بن أوس البلخيّ ، وقد فرّق محمّد هذا أولاده في مدن طبرستان ، وهم أحداث . سفهاء . فتأذّى بهم الرعيّة

1) C. P. et B. صواني 2) A. افرروهما !

١ بكا .
٢ وحنّ .
٣ بطرستان .

وشَكَوا[1][1] منهم ، ومن أبيهم ، ومن سليمان سوء السيرة .

ثمّ إنّ محمّد بن أوس دخل بلاد الدّيلم ، وهم مسالمون لأهل طبَرِستان ، فسبى منهم وقتل . فساء ذلك أهل طبَرِستان[2] . فلمّا قدم جابر بن هارون لحيازة ما[2] أقطعه محمّد بن عبد الله ، عمد فحاز فيه ما اتّصل به من أرض موات يرتفق بها الناس ، وفيها حاز كُلار وشالوس .

وكان في تلك الناحية يومئذ[3] أخوان لهما بأس ونجدة يضبطانها ممن[4] رامها من الديلم ، مذكوران بإطعام الطعام وبالإفضال . يقال لأحدهما محمّد ، وللآخر جعفر . وهما ابنا رستم . فأنكرا ما فعل جابر من حيازة الموات . وكانا مطاعَين في تلك الناحية . فاستنهضا من أطاعهما لمنع جابر من حيازة ذلك الموات . فخافهما جابر . فهرب منهما . فلحق بسليمان بن عبد الله . وخاف محمّد وجعفر ومن معهما من عامل طبَرِستان . فراسلوا جيرانهم من الديلم يذكّرونهم العهد الذي بينهم ويعتذرون فيما فعله محمّد بن أوس بهم من السبي والقتل . فاتّفقوا على المعاونة والمساعدة على حرب سليمان بن عبد الله وغيره .

ثمّ أرسل ابنا رستم [ومن وافقهما] إلى رجل من الطالبيّين اسمه محمّد بن إبراهيم ، كان بطبَرِستان . يدعونه إلى البيعة له ، فامتنع عليهم ، وقال : لكنّي أدلّكم على رجل منّا هو أقوم بهذا الأمر منّي ، فدلّهم على الحسن بن زيد ، وهو

1) C. P. واستكبروا . 2) Om. A.

١ وأشكوا .
٢ بما .
٣ ليومئذ .
٤ فمن .

ابن الضّحّاك . وكان مولده سنة اثنتين وستّين ومائة . وهو مشهور الأخبار والأشعار .

وفيها توفّي الحارث بن مسكين قاضي مصر في ربيع الأوّل . ◦ وهو من ولد أبي بكر الثّقفيّ[1] ؛ ونصر بن عليّ بن نصر بن عليّ الجهضميّ الحافظ .

◦ وفيها توفّي أبو حاتم سهل بن محمّد السختيانيّ اللغويّ . روى عن أبي زيد، والأصمعيّ. وأبي عبيدة . وقيل توفّي قبل سنة خمسين [ومائتين] ؛ والله تعالى بالغيب أعلم[1] .

1) Om. C. P. et B.

٢٥١

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

ذكر قتل باغر[1] التّركيّ

وفي هذه السنة قُتل باغر التّركيّ . قتله وصيف وبُغا .

وكان سبب ذلك أنّ باغراً كان أحد قتلة المتوكّل ، فزيد[١] في أرزاقه ، فأُقطع قطائع . فكان ممّا أُقطع قُرى بسواد الكوفة . فتضمّنها رجل من أهل باروسما بألفَيْ دينار . فوثب رجل من أهل تلك الناحية . يقال له ابن مارمّة[2] ، بوكيل لباغر . وتناوله . فحُبس ابن مارمّة ، وقُيّد ، ثمّ تخلّص ، وسار إلى سامرّا ، فلقي دليل بن يعقوب النصرانيّ ، وهو يومئذ صاحب[٢] أمر بُغا الشرابيّ والحاكمُ في الدولة ، وكان ابن مارمّة صديقاً له ، وكان باغر أحد قوّاد بُغا ، فمنعه دليل من ظالم أحمد بن مارمّة . فانتصف له منه ، فغضب باغر وباين دليلاً .

وكان باغر شجاعاً يتّقيه بُغا وغيره ، فحضر عند بُغا في ذي الحجّة من سنة خمسين [ومائتين] وهو سكران ، وبُغا في الحمّام ، فدخل إليه وقال[3] :

1) C. P. ياغر s. ياغز ubique.   2) B. مارية ubique.

3) C. P. et add. ما .

١ فيزيد .

٢ صاجب .

الوجه . سخيُّ الكفّ . فاضل النفس . وتريدون قتل هذا . وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ ، من غير ذنب ! والله لئن قتلتم هذا لألحقنّ بخراسان ه لأشيع[١] أمركم هناك[1] .

فاتّصل الخبر بالمهتدي . فتحوّل من مجلسه متقلّداً سيفاً . وقد لبس ثياباً نظافاً[2] وتطيّب. ثمّ أمر بإدخالهم عليه . فدخلوا فقال لهم : بلغني ما أنتم عليه، ولستُ كَمَنْ تقدّمني ، مثل المستعين والمعتزّ ، والله ما خرجتُ إليكم إلا وأنا متحنّط ، وقد أوصيتُ إلى أخي بولدي ، وهذا سيفي والله لأضربنّ به ما استمسك قائمه بيدي ، والله لئن سقط منّي شعرة ليهلكنّ وليذهبنّ أكثركم[3] .

كم هذا الخلاف على الخلفاء . والإقدام ، والجرأة على الله ! سواء عليكم مَنْ قصد الإبقاء عليكم . ومن كان إذا بلغه هذا منكم دعا بالنبيذ فشربه مسروراً بمكروهكم . حتّى[4] تعلموا[٢] أنّه وصل إلى شيء من دنياكم . أما إنّكم لتعلمون أنّ بعض المتّصلين بكم أيسر من جماعة من أهلي وولدي ه سوأة لكم[5] ، يقولون : إنّي أعلم بمكان صالح ، وهل هو إلاّ رجل من الموالي؟ فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم[6][٣] فيه ؟ وإذا أبرمتم[7] الصلح فيه كان ه ذلك ما أنفذه[8] لجميعكم ، وإن أبيتم فشأنكم ، واطلبوا صالحاً ، وأمّا أنا

....

1) Om. A. 2) A. نصافيه . 3) C. P. hic add. أما دين أما حياء أما ورع . 4) C. P. هل . 5) C. P. et B. 6) C. P. et B. شاورتكم . 7) C. P. أكثرتم . 8) A. ما أريده .

---

١ لأشيعنّ .

٢ تعلمون .

٣ ساررتكم .

فما أعلم مكانه .

قالوا : فاحلفْ لنا على ذلك ! قال : أمّا اليمين فنعم ، ولكنّها تكون بحضرة بني هاشم والقضاة غداً إذا صلّيتُ الجمعة ، ثمّ قال لبابكيال ولمحمّد ابن بُغا : قد حضرتما ما عمله صالح في أموال الكتّاب وأمّ المعتزّ ، فإن أخذ منه شيئاً فقد أخذتما مثله . فأحفظَهما ذلك ، ثمّ أرادوا خلعه ، وإنّما منعهم خوف الاضطراب وقلّة الأموال . فأتاهم مال من فارس عشرة آلاف ألف درهم وخمس مائة ألف درهم ، فلمّا كان سلخ المحرّم انتشر الخبر في العامّة أنّ القوم قد اتّفقوا على خلع المهتدي والفتك به ، وأنّهم قد أرهقوه ، وكتبوا الرقاع ورموها في الطرق والمساجد ، مكتوب فيها : يا معشر المسلمين ادعوا الله لخليفتكم العدل ، الرضا ، المضاهي لعمر بن الخطّاب ، أن ينصره الله على عدوّه ، ويكفيه مؤونة ظالمه ، وتمّ النعمة عليه ، وعلى هذه الأمّة ، ببقائه ، فإنّ الأتراك قد أخذوه بأن يخلع نفسه . وهو يُعَذَّب منذ أيّام ، وصلّى الله على محمّد .

فلمّا كان يوم الأربعاء لأربع خلون من صفر تحرّك الموالي بالكرخ والدُّور ، وبعثوا إلى المهتدي . وسألوه أن يرسل إليهم بعض إخوته ليحمّلوه رسالة ، فوجّه إليهم أخاه أبا القاسم عبد الله ، فذكروا له أنّهم سامعون مطيعون . وأنّهم بلغهم أنّ موسى ، وبابكيال ، وجماعة معهما ، يريدونه على الخلع ، وأنّهم يبذلون دماءهم دون ذلك ه وما هم دون ذلك[1] ، وشكوا تأخّر أرزاقهم، وما صار من الأقطاع ، والزيادات ، والرسوم إلى قوّادهم التي قد أجحفت بالخراج والضياع . وما قد أخذوا النساء والدخلاء[2] . فكتبوا بذلك كتاباً ، فحمله إلى المهتدي وكتب جوابه بخطّه : قد فهمتُ كتابكم . وسرّني ما ذكرتُم من طاعتكم ، فأحسن الله جزاءكم ، وأمّا ما ذكرتم من خُلّتكم[3] وحاجتكم

....

1) A. 2) A. والرجال . 3) A. صلكم .

ذكر ملك الحسن بن زيد العلويّ جُرجان

وفي هذه السنة قصد الحسن بن زيد العلويُّ صاحب طَبَرستان جُرجانَ واستولى عليها . وكان محمّد بن طاهر . أمير خُراسان . لمّا بلغه ذلك من عزم الحسن على قصد جُرجان قد جهّز العساكر فأنفق[1] عليها أموالاً كثيرة . وسيّرها إلى جُرجان لحفظها . فلمّا قصدها الحسن لم يقوموا له[2] ، وظفر بهم . وملك البلد . وقتل كثيراً من العساكر . وغنم هو وأصحابه ما عندهم .

وضعف حينئذ محمّد بن طاهر . وانتقض عليه كثير من الأعمال التي كان يجيء خراجها إليه ، فلم يبقَ في يده إلاّ بعض خُراسان . وأكثر ذلك مفتون منتقض بالمتغلّبين في نواحيها . والشراة الذين يعيثون في عمله . فلا يمكنه دفعهم . فكان ذلك سبب تغلّب يعقوب الصَّفّار على خراسان . كما نذكره سنة تسع وستّين ومائتين. إن شاء الله تعالى .

ذكر عدّة حوادث

وفيها أخذ أحمدُ المولّد سعدَ بن أحمد بن سعد الباهليَّ ، وكان قد تغلّب على البطائح . وأفسد الطريق . وحُمل إلى سامرّا . فضُرب سبع مائة سَوْط فمات . وصُلب ميتاً .

وحجّ بالناس الفضل بن إسحاق بن إسماعيل بن العبّاس بن محمّد بن عليّ .

وفيها وثب بسيل المعروف بالصَّقلبيّ . وإنّما قيل له الصَّقلبيُّ . وهو من

1) C. P. et B. وأخرج .
2) C. P. et B. إليه .

بيت المملكة . لأنّ أمّه صَقلبيّة[1] . على ميخائيل بن توفيل ملك الروم ، فقتله ؛ وكان مُلْك ميخائيل أربعاً وعشرين سنة . وملك بسيل الروم .

وفيها أقطع المعتمدُ مصر وأعمالها لياركوج[2] التركيّ ، فأقرّ عليها أحمدَ بن طولون .

وفيها فارق عبد العزيز بن أبي دُلَف الرَّيّ من غير خوف ، وأخلاها ، فأرسل إليها الحسنُ بن زيد العلويُّ . صاحب طبَرِستان ، القاسمَ بن عليّ بن القاسم[3] بن عليّ العلويَّ . المعروف بدليس. فغلب عليها ، فأساء السيرة في أهلها جدّاً . وقلعوا أبواب المدينة ، وكانت من حديد . وسيّرها إلى الحسن بن زيد ، وبقي كذلك نحو ثلاث سنين .

وفيها خرج عليُّ بن مُساور الخارجيُّ ، وخارجيٌّ آخر اسمه طَوْق من بني زُهَيْر ، فاجتمع إليه أربعة آلاف ، فسار إلى أذْرَمَةَ ، فحاربه أهلها ، فظفر بهم ، فدخلها بالسيف ، وأخذ جارية بكراً فجعلها فيئاً ، واقتضّها في المسجد ، فجمع عليه الحسنُ بن أيّوب بن أحمد العدويُّ جمعاً كثيراً ، فحاربه فقتله ، وقطع رأسه وأنفذه إلى سامرّا .

° وفيها قُتل محمّد بن خَفاجة ، أمير صِقلّية ، قتله خدمه نهاراً ، وكتموا قتله ، فلم يُعرَف إلاّ من الغد . وكان الخدم الذين قتلوه قد هربوا ، فطُلبوا فأُخذوا. وقُتل بعضهم. ولمّا قُتل استعمل محمّدُ بن أحمد بن الأغلب على صِقلّية أحمدَ بن يعقوب بن المَضاء بن سَلَمة فلم تطل أيّامه، ومات سنة ثمان وخمسين ومائتين[4] .

1) B. add. ووثب .
2) A. ليازكوج ; C. P. لنازكوح ; B. لنارجوج .
3) Bis in C. P. et B.
4) Om. C. P. et B.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة استعمل المعتمدُ على الله. الخليفة على أذْرَبيجان. محمّدَ بن عمر ابن عليّ بن مرا[1] الطائيّ الموصليّ . فسار إليها . وجمع معه جموعاً كثيرة من خوارج[2] وغيرهم. وكان على أذربيجان العلاء بن أحمد الأزديُّ. وهو مفلوج ، فخرج في محفّة ليمنع محمّد بن عمر . فقاتله . فانهزم عسكر العلاء . وأُخذ أسيراً . واستولى محمّد بن عمر بن عليّ على قلعة العلاء . وأخذ منها ثلاثة آلاف ألف درهم ، ومات العلاء في يده .

وفيها استعمل المعتمدُ على الله على الموصل الخضرَ بن أحمد بن عمر بن الخطّاب التغلبيّ الموصليّ .

وفيها رجع الحسن بن زيد إلى طَبَرِسْتان . وأحرق شالوس لممالأة أهلها ليعقوب . وأقطع ضياعهم للديالمة .

وفيها أمر المعتمد بجمع حاجّ خُراسان . والرّيّ ، وطَبَرِستان ، وجُرجان ، وأعلمهم أنّه لم يولِّ يعقوبَ خراسان . ولم يكن دخوله خراسان وأسره محمّد ابن طاهر بأمره .

وفيها قَتَلَ مُساورٌ الشاري يحيى بن جعفر الذي كان يلي خراسان . فسار مسرور البلخيُّ في طلبه . وتبعه أبو أحمد . وهو الموفّق بن المتوكّل . فسار مُساور من بين أيديهما فلم يدركاه .

وفيها هرب ابن مَرْوان الجِلّيقيُّ[3] من قُرطُبة . فقصد قلعة الحنش[4] . فملكها وامتنع بها . فسار إليه محمّد . صاحب الأندلس . فحصره ثلاثة أشهر .

1) B. زمن . 2) A. ومنهم الخوارج . 3) Cod. الجليقي . 4) Cod. الحسن .

فضاق به الأمر ، حتّى أكل دوابّه . فطلب الأمان . فأمّنه محمّد . فسار إلى مدينة بَطَلْيُوس .

وفيها عصى أهلُ تاكَرُنّا[1] مع أسد بن الحارث بن رافع[١] . فغزاهم جيش محمّد ، صاحب الأندلس . وقاتلهم . فعادوا إلى الطاعة[2] .

وفيها توفّي أبو هاشم داود بن سليمان الجعفريُّ ؛ والحسن بن محمّد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، قاضي القضاة . وكان موته في رمضان ؛ وأبو الحسين مسلم بن الحجّاج النّيسابوريُّ ، صاحب الصحيح ؛ وعبد العزيز بن حيّان الموصليُّ ، وكان كثير الحديث ؛ والنظر[3] بن الحسن الفقيه الحنفيُّ ، وكان من الموصل أيضاً .

1) Cod. ناركنا 2) Om. C. P. et B. 3) B. النضر .

١ رفع .

ذكر وزارة سليمان بن وهب للخليفة ووزارة الحسن بن مخلّد وعزله

وفيها خرج سليمان بن وهب من بغداذ إلى سامرّا وشيّعه الموفّق والقوّاد. فلمّا صار إلى سامرّا غضب عليه المعتمد وحبسه وقيّده وانتهب داره. واستوزر الحسنَ بن مخلّد في ذي القعدة. فسار الموفّق من بغداذ إلى سامرّا ومعه عبيد الله بن سليمان بن وهب، فلمّا قرب من سامرّا تحوّل المعتمد إلى الجانب الغربيّ فعسكر به ° مغاضباً للموفّق[1]، واختلفت الرسل بينه وبين الموفّق واتّفقا، وخلع على الموفّق ومسرور وكَيْغَلَغ وأحمد بن موسى بن بُغا وأطلق سليمان بن وهب وعاد إلى الجوسق، وهرب الحسن بن مخلّد وأحمد بن صالح بن شيرزاد فكتب بقبض أموالهما وقبض أحمد بن أبي الأصبغ، وهرب القوّاد الذين كانوا بسامرّا مع المعتمد خوفاً من الموفّق، فوصلوا إلى الموصل وجبوا الخراج.

ذكر وفاة أماجور وملك ابن طولون الشام وطرسوس وقتل سيما الطويل

وفي هذه السنة توفّي أماجور مُقْطَع دمشق، ووليَ ابنه مكانه. فتجهّز ابن طولون ليسير إلى الشام فيملكه. فكتب إلى ابن أماجور يذكر له أنّ الخليفة قد أقطعه الشام والثغور، فأجابه بالسمع والطاعة. وسار أحمد. واستخلف بمصر ابنه العبّاس، فلقيه ابن أماجور ° بالرملة فأقرّه عليها، وسار إلى دمشق فملكها وأقرّ قوّاد أماجور[1] على أقطاعهم، وسار إلى حمص فملكها،

1) Om. C. P. et B.

وكذلك حماة، وحلب.

وراسل سيما الطويل بأنطاكية يدعوه إلى طاعته ليقرّه على ولايته، فامتنع، فعاوده فلم يطعه. فسار إليه أحمد بن طولون، فحصره بأنطاكية، وكان سيىء السيرة مع أهل البلد. فكاتبوا أحمد بن طولون. ودلّوه على عورة البلد. فنصب عليه المجانيق وقاتله، فملك البلد عنوة. والحصن الذي له، وركب سيما وقاتل قتالاً شديداً حتّى قُتل ولم يعلم به أحد. فاجتاز به بعض قوّاده فرآه قتيلاً. فحمل رأسه إلى أحمد. فساءه قتله.

ورحل عن أنطاكية إلى طرَسوس، فدخلها وعزم على المقام بها، وملازمة الغزاة. فغلا السعر بها. وضاقت عنه وعن عساكره. فركب أهلها إليه بالمخيّم وقالوا له: قد ضيّقت بلدنا. وأغليت أسعارنا. فإمّا أقمتَ في عدد يسير، وإمّا ارتحلت عنّا؛ وأغلظوا له في القول. وشغبوا عليه. فقال أحمد لأصحابه: لتنهزموا من الطَّرَسُوسيّين، وترحلوا عن البلد. ليظهر للناس وخاصّة[1] العدوّ أنّ ابن طولون على بُعد صيته[2] وكثرة عساكره لم يقدر على أهل[3] طَرَسُوس؛ وانهزم عنهم ليكون أهيب لهم في قلب العدوّ وعاد إلى الشام.

فأتاه خبر ولده العبّاس. وهو الذي استخلفه بمصر. أنّه قد عصى عليه، وأخذ الأموال وسار إلى بَرْقة مُشاقّاً[4] لأبيه. فلم يكترث لذاك[5]. ولم ينزعج له، وثبت. وقضى أشغاله. وحفظ أطراف بلاده، وترك بحرّان عسكراً، وبالرَّقّة

١ وخاصّته.
٢ صوته.
٣ لم يقدر بأهل.
٤ مشاقّاً.
٥ بذلك.

٣١٧

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة

ذكر خلع المقتدر

في هذه السنة خُلع المقتدر بالله من الخلافة ، وبويع أخوه القاهر بالله محمّد ابن المعتضد ، فبقي يومَيْن ثمّ أعيد المقتدر .

وكان سبب ذلك ما ذكرنا في السنة التي قبلها من استيحاش مؤنس ونزوله بالشَّمّاسيّة . وخرج إليه نازوك، صاحب الشُّرطة، في عسكره . وحضر عنده أبو الهيجاء بن حَمدان • في عسكره[1] من بلد الجبل ، وبنيّ بن نفيس ، وكان المقتدر قد أخذ منه الدِّينَوَر ، فأعادها إليه مؤنس عند مجيئه إليه .

وجمع المقتدر عنده ، في داره ، هارون بن غريب ، وأحمد بن كَيْغَلَغ ، والغلمان الحجريّة ، والرجّالة المصافيّة ، وغيرهم ، فلمّا كان آخر النهار ذلك اليوم انفضّ أكثر مَن عند المقتدر . وخرجوا إلى مؤنس ، وكان ذلك أوائل المحرّم .

ثم كتب مؤنس إلى المقتدر رقعة يذكر فيها[2] أنّ الجيش عاتبٌ منكرٌ للسرف فيما يُطلق باسم الخدم والحُرَم من الأموال والضِّياع ، ولدخولهم في الرأي وتدبير المملكة ، ويطالبون بإخراجهم من الدار ، وأخذ ما في أيديهم من الأموال والأملاك ، وإخراج هارون بن غريب من الدار .

....

1) Om. A. B. 2) U. C. P. له .

فأجابه المقتدر أنّه يفعل من ذلك ما يمكنه فعله[1] ، ويقتصر على ما لا بدّ له منه ، واستعطفهم ، وذكّرهم بيعته في أعناقهم مرّة بعد أخرى ، وخوّفهم عاقبة النكث ، وأمر هارون بالخروج من بغداذ ، وأقطعه الثغور الشاميّة والجزريّة، وخرج من بغداذ تاسع المحرّم من هذه السنة ، • وراسلهم المقتدر[2] ، وذكّرهم نعمه عليهم وإحسانه إليهم ، وحذرهم كفر إحسانه ، والسعي[3] • في الشرّ[4] والفتنة[5] .

فلمّا أجابهم إلى ذلك دخل[6] مؤنس وابن حَمدان ونازوك إلى بغداذ ، وأرجف الناس بأنّ مؤنساً ومن معه قد عزموا على خلع المقتدر وتولية غيره ، فلمّا كان الثاني[7] عشر من المحرّم خرج مؤنس والجيش[8] إلى باب الشَّمّاسيّة ، فتشاوروا ساعة ، ثمّ رجعوا إلى دار الخليفة بأسرهم ، فلمّا • زحفوا إليها[9] ، وقربوا منها ، هرب المظفّر بن ياقوت ، وسائر الحجّاب والخدم وغيرهم ، والفرّاشون ، وكلّ مَن في الدار ؛ وكان الوزير أبو عليّ بن مقلة حاضراً ، فهرب ودخل مؤنس والجيش دار الخليفة ، وأخرج المقتدر ، ووالدته ، وخالته ، وخواصّ جواريه ، وأولاده ، من دار الخلافة ، وحُملوا إلى دار مؤنس ، فاعتُقلوا بها .

وبلغ الخبر هارون بن غريب ، وهو بِقُطْرَبُّل ، فدخل بغداذ واستتر ، ومضى ابن حَمدان إلى دار ابن[10] طاهر ، فأحضر محمّد بن المعتضد ، وبايعوه بالخلافة ، ولقّبوه القاهر بالله ، وأحضروا القاضي أبا عمر عند المقتدر ليشهد عليه بالخلع ، وعنده مؤنس ، ونازوك ، وابن حَمدان ، وبنيّ بن نفيس ،

....

1) Om. U. 2) C. P. et Berol. 3) Berol. والبغي .
4) Om. C. P. et Berol. 5) A. والغيبة . 6) U. رحل .
7) U. الثامن . 8) U. add. معه . 9) Om. U.
10) A. B. et Berol. أبي .

ذكر أقطاع البلاد وتخريبها

فيها شغب الجند على معزّ الدولة بن بويه ، وأسمعوه المكروه ، فضمن لهم إيصال[1] أرزاقهم في مدّة ذكرها لهم ، فاضطرّ إلى خبط الناس ، وأخذ الأموال من غير وجوهها ، وأقطع قوّاده وأصحابه القرى جميعها الّتي للسلطان وأصحاب الأملاك[2] ، فبطل لذلك أكثر الدواوين ، وزالت أيدي العمّال ، وكانت البلاد قد خربت من الاختلاف ، والغلاء ، والنهب ، فأخذ القوّاد القرى العامرة ، وزادت عمارتها معهم ، وتوفّر دخلها بسبب الجاه ، فلم يمكن معزّ الدولة العود عليهم بذلك .

وأمّا الأتباع فإنّ الذي أخذوه ازداد خراباً ، فردّوه وطلبوا العوض عنه ، فعوّضوا ، وترك الأجناد الاهتمام بمشارب القرى وتسوية[3] طرقها ، فهلكت وبطل الكثير منها .

وأخذ غلمان المقطعين في ظلم وتحصيل العاجل ، فكان أحدهم إذا عجز الحاصل تمّمه[4] ، بمصادراتها .

ثم إنّ معزّ الدولة فوّض حماية كل موضع[5] إلى بعض أكابر أصحابه[6] فاتخذه مسكناً وأطمعه ، فاجتمع إليهم[7] الإخوة[8] ، وصار القوّاد يدّعون الخسارة في الحاصل ، فلا يقدر وزيره ولا غيره على تحقيق ذلك ، فإن اعترضهم معترض صاروا أعداء له ، فتُركوا وما يريدون ، فازداد طمعهم ، ولم يقفوا عند غاية ، فتعذّر على معزّ الدولة جمع ذخيرة تكون للنوائب والحوادث ،

1) U. B. اتصال .
2) U. الأموال .
3) C. P. وتسومة .
4) U. عمد .
5) B. صقع .
6) Om. C. P. inde a بمصادراتها .
7) U. إليه .
8) U. C. P. الحوته ; B. الحونه

وأكثر من إعطاء غلمانه الأتراك والزيادة لهم في الأقطاع ، فحسدهم الديلم وتولّد من ذلك الوحشة والمنافرة ، فكان من ذلك ما نذكره .

ذكر موت الإخشيد وملك سيف الدولة دمشق

في هذه السنة ، في ذي الحجّة ، مات الإخشيد أبو بكر محمّد بن طُغْج ، صاحب ديار مصر ، وكان مولده سنة ثمان وستّين ومائتين ببغداذ ، وكان موته بدمشق ، وقيل مات سنة خمس وثلاثين [وثلاثمائة] ، وولي الأمر بعده ابنه أبو القاسم أنوجور[1] ، فاستولى على الأمر كافور الخادم الأسود ، وهو من خدم الإخشيد ، وغلب أبا القاسم واستضعفه وتفرّد بالولاية ؛ وكافور هذا هو الذي مدحه المتنبّي ثم هجاه .

وكان أبو القاسم صغيراً ، وكان كافور أتابكه ، فلهذا استضعفه ، وحكم عليه ، فسار كافور إلى[2] مصر ، فقصد سيف الدولة دمشق ، فملكها وأقام بها ، فاتّفق أنّه كان يسير هو والشريف العقيلي[3] بنواحي دمشق ، فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلاّ لرجل واحد ؛ فقال له العقيلي[4] : هي لأقوام كثيرة ؛ فقال سيف الدولة : لئن أخذتْها القوانين السلطانيّة لينبرون[١] منها ، فأعلم العقيلي[4] أهل دمشق بذلك ، فكاتبوا كافوراً[٢] يستدعونه ، فجاءهم ، فأخرجوا سيف الدولة

1) U. أبو جور .
2) U. من .
3) C. P. B. العقيعي .
4) C. P. B. العقيقي .

١ ليثبرون .
٢ كافور .

٣٤٠

ثم دخلت سنة أربعين وثلاثمائة

ذكر وفاة منصور بن قراتكين[1] وأبي المظفّر بن محتاج

في هذه السنة مات منصور بن قراتكين[1]، صاحب الجيوش الخراسانيّة، في شهر ربيع الأوّل، بعد عوده من أصبهان إلى الرّيّ. فذكر العراقيّون أنّه أدمن الشرب عدّة أيّام بلياليها، فمات فجأةً، وقال الخراسانيّون إنّه مرض ومات، والله أعلم.

ولمّا مات رجعت العساكر الخراسانيّة إلى نيسابور، وحُمل تابوت منصور، ودُفن إلى جانب والده باسبيجاب.

ومن عجيب ما يُحكى أنّ منصوراً لمّا سار من نيسابور إلى الريّ سيّر غلاماً له إلى اسبيجاب ليقيم في رباط والده قراتكين[1] الذي فيه قبره، فلمّا ودّعه قال: كأنّك بي قد حُملتُ في تابوت إلى تلك البريّة؛ فكان كما قال بعد قليل، مات وحُمل تابوته إلى ذلك الرباط، ودُفن عند قبر والده.

وفيها توفّي أبو المظفّر بن أبي عليّ بن محتاج ببخارى، كان قد ركب دابّة أنفذها إليه أبوه، فألقتْه وسقطتْ عليه فهشمته، ومات من يومه، وذلك في ربيع الأوّل، وعظم موته على الناس كافّة، وشقّ موته على الأمير نوح، وحُمل إلى الصّغانيان إلى والده أبي عليّ وكان مقيماً بها.

....

1) U. فراتكين .

ذكر عود أبي عليّ إلى خُراسان

وفي هذه السنة أُعيد أبو عليّ بن محتاج إلى قيادة الجيوش بخراسان، وأُمر بالعود إلى نيسابور.

وكان سبب ذلك أنّ منصور بن قراتكين[1] كان قد تأذّى[2] بالجند، واستصعب إيالتهم، وكانوا قد استبدّوا بالأمور دونه، وعاثوا في نواحي نيسابور، فتواترت كتبه إلى الأمير نوح بالاستعفاء من ولايتهم، ويطلب أن يقتصر به على هَراة، ويُولّى ما بيده من أراد نوح، فكان نوح يرسل إلى أبي عليّ يعده بإعادته إلى مرتبته. فلمّا توفّي منصور أرسل الأمير نوح إلى أبي عليّ الخِلع واللواء وأمره بالمسير إلى نيسابور، وأقطعه[١] الريّ وأمره بالمسير إليها، فسار عن الصّغَانيان في شهر رمضان، واستخلف مكانه ابنه أبا منصور، ووصل إلى مرو وأقام بها إلى أن أصلح أمر خُوارزم، وكانت شاغرة، وسار إلى نيسابور، فوردها في ذي الحجّة فأقام بها.

ذكر الحرب بصقلّية بين المسلمين والروم[3]

كان المنصور العلويُّ، صاحب إفريقية، قد استعمل على صقلّية، سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة، الحسنَ بن عليّ بن أبي الحُسين الكلبيَّ، فدخلها

....

1) U. فراتكين .   2) C. P. B. نادى .   3) Hoc caput in solo C. P. exstat.

١ وأقطع .

٣٤٧

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

ذكر استيلاء معزّ الدولة على الموصل وعوده عنها

قد ذكرنا صلح معزّ الدولة مع ناصر الدولة على ألفيْ ألف درهم كلّ سنة ، فلمّا كان هذه السنة أخّر ناصر الدولة حمل المال ، فتجهّز معزُّ الدولة إلى الموصل وسار نحوها ، منتصف جمادى الأولى ، ومعه وزيره المهلّبيُّ ، ففارقها ناصر الدولة إلى نَصيبين ، واستولى معزُّ الدولة على الموصل .

فكان من عادة ناصر الدولة إذا قصده أحدٌ سار عن الموصل واستصحب معه جميع الكتّاب ، والوكلاء ، ومن يعرف أبواب المال ، ومنافع السلطان ، وربّما جعلهم في قلاعه كقلعة كَوَاشى ، والزّعفران ، وغيرهما ، وكانت قلعة كواشى تسمّى ذلك الوقت قلعة أردُمشت ، وكان ناصر الدولة يأمر العرب بالإغارة على العلاّفة[1] ومن يحمل الميرة ، فكان الذي يقصد بلاد ناصر الدولة يبقى محصوراً مضيّقاً عليه .

فلمّا قصده معزُّ الدولة هذه المرّة فعل ذلك به ، فضاقت الأقوات على معزّ الدولة وعسكره ، وبلغه أنّ بنصيبين من الغلاّت السلطانيّة شيئاً كثيراً ، فسار عن الموصل نحوها ، واستخلف بالموصل سبكتكين الحاجب الكبير ، فلمّا توسّط الطريق بلغه أنّ أولاد ناصر الدولة أبا المرجّى وهبة الله بسنجار في

1) C. P. العلونة .

عسكر ، فسيّر إليهم عسكراً ، فلم يشعر أولاد ناصر الدولة بالعسكر إلاّ وهو معهم ، فعجلوا عن أخذ أثقالهم ، فركبوا دوابّهم وانهزموا ونهب عسكر معزّ الدولة ما تركوه ، ونزلوا في خيامهم ، فعاد[1] أولاد ناصر الدولة إليهم وهم غارّون ، فوضعوا السيف فيهم ، فقتلوا ، وأسروا ، وأقاموا بسنجار .

وسار معزُّ الدولة إلى نصيبين ، ففارقها ناصر الدولة إلى ميّافارقين : ففارقه أصحابه وعادوا إلى معزّ الدولة مستأمنين ، فلمّا رأى ناصر الدولة ذلك سار إلى أخيه سيف الدولة بحلب ، فلمّا وصل خرج إليه ولقيه ، وبالغ في إكرامه ، وخدمه بنفسه ، حتّى إنّه نزع خفّه بيديه .

وكان أصحاب ناصر الدولة في حصونه ببلد الموصل ، والجزيرة : يغيرون على أصحاب معزّ الدولة بالبلد ، فيقتلون فيهم ، ويأسرون منهم ، ويقطعون الميرة عنهم .

ثم إنّ سيف الدولة راسل معزّ الدولة في الصلح ، وتردّدت الرسل في ذلك[1] ، فامتنع معزّ الدولة في تضمين ناصر الدولة لخلفه معه مرّة بعد أخرى ، فضمن سيف الدولة البلاد منه بألفيْ ألف درهم وتسع مائة ألف درهم ، وإطلاق مَن أسر من أصحابه بسنجار وغيرها ، وكان ذلك في المحرّم سنة ثمان وأربعين [وثلاثمائة] .

وإنّما أجاب معزُّ الدولة إلى الصلح بعد تمكّنه من البلاد لأنّه ضاقت عليه الأموال ، وتقاعد الناس في حمل الخراج ، واحتجّوا بأنّهم لا يصلون إلى غلاّتهم ، وطلبوا الحماية من العرب أصحاب ناصر الدولة ، فاضطرّ معزُّ الدولة

1) B. بينهم .

١ فعادوا .

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٧٠

ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة [1]

ذكر إقطاع مؤيّد الدولة همذان

في هذه السنة أرسل[2] الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد إلى عضد الدولة بهمذان رسولاً من عند أخيه مؤيّد الدولة يبذل له الطاعة والموافقة . فالتقاه عضد الدولة بنفسه ، وأكرمه ، وأقطع أخاه مؤيّد الدولة همذان وغيرها ، وأقام عند عضد الدولة إلى أن عاد إلى بغداذ ، فردّه إلى مؤيّد الدولة ، فأقطعه إقطاعاً كثيراً ، وسيّر معه عسكراً يكون عند مؤيّد الدولة في خدمته .

ذكر قتل أولاد حسنويه سوى بدر

لمّا خلع عضد الدولة على بدر وأخويْه عاصم وعبد الملك ، وفضّل بدراً عليهما[3] وولاّه الأكراد حسده[4] أخواه ، فشقّا العصا ، وخرجا عن الطاعة ،

---

1) Suppl. ar. 740 bis. Vol. V, fol. 21 r. = C. P. Suppl. ar. 740. Vol. III, fol. 30 v. = A.
2) A. ورد .   3) Codd. عليهم .   4) A. حسدوا .

التاريخ ، إلى غير ذلك ، وعمل المصالح في سائر البلاد كالبيمارستانات والقناطر وغير ذلك من المصالح العامّة ، إلاّ أنّه أحدث[١] في آخر أيّامه رسوماً جائرة في المساحة ، والضرائب على بيع الدوابّ ، وغيرها من الأمتعة ، وزاد على ما تقدّم ، ومنع من عمل الثلج ، والقزّ ، وجعلهما متّجراً للخاص[1] ، وكان يتوصّل إلى أخذ المال بكلّ طريق .

ولمّا توفّي عضد الدولة قُبض على نائبه أبي الريّان من الغد ، فأُخذ من كمّه رقعة فيها :

أيا واثقاً بالدهرِ عندَ انصرافِه ! رويدَكَ إنّي بالزمانِ أخو خُبرِ
ويا شامتاً مهلاً ، فكَم ذي شماتةٍ تكون له العُقبى[٢] بقاصمة الظّهرِ

ذكر ولاية صمصام الدّولة العراق وملك أخيه شرف الدّولة بلاد فارس

لمّا توفّي عضد الدولة اجتمع القوّاد والأمراء على ولده أبي كاليجار المرزبان ، فبايعوه وولّوه الإمارة ، ولقّبوه صمصام الدولة ، فلمّا وليَ خلع على أخويْه أبي الحسين أحمد ، وأبي طاهر فيروزشاه ، وأقطعهما فارس ، وأمرهما بالجدّ في السير ليسبقا أخاهما شرف الدولة أبا الفوارس شيرزيل إلى شيراز .

فلمّا وصلا إلى أرّجان أتاهما خبر وصول شرف الدولة إلى شيراز ، فعادا

1) A. add. والعام .

١ حدث .
٢ عقبى .

إلى الأهواز . وكان شرف الدولة بكرمان ، فلمّا بلغه خبر وفاة أبيه سار مجدّاً إلى فارس فملكها ، وقبض على نصر بن هارون النصرانيّ ، وزير أبيه ، وقتله لأنّه كان يسيء صحبته أيّام أبيه ، وأصلح أمر البلاد ، وأطلق الشريف أبا الحسين محمّد بن عمر العلويّ ، والنقيب أبا أحمد الموسويّ ، والد الشريف الرضي[1] ، والقاضي أبا محمّد بن معروف ، وأبا نصر خواشاذه ، وكان عضد الدولة حبسهم ، وأظهر مشاقّة أخيه صمصام الدولة ، وقطع خطبته ، وخطب لنفسه ، وتلقّب بتاج الدولة ، وفرّق الأموال ، وجمع الرجال ، وملك البصرة وأقطعها أخاه أبا الحسين ، فبقي كذلك ثلاث سنين إلى أن قبَض عليه شرف الدولة ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

فلمّا سمع صمصام الدولة بما فعله شرف الدولة سيّر إليه جيشاً ، واستعمل عليهم الأمير ، أبا الحسن بن دبعش ، حاجب عضد الدولة ، فجهّز تاج الدولة عسكراً ، واستعمل عليهم الأمير[2] أبا الأعزّ دُبيس بن عفيف الأسديّ ، فالتقيا بظاهر قرقوب ، واقتتلوا ، فانهزم عسكر صمصام الدولة ، وأُسر دبعش[3] ، فاستولى حينئذ أبو الحسين بن عضد الدولة على الأهواز ، وأخذ ما فيها وفي رامَهُرمُز ، وطمع في الملك ، وكانت الوقعة في ربيع الأوّل سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

ذكر قتل الحسين بن عمران بن شاهين

في هذه السنة قُتل الحسين بن عمران بن شاهين ، صاحب البطيحة ، قتله أخوه أبو الفرج واستولى على البطيحة .

1) A. 2) Om. A. 3) A. دنقس .

بوصول عسكر فخر الدولة إلى نَيسابور قصدوهم ؛ فانحاز عسكر فخر الدولة وابن عبد الرزّاق ، وأقاموا ينتظرون أبا العبّاس . ونزل ابن سيمجور ومن معه بظاهر نَيسابور ، ووصل أبو العبّاس فيمن معه واجتمع بعسكر الديلم ، ونزل بالجانب الآخر ، وجرى بينهم حروب عدّة أيّام ، وتحصّن ابن سيمجور بالبلد ، وأنفذ فخر الدولة إلى أبي العبّاس عسكراً آخر ، أكثر من ألفَيْ فارس ؛ فلمّا رأى ابن سيمجور قوّة أبي العبّاس انحاز عن نَيسابور ، فسار عنها ليلاً ؛ وتبعه عسكر أبي العبّاس ، فغنموا كثيراً من أموالهم ودوابّهم ، واستولى أبو العبّاس على نَيسابور ، وراسل الأميرَ نوح بن منصور يستميله ويستعطفه ؛ ولجّ ابن عُزَيْر في عزله ، ووافقه على ذلك والدة الأمير نوح ، وكانت تحكم في دولة ولدها ، وكانوا[١] يصدرون عن رأيها ، فقال بعض أهل العصر في ذلك :

شيئانِ يَعجِزُ ذو الرِّياضَة عنهما : رأيُ النِّساء ، وإمرةُ الصّبيانِ

أمّا النساء فميلُهنّ إلى الهَوى ، وأخو الصِّبا يجري بغَير عِنانِ

ذكر انهزام أبي العبّاس إلى جُرجان ووفاته

لمّا انهزم ابن سيمجور أقام أبو العبّاس بنَيسابور يستعطف الأمير نوحاً ووزيره ابن عُزير ، وترك اتّباع ابن سيمجور وإخراجه من خراسان ، فتراجع إلى ابن سيمجور أصحابه المنهزمون ، وعادت قوّته ، وأتته الأمداد من بخارى ، وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة ، وهو بفارس ، يستمدّه ، فأمدّه بألفَيْ فارس مراغمةً لعمّه فخر الدولة ، فلمّا كثف جمعه قصد أبا

١ وكان .

العبّاس ، * فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً إلى آخر النهار ، فانهزم أبو العبّاس[1] وأصحابه[2] ، وأُسر منهم جماعة كثيرة .

وقصد أبو العبّاس جُرجان ، وبها فخر الدولة ، فأكرمه وعظّمه ، وترك له جرجان ودهستان[3] وأسْتَراباذ صافية له ولمن معه ، وسار عنها إلى الرّيّ ، وأرسل إليه من الأموال والآلات ما يجلّ عن الوصف .

وأقام أبو العبّاس بجرجان هو وأصحابه ، وجمع العساكر وسار نحو خراسان ، فلم يصل إليها ، وعاد إلى جرجان وأقام بها ثلاث سنين ، ثم وقع بها وباء شديد مات فيه كثير من أصحابه ، ثم مات هو أيضاً ، وكان موته سنة سبع وسبعين [وثلاثمائة] ، وقيل : إنّه مات مسموماً .

وكان أصحابه قد أساؤوا السيرة مع أهل جرجان ، فلمّا مات ثار بهم أهلها ونهبوهم ، وجرت بينهم وقعة عظيمة أجلت عن هزيمة الجرجانيّة ، وقُتل منهم خلق كثير ، وأُحرقت دورهم ، ونُهبت أموالهم ، وطلب مشايخهم الأمان ، فكفّوا عنهم ، وتفرّق أصحابه ، فسار أكثرهم إلى خراسان ، واتّصلوا بأبي عليّ بن أبي الحسن بن سيمجور ، وكان حينئذ صاحب الجيش مكان أبيه ، وكان والده قد توفّي فجأةً ، وهو يجامع بعض حظاياه ، فمات على صدرها ، فلمّا مات قام بالأمر بعده ابنه أبو عليّ ، واجتمع إخوته على طاعته ، منهم أخوه أبو القاسم وغيره ، فنازعه فائق الولاية ، وسنذكر ذلك سنة ثلاث وثمانين [وثلاثمائة] عند ملك الترك بخارى ، إن شاء الله تعالى .

1) Om. C. P. 2) C. P.

3) C. P. وطبرستان ; at in margine lectio recepta exstat.

وفيها استعمل باديس عمّهُ حمّادَ بن يوسف بلكّين على أشير ، وأقطعه إيّاها ، وأعطاه من الخيل والسلاح والعُدد شيئاً كثيراً ، فخرج إليها ، وحمّاد هذا هو جدّ بني حمّاد الذين كانوا ملوك إفريقية ، والقلعة المنسوبة إليهم مشهورة بإفريقية ، ومنهم أخذها عبد المؤمن بن عليّ .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على الفاضل وزيره ، وأخذ ماله ، واستوزر بهاء الدولة سابورَ بن أردشير ، فأقام نحو شهرَيْن ، وفرّق الأموال ، ووقّع بها للقوّاد قصداً ليضعف بهاء الدولة ، ثمّ هرب إلى البطيحة ، وبقي منصب الوزارة فارغاً ، واستوزر أبو العبّاس * بن سرجس[1] .

وفيها استكتب القادر بالله أبا الحسن عليّ بن عبد العزيز بن حاجب النعمان .

وفيها توفّي أحمد بن إبراهيم بن محمّد بن إسحاق أبو حامد * بن أبي إسحاق[2] المزكيّ ، النيسابوريّ ، في شعبان ، وكان إماماً[3] ، ومولده سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة] .

وفيها توفّي عليُّ بن عمر بن محمّد بن الحسن أبو إسحاق الحميريُّ ، المعروف بالسُّكّريّ ، وبالحربيّ ، وبالكيّال ، ومولده سنة ستّ وتسعين ومائتين .

وفيها توفّي أبو الأغرّ دبيس بن عفيف الأسديّ بخوزستان ؛ وأبو طالب محمّد بن عليّ بن عطيّة المكّيُّ ، صاحب « قوت القلوب » ، رُوي أنّه صنّف « قوت القلوب » وكان قوته عروق البَرديّ .

---

1) A. عيسى بن ما سرجس .   2) Om. A.   3) C. P.

٣٨٧

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

ذكر موت الأمير نوح بن منصور وولاية ابنه منصور

في هذه السنة توفّي الأمير الرضي نوح بن منصور السامانيُّ في رجب ، واختلّ بموته ملك آل سامان ، وضعف أمرهم ضعفاً ظاهراً ، وطمع فيهم أصحاب الأطراف ، فزال ملكهم بعد مدّةٍ يسيرة .

ولمّا توفّي قام بالملك بعده ابنه أبو الحرث منصور بن نوح ، وبايعه الأمراء والقوّاد وسائر الناس ، وفرّق فيهم بقايا الأموال ، فاتّفقوا على طاعته . وقام بأمر دولته وتدبيرها بكتوزون . ولمّا بلغ خبر موته إلى ايلك خان[1] سار إلى سَمَرْقَند ، وانضمّ إليه فائق الخاصّة ، فسيّره جريدة إلى بخارى ، فلمّا سمع بمسيره الأمير منصور تحيّر في أمره ، وأعجله عن التجهّز ، فسار عن بخارى ، وقطع النهر ، ودخل فائق بخارى ، وأظهر أنّه إنّما قصد المقام بخدمة الأمير منصور ، رعايةً لحقّ أسلافه عليه ، إذ هو مولاهم ، وأرسل إليه مشايخ بخارى ومقدّميهم في العود إلى بلده وملكه ، وأعطاه من نفسه ما يطمئنّ إليه من العهود والمواثيق ، فعاد إليها ودخلها ووليَ فائق أمره وحكم في دولته ، ووليَ بكتوزون إمرة الجيوش بخُراسان .

وكان محمود بن سُبُكتكين حينئذ مشغولاً بمحاربة أخيه إسماعيل ، على

---

1) A. الخان .

ذكر مسير باديس إلى زناتة

في هذه السنة ، منتصف صفر ، أمر باديس بن المنصور ، صاحب إفريقية ، نائبه محمّد بن أبي العرب بالتجهّز والاستكثار من العساكر والعُدد ، والمسير إلى زناتة .

وسبب ذلك أنّ عمّه يطّوفت[1] كتب إليه يُعلمه أنّ زيري بن عطية الملقّب بالقرطاس ، وقد تقدّم ذكره ، نزل عليه بتاهَرت محارباً ، فأمر محمّداً بالتجهّز إليه ، فسار في عساكر كثيرة حتّى وصل إلى أشير ، وبها حمّاد بن يوسف عمّ باديس ، كان قد أقطعه إيّاها باديس ، فرحل حمّاد معه ، فوصل إلى تاهَرت ، واجتمعا بيطّوفت[1] ، وبينهم وبين زيري بن عطية مرحلتان ، فزحفوا إليه ، فكانت بينهما حروب عظيمة[2] .

وكان أكثر عسكر حمّاد يكرهونه لقلّة عطائه ، فلمّا اشتدّ القتال انهزموا ، فتبعهم جميع العسكر ، فأراد محمّد بن أبي العرب أن يردّ الناس ، فلم يقدر على ذلك ، وتمّت الهزيمة ، وملك زيري بن عطيّة مالهم وعُددهم ورجعت العساكر إلى أشير .

وبلغ خبر الهزيمة إلى باديس ، فرحل ، فلمّا قارب طُبْنَةَ بعث في طلب فلفل بن سعيد ، فخاف ، فأرسل يعتذر إليه ، وطلب عهداً بإقطاع مدينة طُبنة ، فكتب له ، وسار باديس ، فلمّا أبعد قصد فلفل مدينة طُبنة ، وغلب على ما حولها ، وقصد باغاية فحصرها ، وباديس سائر إلى أشير . فلمّا سمع زيري ابن عطيّة بأنّه قد قرب منه رحل إلى تاهَرت ، فقصده باديس، فسار زيري إلى العرب . فلمّا سمع باديس برحيله[3] استعمل عمّه يطّوفت على أشير ، وأعطاه

1) C. P. بطوفت , semper ; A. بتطوفت h. l. 2) A. كثيرة . 3) A. بمسيره .

أموالاً وعُدداً[1] ، وعاد إلى أشير ، فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد ، فأرسل إليه العساكر ، وبقي يطّوفت ومعه أعمامه وأولاد أعمامه ، فلمّا أبعد عنهم باديس عصوا ، وخالفوا عليه ، منهم ماكسن[2] ، وزاوي وغيرهما ، وقبضوا على يطّوفت ، وأخذوا جميع ما معه من المال ، فهرب من أيديهم وعاد إلى باديس .

وأمّا فلفل بن سعيد فإنّه لمّا وصل إليه العسكر ، المسيّر إلى قتاله[3] لقيهم[4] وقاتلهم وهزمهم ، وقتل فيهم ، وسار يطلب القيروان . فسار عند ذلك باديس إلى باغاية ، فلقيه أهلها ، فعرّفوه ما قاسوه من قتال فلفل ، وأنّه حصرهم خمسة وأربعين يوماً ، فشكرهم ، ووعدهم الإحسان ، وسار يطلب فلفلاً ، فوصل إلى مَرْمَجَنّة ، وسار فلفل إليه في جمع كثير من البربر وزناتة ، ومعه كلّ من في نفسه حِقْد على باديس وأهل بيته ، فالتقوا بوادي اغلان[5] ، وكان بينهم حرب عظيمة لم يُسمع بمثلها ، وطال القتال بينهم ، وصبر الفريقان ، ثمّ أنزل الله تعالى نصره على باديس وصِنهاجة ، وانهزم البربر وزناتة هزيمة قبيحة ، وانهزم فلفل فأبعد في الهزيمة ، وقُتل من زَويلة تسعة آلاف قتيل سوى من قُتل من البربر ، وعاد باديس إلى قصره ، وفرح أهل القَيروان لأنّهم خافوا أن يأتيهم فلفل .

ثم إنّ عمومة باديس اتّصلوا بفلفل، وصاروا معه على باديس ، فلمّا سمع باديس بذلك سار إليهم ، فلمّا وصل قصر الإفريقي وصله أنّ عمومته فارقوا فلفلاً ، ولم يبق معه سوى ماكسن بن زيري ، وذلك أوّل سنة تسعين وثلاثمائة .

1) C. P. وعدة . 2) Codd. ماكس . 3) C. P. لقتاله .
4) C. P. 5) C. P. اعلان .

ذكر الحرب بين عميد الجيوش
أبي عليّ وبين أبي جعفر الحجّاج

في هذه السنة كانت الحرب بين أبي عليّ بن أبي جعفر أستاذ هرمز ، وبين أبي جعفر الحجّاج .

وسبب ذلك أنّ أبا جعفر كان نائباً عن بهاء الدولة بالعراق ، فجمع وغزا[1] ، واستناب بعده[2] عميد الجيوش أبا عليّ ، فأقام أبو جعفر بنواحي الكوفة ، ولم يستقرّ بينه وبين أبي عليّ صلح .

وكان أبو جعفر قد جمع جمعاً من الديلم والأتراك وخفاجة فجمع أبو عليّ أيضاً جمعاً كثيراً وسار إليه ، والتقوا بنواحي النعمانيّة ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، وأرسل أبو عليّ بعض عسكره ، فأتوا أبا جعفر من ورائه ، فانهزم أبو جعفر ومضى منهزماً .

فلمّا أمن أبو عليّ سار من العراق ، بعد الهزيمة ، إلى خُوزستان ، وبلغ السُّوس ، وأتاه الخبر أنّ أبا جعفر قد عاد إلى الكوفة ، فرجع إلى العراق ، وجرى بينه وبين أبي جعفر منازعات ومراجعات إلى أن آل الأمر إلى الحرب فاستنجد كلُّ واحدٍ منهم بني عُقَيل وبني خَفاجة وبني أسد ، فبينما هم كذلك أرسل بهاء الدولة إلى عميد الجيوش أبي عليّ يستدعيه ، فسار إليه إلى خُوزِستان لأجل أبي العبّاس بن واصل ، صاحب البطيحة .

1) A. فغزاه . 2) A.

ذكر عصيان سجستان وفتحها ثانية

لمّا ملك يمين الدولة سِجِستان عاد عنها واستخلف عليها أميراً كبيراً من أصحابه ، يُعرف بقَنْجى الحاجب ، فأحسن السيرة في أهلها .

ثمّ إن طوائف من أهل العيث والفساد قدّموا عليهم رجلاً يجمعهم ؛ وخالفوا على السلطان ، فسار إليهم يمين الدولة ، وحصرهم في حصن أرك[1] ، ونشبت الحرب في ذي الحجّة من هذه السنة ، فظهر عليهم ، وظفر بهم ، وملك حصنهم ، وأكثر القتل فيهم ، وانهزم بعضهم فسيّر في آثارهم من يطلبهم ، فأدركوهم[2] ، فأكثروا القتل فيهم حتّى خلتْ سِجِستان منهم[3] وصفت له واستقرّ ملكها عليه ، فأقطعها أخاه نصراً مضافةً إلى نَيسابور .

ذكر وفاة الطائع لله[4]

في هذه السنة ، * في شوّال منها[4] ، توفّي الطائع لله المخلوع ابن المطيع لله ، وحضر الأشراف والقضاة وغيرهم دار الخلافة للصلاة عليه والتعزية ، وصلّى عليه القادر بالله ، وكبّر عليه خمساً ، وتكلّمت العامّة في ذلك فقيل : إنّ هذا ممّا يُفعل بالخلفاء ؛ وشيّع جنازته ابن حاجب النعمان ، ورثاه الشريف الرضي فقال :

ما بعدَ يومِك ما يَسلُو به السالي ، ومثلُ يومِك لم يَخطر على بالي

وهي طويلة .

1) C. P. اربك . 2) C. P. فادركوا . 3) Add. A. واستقرت له .
4) Deest in A. totum caput, inscriptione excepta.

إلى نهاوند ، فالتقوا عندها ، واقتتلوا قتالاً كثُر فيه القتلى والأسرى ، فظفر علاء الدولة ، وقتل ابنَيْن لولكين في المعركة ، وأُسر الأصبهبذ وابنان له ووزيره ، ومضى ولكين في نفر يسير إلى جُرجان . وقصد عليُّ بن عمران قلعة كِنْكوَر فتحصّن بها ، فسار إليه علاء الدولة ، فحصره بها ، وبقي أصبهبذ محبوساً عند علاء الدولة إلى أن توفّي في رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة .

ثم إنّ ولكين بن وندرين سار بعد خلاصه من الوقعة إلى منوجهر بن قابوس ، وأطمعه في الرّيّ وملكها ، وهوّن عليه أمر البلاد لا سيّما مع اشتغال علاء الدولة بمحاصرة عليّ بن عمران ، وانضاف إلى ذلك أنّ ولد ولكين كان صهر علاء الدولة على ابنته ، وقد أقطعه علاءُ الدولة مدينة قُمّ ، فعصى عليه وصار مع أبيه ، وأرسل إليه يحثّه على قصد البلاد ، فسار إليها ومعه عساكره ، وعساكر منوجهر ، حتّى نزلوا على الرّيّ ، وقاتلوا مجد الدولة بن بويه ومَن معه ، وجرى بين الفريقَيْن وقائع استظهر فيها أهل الريّ . فلمّا رأى علاء الدولة ذلك صالح عليّ بن عمران .

فلمّا بلغ ولكينَ الصلحُ بينَ علاء الدولة وعليّ بن عمران رحل عن الريّ من غير بلوغ غرضٍ ، فتوجّه علاء الدولة إلى الريّ ، وراسل منوجهرَ ، ووبّخه وتهدّده ، وأظهر قصد بلاده ، فسمع أنّ عليّ بن عمران قد كاتب منوجهرَ ، وأطمعه ، ووعده النُّصرة ، وحثّه على العود إلى الريّ ، فعاد علاء الدولة عن قصد بلاد منوجهر ، وتجهّز لقصد[1] عليّ بن عمران ، فأرسل ابن عمران إلى منوجهر يستمدّه ، فسيّر[2] إليه ستّمائة[3] فارس وراجل مع قائد من قوّاده ، وتحصّن ابن عمران ، وجمع عنده الذخائر بكِنْكِوَر ، وقصده علاء الدولة وحصره وضيّق عليه ، ففني ما عنده ، فأرسل يطلب الصلح ، فاشترط علاء الدولة أن

1) A. add. بلاد .   2) A. فأرسل .   3) A. بستمائة .

يسلّم قلعة كِنْكِوَر والذين قتلوا أبا جعفر ابن عمّه ، والقائد الذي سيّره إليه منوجهر ، فأجابه إلى ذلك وسيّرهم إليه ، ° فقتل قَتَلَةَ[1] ابن عمّه ، وسجن القائد . وتسلّم القلعة ، وأقطع عليّاً عوضاً عنها مدينة الدّينور ، وأرسل منوجهر إلى علاء الدولة فصالحه ، فأطلق صاحبه .

ذكر عصيان البطيحة على أبي كاليجار

في هذه السنة عصى أهل البطيحة على الملك أبي كاليجار ، ومقدّمهم أبو عبد الله الحسين بن بكر الشرابيُّ ، الذي كان قديماً صاحب البطيحة ، وقد تقدّم خبره .

وكان سبب هذا الخلاف أنّ الملك أبا كاليجار سيّر وزيره أبا محمّد بن بابشاذ[2] إلى البطيحة ، فعسف الناس ، وأخذ أموالهم ، وأمر الشرابيّ فوضع على كلّ دار بالصليق قسطاً ، وكان في صحبته ، ففعل ذلك ، فتفرّقوا في البلاد ، وفارقوا أوطانهم ، فعزم من بقي على أن يستدعوا من يتقدّم عليهم في العصيان على أبي كاليجار ، وقَتْلِ الشرابيّ ، وكانوا ينسبون كلّ ما[١] يجري ° عليهم إلى[٢] الشرابيّ[3] . فعلم الشرابيُّ بذلك ، فحضر عندهم ، واعتذر إليهم ، وبذل من نفسه مساعدتهم على ما يريدونه ، ° فرضوا به[4] ، وحلفوا له ، وحلف لهم ، وأمرهم بكتمان الحال .

1) A. نقيل قتله .   2) A. باشاذ .   3) A. إليه .   4) Om. A.

١ كلّما .
٢ من .

وجرى بين الفريقَيْن مناوشات ، وسار الأجناد الواسطيّون إلى بارسطغان ° ببغداذ ، فكانوا معه ، وتنقلت الحال بين جلال الدولة وبارسطغان[1] ، فعاد جلال الدولة إلى بغداذ ، ونزل بالجانب الغربيّ ومعه قرواش بن المقلّد العُقيلي ، ودُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَد الأسديّ ، وخُطب لجلال الدولة به ، وبالجانب الشرقيّ لأبي كاليجار ، وأعان ° أبو الشوك[2] ، وأبو الفوارس منصور بن الحسين بارسطغانَ على طاعة أبي كاليجار .

ثم سار جلال الدولة إلى الأنبار ، وسار قرواش إلى الموصل ، وقَبض بارسطغان على ابن فسانجس ، فعاد منصور بن الحسين إلى بلده ، وأتى الخبر إلى بارسطغان بعود الملك أبي كاليجار إلى فارس ، ففارقه الديلم الذين جاؤوا نجدةً له ، فضعف أمره ، ° فدفع ماله[2] وحُرَمه إلى دار الخلافة ، وانحدر إلى واسط ، وعاد جلال الدولة إلى بغداذ ، وأرسل البساسيريّ[3] والمرشدَ وبني خفاجة في أثره ، فتبعهم جلال الدولة ودُبيس بن عليّ بن مَزْيد ، فلحقوه بالخيزرانية ، فقاتلوه ، فسقط عن فرسه ، فأُخذ أسيراً وحُمل إلى جلال الدولة ، فقتله وحمل رأسه ، وكان عمره نحو سبعين سنة .

° وسار جلال الدولة إلى واسط فملكها ، وأصعد إلى بغداذ[1] ، فضعف أمر الأتراك ، وطمع فيهم الأعراب ، واستولوا على إقطاعاتهم ، فلم يقدروا على كفّ أيديهم عنها ، وكانت مدّة بارسطغان من حين كاشف جلال الدولة إلى أن قُتل ستّة أشهر وعشرة أيّام .

....

1) Om. A.　　2) Om. C. P.　　3) C. P. الفساسيري .

ذكر الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار والمصاهرة[1] بينهما

في هذه السنة تردّدت الرسل بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليجار ، سلطان الدولة ، في الصلح والاتّفاق ، وزوال الخلف . وكان الرسل ° أقضى[١] القضاة[2] أبا الحسن الماورديّ ، وأبا عبد الله المردوسيّ ، وغيرهما ، فاتّفقا على الصلح ، وحلف كلّ واحد من الملكَيْن لصاحبه ، وأرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى أبي كاليجار الخِلع النفيسة ، ووقع العقد لأبي منصور بن أبي كاليجار على ابنة جلال الدولة ، وكان الصداق خمسين ألف دينار قاسانيّة .

ذكر عدّة حوادث

فيها توفّي أبو القاسم عليّ بن الحسين بن مُكرَم ، صاحب عُمان ، وكان جواداً ، ممدّحاً ، وقام ابنه مقامه .

وفيها توفّي الأمير أبو عبد الله الحسين بن سلامة ، أمير تهامة ، باليمن ، ووليَ ابنه بعده ، فعصى عليه خادم كان لوالده ، وأراد أن يملك ، فجرى بينهما حروب كثيرة تمادت أيامها ، ففارق أهل تهامة أوطانهم إلى غير مملكة ولد الحسين هرباً من الشر وتفاقم الأمر .

....

1) A. والمصالحة .　　2) A.

١ أقضا .



ثار أهل البلد بالعرب فقتلوا منهم العدد المذكور .

وكان ينبغي أن يأتي كلّ شيء من ذلك في السنة التي حدث فيها ، وإنّما أوردناه متتابعاً ليكون أحسن لسياقته ، فإنّه إذا انقطع وتخللته الحوادث في السنين لم يُفهم .

ذكر عدّة حوادث

فيها سار المُهلهِل بن محمّد بن عنّاز أخو أبي الشوك إلى السلطان طغرلبك ، فأحسن إليه وأقرّه على إقطاعه ، ومن جملته السِّيروان ، ودَقُوقا ، وشَهرزُور ، والصَّامَغَان ، وشفّعه في أخيه سُرخاب بن محمّد بن عنّاز ، وكان محبوساً عند طغرلبك ، وسار سُرخاب إلى قلعة الماهكي ، وهي له ، وأقطع سعدي بن أبي الشوك الراوندَيْن .

وفيها قبض المستنصر بمصر على أبي البركات عمّ أبي القاسم الجرجرائيّ ، واستوزر القاضي أبا محمّد الحسن بن عبد الرحمن اليازوريّ ، ويازور من أعمال الرَّملة .

وفيها توفّي محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله أبو الحسين ، ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

وفيها ، في شعبان ، توفّي أبو الحسن عليّ بن عمر القزوينيّ ، الزاهد ، وكان من الصالحين ، روى الحديث ، والحكايات ، والأشعار ، وروى عن ابن نُباتة شيئاً من شعره ، فمن ذلك قال ابن نُباتة :

وإذا عجزتَ عن العدوّ فداره ، وامزُجْ له ، إنّ المِزاجَ وِفاقُ
فالنارُ بالماء الذي هو ضدُّها تُعطي النِّضاج وطبعُها[1] الإحراقُ

وفيها ، في ذي القعدة ، توفّي أبو القاسم عمر بن ثابت النحويُّ الضرير ، المعروف بالثمانينيّ .

1) C. P. وضدها .

إنّي امرؤٌ للهِ شكرٌ وحدَه شكراً كثيراً ، جالباً لمزيدهِ
لي أشقرٌ سَمْحُ العِنان مُغاورٌ ، يُعطيك ما يُرضيك من مَجهودهِ
ومهنّدٌ عضبٌ ، إذا جرّدتُهُ خلْتَ البروقَ تَمُوج في تجريدهِ[1]
ومثقّفٌ لدنُ السِّنان[2] كأنّما أمُّ المنايا رُكّبَتْ في عُودهِ
وبذا حَوَيتُ المالَ ، إلاّ أنني سلّطتُ جُودَ يدي على تبديدهِ

قيل إنّه جمع بين أُختَيْن في نكاحه، فقيل له: إنّ الشريعة تحرّم هذا ؛ فقال: وأيّ شيء عندنا تجيزه الشريعة ؟ وقال مرّة : ما في رقبتي غير خمسة أو ستّة من البادية قتلتهم ، وأمّا الحاضرة فلا يعبأ الله بهم .

ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة

في هذه السنة ، في شعبان ، سيّر الملك الرحيم جيشاً مع الوزير والبساسيريّ إلى البصرة ، وبها أخوه أبو عليّ بن أبي كاليجار ، فحصروه بها ، فأخرج عسكره في السفن لقتالهم ، فاقتتلوا عدّة أيّام ، ثم انهزم البصريّون في الماء إلى البصرة ، واستولى عسكر الرحيم على دجلة والأنهر جميعاً ، وسارت العساكر على البرّ من المنزلة بمَطّارا إلى البصرة ، فلمّا قاربوها لقيهم رُسُل مُضر وربيعة يطلبون الأمان ، فأجابوهم إلى ذلك ، وكذلك بذلوا الأمان لسائر أهلها ، ودخلها الملك الرحيم ، فسُرّ به أهلها ، وبذل لهم الإحسان .

فلمّا دخل البصرة وردت إليه رسل الدّيلم بخُوزِستان يبذلون الطاعة ، ويذكرون أنّهم ما زالوا عليها . فشكرهم على ذلك ، وأقام بالبصرة ليُصلح أمرها .

وأمّا أخوه أبو عليّ ، صاحب البصرة ، فإنّه مضى إلى شطّ عُثمان[1] فتحصّن به ، وحفر الخندق ، فمضى الملك الرحيم إليه وقاتلهم ، فملك الموضع ومضى أبو عليّ ووالدته إلى عبّادان ، وركبوا البحر إلى مَهْرُوبان ، وخرجوا من البحر واكتروا دوابّ وساروا إلى أرّجان عازمين على قصد السلطان طغرلبك ، وأخرج الملك الرحيم كلّ من بالبصرة من الديلم أجناد أخيه وأقام غيرهم .

ثم إنّ الأمير أبا عليّ وصل إلى السلطان طغرلبك ، وهو بأصبهان ، فأكرمه وأحسن إليه ، وحمل إليه مالاً ، وزوّجه امرأة من أهله ، وأقطعه إقطاعاً من أعمال جَرْبَاذَقَان ، وسلّم إليه قلعتَيْن من تلك الأعمال أيضاً . وسلّم الملك الرحيم البصرة إلى البساسيريّ ومضى إلى الأهواز ، وتردّدت الرسل بينه وبين منصور بن الحُسين وهزارسب ، حتّى اصطلحوا ، وصارت أرّجان وتُستَر للملك الرحيم .

ذكر ورود سعْدي العراق

وفيها ، في ذي القعدة ، ورد سعْدي بن أبي الشوك في جيش من عند السلطان طغرلبك إلى نواحي العراق ، فنزل مايَدَشْتَ ، وسار منها جريدة فيمن معه من الغزّ إلى أبي دُلَفٍ الجاوانيّ ، فنَذِر به أبو دلف ، وانصرف من بين

---

(588) 1) C. P. تحديده . 2) A. القوام .

(589) 1) C. P. عمان .

٤٥٨

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه

في هذه السنة سار ألْب أرسلان من مرو إلى رايكان ، فنزل بظاهرها ، ومعه جماعة أمراء دولته ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بأنّه السلطان بعده ، وأركبه ، ومشى بين يدَيْه يحمل الغاشية .

وخلع السلطان على جميع الأمراء ، وأمرهم بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها ، ففعل ذلك ، وأقطعَ البلاد ، فأقطع مازَنْدَرَانَ للأمير إينانج بيْغو ؛ وبَلْخ لأخيه سليمان بن داود جُغري بك ؛ وخُوارزم لأخيه أرسلان أرغو ؛ ومَرْو لابنه الآخر أرسلان شاه ؛ وصَغَانيان وطَخارستان لأخيه إلياس ؛ وولاية بَغْشُور ونواحيها لمسعود بن أرتاش ، وهو من أقارب السلطان ؛ وولاية أسفرار لمودود بن أرتاش .

ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس

في هذه السنة سيّر تميم ، صاحب إفريقية ، عسكراً كثيفاً إلى مدينة تُونُس ، وبها أحمد بن خُراسان قد أظهر عليه الخلاف .

وسبب ذلك أنّ المعزّ بن باديس ، أبا تميم ، لمّا فارق القَيروان والمنصوريّة

ورحل إلى المَهديّة ، على ما ذكرناه ، استخلف على القَيروان وعلى قابِس قائد بن ميمون الصنهاجيّ ، وأقام بها ثلاث سنين ، ثم غلبته هوارة عليها ، فسلّمها إليهم وخرج إلى المهديّة ، فلمّا وليَ الملك تميم بن المعزّ بعد أبيه ردّه إليها ، وأقام عليها إلى الآن ، ثم أظهر الخلاف على تميم والتجأ إلى طاعة الناصر بن علناس ابن حمّاد ، فسيّر إليه تميم الآن عسكراً كثيراً ، فلمّا سمع بهم قائد بن ميمون علم أنّه لا طاقة له بهم ، فترك القَيروان وسار إلى الناصر ، فدخل عسكر تميم القَيروان ، وخرّبوا دور القائد ، وسار العسكر إلى قابِس ، وبها ابن خُراسان ، فحصروه بها سنةً وشهرَيْن ، ثم أطاع ابن خُراسان تميماً وصالحه .

وأمّا قائد فإنّه أقام عند الناصر ، ثم أرسل إلى أمراء العرب ، فاشترى منهم إمارة القَيروان ، فأجابوه إلى ذلك ، فعاد إليها فبنى سورها وحصّنها .

ذكر ملك شرف الدولة الأنبار وهِيت وغيرهما

في هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران ، صاحب الموصل ، إلى السلطان ألْب أرسلان ، فأقطعه الأنبار ، وهِيت ، وحَربَى ، والسِّنّ ، والبوازيجَ ، ووصل إلى بغداد ، فخرج الوزير فخر الدولة بن جَهير في الموكب ، فلقيه ، ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهريّ ، وخلع عليه الخليفة .

ذكر عدّة حوادث

في • العشر الأوّل من[1] جُمادى الأولى ظهر كوكب كبير ، له ذؤابة طويلة ، بناحية المشرق ، عرضها نحو ثلاث أذرع ، وهي ممتدّة إلى وسط السماء ،

1) C. P. أول .

ذكر ملك السلطان ملكشاه تِرمِذ والهدنة بينه وبين صاحب سَمَرْقَنْد

قد ذكرنا أنّ خاقان التكين صاحب سَمَرْقَنْد ملك تِرمِذ بعد قتل السلطان ألْب أرسلان ، فلمّا استقامت الأمور للسلطان ملكشاه سار إلى تِرمِذ وحصرها ، وطمّ العسكر خندقها ، ورماها بالمجانيق[1] ، فخاف من بها ، فطلبوا الأمان فأمّنهم ، وخرجوا منها وسلّموها .

وكان بها أخٌ لخاقان التكين ، فأكرمه السلطان ، وخلع عليه ، وأحسن إليه[2] ، وأطلقه ، وسلّم قلعة تِرمِذ إلى الأمير ساوتكين ، وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم ، وحفْر خندقها وتعميقه ، ففعل ذلك .

وسار السلطان ملكشاه يريد سَمَرْقَند ، ففارقها صاحبها ، وأنفذ يطلب المصالحة ، ويضرع إلى نظام الملك في إجابته إلى ذلك ، ويعتذر من تعرّضه إلى تِرمِذ ، فأُجيب إلى ذلك ، واصطلحوا ، وعاد ملكشاه عنه إلى خُراسان ، ثم منها إلى الرّيّ ، وأقطع بلخ وطُخارِستان لأخيه شهاب الدين تكش .

ذكر عدّة حوادث

فيها توفّي زعيم الدولة أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنِّيل فجأةً ، وله سبعون سنة ، وقد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية .

وفيها توفّي إياز[3] أخو السلطان ملكشاه ، وكُفي شرّه كما كُفي شرّ عمّه

1) A. بالمنجنيق .   2) Om. A.

3) A. إياس ; at in marg. إلياس ; C. P. إياز ; Bodl. إلياس .

قاورت بك .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، توفّي القاضي أبو الحسين بن أبي جعفر السِّمنانيُّ حمو قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغانيّ ، ووليَ ابنه أبو الحسن ما كان إليه من القضاء بالعراق والموصل ، وكان مولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بسمنان ، وكان هو وأبوه من المغالين[1] في مذهب الأشعريّ ، ولأبيه فيه تصانيف كثيرة ، وهذا ممّا يُستطرف أن يكون حنفيّ أشعريّاً .

وفيها ، في جمادى الآخرة ، توفّي عبد العزيز أحمد بن محمّد بن عليّ أبو محمد الكتّانيُّ ، الدمشقيُّ ، الحافظ ، وكان مكثِراً في الحديث ، ثقة ، وممّن سمع منه الخطيب أبو بكر البغداذيُّ .

1) A. المضاهين .

يا قِوامَ الدين لم يبقَ ببغداذ مَقامُ

عظُم الخطبُ ، وللحربِ اتّصالٌ ، ودَوامُ

فمتى لم تحسِم الداءَ أياديك الحسامُ

ويكفّ القوم في بغداذ قتلٌ ، وانتقامُ

فعلى مدرسة فيها ، ومن فيها السلامُ

واعتِصامٌ بحَريمٍ لكَ ، مِن بَعدُ ، حَرامُ

فلمّا سمع نظام الملك ما جرى من الفتَن ، وقصْد مدرسته ، والقتْل بجوارها ، مع أنّ ابنه مؤيد الملك فيها ، عظُم عليه . فأعاد كوهرائين إلى شحنكيّة العراق ، وحمّله رسالةً إلى الخليفة المقتدي بأمر الله تتضمّن[1] الشكوى من بني جَهير ، وسأل عزْل فخر الدولة من الوزارة ، وأمر كوهرائين بأخذ أصحاب بني جَهير ، وإيصال المكروه إليهم وإلى حواشيهم .

فسمع بنو جَهير الخبر ، فسار عميد الدولة إلى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه ، وتجنّب الطريق ، وسلك الجبال خوفاً أن يلقاه كوهرائين وينالَه فيها أذًى ، فلمّا وصل كوهرائين إلى بغداذ اجتمع بالخليفة وأبلغه رسالة نظام الملك ، فأمر فخر الدولة بلزوم منزله .

ووصل عميد الدولة إلى المعسكر السلطانيّ ، ولم يزل يستصلح نظام الملك حتّى عاد إلى ما ألفه منه ، وزوّجه بابنة بنت[1] له ، وعاد إلى بغداذ في العشرين من جمادى الأولى ، فلم يردّ الخليفة أباه إلى وزارته ، وأمرهما بملازمة منازلهما ، واستوزر أبا شجاع محمّد بن الحسين .

1) A. ابن .

١ يتضمّن .

ثم إنّ نظام الملك راسل الخليفة في إعادة بني جَهير إلى الوزارة ، وشفع في ذلك ، فأُعيد عميد الدولة إلى الوزارة ، وأُذن لأبيه فخر الدولة في فتح بابه ، وكان ذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة] .

ذكر استيلاء تُتُش على دمشق

في هذه السنة ملك تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان دمشق .

وسبب ذلك أنّ أخاه السلطان ملكشاه أقطعه الشام ، وما يفتحه في تلك النواحي ، سنة سبعين وأربعمائة ، فأتى حلبَ وحصرها ، ولحق أهلَها مجاعة شديدة ، وكان معه جمع كثير من التّركمان ، فأنفذ إليه أقسيس ، صاحب دمشق ، يستنجده ، ويعرّفه أنّ عساكر مصر قد حصرته بدمشق .

وكان أمير الجيوش بدر قد سيّر عسكراً من مصر ، ومقدّمهم قائد يُعرف بنصر[1] الدولة ، فحصر دمشق ، فأرسل أقسيس إلى تاج الدولة تُتُش يستنصره ، فسار إلى نصرة أقسيس ، فلمّا سمع المصريّون بقربه أجفلوا من بين يدَيْه شبه المنهزمين ، وخرج أقسيس إليه يلتقيه عند سور البلد ، فاغتاظ منه تُتُش حيث لم يبعد في تلقّيه ، وعاتبه على ذلك ، فاعتذر بأمور لم يقبلها تُتُش . فقبض عليه في الحال ، وقتله من ساعته ، وملك البلد ، وأحسن السيرة في أهله ، وعدل فيهم .

قد ذكر ابن الهمذانيّ وغيره من العراقيّين أنّ مُلك تُتُش دمشق كان هذه السنة ، وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقيُّ في كتاب تاريخ دمشق أنّ ملكه إيّاها كان سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة] .

1) A. بنصير .

الملوك : فسار إليهم إبراهيم[1] ، ودعاهم إلى الاسلام أوّلاً ، فامتنعوا من إجابته ، وقاتلوه ، فظفر بهم ، وأكثر القتل فيهم ، وتفرّق من سلم في البلاد ، وسبى[١] واسترقّ من النسوان والصبيان مائة ألف . وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يُدرَك قعره ، يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابّة ، ولا يظهر فيه نقص .

وفي بلاد الهند موضع يقال له وره ، وهو برّ بين خليجَيْن ، فقصده الملك إبراهيم ، فوصل إليه في جمادى الأولى ، وفي طريقه عقبات[2] كثيرة ، وفيها أشجار ملتفّة ، فأقام هناك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشتاء شدّة ، ولم يفارق الغزوة[3] حتّى أنزل الله نصره على أوليائه ، وذُلّه على أعدائه ، وعاد إلى غزنة سالماً مظفّراً .

هذه الغزوات لم أعرف تاريخها ، ° وأمّا الأولى فكانت هذه السنة[4] ، فلهذا أوردتُها متتابعة في هذه السنة .

ذكر ملك شرف الدولة مُسلم مدينة حلب

في هذه السنة ملك[5] شرف الدولة مُسلم بن قُريش العُقَيلي ، صاحب الموصل[6] ، مدينة حلب .

° وسبب ذلك أنّ تاج الدولة تُتُش بن ألْب أرسلان[7] حصرها[8] مرّة بعد أخرى ، فاشتدّ الحصار بأهلها ، وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلاّت وغيرها .

1) C. P. أولا . 2) A. عتبان . 3) A. العرصة . 4) Om. C. P.
5) A. سار . 6) Add. A. إلى . 7) Om. A. 8) A. فحصرها .

١ وسبا .

ثم إنّ تُتُش حصرها هذه السنة ، وأقام عليها أيّاماً ورحل عنها وملك بُزاعَةَ والبيرَة ، وأحرق رَبَضَ عَزَازَ ، وعاد إلى دمشق .

فلمّا رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلّموها إليه ، فلمّا قاربها امتنعوا من ذلك ، وكان مقدّمهم يُعرف بابن الحُتَيْتي[1] العبّاسي ، فاتّفق أنّ ولده خرج يتصيّد بضيعة له ، فأسره أحد التركمان ، وهو صاحب حصن بنواحي حلب ، وأرسله إلى شرف الدولة ، فقرّر معه أن يسلّم البلد إليه إذا أطلقه ، فأجاب إلى ذلك ، فأطلقه ، فعاد إلى حلب ، واجتمع بأبيه ، وعرّفه ما استقرّ ، فأذعن إلى تسليم البلد ، ونادى بشعار شرف الدولة ، وسلّم البلد إليه ، فدخله سنة ثلاث وسبعين [وأربعمائة] ، وحصر القلعة ، واستنزل منها سابقاً ووثّاباً ابنَيْ محمود بن مرداس ، فلمّا ملك البلد أرسل ولدَهُ ، وهو ابن عمّة السلطان ، إلى السلطان يخبره بملك البلد ، وأنفذ معه شهادةً فيها خطوط المعدّلين بحلب بضمانها ، وسأل أن يقرّر عليه الضمان ، فأجابه السلطان إلى ما طلب ، وأقطع ابن عمّته مدينة بالس .

ذكر مسير ملكشاه إلى كرمان

في أوّل هذه السنة سار السلطان ملكشاه إلى بلاد كَرمان ، فلمّا سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك[2] ، وهو ابن عمّ السلطان ، بوصوله إليها خرج إلى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة ، وخدمه ، وبالغ في الخدمة ، فأقرّه السلطان على البلاد ، وأحسن إليه ، وعاد عنه في المحرّم سنة ثلاث وسبعين [وأربعمائة] إلى أصبهان .

1) A. الجنيبي . 2) A.

ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل

لمّا بلغ السلطانَ أنّ شرف الدولة انهزم وحُصر بآمِد لم يشكّ في أسره ، فخلع على عميد الدولة بن جَهير ، وسيّره في جيش كثيفٍ إلى الموصل ، وكاتب امراء التركمان بطاعته ، وسيّر معه من الأمراء آقسُنْقُر ، قسيم الدولة ، جدّ ملوكنا أصحاب الموصل ، وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب .

وكان الأمير أُرتُق قد قصد السلطان ، فعاد صحبة[١] عميد الدولة من الطريق . فسار عميد الدولة حتّى وصل إلى الموصل ، فأرسل إلى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ، ففتحوا له البلد وسلّموه إليه ، وسار السلطان بنفسه وعساكره إلى بلاد شرف الدولة ليملكها ، فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان ، على ما نذكره .

ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر ، فأرسل مؤيّد الملك بن نظام الملك إلى شرف الدولة ، وهو مقابل الرحبة ، فأعطاه العهود والمواثيق ، وأحضره عند السلطان ، وهو بالبوازيج ، فخلع عليه آخر رجب ، وكانت أمواله قد ذهبت ، فاقترض ما خدم به ، وحمل للسلطان خيلاً رائقة ، من جملتها فرسُه بشّار ، وهو فرسه المشهور الذي نجا عليه من المعركة ، ومن آمِد أيضاً ، وكان سابقاً لا يُجارى ، فأمر السلطان بأن يسابق به الخيل ، فجاء سابقاً ، فقام السلطان قائماً لما تداخله[1] من العجب .

وأرسل الخليفة النقيب طِراداً[٢] الزينبيّ في لقاء[٣] شرف الدولة ، فلقيه بالموصل ،

1) A. داخله .

١ صحبته .
٢ طراد .
٣ معنى .

فزاد أمر شرف الدولة قوّةً ، وصالحه السلطان ، وأقرّه على بلاده ، وعاد إلى خُراسان لحرب أخيه .

ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه

قد تقدّم ذكرُه ، وذكرُ مصالحته للسلطان ، فلمّا كان الآن ، ورأى بُعد السلطان عنه عاود العصيان ، وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط ، فحسّنوا له مفارقة طاعة أخيه ، فأجابهم ، وسار معهم ، فملك مرو الروذ وغيرها إلى قلعة تقارب سَرْخَس وهي لمسعود ابن الأمير ياخز[1] ، وقد حصّنها جُهْدَه ، فحصروه بها ، ولم يبق غير أخذها منه .

فاتّفق أبو الفتوح الطُّوسيُّ ، صاحب نظام الملك ، وهو بنَيسابور ، وعميد خُراسان ، وهو أبو عليّ ، على أن يكتب أبو الفتوح ملطّفاً إلى مسعود بن ياخز[2] ، وكان خطّ أبي الفتوح أشبه شيء بخطّ نظام الملك ، يقول فيه : كتبتُ هذه الرقعة من الرَّيّ يوم كذا ، ونحن سائرون من الغد نحوك ، فاحفظ القلعة ، ونحن نكبس العدوّ في ليلة كذا . واستدعيا فَيْجاً يثقون به ، وأعطياه دنانير صالحة ، وقالا : سِرْ نحو مسعود ، فإذا وصلتَ إلى المكان الفلاني فأقِمْ به ونم وأخفِ هذا الملطّف في بعض حيطانه ، فستأخذك طلائع تكش ، فلا تعترف لهم حتّى يضربوك ، فإذا فعلوا ذلك وبالغوا فأخرجه لهم وقُلْ إنّك فارقتَ السلطان بالرَّيّ ، ولك منّا الحِباء والكرامة .

ففعل ذلك ، وجرى الأمر على ما وصفا ، وأُحضِر بين يدَيْ تكش وضُرب ، وعُرض على القتل ، فأظهر الملطّف وسلّمه إليهم ، وأخبرهم

1) C. P. باجر .
2) C. P. باجر .

شرف الدولة إلى حلب على بغل ملفوفةً في إزار ، وطلب من أهلها أن يسلّموها إليه . وفي هذه السنة في صفر أرسل تُتُش جثّة سليمان في إزار ليسلّموها إليه ، فأجابه ابن الحتيتيّ أنّه يكاتب السلطانَ ، ومهما أمره فعل ، فحصر تُتُش البلد ، وأقام عليه ، وضيّق على أهله .

وكان ابن الحُتَيْتيّ قد سلّم كلّ برج من أبراجها إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه ، وسلّم برجاً فيها إلى إنسان يُعرف بابن الرعوي . ثم إنّ ابن الحتيتيّ أوحشه بكلام أغلظ له فيه ، وكان هذا الرجل شديد القوّة ، ورأى ما الناس فيه من الشدّة ، فدعاه ذلك إلى أن أرسل إلى تُتُش يستدعيه ، وواعده ليلة يرفع الرجال إلى السور في الحبال ، فأتى تُتُش للميعاد الذي ذكره ، فأصعد الرجال في الحبال والسلاليم ، وملك تُتُش المدينة ، واستجار ابن الحُتَيتيّ بالأمير أُرتُق فشفع فيه ، وأمّا القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران ، وهو ابن عمّ شرف الدولة مسلم بن قريش ، فأقام تُتُش يحصر القلعة سبعة عشر يوماً ، فبلغه الخبر بوصول مقدّمة أخيه السلطان ملكشاه ، فرحل عنها .

ذكر ملك السلطان حلب وغيرها

كان ابن الحُتَيْتيّ قد كاتب السلطانَ ملكشاه يستدعيه ليسلّم إليه حلب ، لمّا خاف تاج الدولة تُتُش ، فسار إليه من أصبهان في جمادى الآخرة ، وجعل على مقدّمته الأمير برسق[1] ، وبوزان ، وغيرهما من الأمراء ، وجعل طريقه على الموصل ، فوصلها في رجب ، وسار منها ، فلمّا وصل إلى حرّان سلّمها إليه ابن الشاطر ، فأقطعها السلطان لمحمّد بن شرف الدولة ، وسار إلى الرُّها ،

1) A. برشق .

وهي بيد الروم ، فحصرها وملكها ، وكانوا قد اشتروها من ابن عُطَيْر[1] ، وتقدّم ذكر ذلك ، وسار إلى قلعة جَعْبَر ، فحصرها يوماً وليلة وملكها ، وقتل من بها من بني قُشير ، وأخذ جَعْبَر من صاحبها ، وهو شيخ أعمى ، وولدَيْن له ، وكانت الأذيّة بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجأون إليها .

ثم عبر الفرات إلى مدينة حلب ، فملك في طريقه مدينة مَنْبِج ، فلمّا قارب حلب رحل عنها أخوه تُتُش ، وكان قد ملك المدينة ، كما ذكرناه ، وسار عنها يسلك البرّيّة ، ومعه الأمير أُرتق ، فأشار بكبس عسكر السلطان ، وقال : إنّهم قد وصلوا ، وبهم وبدوابّهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ؛ ولو فعل لظفر بهم .

فقال تُتُش : لا أكسرُ جاهَ أخي الذي أنا مستظلّ بظلّه ، فإنّه يعود بالوهن عليَّ أوّلاً .

وسار إلى دمشق ، ولمّا وصل السلطان إلى حلب تسلّم المدينة ، وسلّم إليه سالم بن مالك القلعة على أن يعوّضه عنها قلعة جَعْبَر ، وكان سالم قد امتنع بها أوّلاً ، فأمر السلطان أن يُرمى إليه رشقاً واحداً بالسهام ، فرمى الجيش ، فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام ، فصانع عنها بقلعة جَعْبَر وسلّمها[2] ، وسلّم السلطان إليه قلعة جَعْبَر ، فبقيت بيده وبيد أولاده إلى أن أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وأرسل إليه الأمير نصر بن عليّ بن مُنقذ الكنانيُّ ، صاحب شَيْزَر ، فدخل في طاعته ، وسلّم إليه اللاذقيّة[١] ، وكَفَرطاب ، وأفامية[٢] ، فأجابه إلى

1) A. عطية .   2) A. وتسلمها .

١ لاذقيّة .

٢ وفامية .

بدار المملكة ، وركب من الغد إلى الحلْبة ، ولعب بالجوكان والكرة ، وأرسل إلى الخليفة هدايا كثيرة ، فقبلها الخليفة ، ومن الغد أرسل نظام الملك إلى الخليفة خدمةً كثيرة ، فقبلها ، وزار السلطان ، ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر ، وقبر معروف ، وأحمد بن حَنبَل وأبي حنيفة ، وغيرها من[1] القبور المعروفة ، فقال ابن زكرويْه الواسطيّ يهنّىء نظام الملك بقصيدة منها :

زُرْتَ[2] المشاهدَ زَوْرةً مشهودةً ، أرضَتْ مضاجِعَ مَنْ بها مَدفونُ
فكأنّك الغيْثُ استهلَّ[1] بتُربِها ، وكأنّها بكَ روضةٌ ومَعِينُ
فازَتْ قِداحُك بالثّوابِ وأنجَحتْ ولكَ الإلهُ على النَّجاحِ[3] ضَمِينُ

وهي مشهورة .

وطُلب نظام الملك إلى دار الخلافة ليلاً ، فمضى في الزَّبزب ، وعاد من ليلته ، ومضى السلطان ونظام الملك إلى الصيد في البرّيّة ، فزارا المشهدَيْن : مشهد أمير المؤمنين عليّ ، ومشهد الحسين ، عليه السلام ، ودخل السلطان البرّ ، فاصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان وغيرها ، وأمر ببناء منارة القرون بالسُّبيعي[4] ، وعاد السلطان إلى بغداذ ، ودخل إلى الخليفة ، فخلع عليه الخِلع السلطانيّة .

ولمّا خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائماً يقدّم أميراً أميراً إلى الخليفة ، وكلّما قدّم أميراً يقول : هذا العبد فلان بن فلان ، وأقطاعه كذا وكذا ، وعدّة عسكره كذا وكذا ، إلى أن أتى على آخر الأمراء ، وفوّض الخليفة إلى السلطان أمر البلاد والعباد ، وأمره بالعدل فيهم ، وطلب السلطان أن يقبّل يد الخليفة ،

1) Om. C. P. 2) C. P. نقف . 3) A النحاح ; C. P. العجاج .
4) A. بالنسيمي ; C. P. sine punctis.

١ استحلّ .

فلم يجبه ، فسأل أن يقبّل خاتمه ، فأعطاه إيّاه فقبّله ، ووضعه على عينه ، وأمره الخليفة بالعود فعاد .

وخلع الخليفة أيضاً على نظام الملك ، ودخل نظام الملك إلى المدرسة النظاميّة ، وجلس في خزانة الكتب ، وطالع فيها كتباً ، وسمع الناس عليه بالمدرسة جُزء حديث ، وأملَى جزءاً آخر . وأقام السلطان ببغداذ إلى صفر سنة ثمانين [وأربعمائة] ، وسار منها إلى أصبهان .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في المحرّم ، جرى بين أهل الكَرخ وأهل باب البصرة فتنة قُتل فيها جماعة ، من جملتهم القاضي أبو الحسن ابن القاضي أبي الحسين بن الغريق الهاشميّ ، الخطيب ، أصابه سهم فمات منه ، ولمّا قُتل تولّى ابنه الشريف أبو تمام ما كان إليه من الخطابة ، وكان العميد كمال الملك الدهستانيّ ببغداذ ، فسار بخيله ورجله إلى القنطرة العتيقة ، وأعان أهل الكرخ ، ثم جرت بينهم فتنة ثانية في شوّال منها ، فأعان الحجّاج على أهل الكرخ ، فانهزموا ، وبلغ الناس إلى درب اللؤلؤ ، وكاد أهل الكرخ يهلكون ، فخرج أبو الحسن بن برغوث العلويّ إلى مقدّم الأحداث من السنّة ، فسأله العفو ، فعاد عنهم وردّ الناس .

• وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران ، وجاء المطر يومَيْن ببغداذ[1] .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، أرسل العميد كمال الملك إلى الأنبار ، فتسلّمها من بني عُقَيل ، وخرجت من أيديهم .

1) Om. A.

وفيها ، في ربيع الآخر ، فرغت المنارة بجامع القصر وأُذّن فيها .

وفيها ، في جمادى الأولى ، ورد الشريف أبو القاسم عليٌّ بن أبي يعلى الحسنيّ الدبوسيُّ إلى بغداذ ، في تجمّل عظيم ، لم يُرَ مثله لفقيهٍ ، ورُتّب مدرّساً بالنظاميّة بعد أبي سعد المتولّي .

وفيها أمر السلطانُ أن يزاد في إقطاع وكلاء الخليفة نهر بُرزَى[1] من طريق خراسان ، وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداذ .

وفيها أقطع السلطانُ ملكشاه محمّد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرَّحبة وأعمالها ، وحرّان ، وسَروج ، والرَّقّة ، والخابور ، وزوّجه بأخته زُلَيْخَا خاتون ، فتسلّم البلاد جميعها ما عدا حرّان ، فإنّ محمّد بن الشاطر امتنع من تسليمها ، فلمّا وصل السلطان إلى الشام نزل عنها ابن الشاطر ، فسلّمها السلطان إلى محمّد .

وفيها وقع ببغداذ صاعقتان ، فكسرتْ إحداهما أُسطوانتَيْن ، وأحرقت قطناً في صناديق ، ولم تحترق الصناديق ، وقتلت الثانية رجلاً .

وفيها كانت زلازل بالعراق ، والجزيرة ، والشام ، وكثير من البلاد ، فخربت كثيراً من البلاد ، وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء ، فلمّا سكنَتْ عادوا .

وفيها عُزل فخر الدولة بن جُهير عن ديار بكر ، وسلّمها السلطان إلى العميد أبي عليّ البلخيّ ، وجعله عاملاً عليها .

وفيها أسقط اسم الخليفة المصريّ[2] من الحرمَيْن الشريفَيْن ، وذكر اسم الخليفة المقتدي بأمر الله .

---

1) C. P. ورى .

2) A. المستنصر العلوي صاحب مصر .

وفيها أسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق .

وفيها حصر تميم بن المعزّ بن باديس ، صاحب إفريقية ، مدينتيْ قَابِسَ وسَفَاقُسَ في وقت واحد ، وفرّق عليهما[١] العساكر .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، توفّي أبو الحسن بن فضّال المجاشعيُّ ، النحويُّ ، المقري .

وفي ربيع الآخر توفّي شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفيُّ ، النَّيسابوريُّ ، وهو الذي تولّى بناء الرباط بنهر المعلّى ، وبنى وقوفه ، وهو رباط شيخ الشيوخ الآن ، وبنى وقوف المدرسة النظاميّة ، وكان عالي الهمّة ، كثير التعصّب لمن يلتجىء إليه ، وجدّد تربة معروف الكرخيّ بعد أن احترقت ، وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان ، وكان يقال : نحمد الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقّعةٍ ، ولو أخرجه من قباء لهلكنا .

وفيها توفّي أبو عليّ محمّد بن أحمد الشيريُّ[1] ، البصريُّ ، وكان خيّراً ، حافظاً للقرآن ، ذا مال كثير ، وهو آخر من روى سُنَن أبي داود السِّجِستانيّ عن أبي عمر الهاشميّ .

وفيها توفّي الشريف أبو نصر الزينبيُّ ، العبّاسيُّ ، نقيب الهاشميّين ، وهو محدّث مشهور عالي الإسناد .

---

1) C. P. السري .

---

١ عليها .

وفيها سلّم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة إلى مملوكه آقسَنْقَر، فوليها، وأظهر فيها العدل وحُسن السيرة، وكان زوج دادوا[1] السلطان ملكشاه، وهي التي تحضنه وتربّيه، وماتت بحلب سنة أربع وثمانين [وأربعمائة].

وفيها استبق ساعيان أحدهما للسلطان، فضليّ، والآخر للأمير قماج، مرعوشيّ، فسبق ساعي السلطان، وقد تقدّم ذكر الفضليّ والمرعوشيّ أيّام معزّ الدولة بن بُوَيْه.

وفيها جعل السلطان وليّ عهده ولدَه أبا شُجاع أحمد، ولقّبه ملك الملوك، عضد الدولة، وتاج الملّة، عُدّة أمير المؤمنين، وأرسل إلى الخليفة بعد مسيره من بغداذ، ليخطب له ببغداذ بذلك. فخُطب له في شعبان، ونثر الذهب على الخطباء.

وفيها، في شعبان، انحدر سعد الدولة كوهرائين إلى واسط لمحاربة مهذّب الدولة بن أبي الجبر[2]، صاحب البطائح، ولمّا فارق بغداذ كثُرت فيها الفتن.

وفيها، في ذي القعدة، وُلد للخليفة من ابنة السلطان ولد سمّاه جعفراً[1]، وكناه أبا الفضل، وزيّن البلد لأجل ذلك.

وفيها استولى العميد * كمال الملك[3] أبو الفتح الدِّهِسْتانيّ، عميد العراق، على مدينة هَيت، أخذها صُلحاً ومضى إليها، وعاد عنها في ذي القعدة.

وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرها من المحالّ، قُتل فيها كثير من الناس.

وفيها كسفت الشمس كسوفاً كلّيّاً.

1) A. دادة. 2) A. الجهير. 3) Om. C. P.; A. كمال الدين.

١ جعفر.

وفيها توفّي الأمير أبو منصور قتلغ أمير الحاجّ، وحجّ أميراً اثنتي عشرة[1] سنة، وكانت له في العرب عدّة وقعات، وكانوا يخافونه، ولمّا مات قال نظام الملك: مات اليوم ألف رجل؛ ووليّ إمارة الحاجّ نجم الدولة خمارتكين.

وفيها، في جمادى الأولى، توفّي إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساويُّ، سمع الحديث[1] الكثير من أبي سعيد الصيرفيّ وغيره، وروى عنه الناس، وكان ثقةً؛ وطاهر بن الحسين أبو الوفا البَنْدَنيجيُّ، الهَمَذانيُّ، كان شاعراً، أديباً، وكان يمدح لا لعرض الدنيا، ومدح نظام الملك بقصيدتَيْن كلّ واحدة منهما تزيد على أربعين بيتاً، إحداهما ليس فيها نقطة، والأخرى جميع حروفها منقوطة.

وفيها توفّيت فاطمة بنت عليّ المؤدّب، المعروفة ببنت الأقرع، الكاتبة، كانت من أحسن الناس خطّاً على[2] طريقة ابن البوّاب، وسمعت الحديث وأسمعتْهُ.

وفيها، في ذي القعدة، توفّي غرس النعمة أبو الحسن محمّد بن الصابيّ، صاحب التاريخ، وظهر له مال كثير، وكان له معروف وصدقة.

1) A. 2) A. تؤدي.

١ عشر:

فأذن له ، وبقي مع كوهرائين جماعة من الأمراء ، فاتّفقوا على أن يصدروا عن رأيٍ واحدٍ لا يختلفون ، ثم اتّفقت آراؤهم على أن كتبوا إلى السلطان بركيارق يقولون له : اخرج إلينا ، فما فينا مَن يقاتلك[1] .

وكان الذي أشار بذا[2] كربوقا ، وقال لكوهرائين : إنّنا لم نظفر من محمّد ومؤيّد الملك بطائل ، وكان منحرفاً عن مؤيّد الملك . فسار بركيارق إليهم ، فترجّلوا ، وقبّلوا الأرض ، وعادوا معه إلى بغداذ ، وأعاد إلى[3] كوهرائين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودوابّ وغير ذلك ، واستوزر بركيارق ببغداذ الأعزّ أبا المحاسن عبد الجليل بن عليّ بن محمّد الدِّهستانيّ ، وقبض على عميد الدولة ابن جُهير ، وزير الخليفة ، وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لمّا تولاّها هو وأبوه أيّام ملكشاه ، فاستقرّ الأمر على مائة ألف دينار وستّين ألف دينار يحملها إليه ، وخلع الخليفة على السلطان بركيارق .

ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارُق ومحمّد وإعادة خطبة محمّد ببغداذ

في هذه السنة سار بركيارُق من بغداذ على شَهرزور ، فأقام بها ثلاثة أيّام ، والتحق [به] عالَم كثير من التركمان وغيرهم ، فسار نحو أخيه السلطان محمد ليحاربه ، فكاتبه رئيس هَمَذان ليسير إليها ويأخذ أقطاع الأمراء الذين مع أخيه ، فلم يفعل ، وسار نحو أخيه ، فوقعت الحرب بينهم رابع رجب ، وهو المصافّ الأوّل بين بركيارق وأخيه السلطان محمّد بإسْبيذْرُوذ ، ومعناه النهر الأبيض ، وهو على عدّة فراسخ من هَمَذان .

1) B. يقابلك .   2) B. بهذا .   3) Om. B.

وكان مع محمّد نحو عشرين ألف مقاتل ، وكان محمّد في القلب ، ومعه الأمير سرمز ، وعلى ميمنته أمير آخُر ، وابنه إياز ، وعلى ميسرته مؤيّد الملك ، والنظاميّة ، وكان السلطان بركيارق في القلب ، ووزيره الأعزّ أبو المحاسن ، وعلى ميمنته كوهرائين وعزّ الدولة بن صدقة بن مَزْيَد ، وسُرخاب بن بدر ، وعلى ميسرته كربوقا وغيره ، فحمل كوهرائين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمّد ، وبها مؤيّد الملك ، والنظاميّة ، فانهزموا ، ودخل عسكر بركيارق في خيامهم ، فنهبوهم ، وحملت ميمنة محمّد على ميسرة بركيارق ، فانهزمت الميسرة ، وانضافت ميمنة محمّد إليه في القلب على بركيارق ومَنْ معه ، فانهزم بركيارق ، ووقف محمّد مكانه ، وعاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يدَيْه ، وكبا به فرسه ، فأتاه خراسانيّ فقتله ، وأخذ رأسه ، وتفرّقت عساكر بركيارق ، وبقي في خمسين فارساً .

وأمّا وزيره الأعزّ أبو المحاسن فإنّه أُخذ أسيراً ، فأكرمه مؤيّد الملك ابن نظام الملك ، ونصب له خيماً وخركاة ، وحمل إليه الفُرُش والكسوة ، وضمّنه عمادة بغداذ ، وأعاده إليها ، وأمره بالمخاطبة في إعادة الخطبة للسلطان محمّد ببغداذ ، فلمّا وصل إليها خاطب في ذلك ، فأُجيب إليه ، وخُطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب .

ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين

في هذه السنة ، في رجب ، قُتل سعد الدولة كوهرائين في الحرب المذكورة قبلُ ، وكان ابتداء أمره أنّه كان خادماً للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة ابن بويه ، انتقل إليه * من امرأة[1] من قُرقُوب بخُوزستان ، وكان إذا توجّه

1) Om. B.

بقربه منهم ، خافوا منه ، وأخذوا نساءهم ، وأولادهم ، وأموالهم ، وجمعوا السفن جميعها ، وانحدروا إلى الزُّبيديّة ، فأقاموا هناك .

ووصل السلطان ، وهو شديد المرض ، يُحمل في محفّة ، وقد هلك من دوابّ عسكره ومتاعهم الكثير ، فإنّهم كانوا يجدّون السير خوفاً أن يتبعهم السلطان محمّد ، أو الأمير صدقة ، صاحب الحِلّة ، فكانوا كلّما جازوا قنطرة هدموها ، ليمتنع من يجتاز بها من اتّباعهم .

ولمّا وصلوا إلى واسط عُوفي بركيارق ، ولم يكن له ولأصحابه همّة غير العبور من الجانب الغربيّ إلى الجانب الشرقيّ ، فلم يجد[1] هناك سفينة ، وكان الزمان شاتياً ، شديد البرد ، والماء زائداً[١] ، وكان أهل البلد قد خافوهم ، فلزموا الجامع وبيوتهم ، فخلت الطرق والأسواق من مجتازٍ فيها ، فخرج القاضي أبو عليّ الفارقيّ إلى العسكر ، واجتمع بالأمير إياز ، والوزير ، واستعطفهما للخلق ، وطلب إنفاذ[2] شِحنةٍ لتطمئنّ القلوب ، فأجابوه إلى ملتمسه ، وقالوا له : نريد أن تجمع لنا مَن يعبّر دوابّنا في الماء ، ونسبح[3] معها ؛ فجمع لهم من شباب واسط ، وأعطاهم الأجرة الوافرة ، فعبّروا دوابّهم من الخيل والبغال والجمال ، وكان الأمير إياز بنفسه يسوق الدوابّ ، ويفعل ما يفعله الغلمان ، ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداذ ، فعبّروا أموالهم ورحالهم[4] فيها . فلمّا صاروا في الجانب الشرقيّ اطمأنّوا ، ونهب العسكر البلد ، فرجع القاضي وجدّد الخطاب في الكفّ عنهم ، فأُجيب إلى ذلك ، فأرسل معه مَنْ يمنع من النهب .

1) A. يجدوا .   2) Om. C. P.   3) A. B. ويسبح .
4) C. P. ورجالهم .

١ زائد .

ثمّ إنّ عسكر واسط أرسلوا إلى السلطان بركيارق يطلبون الأمان ليحضروا الخدمة فأمّنهم ، فحضر أكثرهم عنده ، وساروا معه إلى بلاد بني برسق ، فحضروا أيضاً عنده وخدموه ، واجتمعت العساكر عليه .

وبلغه مسير أخيه محمّد عن بغداذ ، فسار يتبعه على نَهاوند ، فأدركه بروذراور ، وكان العسكران متقاربَيْن في العدّة ، كلّ واحد منهما أربعة آلاف فارس من الأتراك ، فتصافّوا ، أوّلَ يوم ، جميع النهار ، ولم يجْرِ بينهم قتال لشدّة البرد ، وعادوا في اليوم الثاني ، ثمّ تواقفوا كذلك ، ثمّ كان الرجل يخرج من أحد الصفّيْن فيخرج إليه من يقاتله ، فإذا تقاربا اعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، وسلّم عليه ، ويعود عنه .

ثمّ خرج الأمير بلدجي[1] وغيره من عسكر محمّد إلى الأمير إياز والوزير الأعزّ ، فاجتمعوا ، واتّفقوا على الصلح ، لما قد عمّ الناس من الضرر ، والملل ، والوهن ، فاستقرّت القاعدة أن يكون بركيارق السلطان ، ومحمّد الملك ، ويُضرب له ثلاث نُوَب ، ويكون له من البلاد جَنْزَة ، وأعمالها ، وأذربيجان ، وديار بكر ، والجزيرة ، والموصل ، وأن يمدّه السلطان بركيارق بالعساكر ، حتّى يفتح ما يمتنع عليه منها ، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه ، وانصرف الفريقان من المصافّ رابع ربيع الأوّل ، وسار بركيارق إلى مرج قراتكين قاصداً ساوة ، والسلطان محمّد إلى أسداباذ ، وتفرّق العسكران وقصد كلّ أمير أقطاعه .

1) A. B. بلداجي .

وسببها أنّ إيلغازي كان بطريق خراسان ، فعاد إلى بغداذ . فلمّا وصل أتى جماعة من أصحابه إلى دجلة ، فنادوا ملاّحاً ليعبر بهم ، فتأخّر ، فرماه أحدهم بنشّابة ، فوقعت في مَشْعره فمات . فأخذ العامّة القاتل ، وقصدوا باب النّوبي ، فلقيهم ولد إيلغازي مع جماعة ، فاستنقذوه ، ورجمهم العامّة بسوق الثلاثاء ، فمضى إلى أبيه مستغيثاً ، فأخذ حاجبُ الباب من له في هذه الحادثة عملٌ فلم يُقنع إيلغازي ذلك ، فعبر بأصحابه إلى محلّة الملاّحين ، المعروفة بمربّعة القطّانين ، ويتبعهم خلق كثير ، فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه ، فعطف عليهم العيّارون فقتلوا أكثرهم .

ونزل من سلِم في السفن ليعبروا دجلة ، فلمّا توسّطوها ألقى الملاّحون أنفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا ، فكان الغريق أكثر من القتيل ، وجمع إيلغازي التركمان ، وأراد نهب الجانب الغربيّ ، فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة ، والكيا الهرّاس ، المدرّس بالنظاميّة ، فمنعاه من ذلك ، فامتنع .

ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها

في هذه السنة ، في العشرين من شوّال ، قصد الأمير إسماعيل ، صاحب البصرة ، مدينة واسط للاستيلاء عليها .

ونحن نبتدىء بذكر إسماعيل ، وتنقّل الأحوال به إلى أن ملك البصرة ، وهو إسماعيل بن سلانجق ، وكان إليه في أيّام ملكشاه شحنكيّة الريّ ، ولمّا وليها كان أهل الريّ والرُّستاقيّة قد أعيَوا مَنْ وليهم ، وعجز الولاة عنهم ، فسلك معهم طريقاً أصلحهم بها ، وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذّبوا بها ، وأرسل مِن شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاودَ وشُكُلاً للدوابّ ، ثم عُزل عنها .

ثمّ إنّ السلطان بركيارق أقطع البصرة للأمير قماج ، فأرسل إليها هذا الأمير

إسماعيل نائباً عنه ، فلمّا فارق قماج بركيارق ، وانتقل إلى خراسان ، حدّثته نفسه بالتغلّب على البصرة ، والاستبداد ، فانحدر مهذّب الدولة بن أبي الجبر[1] من البطيحة إليه ليحاربه ، ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسديُّ ، صاحب الجزيرة الدُّبيسيّة ، فأقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ، ووصلوا إلى مَطّارا .

فبينما معقل يقاتل قريباً من القلعة التي بناها ينّال بمَطّارا ، وجدّدها إسماعيل وأحكمها ، أتاه سهم غَرْبٍ فقتله ، فعاد ابن أبي الجبر إلى البطيحة ، وأخذ إسماعيل سفنه ، وذلك سنة إحدى وتسعين [وأربعمائة] ، فاستمدّ ابن أبي الجبر كوهرائين ، فأمدّه بأبي الحسن الهرويّ ، وعبّاس بن أبي الجبر ، فلقياه، فكسرهما وأسرهما ، وأطلق عبّاساً على مال أرسله أبوه ، واصطلحا .

وأمّا الهرويّ فبقي في حبسه مدّةً ، ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار ، فلم يصحّ له منها شيء .

وقوي حال إسماعيل ، فبنى[1] قلعة بالأُبُلّة، وقلعة بالشاطىء مقابل مَطّارا ، وصار مخوفَ الجانب وأمن البصريّون به ، وأسقط شيئاً من المكوس ، واتّسعتْ إمارته باشتغال السلاطين ، وملك المَشّان ، واستضافها إلى ما بيده .

فلمّا كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه ، فقوي طمعه في واسط ، فأصعد في السفن إلى نَهْرابان[2] ، وراسلهم في التسليم ، فامتنعوا من ذلك ، وقالوا : راسلناك ، وقد رأينا غير ذلك الرأي . فأصعد إلى الجانب الشرقيّ ، فخيّم تحت النخيل ، وسفنه بين يديْه ، وخيّم جند واسط حِذاءه ،

1) A. الخير ; B. sine p. Ita ubique.

2) A. B. نهراجان .

١ فبنا .

واحد منهما فيها ولدَهُ . وعادا عنها في العشرين من جمادى الأولى ، وأمن أهل واسط ممّا كانوا يخافونه .

فأمّا إيلغازي فإنّه أصعد إلى بغداذ ؛ وأمّا سيف الدولة صدقة فإنّه عاد إلى الحِلّة ، وأرسل ولده الأصغر منصوراً مع إيلغازي إلى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه ؛ فإنّه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة ، فوصل إلى بغداذ، وخاطب في ذلك ، فأُجيب إليه .

ذكر استيلاء صدقة على هَيت

كانت مدينة هَيت لشرف الدولة مسلم بن قريش[1] ؛ أقطعه إيّاها السلطان ألب أرسلان ، ولم تزل معه حتّى قُتل ؛ فنظر فيها عمداء بغداذ إلى أن مات السلطان ملكشاه ، ثم أخذها أخوه تُتُش بن ألب أرسلان . فلمّا استولى السلطان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة ثروان « بن وهب[2] بن وُهَيْبة » ، وأقام هو وجماعة من بني عُقَيْل عند سيف الدولة صدقة ، وكانا متصافيَيْن[3] ، وكان صدقة يزوره كثيراً ثم تنافرا .

وكان سبب ذلك أنّ صدقة زوّج بنتاً له من ابن عمّه ، وكان ثروان قد خطبها ، فلم يجبه إلى ذلك ؛ فتحالفت عُقَيْل ، وهم في حِلّة سيف الدولة ، أن يكونوا يداً واحدة عليه ؛ فأنكر صدقة ذلك ، وحجّ ثروان عُقَيْبَ ذلك وعاد مريضاً ، فوكّل به صدقة ، وقال : « لا بدّ من هَيْت » ؛ فأرسل ثروان حاجبه ، وكتب خطّه بتسليم البلد إليه .

1) A. فراس . 2) Om. A. B. 3) B. متضامنين .

وكان بهَيت حينئذ[1] محمّد بن رافع بن رفاع[2] بن ضُبيعة بن مالك بن مقلّد ابن جعفر ، وأرسل صدقة ابنه دُبَيْساً مع الحاجب ليتسلّمها فلم يسلّم إليه محمّد ، فعاد دُبَيْس إلى أبيه ، فلمّا أخذ صدقة واسطاً ، هذه النوبة ، أصعد في عسكره إلى هَيت ، فخرج إليه منصور بن كثير ابن أخي ثروان ، ومعه جماعة من أصحابه ، فلقوا سيف الدولة ، وحاربوه ساعة من النهار .

ثم إنّ جماعة من الرَّبَعيّين[3] فتحوا لسيف الدولة البلد ، فدخله أصحابه ، فلمّا رأى ذلك منصور ومن معه سلّموا البلد إليه ، فملكه يوم نزوله ، وخلع على منصور وجماعة من وجوه[4] أصحابه ، وعاد إلى حِلّته ، واستخلف عليه ابن عمّه ثابت بن كامل .

ذكر الحرب بين بركيارُق ومحمّد

في هذه السنة ، ثامن جمادى الآخرة ، كان المصافّ الخامس بين السلطان بركيارُق والسلطان محمّد .

وكانت كَنْجَةُ وبلاد أرّان جميعها للسلطان محمّد ، وبها عسكره ، ومقدّمهم الأمير غزغلي ، فلمّا طال مقام محمّد بأصبهان محصوراً توجّه غزغلي والأمير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمّد بن مؤيّد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته ، ليراهم بعين الطاعة .

وكان آخر ما تقام فيه الخطبة لمحمّد زَنْجان ممّا يلي أذربيجان ، فوصلوا إلى الريّ في العشرين من ذي الحجّة سنة خمس وتسعين [وأربعمائة] ، ففارقه

1) Om. B. 2) C. P. نفاع ; om. B. 3) A. B. الدبيسيين . 4) C. P.

لمحمّد بالسلطنة ، وبقي بعد قتل والده ، واتّصل بالسلطان محمّد ، وحضر معه هذه الحرب فانهزم .

ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة

في هذه السنة ، منتصف رجب ، قُبض على الوزير سديد الملك أبي المعالي ، وزير الخليفة ، وحُبس في دارٍ بدار الخلافة ؛ وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان ، فنُقلوا إليه ، وكان محبسه جميلاً .

وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة . فإنّه قضى[1] عمره في أعمال السلاطين ، وليس لهم هذه القواعد ، ولمّا قُبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا إلى النظر في الديوان .

ومن عجيب ما جرى من الكلام الذي وقع بعد أيّام أنّ سديد الملك كان يسكن في دار عميد الدولة بن جُهير ، وجلس فيها مجلساً عامّاً يحضره الناس لوعظ المؤيّد عيسى الغزنويّ ، فأنشدوا أبياتاً ارتجلها :

سديدَ الملكِ سُدْتَ ، وخُضْتَ بحراً عميقَ اللُّجّ ، فاحفَظْ فيه رُوحَكْ
وأحْيِ مَعالمَ الخيَراتِ ، واجعَلْ لِسانَ الصِّدقِ في الدُّنيا فُتُوحَكْ
وفي الماضين مُعْتَبَرٌ ، فأسرِجْ مَرُوحَكَ في السلامة ، أو جَمُوحَكْ

ثمّ قال سديد الملك : مَن شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ، ولو

[1] قضا .

بعد زمان ؛ ثمّ أشار إلى الدار وقرأ : ﴿ وَسَكَنْتُمْ في مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ وتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾[1] ، فقبض على الوزير بعد أيّام .

ذكر ملك الملك دُقاق مدينة الرَّحبة

في هذه السنة ، في شعبان ، ملك الملك دُقاق بن تُتُش ، صاحب دمشق ، مدينة الرَّحْبة ، وكانت بيد إنسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب أرسلان ؛ فلمّا قُتل كربوقا استولى عليها ، فسار دُقاق وطُغتكين أتابكه إليه ، وحصراه بها ، ثمّ رحل عنه .

وتوفّي قايماز هذه السنة في صفر ، وقام مقامه غلامٌ تركيّ اسمه حسن ؛ فأبعد عنه كثيراً من جنده ، وخطب لنفسه ، وخاف من دُقاق ، فاستظهر ، وأخذ جماعة من السالاريّة الذين يخافهم ، فقبض عليهم ، وقتل جماعة من أعيان البلد ، وحبس آخرين وصادرهم . فتوجّه دُقاق إليه وحصره ، فسلّم العامّة البلد إليه ، واعتصم حسن بالقلعة ، فأمّنه دُقاق ، فسلّم القلعة إليه ، فأقطعه إقطاعاً كثيراً بالشام ، وقرّر أمر الرَّحْبة ، وأحسن إلى أهلها ، وجعل فيها من يحفظها ، ورحل عنها إلى دمشق .

1) Cor. 14, vs. 45.

بالعراق ، وكان موصوفاً بالخير ، والدين ، وحسن العهد ، لم يفارق محمّداً في حروبه كلّها .

وفيها أقطع السلطان محمّد الكوفة للأمير قايماز ، وأوصى [1] صدقةَ أن يحمي أصحابه من خَفاجة ، فأجاب إلى ذلك .

وفيها ، في شهر رمضان ، وصل السلطان محمّد إلى أصبهان ، فأمّن أهلها ، ووثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط ، والعسف ، والمصادرة ، وشتّان بين خروجه منها هارباً متخفّياً ، وعوده إليها سلطاناً متمكّناً ، وعدل في أهلها ، وأزال عنهم ما يكرهون ، وكفّ الأيدي المتطرّقة إليهم من الجند وغيرهم ، فصارت[١] كلمة العاميّ أقوى من كلمة الجنديّ ، ويد الجنديّ قاصرة عن العاميّ من هيبة السلطان وعدله .

وفيها كثُر الجُدَري في كثير من البلدان ، لا سيّما العراق ، فإنّه كان به كلّه ، ومات به من الصبيان ما لا يحصى ، وتبعه وباء كثير ، وموت عظيم .

وتوفّي في هذه السنة ، في شوّال ، ٭ أحمد بن[2] محمّد بن أحمد أبو عليّ البردانيّ ، الحافظ ، ومولده سنة ستّ وعشرين وأربعمائة ، سمع ابن غيلان ، والبرمكيّ ، والعشاريّ وغيرهم .

وتوفّي أبو المعالي ثابت بن بندار[3] بن إبراهيم البقّال ، ومولده سنة ستّ عشرة وأربعمائة ، سمع أبا بكر البرقانيّ ، وأبا عليّ بن شاذان ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفي رابع جمادى الأولى توفّي أبو الحسن محمّد بن عليّ بن أبي الصقر ،

1) B. add. السلطان محمد .   2) Om. C.   3) B. مدار .

١ فصار .

الفقيه الشافعيُّ ، ومولده سنة تسع وأربعمائة ، وكان أديباً ، شاعراً ، فمن قوله :

من قالَ لي جاهٌ ، ولي حشمةٌ ، ولي قبولٌ عندَ مَولانا
ولم يَعُد ذاكَ[١] بنَفعٍ على صَديقِه ، لا كانَ مَن كانا

وفيها أيضاً توفّي أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا ، وكان كاتباً للخليفة جيّد الكتابة ، وكان عمره سبعين سنة ، ولم يخلّف وارثاً لأنّه أسلم ، وأهله نصارى ، فلم يرثوه ، وكان يبخَل ، إلاّ أنّه كان كثير الصدقة ؛ وأبو المؤيّد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنويُّ ، كان واعظاً ، شاعراً ، كاتباً ، قدم بغداذَ ، ووعظ بها ، ونصر مذهب الأشعريّ ، وكان له قبولٌ عظيم ، وخرج منها ، فمات باسفرايين .

١ ذلك .

ما يؤمر به ، وكتب صدقة أيضاً إلى السلطان يعتذر ممّا نُقل عنه ، ومن الحرب التي كانت بين أصحابه وبين الأتراك ، وأنّ جند السلطان عبرت إلى[1] أصحابه، فمنعوا عن أنفسهم بغير علمه ، وأنّه لم يحضر الحربَ ، ولم ينزع يداً من طاعة ، ولا قطع خطبته من بلده .

ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب ، فأرسل الخليفة نقيب النقباء ، وأبا سعد الهرويّ إلى صدقة ، فقصدا السلطان أوّلاً ، وأخذا يده بالأمان لمن يقصده من أقارب صدقة ، فلمّا وصلا إلى صدقة[2] وقالا له عن الخليفة : إنّ إصلاح قلب السلطان موقوف على إطلاق الأسرى ، وردّ جميع ما أُخذ من العسكر المنهزم ، فأجاب أوّلاً بالخضوع والطاعة ، ثم قال : لو قدرتُ على الرحيل من بين يدي السلطان لفعلتُ ، لكن ورائي مِن ظهري ، وظهر أبي وجدّي ، ثلاثمائة امرأة ، ولا يحملهنّ مكان ، ولو علمتُ أنّني إذا جئتُ السلطانَ مستسلماً قبلني واستخدمني لفعلتُ ، لكنّني أخاف أنّه لا يُقيل عثرتي[3] ، ولا يعفو عن زلّتي .

وأمّا ما نُهب فإن الخلق كثير ، وعندي من لا أعرفه ، وقد نهبوا ودخلوا البرّ ، فلا طاقة لي عليهم ، ولكن إن كان السلطان لا يعارضني فيما في يدي ، ولا فيمن أجرتُه ، وأن يقرّ سُرخاب بن كَيْخسرو على إقطاعه بساوة ، وأن يتقدّم إلى ابن بوقا بإعادة ما نهب من بلادي ، وأن يخرج وزير الخليفة يحلّفه بما أثق به من الأيمان على المحافظة فيما بيني وبينه ، فحينئذ أخدم بالمال ، وأدوس بساطه بعد ذلك .

فعادوا بهذا ، ومعهم أبو منصور بن معروف ، رسول صدقة ، فردّهم الخليفة ، وأرسل السلطان معهم قاضي أصبهان أبا إسماعيل ، فأمّا أبو إسماعيل

1) B. عزوا . 2) Om. C. P. 3) B. عذري .

فلم يصل إليه ، وعاد من الطريق ، وأصرّ صدقة على القول الأوّل . فحينئذ سار السلطان ، ثامن رجب ، من الزعفرانيّة ، وسار صدقة في عساكره إلى قرية مَطَّر ، وأمر جنده بلبس السلاح ، واستأمن ثابت بن سلطان بن دُبَيْس بن عليّ ابن مَزْيد ، وهو ابن عمّ صدقة، إلى السلطان محمّد ، وكان يحسد صدقة ، وهو الذي تقدّم ذكره أنّه كان بواسط ، فأكرمه السلطان ، وأحسن إليه ، ووعده الإقطاع .

ووردت العساكر إلى السلطان منهم : بنو برسق ، وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن عليّ بن فرامرز ، أبي جعفر بن كاكويْه وآباؤه كانوا أصحاب أصبهان ، وفرامرز[1] هو الذي سلّمها إلى طغرلبك ، وقُتل أبوه مع تُتُش .

وعبر عسكر السلطان دجلة ، ولم يعبر هو ، فصاروا مع صدقة على أرض واحدة ، بينهما نهر ، والتقوا تاسع عشر رجب ، وكانت الريح في وجوه أصحاب السلطان ، فلمّا التقوا صارت في ظهورهم ، وفي وجوه أصحاب صدقة ، ثم إنّ الأتراك رموا بالنشاب ، فكان يخرج في كلّ رشقة عشرة آلاف نشّابة ، فلم يقع سهم إلاّ في فرس أو فارس ، وكان أصحاب صدقة كلّما حملوا منعهم النهر من الوصول إلى الأتراك والنشّاب ، ومن عبر منهم لم يرجع ، وتقاعدت عُبادة وخفَاجة ، وجعل صدقة ينادي : يا آل خزيمة ، يا آل ناشرة ، يا آل عوف ؛ ووعد الأكراد بكلّ جميل لما ظهر من شجاعتهم ، وكان راكباً على فرسه المهلوب[2] ، ولم يكن لأحدٍ مثله ، فجُرح الفرس ثلاث[3] جراحات ، وأخذه الأمير أحمديل[4] بعد قتل صدقة ، فسيّره إلى بغداذ في سفينة ، فمات في الطريق .

وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن تفاحة ، فلمّا رأى

1) Om. B. 2) B. المهلوف . 3) Om. B. 4) B. أحمد بك .

أهلها كانوا[1] يقطعون الطريق ، ويأخذون التجار ، فحصرها ، وضيّق على من فيها فدخلوا تحت [طاعته] ، والتزموا ترك الفساد ، وضمنوا إصلاح الطريق ، وكفّ عنهم عند ذلك ، وصلح أمر البحر ، وأمِن المسافرون .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في رجب ، قدم السلطان محمّد بغداذ ، ووصل إليه أتابك طغتكين ، صاحب دمشق ، في ذي القعدة ، وسأل الرضا عنه ، فرضي عنه السلطان ، وخلع عليه ، وردّه إلى دمشق .

وفيها أمر الإمام المستظهر بالله ببيع البَدريّة ، وهي منسوبة إلى بدر غلام المعتضد بالله ، وكانت من أحسن دور الخلفاء ، وكان ينزلها الراضي بالله ، ثم تهدّمت وصارت تلاً ، فأمر القادر بالله أن يسوَّر عليها سور ، لأنّها مع الدار الإماميّة ، ففعل ذلك ، فلمّا كان الآن أمر ببيعها ، فبيعت ، وعمرها الناس .

وفيها ، في شعبان ، وقعت الفتنة بين العامّة ، وسببها أنّ الناس لمّا عادوا من زيارة مُصعب اختصموا على من يدخل أوّلاً ، فاقتتلوا ، وقُتل بينهم جماعة ، وعادت الفتن بين أهل المحالّ كما كانت ، ثم سكنت .

وفيها أقطع السلطان محمّد الموصِل وما كان بيد آقسنقر البرسقيّ للأمير جيوش بك ، وسيّر ولده الملك مسعوداً ، وأقام البرسقيّ[1] بالرَّحبة ، وهي إقطاعه ،

1) Om. Bodl.

١ كان .

إلى أن توفّي السلطان محمّد ، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها توفّي إسماعيل بن محمّد بن أحمد بن ملّة الأصبهانيّ ، أبو عثمان ابن أبي سعيد الواعظ ، سمع الكثير ، وحدّث ببغداذ وغيرها ؛ وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطيّ ، أبو البركات ، له رحلة ، وله تصانيف ، وكان أديباً .

فلمّا تمّت الهدنة سار إلى ماردين ، على هذا العزم ، واستخلف بحلب ابنَه حُسام الدين تمرتاش .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في رابع عشر صفر ، انخسف القمر انخسافاً كلّيّاً .

وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام ، وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا .

وفيها ، في يوم عرفة ، كانت زلزلة بالعراق ، والجزيرة ، وكثير من البلاد ، وخربت ببغداذ دور كثيرة بالجانب الغربيّ .

وفيها مات أحمد العربيُّ ببغداذ ، وكان من عباد الله الصالحين ، له كرامات ، وقبره يزار بها .

وفي هذه السنة ، في شوّال ، توفّي أبو عليّ محمّد بن سعد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب ، وعُمره مائة سنة ، وكان عالي الإسناد ، روى عن أبي عليّ بن شاذان وغيره ؛ والحسن بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقّاق الفرضيُّ ، الحاسب ، وكان واحد عصره في علم الفرائض والحساب ، وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهتدي وغيره .

وفيها مات الكزايكس[1] ملك القسطنطينيّة ، وملك بعده ابنه يوحنّا ، وسلك سيرته .

وفيها مات دوقس أنطاكية ، وكفى الله شرّه .

---

1) Bodl. الكرالس ; C. P. الكرانكس ; nomen Alexii hic latere, patet.

٥١٢

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البُرسقيّ شحنكيّة بغداذ

لمّا توفّي السلطان محمّد ، وملك بعده ابنه محمود ، ودبّر دولته الوزير الربيب أبو منصور ، أرسل إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب أن يخطب له ببغداذ ، فخُطب له في الجمعة ثالث عشر المحرّم ، وكان شحنة بغداذ بهروز .

ثم إنّ الأمير دُبَيْس بن صدقة كان عند السلطان محمّد ، مذ قُتل والده ، على ما ذكرناه ، فأحسن إليه ، وأقطعه إقطاعاً كثيراً ، فلمّا توفّي السلطان محمّد خاطب السلطانَ محموداً في العود إلى بلده الحلّة ، فأذن له في ذلك ، فعاد إليها ، فاجتمع عليه خلق كثير من العرب ، والأكراد ، وغيرهم ، وكان آقسنقر البرسقيُّ مقيماً بالرَّحبة ، وهي إقطاعه ، وليس بيده من الولايات شيء ، فاستخلف عليها ابنه عزّ الدين مسعود ، وسار إلى السلطان محمّد ، قبل موته ، عازماً على مخاطبته في زيادة إقطاعه ، فبلغه وفاة السلطان محمّد قبل وصوله إلى بغداذ .

وسمع مجاهد الدين بَهروز بقربه من بغداذ ، فأرسل إليه يمنعه من دخولها ، فسار إلى السلطان محمود ، فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكيّة بغداذ ، وهو بحُلوان ، وعزل بهروز .

وكان الأمراء عند السلطان يريدون البرسقيَّ ، ويتعصّبون له ، ويكرهون

الحنفيّة ، وروى الحديث الكثير .

وفيها ، في ذي الحجّة ، توفّي أبو زكريّاء يحيى بن عبد الوهّاب بن مندة الأصبهانيُّ ، المحدّث المشهور من بيت الحديث ، وله فيه تصانيف حسنة .

وفيها توفّي أبو الفضل أحمد بن الخازن . وكان أديباً ، ظريفاً ، له شعر حسن ، فمنه قوله ، وقد قصد زيارة صديق له ، فلم يره ، فأدخله غلمانه إلى بستان في الدار ، وحمّام ، فقال في ذلك :

وافَيتُ مَنزِلَهُ ، فلم أرَ صاحباً إلاّ تلقّاني بوَجهٍ ضاحكِ
والبِشرُ في وَجهِ الغُلامِ نتيجةٌ لمُقَدّماتِ ضياءِ وجهِ المالكِ
ودخلتُ جنّتَهُ ، وزُرتُ جحيمَهُ فشكرتُ رِضواناً ورأفةَ مالكِ

٥١٣

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود

كان الملك طغرل بن محمّد لمّا توفّي والده بقلعة سَرْجَهانَ ، وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرّم ، وأقطعه والده ، سنة أربع ، ساوةَ وآوةَ وزَنْجانَ ، وجعل أتابكه الأمير شيركير الذي تقدّم ذكره في حصار قلاع الإسماعيليّة ، فازداد مُلك طغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم ، فأرسل إليه السلطان محمود الأمير كنتغدي ليكون أتابكاً له ، ومدبّراً لأمره ، ويحمله إليه ، فلمّا وصل إليه حسّن له مخالفة أخيه ، وترْك المجيء إليه ، واتّفقا على ذلك .

وسمع السلطان محمود الخبر ، فأرسل شرف الدين أنوشروان بن خالد ، ومعه خِلع وتحف وثلاثون ألف دينار ، ووعد أخاه بإقطاع كثير ، زيادة على ما له ، إذا قصده ، واجتمع به ، فلم تقع الإجابة إلى الاجتماع ، وأجاب كنتغدي : بأنّنا في طاعة[1] السلطان ، وأيّ جهة أراد قصدناها ، ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده .

فبينما الخوض معهم في ذلك ركب السلطان محمود من باب همَذان في عشرة آلاف فارس ، جريدة ، في جمادى الأولى ، وكتم مقصده ، وعزم على أن يكبس أخاه ، والأمير كنتغدي ، فرأى أحد خواصّه تركيّاً من أصحاب الملك طغرل ، فأعلم السلطان به ، فقبض عليه ، فعلم رفيق كان معه الحال ، فسار عشرين

1) Bodl.; C. P. نائباً عن السلطان .

٥١٥

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة

ذكر إقطاع البُرسقيّ الموصل

في هذه السنة ، في صفر ، أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها، وما ينضاف إليها ، كالجزيرة ، وسِنجار ، وغيرهما ، الأمير آقسنقَر البُرسقيّ .

وسبب ذلك : أنّه كان في خدمة السلطان محمود ، ناصحاً له ، ملازماً له في حروبه كلّها ، وكان له الأثر الحسن في الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ، وهو الذي أحضر الملك مسعوداً[1] عند أخيه السلطان محمود، فعظم ذلك عند السلطان محمود، ولمّا حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولّى عليها البرسقيّ ، وتقدّم إلى سائر الأمراء بطاعته ، وأمره بمجاهدة الفرنج وأخْذ البلاد منهم ، فسار إليها في عسكر كثير وملكها ، وأقام يدبّر أمورها ، ويصلح أحوالها .

ذكر وفاة الأمير عليّ وولاية ابنه الحسن إفريقية

في هذه السنة توفّي الأمير عليُّ بن يحيى بن تميم ، صاحب إفريقية ، في العشر الأخير[2] من ربيع الآخر ، وكان مولده بالمهديّة ، وقد تقدّم من حروبه

---

١ مسعود .
٢ الآخر .

وأعماله ما يُستدلّ به على علوّ همّته ، ولمّا توفّي وليّ الملك بعده ابنه الحسن ، بعهد أبيه ، وقام بأمر دولته صندل الخصيّ ، لأنّه كان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة لا يستقلّ بتدبير الملك ، فقام صندل في الحفظ والاحتياط ، فلم تطُلْ أيّامه حتّى توفّي ، فوقع الاختلاف بين أصحابه وقوّاده ، كلّ منهم يقول : أنا المقدّم على الجميع ، وبيدي الحلّ والشدّ ؛ فلم يزالوا كذلك إلى أن فوّض أمور دولته إلى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفّق ، فصلحت الأمور.

ذكر قتل أمير الجيوش

في هذه السنة ، في الثالث والعشرين من رمضان ، قُتل أمير الجيوش الأفضل ابن بدر الجماليُّ ، وهو صاحب الأمر والحكم بمصر ، وكان ركب إلى خزانة السلاح ليفرّقه على الأجناد ، على جاري العادة في الأعياد ، فسار معه عالم كثير من الرجّالة والخيّالة ، فتأذّى بالغبار ، فأمر بالبعد عنه ، وسار منفرداً ، معه رجلان ، فصادفه رجلان بسوق الصياقلة ، فضرباه بالسكاكين فجرحاه ، وجاء الثالث من ورائه ، فضربه بسكّين في خاصرته ، فسقط عن دابّته ، ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة ، وحملوه إلى دار الأفضل ، فدخل عليه الخليفة ، وتوجّع له ، وسأله عن الأموال ، فقال : أمّا الظاهر منها فأبو الحسن بن أُسامة الكاتب يعرفه ، وكان من أهل حلب ، وتولّى أبوه قضاء القاهرة ، وأمّا الباطن[1] فابن البطائحيّ يعرفه ؛ فقالا : صدق .

فلمّا توفّي الأفضل نُقل من أمواله ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، وبقي الخليفة في داره نحو أربعين يوماً ، والكتّاب بين يدَيْه ، والدوابّ تحمل وتنقل ليلاً

---

١ الباطنة .

إنسان من أهل حماة من بيت قرناص ، كان قد قدّمه إيلغازي على أهل حلب ، وجعل إليه الرئاسة ، فجازاه بذلك ، وقطع يديْه ورجليْه ، وسمل عينيْه ، فمات .

وأحضر ولده ، وهو سكران ، فأراد قتله ، فمنعته رقّة الوالد ، فاستبقاه ، فهرب إلى دمشق ، فأرسل طغتكين يشفع فيه ، فلم يجبه إلى ذلك ، واستناب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبّار بن أُرتُق ، ولقّبه بدر الدولة ، وعاد إلى ماردين .

ذكر إقطاع ميّافارقين إيلغازي

في هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميّافارقين للأمير إيلغازي .

وسبب ذلك أنّه أرسل ولدَه حُسام الدين تمرتاش ، وعمره سبع عشرة سنة ، إلى السلطان ليشفع في دُبَيْس بن صدقة ، ويبذل عنه الطاعة ، وحَمْل الأموال ، والخيل ، وغيرها ، وأن يضمن الحلّة كلّ يوم بألف دينار وفرس ؛ وكان المتحدّث عنه القاضي بهاء الدين أبو الحسن عليّ بن القاسم بن الشهرزوريّ ، فتردّد الخطاب في ذلك ، ولم ينفصل حال ، فلمّا أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميّافارقين ، وكانت مع الأمير سُكمان ، صاحب خِلاط ، فتسلّمها إيلغازي ، وبقيت في يده ، ويد أولاده ، إلى أن ملكها صلاح الدين يوسف ابن أيّوب سنة ثمانين وخمسمائة ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر حصر بَلَك بن بَهرام الرُّها وأسر صاحبها

في هذه السنة سار بَلَك بن بَهرام ، ولد أخي إيلغازي ، إلى مدينة الرُّها ، فحصرها وبها الفرنج ، وبقي على حصرها مدّة ، فلم يظفر بها ، فرحل عنها ، فجاءه إنسان تركمانيّ وأعلمه أنّ جوسلين ، صاحب الرُّها وسَروج ، قد جمع مَن عنده من الفرنج ، وهو عازم على كبسه ، وكان قد تفرّق عن بَلَك أصحابه ، وبقي في أربعمائة فارس ، فوقف مستعدّاً لقتالهم .

وأقبل الفرنج ، فمن لطف الله تعالى بالمسلمين أنّ الفرنج وصلوا إلى أرض قد نضب عنها الماء ، فصارت وحلاً غاصتْ خيولهم فيه فلم تتمكّن ، مع ثقل السلاح والفرسان ، من[1] الإسراع والجري ، فرماهم أصحاب بلك بالنشّاب ، فلم يفلتْ منهم أحد ، وأُسر جوسلين وجُعل في جلد جمل ، وخُيّط عليه ، وطُلب منه أن يسلّم الرُّها ، فلم يفعل ، وبذل في فداء نفسه أموالاً جزيلة ، وأسرى كثيرة ، فلم يجبْهُ إلى ذلك ، وحمله إلى قلعة خَرْتَبِرْتَ فسجنه بها ، وأسر معه ابن خالته ، واسمه كليام ، وكان من شياطين الكفّار ، وأسر أيضاً جماعةً من فرسانه المشهورين ، فسجنهم معه .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّيت جدّة السلطان محمود لأبيه ، وهي[2] والدة السلطان سنجَر ، وكانت تركيّة تُعرف بخاتون السفريّة ، وكان موتها بمرو ، فجلس

١ على .
٢ وهو .

فقال فيه بعض الشعراء :

يا صُدُورَ الزمانِ ليس بوَفْرٍ   ما رأيناه في نواحي العراقِ
إنّما عمّ ظلمُكم سائرَ الخَلْـ   ـقِ ؛ فشابَت ذَوائبُ الآفاقِ

وفيها هبّت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيّام ؛ فأهلكت كثيراً من الناس ، وغيرهم من الحيوانات .

وفيها توفّي أبو محمّد القاسم بن عليّ بن محمّد بن عثمان الحريريّ ، صاحب المقامات المشهورة ؛ وهزارسب بن عوض الهرويّ ، وكان قد سمع الحديث كثيراً .

٥١٦

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود

وفي المحرّم من هذه السنة أطاع الملك طغرل أخاه السلطان محموداً[1] ، وكان قد خرج عن طاعته ، كما ذكرناه ، وقصد أذربيجان في السنة الخالية ليتغلّب عليها ، وكان أتابكه كنتغدي يحسّن له ذلك ، ويقوّيه عليه ؛ فاتّفق أنّه مرض ، وتوفّي في شوّال سنة خمس عشرة [وخمسمائة] .

وكان الأمير آقسنقَر الأحمديليّ ، صاحب مَراغة ، عند السلطان محمود ببغداذ ، فاستأذنه في المضيّ إلى إقطاعه ، فأذن له ، فلمّا سار عن السلطان ظنّ أنّه يقوم مقام كنتغدي من الملك طغرل ، فسار إليه ، واجتمع به ، وأشار عليه بالمكاشفة لأخيه السلطان محمود ، وقال له : إذا وصلتَ إلى مَراغة اتّصل بك عشرة آلاف فارس وراجل . فسار معه ، فلمّا وصلوا إلى أرْدَبيل أُغلقت أبوابها دونهم، فساروا عنها إلى قريب تِبريز ، فأتاهم الخبر أنّ السلطان محموداً[1] سيّر الأمير جيوش بك إلى أذربيجانَ ، وأقطعه البلاد ، وأنّه نزل مَراغة في عسكر كثيف من عند السلطان .

فلمّا تيقّنوا ذلك عدلوا إلى خُوَنْج ، وانتقض عليهم ما كانوا فيه ، وراسلوا الأمير شيركير الذي كان أتابك طغرل ، أيّام أبيه ، يدعونه إلى إنجادهم ، وقد كان كنتغدي قبض عليه بعد موت السلطان محمّد على ما ذكرناه ، ثم أطلقه

١ محمود .

السلطان سنجَر ، فعاد إلى إقطاعه ، أبْهَرَ ، وزَنْجانَ ، وكاتبوه فأجابهم ، واتّصل بهم ، وسار معهم إلى أبْهَر ، فلم يتمّ لهم ما أرادوا ، فراسلوا السلطان بالطاعة ، فأجابهم إلى ذلك ، فاستقرّت القاعدة أوّل هذه السنة ، وتمّت .

ذكر حال دُبَيْس بن صدقة وما كان منه

قد ذكرنا سنة أربع عشرة [وخمسمائة] حال دُبَيْس بن صدقة ، وصُلحه على يد يرنقُش الزكويّ ، ومقامه بالحلّة ، وعود يرنقُش إلى السلطان ومعه منصور بن صدقة ، أخو دُبَيْس ، وولده ، رهينةً ، فلمّا علم الخليفة بذلك لم يرض به ، وراسل السلطانَ محموداً[1] في إبعاد دُبَيْس عن العراق إلى بعض النواحي .

وتردّد الخطاب في ذلك ، وعزم السلطان على المسير إلى همَذان ، فأعاد الخليفة الشكوى من دُبَيْس ، وذكر أنّه يطالب الناس بحقوده ، منها قتْل أبيه ؛ وأشار[2] أن يُحضر السلطانُ آقسنقرَ البرسقيَّ من الموصل ، ويولّيه شحنكيّة بغداذ والعراق ، ويجعله في وجه دُبَيْس ؛ ففعل السلطان ذلك ، وأحضر البرسقيَّ ، فلمّا وصل إليه زوّجه والدة الملك مسعود ، وجعله شِحنة بغداذ ، وأمره بقتال دُبَيْس إن تعرّض للبلاد .

وسار السلطان عن بغداذ في صفر من هذه السنة ، وكان مقامه ببغداذ سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً ، فلمّا فارق بغداذ والعراق تظاهر دُبَيْس بأمور تأثّر بها المسترشد بالله ، وتقدّم إلى البرسقيّ بالمسير إليه ، وإزعاجه عن الحلّة ، فأرسل البرسقيّ إلى الموصل ، وأحضر عساكره ، وسار إلى الحلّة ،

١ محمود .
٢ وأخبار .

وأقبل دُبَيْس نحوه ، فالتقوا عند نهر بَشِير ، شرقيّ الفرات ، واقتتلوا ، فانهزم عسكر البرسقيّ .

وكان سبب الهزيمة أنّه رأى في ميسرته خللاً ، وبها الأمراء البكجيّة ، فأمر بإلقاء خيمته ، وأن تُنصَب عند الميسرة ، ليقوّي قلوب من بها ، فلمّا رأوا الخيمة وقد سقطت ظنّوها عن هزيمة ، فانهزموا ، وتبعهم الناس والبرسقيُّ .

وقيل : بل أُعطي رقعة فيها : إنّ جماعةً من الأمراء ، منهم إسماعيل البكجيُّ ، يريدون الفتك به ، فانهزم ، وتبعه العسكر ، ودخل بغداذ ثاني ربيع الآخر ، وكان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذّب الدولة أحمد بن أبي الجبر ، وكان ناظراً بالبطيحة لريحان محكويْه ، خادم السلطان ؛ لأنّها كانت من جملة إقطاعه ، وحضر أيضاً المظفّر بن حمّاد بن أبي الجبر ، وبينهما عداوة شديدة ، فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك ، فقتله المظفّر ومضى[1] إلى واسط ، وسار منها إلى البطيحة ، وتغلّب عليها وكاتب دُبيساً وأطاعه .

وأمّا دُبَيْس فإنّه لم يعرض لنهر ملك ، ولا غيره ، وأرسل إلى الخليفة أنّه على الطاعة ، ولولا ذلك لأخذ البرسقيّ وجميع مَن معه ، وسأل أن يخرج الناظر إلى القُرى التي لخاصّ الخليفة لقبض دَخْلها .

وكانت الوقعة في حزيران[2] ، وحمِيَ البلد ، فأحمد الخليفة فعله ، وتردّدت الرسل بينهما ، فاستقرّت القاعدة أن يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبي عليّ بن صدقة ليعود إلى الطاعة ، فقبض على الوزير ، ونُهبت داره ودور أصحابه والمنتمين إليه ، وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا إلى الموصل .

ولمّا سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة ، أخي دُبَيْس ، وولده ، ورفعهما إلى قلعة برحين وهي تجاور كَرَج .

١ ومضا .
٢ الحزيران .

السلطان سنجر ، فعاد إلى إقطاعه ، أبْهَرَ ، وزَنْجَانَ ، وكاتبوه فأجابهم ، واتّصل بهم ، وسار معهم إلى أبْهَر ، فلم يتمّ لهم ما أرادوا ، فراسلوا السلطان بالطاعة ، فأجابهم إلى ذلك ، فاستقرّت القاعدة أوّل هذه السنة ، وتمّت .

ذكر حال دُبَيْس بن صدقة وما كان منه

قد ذكرنا سنة أربع عشرة [وخمسمائة] حال دُبَيْس بن صدقة ، وصُلحه على يد يرنقُش الزكويّ ، ومقامه بالحِلّة ، وعود يرنقُش إلى السلطان ومعه منصور بن صدقة ، أخو دُبَيْس ، وولده ، رهينةً ، فلمّا علم الخليفة بذلك لم يرض به ، وراسل السلطانَ محموداً[1] في إبعاد دُبَيْس عن العراق إلى بعض النواحي .

وتردّد الخطاب في ذلك ، وعزم السلطان على المسير إلى همَذان ، فأعاد الخليفة الشكوى من دُبَيْس ، وذكر أنّه يطالب الناس بحقوده ، منها قتْل أبيه ؛ وأشار[2] أن يُحضر السلطانُ آقسنقَر البرسقيَّ من الموصل ، ويولّيه شحنكيّة بغداذ والعراق ، ويجعله في وجه دُبَيْس ، ففعل السلطان ذلك ، وأحضر البرسقيَّ ، فلمّا وصل إليه زوّجه والدة الملك مسعود ، وجعله شِحنة بغداذ ، وأمره بقتال دُبَيْس إن تعرّض للبلاد .

وسار السلطان عن بغداذ في صفر من هذه السنة ، وكان مقامه ببغداذ سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً ، فلمّا فارق بغداذ والعراق تظاهر دُبَيْس بأمور تأثّر بها المسترشد بالله ، وتقدّم إلى البرسقيّ بالمسير إليه ، وإزعاجه عن الحِلّة ، فأرسل البرسقيّ إلى الموصل ، وأحضر عساكره ، وسار إلى الحِلّة ،

١ محمود .
٢ وأخبار .

وأقبل دُبَيْس نحوه ، فالتقوا عند نهر بَشِير ، شرقيّ الفرات ، واقتتلوا ، فانهزم عسكر البرسقيّ .

وكان سبب الهزيمة أنّه رأى في ميسرته خللاً ، وبها الأمراء البكجيّة ، فأمر بإلقاء خيمته ، وأن تُنصَب عند الميسرة ، ليقوّي قلوب من بها ، فلمّا رأوا الخيمة وقد سقطت ظنّوها عن هزيمة ، فانهزموا ، وتبعهم الناس والبرسقيُّ .

وقيل : بل أُعطي رقعة فيها : إنّ جماعةً من الأمراء ، منهم إسماعيل البكجيُّ ، يريدون الفتك به ، فانهزم ، وتبعه العسكر ، ودخل بغداذ ثاني ربيع الآخر ، وكان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذّب الدولة أحمد بن أبي الجبر ، وكان ناظراً بالبطيحة لريحان محكويْه ، خادم السلطان ، لأنّها كانت من جملة إقطاعه ، وحضر أيضاً المظفّر بن حمّاد بن أبي الجبر ، وبينهما عداوة شديدة ، فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك ، فقتله المظفّر ومضى[1] إلى واسط ، وسار منها إلى البطيحة ، وتغلّب عليها وكاتب دُبيساً وأطاعه .

وأمّا دُبَيْس فإنّه لم يعرض لنهر ملك ، ولا غيره ، وأرسل إلى الخليفة أنّه على الطاعة ، ولولا ذلك لأخذ البرسقيّ وجميع مَن معه ، وسأل أن يخرج الناظر إلى القُرى التي لخاصّ الخليفة لقبض دَخْلها .

وكانت الوقعة في حزيران[2] ، وحمّي البلد ، فأحمد الخليفة فعله ، وتردّدت الرسل بينهما ، فاستقرّت القاعدة أن يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبي عليّ بن صدقة ليعود إلى الطاعة ، فقبض على الوزير ، ونُهبت داره ودور أصحابه والمنتمين إليه ، وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا إلى الموصل .

ولمّا سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة ، أخي دُبَيْس ، وولده ، ورفعهما إلى قلعة برحين وهي تجاور كَرَج .

١ ومضا .
٢ الحزيران .

ثم إنّ دُبَيْساً أمر جماعة من أصحابه بالمسير إلى أقطاعهم بواسط ، فساروا إليها ، فمنعهم أتراك واسط ، فجهّز دُبَيْس إليهم عسكراً مقدّمهم مُهلهِل ابن أبي العسكر ، وأرسل إلى المظفّر بن أبي الجبر بالبطيحة ليتّفق مع مهلهِل ويساعده على قتال الواسطيّين ، فاتّفقا على أن تكون الوقعة تاسع رجب ، وأرسل الواسطيّون إلى البرسقيّ يطلبون منه المدد ، فأمدّهم بجيش من عنده ، وعجل مُهلهِل في عسكر دُبَيْس ، ولم ينتظر المظفّر ظنّاً منه أنّه بمفرده ينال منهم ما أراد[1] ، وينفرد بالفتح ، فالتقى هو والواسطيّون ، ثامن رجب ، فانهزم مُهلهِل وعسكره ، وظفر الواسطيّون ، وأُخذ مُهلهِل أسيراً وجماعة من أعيان العسكر ، وقُتل ما يزيد على ألف قتيل ، ولم يُقتل من الواسطيّين غير رجل واحد .

وأمّا المظفّر بن أبي الجبر فإنّه أصعد من البطيحة ونهب وأفسد ، وجرى من أصحابه القبيح ، فلمّا قارب واسطاً سمع بالهزيمة ، فعاد منحدراً .

وكان في جملة ما أخذ العسكر الواسطيّ من مُهلهِل تذكرة بخطّ دُبَيْس يأمره فيها بقبض المظفّر بن أبي الجبر ومطالبته بأموال كثيرة أخذها من البطيحة ، فأرسلوا الخطّ إلى المظفّر ، وقالوا : هذا خطّ الذي تختاره ، وقد أسخطتَ الله تعالى والخلق كلّهم لأجله ؛ فمال إليهم وصار معهم ، فلمّا جرى على أصحاب دُبَيْس من الواسطيّين ما ذكرناه شمّر عن ساعده[2] في الشرّ ، وبلغه أنّ السلطان كحل أخاه ، فجزّ شعره ، ولبس السواد ، ونهب البلاد ، وأخذ كلّ ما للخليفة بنهر الملك ، فأجلى الناس إلى بغداذ .

وسار عسكر واسط إلى النّعمانيّة ، فأجلوا عنها عسكر دُبَيْس واستولوا

١ أرادوا .
٢ ساعد .

عليها ، وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر [فيها] للواسطيّين ، وتقدّم الخليفة إلى البرسقيّ بالتبريز إلى حرب دُبَيْس ، فبرّز في رمضان ، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر قتل السُّميرميّ

وفي هذه السنة قُتل الوزير الكمال أبو طالب السُّميرميُّ ، وزير السلطان محمود ، سلخ صفر ، وكان قد برز مع السلطان ليسير إلى همذان ، فدخل إلى الحمّام ، وخرج بين يديه الرجّالة والخيّالة ، وهو في موكب عظيم ، فاجتاز بسوق المدرسة التي بناها خمارتكين التُّتُشيُّ ، واجتاز في منفذ ضيّق فيه حظائر الشوك ، فتقدّم أصحابه لضيق الموضع ، فوثب عليه باطنيٌّ وضربه بسكّين ، فوقعت في البغلة ، وهرب إلى دجلة ، وتبعه الغلمان ، فخلا الموضع ، فظهر رجل آخر فضربه بسكّين في خاصرته ، وجذبه عن البغلة إلى الأرض ، وضربه عدّة ضربات .

وعاد أصحاب الوزير ، فحمل عليهم رجلان باطنيّان ، فانهزموا منهما ، ثم عادوا وقد ذُبِحَ الوزير مثل الشاة ، فحُمل قتيلاً وبه نيف وثلاثون جراحة ، وقُتل قاتلوه .

ولمّا كان في الحمّام كان المنجّمون يأخذون له الطالع ليخرج ، فقالوا : هذا وقت جيّد ، وإن تأخّرتَ يفت[1] طالع السعد ؛ فأسرج وركب ، وأراد أن يأكل طعاماً ، فمنعوه لأجل الطالع ، فقُتل ولم ينفعه قولهم .

وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر ، وانتُهب ماله ، وأخذ السلطان

١ يفوت .

خزانته ، ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك ، وكانت زوجة السُّميرميّ قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير ، معها نحو مائة جارية ، وجَمْع من الخدم ، والجميع بمراكب الذهب ، فلمّا سمعن بقتله عُدْنَ حافيات حاسرات ، وقد تبدلن بالعزّ هواناً ، وبالمسرّة أحزاناً . فسبحان من لا يزول ملكه[1] .

وكان السُّمَيرميّ ظالماً ، كثير المصادرة للناس ، سيء السيرة ، فلمّا قُتل أطلق السلطان ما كان جدّده من المكوس ، وما وضعه على التجار والباعة .

ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة عليّ بن طِراد

في جُمادى الأولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة ، وقد تقدّم ذكره قبلُ ، وأُقيم نقيب النقباء شرف الدين عليُّ بن طِراد الزينبيُّ في نيابة الوزارة ، فأرسل السلطان إلى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك أبي نصر أحمد بن نظام الملك ، وكان أخو شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود ، فأُجيب إلى ذلك ، واستوزر في شعبان .

وكان قد وزر للسلطان محمّد سنة خمسمائة ، ثم عُزِل ، ولزم داراً استجدّها ببغداذ إلى الآن . فلمّا خُلع على نظام الملك ، وجلس في الديوان ، طلب أن يخرج ابنُ صدقة عن بغداذ ، فلمّا علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة أن يُسيّر إلى حديثة عانة ليكون عند الأمير سليمان بن مُهارش ، فأُجيب إلى ما طلب .

وسار إلى الحديثة ، فخرج عليه في الطريق إنسان من مفسدي التركمان يقال

١ مالكاً .

له يُونُس الحراميّ ، فأسره ونهب أصحابه ، فخاف الوزير أن يعلم دُبَيْس فأرسل إلى يُونُس وبذل له مالاً يأخذه منه للعداوة التي بينهما ، فقرّر أمره مع يونُس على ألف دينار يعجّل منها ثلاثمائة ، ويؤخّر الباقي إلى أن يرسله من الحديثة .

وراسل عامل بلد الفُرات في تخليصه ، وإنفاذ من يَضْمن الباقي الذي عليه ، فأعمل العامل الحيلة في ذلك ، فأحضر إنساناً فلاّحاً وألبسه ثياباً فاخرة وطَيلساناً ، وأركبه وسيّر معه غلماناً ، وأمره أن يمضي إلى يونُس ويدّعي أنّه قاضي بلد الفُرات ، ويضمن الوزير منه بما بقي[1] من المال ، فسار السواديّ إلى يُونُس ، فلمّا حضر عند الوزير ويُونُس احترماه ، وضمن السواديُّ الوزير منه ، وقال له : أُقيم عندك إلى أن يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير ، فاعتقد يونس صدق ذلك وأطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه ، فلمّا وصل الحديثة قبض على مَن معه منهم ، فأطلق يونس ذلك السواديّ ، والمال الذي أخذه ، حتّى أطلق الوزير أصحابه ، وعلم الحيلة التي تمّت عليه .

ولمّا سار الوزير من عند يونس لقي إنساناً أنكره ، فأخذه ، فرأى معه كتاباً من دُبَيْس إلى يونُس يبذل ستّة آلاف دينار ليسلّم الوزير إليه ، وكان خلاصه من أعجب الأشياء .

ذكر قتل جيوش بك

في هذه السنة قُتل الأمير جيوش بك الذي كان صاحب الموصل ، وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود ، وعوده إلى خدمته ، فلمّا رضي عنه أقطعه أذربيجان

١ باقي .

وجعله مقدّم عسكره ، فجرى بينه وبين جماعة من الأمراء منافرة ومنازعات ، فأغروا به السلطان ، فقتله في رمضان على باب تبريز .

وكان تركيّاً من مماليك السلطان محمّد ، عادلاً ، حسن السيرة ، ولمّا وليَ الموصل والجزيرة كان الأكراد بتلك الأعمال قد انتشروا ، وكثُر فسادهم ، وكثرت قلاعهم ، والناس معهم في ضيق ، والطريق خائفة ، فقصدهم ، وحصر قلاعهم ، وفتح كثيراً منها ببلد الهكّاريّة ، وبلد الزَّوْزان ، وبلد البَشنويّة ، وخافه الأكراد ، وتولّى قصدهم بنفسه ، فهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق ، وأمِنت الطرق ، وانتشر الناس واطمأنّوا ، وبقي الأكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته .

ذكر وفاة إيلغازي وأحوال حلب بعده

في هذه السنة ، في شهر رمضان ، توفّي إيلغازي بن أُرتُق بميّافارقين ، وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين ، وملك ابنه سليمان ميّافارقين ، وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن أُرتُق ، فبقي بها إلى أن أخذها ابن عمّه .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أقطع السلطان محمود الأميرَ آقسنقَر البُرسقيَّ مدينةَ واسط وأعمالها ، مضافاً إلى ولاية الموصل وغيرها ممّا بيده ، وشحنكيّة العراق ، فلمّا أقطعها البرسقيَّ سيّر إليها عماد الدين زنكي بن آقسنقَر الذي كان والده

صاحب حلب ، وأمره بحمايتها ، فسار إليها في شعبان ووليها ، وقد ذكرنا أخبار زنكي في كتاب الباهر في ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن ، فينظر منه .

وفيها ظهر مَعْدِن نُحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذي القَرنَيْن .

وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يُعهَد مثلها ، فدخل الماء إلى ربض قلعة جَعْبَر ، وكان الفرات ، حينئذ ، بالقرب منها ، فغرق أكثر دوره ومساكنه ، وحمل فرساً من الربض وألقاه من فوق السور إلى الفرات .

وفيها بُنيت مدرسة بحلب لأصحاب الشافعيّ .

وفيها توفّيت ابنة السلطان سنجَر زوج السلطان محمود .

وفيها ، في شعبان ، قدم إلى بغداذ البرهان أبو الحسن عليّ بن الحسين الغزنويُّ وعقد مجلس الوعظ في جميع المواضع ، وورد بعده أبو القاسم عليُّ بن يعلى العلويُّ ، ونزل رباط شيخ الشيوخ ، فوعظ في جامع القصر ، والتاجيّة ، ورباط سعادة ، وصار له قبولٌ عند الحنابلة ، وحصل له مال كثير لأنّه أظهر موافقتهم .

وورد بعده أبو الفتوح الاسفرايينيُّ ، ونزل برباط شيخ الشيوخ أيضاً ، ووعظ في هذه المواضع ، وفي النِّظاميّة ، وأظهر مذهب الأشعريّ ، فصار له قبول كثير عند الشافعيّة ، وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله ، وسلّم إليه رباط الأرجُونيّة ، والدة المقتدي بالله ، بدرب زاخي .

وفيها توفّي عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمّد السمرقنديُّ ، أخو أبي القاسم بن السمرقنديّ ، ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، ونشأ ببغداذ ، وسمع الصريفينيَّ وابن النقور وغيرهما ، وسافر الكثير ، وكان حافظاً

صاحبها ، فأطاعه أهلها ، وقاموا ليلة الثلاثاء ثاني شوّال فقبضوا على كلّ من كان بالبلد من أصحاب قتلغ أبَه ، وكان أكثرهم يشربون في البلد صُبحة العيد ، وزحفوا إلى القلعة ، فتحصّن قتلغ أبَه فيها بمن معه ؛ فحصروه ، ووصل إلى حلب حسّان صاحب مَنْبِج ، وحسن صاحب بُزاعة ، لإصلاح الأمر فلم ينصلح .

وسمع الفرنج بذلك ، فتقدّم جوسلين بعسكره إلى المدينة ، فصونع بمالٍ ، فعاد عنها ، ثمّ وصل بعده صاحب أنطاكية في جمع من الفرنج ، فخندق الحلبيّون حول القلعة ، فمنع الداخل والخارج إليها من ظاهر البلد ، وأشرف الناس على الخطر العظيم إلى منتصف ذي الحجّة من السنة .

وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة ، فسيّر إلى حلب الأميرَ سُنقر دراز ، والأميرَ حسن قراقوش ، وهما من أكابر أُمراء البرسقيّ ، وقد صاروا معه في عسكر قوي ، ومعه التوقيع من السلطان بالموصل ، والجزيرة ، والشام ، فاستقرّ الأمر أن يسير بدر الدولة بن عبد الجبّار وقتلغ أبَه إلى الموصل إلى عماد الدين ، فسارا إليه ، وأقام حسن قراقوش بحلب والياً عليها ولاية مستعارة ، فلمّا وصل بدر الدولة وقتلغ أبَه إلى عماد الدين أصلح بينهما ، ولم يردّ واحداً منهما إلى حلب ، وسيّر حاجبَهُ صلاح الدين محمّداً الياغيسيانيّ إليها في عسكر ، فصعد إلى القلعة ، ورتّب الأمور ، وجعل فيها والياً .

وسار عماد الدين زنكي إلى الشام في جيوشه وعساكره ، فملك في طريقه مدينة مَنْبِج وبُزاعة ، وخرج أهل حلب إليه ، فالتقوه ، واستبشروا بقدومه ، ودخل البلد واستولى عليه ، ورتّب أموره ، وأقطع أعماله الأجناد والأمراء ، فلمّا فرغ من الذي أراده قبض على قتلغ أبَه وسلّمه إلى ابن بديع ، فكحله بداره بحلب ، فمات قتلغ أبَه ، واستوحش ابن بديع ، فهرب إلى قلعة جَعْبَر واستجار بصاحبها ، فأجاره .

وجعل عماد الدين في رئاسة حلب أبا الحسن عليّ بن عبد الرزّاق ، ولولا أنّ الله تعالى منّ على المسلمين بملك أتابك بلاد الشام ، لملكها الفرنج لأنّهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشاميّة ، وإذا[1] علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها وأغار عليها ، فيضطرّ الفرنج إلى الرحيل لدفعه عن بلادهم ، فقدر الله تعالى أنّه توفّي هذه السنة ؛ فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة أهله ، فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ، ففعل بالفرنج ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر قدوم السلطان سَنْجَر إلى الرَّيّ

في هذه السنة خرج السلطان سنجَر من خُراسان إلى الرَّيّ في جيش كثير .

وكان سبب ذلك : أنّ دُبَيْس بن صدقة لمّا وصل إليه هو والملك طغرل ، على ما ذكرناه ، لم يزل يُطمعه في العراق ، ويُسهّل عليه قصده ، ويُلقي في نفسه أنّ المسترشد بالله والسلطان محموداً متّفقان على الامتناع منه ، ولم يزل به حتّى أجابه إلى المسير إلى العراق ، فلمّا ساروا وصل إلى الرَّيّ ، وكان السلطان محمود بهمَذان ، فأرسل إليه السلطان سنجَر يستدعيه إليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغيّر على ما زعم دُبَيْس ، فلمّا جاءه الرسول بادر إلى المسير إلى عمّه ، فلمّا وصل إليه أمر العسكر جميعه بلقائه ، وأجلسه معه على التخت ، وبالغ في إكرامه ، وأقام عنده إلى منتصف ذي الحجّة ، ثمّ عاد السلطان سنجَر إلى خُراسان ، وسلّم دُبَيْساً إلى السلطان محمود ، ووصّاه بإكرامه وإعادته إلى بلده ، ورجع محمود إلى همَذان ودُبَيْس معه ، ثمّ سارا إلى العراق ، فلمّا

1) Bodl.

ثمّ وقعت فتنة ببغداد بين أهل باب الأزج وبين أهل المأمونيّة ، وقُتل بينهم جماعة ثمّ اصطلحوا .

وفيها سار قراسُنقُر في عساكر كثيرة في طلب الملك داود ابن السلطان محمود ، فأقام السلطان مسعود ببغداد . ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتى أدركه عند مراغة . فالتقيا وتصافّا . واقتتل العسكران قتالاً عظيماً ، فانهزم داود وأقام قراسُنقُر بأذربيجان ، وأمّا داود فإنّه قصد خوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركمان وغيرهم وبلغت عدّتهم نحو عشرة آلاف فارس ، فقصد تُستَر وحاصرها ، وكان عمّه الملك[1] سلجوقشاه ابن السلطان محمّد بواسط ، فأرسل إلى أخيه السلطان مسعود يستنجده ، فأمدّه بالعساكر ، فسار إلى داود وهو يحاصر تُستَر ، فتصافّا . فانهزم سلجوقشاه .

وفيها توفّي محمّد بن حموية أبو عبد الله الجوينيُّ، وهو من مشايخ الصوفيّة المشهورين ، وله كرامات كثيرة ورواية الحديث .

وتوفّي أيضاً محمّد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامريُّ الصوفيُّ مصنّف شرح الشهاب وأنشد لما حضره الموت :

ها قَد مَددتُ يَدي إليكَ فرُدّها بالفَضْلِ لا بشماتةِ الأعْداء

وتوفّي أيضاً أبو عبد الله محمّد بن الفضل بن أحمد الفُراويّ الصاعديّ راوي صحيح مُسلم عن عبد الغافر الفارسيّ ، وطريقه اليوم أعلى الطرق ، وإليه الرحلة من الشرق والغرب ، وكان فقيهاً مناظراً ظريفاً يخدم الغرباء بنفسه، وكان يقال : الفراوي ألف راوٍ ، رحمه الله ورضي عنه .

1) A. om. الملك .

٥٣١

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

ذكر تفرّق العساكر عن السلطان مسعود

في هذه السنة ، في المحرّم ، أذن السلطان مسعود للعساكر التي عنده ببغداد بالعود إلى بلادهم ، لما بلغه أنّ الراشد بالله قد فارق أتابك زنكي من الموصل ، فإنّه كان يتمسّك بالعساكر عنده خوفاً أن ينحدر به إلى العراق فيملكه عليه، فلمّا أراد أن يأذن للأمير صدقة بن دُبيس ، صاحب الحِلّة ، زوّجه ابنته تمسّكاً به .

وقدم على السلطان مسعود جماعة من الأمراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحي وبرسق بن برسق صاحب تُستَر ، وسُنقر الخمارتكين شحنة همذان ، فرضي عنهم ، وأمّنهم ، وولى البقش شحنكيّة بغداد ، فعسف النّاس وظلمهم .

وكان السلطان مسعود بعد تفرُّق العساكر عنه قد بقي معه ألف فارس . وتزوّج الخليفة فاطمة خاتون أخت السلطان مسعود في رجب ، والصداق مائة ألف دينار ، وكان الوكيل في قبول النكاح وزير الخليفة عليّ بن طراد الزينبيّ ، والوكيل عن السلطان وزيره الكمال الدركزينيّ ، ووثق السلطان حيث صار الخليفة وصدقة بن دُبيس بن صدقة صهريه ، وحيث سار الراشد بالله من عند زنكي الأتابك ، والله أعلم .

وفيها درّس الشيخ أبو منصور بن الرزّاز بالنظاميّة ببغداد .

وأرسل إلى أتابك زنكي في إطلاق قاضي القضاة الزينبيّ ، فأُطلق وانحدر إلى بغداد . فخلع عليه الخليفة وأقرّه على منصبه .

وفيها كان بخراسان غلاء شديد طالت مدّته ، وعظم أمره ، حتى أكل النّاس الكلاب والسنانير وغيرهما من الدوابّ ، وتفرّق أكثر أهل البلاد من الجوع .

وفيها توفّي طغان أرسلان صاحب بدليس[1] وأرزن من ديار بكر [ووليّ بعده ابنه فرنيّ] واستقام له الأمر [2] .

وفيها ، في شهر صفر ، جاءت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد . فخربت كثيراً منها ، وهلك تحت الهدم عالم كثيرٌ .

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن[3] أبي الفتح الدِّينَوَريّ الفقيه الحَنبليّ ببغداد ، وكان ينشد كثيراً هذه الأبيات :

تمنّيتَ أنْ تُمسي فَقيهاً مناظراً بغَيرِ عَناء وَالجُنُونُ فُنُونُ
ولَيسَ اكتسابُ المالِ دونَ مشقّةٍ تلقّيتَها فالعلمُ كيفَ يكونُ

وفيها توفّي محمّد بن عبد الملك بن عمر أبو الحسن الكرخيّ ، ومولده سنة ثمان وخمسين وأربعمائة . وكان فقيهاً مُحدّثاً سمع الحديث بكرخ وأصفهان وهمذان وغيرها .

وفي شعبان منها توفّي القاضي أبو العلاء صاعد بن الحسين بن إسماعيل ابن صاعد . وهو ابن عمّ القاضي أبي سعيد ، ووليَ القضاء بنَيسابور بعد أبي سعيد .

1) C. P. Ups: ماردين . 2) A. واستقر له الأمر . 3) A. بن أحمد أبو بكر بن .

٥٣٣

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

ذكر الحرب بين السلطان سَنجر وخُوارزْم شاه

في هذه السنة ، في المحرم ، سار السلطان سنجر بن ملكشاه إلى خُوارزم محارباً لخوارزم شاه أتسز بن محمّد . وسبب ذلك أنّ سنجر بلغه أنّ أتسز يحدّث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له ، وأنّ هذا الأمر قد ظهر على كثير من أصحابه وأمرائه ، فأوجب ذلك قصده وأخذ خوارزم منه ، فجمع عساكره وتوجّه نحوه ، فلمّا قرب من خوارزم خرج خوارزم شاه إليه في عساكره ، فلقيه مقابلاً ، وعبّأ كلّ واحد منهما عساكره وأصحابه ، فاقتتلوا ، فلم يكن للخُوارزميّة قوّة بالسلطان ، فلم يثبتوا ، وولّوا منهزمين ، وقُتل منهم خلق كثير ، ومن جملة القتلى ولد لخوارزم شاه ، فحزن عليه أبوه حزناً عظيماً ، ووجد وجداً شديداً .

وملك سنجر خوارزم ، وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد أخيه محمّد ، ورتّب له وزيراً وأتابكاً وحاجباً ، وقرّر قواعده ، وعاد إلى مرو في جُمادى الآخرة من هذه السنة ؛ فلمّا فارق خوارزم عائداً انتهز خوارزم شاه الفرصة فرجع إليها ، وكان أهلها يكرهون العسكر السنجريّ ويؤثرون عودة خوارزم شاه ، فلمّا عاد أعانوه على مُلك البلد ، ففارقهم سليمان شاه ومن معه ورجع إلى عمّه السلطان سنجر . وفسد الحال بين سنجر وخوارزم شاه واختلفا بعد الاتّفاق ؛ ففعل خوارزم شاه في خراسان سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة ما نذكره إن شاء الله .

٥٤٠

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

ذكر اتّفاق بوزابة وعبّاس على منازعة السلطان

في هذه السنة سار بوزابة، صاحب فارس وخُوزستان، وعساكره إلى قاشان، ومعه الملك محمّد [ابن السلطان محمود، واتّصل بهم الملك سليمان شاه] ابن السلطان محمّد، واجتمع بوزابة والأمير عبّاس صاحب الرّيّ، واتفقا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود وملكا كثيراً من بلاده.

ووصل الخبر إليه وهو ببغداد ومعه الأمير عبد الرحمن طغايُرك، وهو أمير حاجب، حاكم في الدولة، وكان ميله إليهما، فسار السلطان في رمضان عن بغداد، ونزل بها[1] الأمير مُهَلهِل، ونَظَر، وجماعة من غِلمان بَهْرُوز؛ وسار السلطان وعبد الرحمن معه، فتقارب العسكران، ولم يبقَ إلاّ المصافّ، فلحق سليمان شاه بأخيه مسعود، وشرع عبد الرحمن في تقرير الصلح على القاعدة التي أرادوها، وأضيف إلى عبد الرحمن ولاية أذْرَبيجان وأرّانيّة إلى ما بيده، وصار أبو الفتح بن دارست وزير السلطان مسعود، وهو وزير بوزابة، فصار السلطان معهم تحت الحجر. وأبعدوا بك أرسلان بن بلنكري المعروف بخاصّ بك، وهو ملازم السلطان وتربيته، وصار في خدمة عبد الرحمن ليحقن دمه، وصار الجماعة في خدمة السلطان صورة لا معنى تحتها، والله أعلم.

1) A. وترك بها.

ذكر استيلاء عليّ بن دُبيس بن صدقة على الحِلّة

في هذه السنة سار عليُّ بن دُبيس إلى الحِلّة هارباً، فملكها؛ وكان سبب ذلك أنّ السلطان لما أراد الرحيل من بغداد أشار عليه مهلهل أن يحبس عليّ ابن دُبيس بقلعة تكريت، فعلم ذلك، فهرب في جماعة يسيرة نحو خمسة عشر، فمضى إلى الأزيز، وجمع بني أسد وغيرهم، وسار إلى الحِلّة وبها أخوه محمّد بن دُبيس، فقاتله، فانهزم محمّد، وملك عليّ الحِلّة.

واستهان السلطان أمره أوّلاً، فاستفحل وضمّ إليه جمعاً من غلمانه وغلمان أبيه وأهل بيته وعساكرهم، وكثُر جمعهم[1]، فسار إليه مهلهل فيمن معه في بغداد من العسكر، وضربوا معه مصافّاً، فكسرهم وعادوا منهزمين إلى بغداد.

وكان أهلها يتعصّبون لعليّ بن دُبيس، وكانوا يصيحون، إذا ركب مهلهل وبعض أصحابه: يا عليّ! كُلْهُ. وكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب.

ومدّ عليّ يده في أقطاع الأمراء بالحِلّة، وتصرّف فيها، وصار شِحنة بغداد ومَن فيها على وجل منه، وجمع الخليفة جماعة وجعلهم على السور لحفظه، وراسل عليّاً، فأعاد الجواب بأنّني العبد المطيع مهما رسم لي فعلتُ؛ فسكن النّاس، ووصلت الأخبار بعد ذلك أنّ السلطان مسعوداً تفرّق خصومه عنه، فازداد سكون النّاس.

1) A. وكثر جماعته.

مَنبج ، فحصره بَلَك وضيّق عليه ، فبينما هو في بعض الأيّام يقاتله ، جاءه[1] سهم لا يُعرف مَن رماه فقتله ، وخلص حسّان من الحصر ، وقد تقدّم ذكره ، وكان هذا القول من الاتّفاق الحسن .

ولما قُتل أتابك زنكي رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فَنَك عنها ، وهي بيد أعقاب صاحبها إلى الآن ، وسمعتُهم يذكرون أنّ لهم بها نحو ثلاثمائة سنة ، ولهم مقصد ، وفيهم وفاء وعصبيّة ، يأخذون بيد كلّ مَن يلتجيء إليهم ويقصدهم ، ولا يسلّمونه كائناً مَن كان .

ذكر قتل أتابك عماد الدين زنكي وشيء من سيرته

في هذه السنة ، لخمس مضين من ربيع الآخر ، قُتل أتابك الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، صاحب المَوصِل والشام ، وهو يحاصر قلعة جَعْبَر ، على ما ذكرناه ، قتله جماعة من مماليكه ليلاً غِيلةً ، وهربوا إلى قلعة جَعْبَر ، فصاح مَن بها من أهلها إلى العسكر يعلمونهم بقتله ، وأظهروا الفرح ، فدخل أصحابه إليه ، فأدركوه وبه رمق .

حدّثني والدي عن بعض خواصّه قال : دخلتُ إليه في الحال وهو حيّ ، فحين رآني ظنّ أنّني أريد قتله ، فأشار إليّ بإصبعه السبّابة يستعطفني ، فوقعتُ من هيبته ، فقلتُ : يا مولاي مَن فعل بك هذا ؟ فلم يقدر على الكلام ، وفاضت نفسه لوقته ، رحمه الله .

قال : وكان حسن الصورة ، أسمر اللّون ، مليح العينين ، قد وخطه

1) A. om. يقاتله جاءه .

الشيب[1] ، وكان قد زاد عمره على ستّين سنة ، لأنّه كان لما قُتل والده صغيراً ، كما ذكرناه قبلُ ، ولما قُتل دُفن بالرَّقّة .

وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيّته ، عظيم السياسة ، لا يقدر القوي على ظلم الضعيف ؛ وكانت البلاد ، قبل أن يملكها ، خراباً من الظلم ، وتنقّل الولاة ، ومجاورة الفرنج ، فعمرها وامتلأت أهلاً وسكّاناً .

حكى لي والدي قال : رأيتُ المَوصل وأكثرها خراب ، بحيث يقف الإنسان قريب محلّة الطبالين ويرى الجامع العتيق ، والعرصة ، ودار السلطان ، ليس بين ذلك عمارة ؛ وكان الإنسان لا يقدر على المشي إلى الجامع العتيق إلاّ ومعه مَن يحميه ، لبُعده عن العمارة ، وهو الآن في وسط العمارة وليس في هذه البقاع المذكورة كلّها أرض براح ، وحدّثني أيضاً أنّه وصل إلى الجزيرة في الشتاء ، فدخل الأمير عزّ الدين الدّبيسيّ ، وهو من أكابر أمرائه ، ومن جملة أقطاعه مدينة دقوقا ، ونزل في دار إنسان يهودي ، فاستغاث اليهوديّ إلى أتابك ، وأنهى حاله إليه ، فنظر إلى الدّبيسيّ ، فتأخّر ، ودخل البلد ، وأخرج بركه وخيامه . قال : فلقد رأيتُ غلمانه ينصبون خيامه في الوحل ، وقد جعلوا على الأرض تبناً يقيهم الطين ، وخرج فنزلها ، وكانت سياسته إلى هذا الحدّ .

وكانت المَوصل من أقلّ بلاد الله فاكهة ، فصارت في أيّامه ، وما بعدها ، من أكثر البلاد فواكه[1] ورياحين وغير ذلك .

وكان أيضاً شديد الغيرة ولا سيّما على نساء الأجناد ، وكان يقول : إن

1) A. البلاد فاكهة .

١ السيب .

لم نحفظ نساء الأجناد بالهيبة ، وإلاّ فسدن لكثرة غيبة أزواجهنّ في الأسفار .

وكان أشجع خلق الله ؛ أمّا قبل أن يملك فيكفيه أنّه حضر مع الأمير مودود صاحب الموصل مدينة طبريّة ، وهي للفرنج ، فوصلت طعنته باب البلد وأثر[1] فيه ، وحمل أيضاً على قلعة عقر الحميديّة ، وهي على جبل عالٍ ، فوصلت طعنته إلى سورها ، إلى أشياء أُخر .

وأمّا بعد المُلك فقد كان الأعداء محدقين ببلاده ، وكلّهم يقصدها ، ويريد أخذها ، وهو لا يقنع بحفظها ، حتى إنّه لا ينقضي عليه عام إلاّ ويفتح من بلادهم . فقد كان الخليفة المسترشد بالله مجاوره في ناحية تَكْريت ، وقصد المَوصل وحصرها ، ثمّ إلى جانبه ، من ناحية شَهْرَزُور وتلك الناحية ، السلطان مسعود ؛ ثمّ ابن سقمان صاحب خِلاط ؛ ثمّ داود بن سقمان صاحب حِصن كِيفا ؛ ثمّ صاحب آمِد وماردين ؛ ثمّ الفرنج من مجاورة ماردين إلى دمشق ؛ ثمّ أصحاب دمشق ، فهذه الولايات قد أحاطت بولايته من كلّ جهاتها ، فهو يقصد هذا مرّة وهذا مرّة ، ويأخذ من هذا ويُصانع هذا ، إلى أن ملك من كلّ من يليه طرفاً من بلاده . وقد أتينا على أخباره في كتاب الباهر في تاريخ دولته ودولة أولاده ، فيُطلب من هناك .

ذكر مُلك ولدَيْه سيف الدين غازي ونور الدين محمود

لما قُتل أتابك زنكي أخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده ، وكان حاضراً معه ، وسار إلى حلب فملكها .

وكان حينئذٍ يتولّى ديوان زنكي ، ويحكم في دولته من أصحاب العمائم

1) A. أثرت .

جمال الدين محمّد بن عليّ وهو المنفرد بالحكم ، ومعه أمير حاجب صلاح الدين محمّد الياغيسيانيّ ، فاتّفقا على حفظ الدولة ، وكان مع الشهيد أتابك الملك ألب أرسلان ابن السلطان محمود ، فركب ذلك اليوم ، وأجمعت العساكر عليه ، وحضر عنده جمال الدين وصلاح الدين وحسّنا له الاشتغال بالشرب والمغنّيات والجواري ، وأدخلاه الرَّقّة ، فبقي بها أيّاماً لا يظهر . ثمّ سار إلى ماكسين ، فدخلها ، وأقام بها أيّاماً ، وجمال الدين يحلّف الأمراء لسيف الدين غازي بن أتابك زنكي ، ويسيّرهم [إلى] الموصل .

ثمّ سار من ماكسين إلى سِنجار ، وكان سيف الدين قد وصل إلى الموصل . فلمّا وصلوا إلى سِنجار أرسل جمال الدين إلى الدزدار يقول له ليرسل إلى ولد السلطان يقول له : إنّي مملوكك ، ولكنّي تبع الموصِل ، فمتى ملكتَها سلّمتُ إليك سنجار . فسار إلى الموصل ، فأخذه جمال الدين وقصد به مدينة بَلَدْ[1] ، وقد بقي معه من العسكر القليل ، فأشار عليه بعبور دِجلة ، فعبرها إلى الشرق في نفر يسير .

وكان سيف الدين غازي بمدينة شَهْرَزُور ، وهي إقطاعه ، فأرسل إليه زين الدين عليّ كوجك نائب أبيه بالموصل يستدعيه إلى الموصل ، فحضر قبل وصول الملك ، فلمّا علم جمال الدين بوصول سيف الدين إلى الموصل أرسل إليه يعرّفه قلّةَ مَن مع الملك ، فأرسل إليه بعض عسكره ، فقبضوا عليه ، وحُبس في قلعة المَوصِل ، واستقرّ مُلك سيف الدين البلاد ، وبقي أخوه نور الدين بحلب وهي له ، وسار إليه صلاح الدين الياغيسيانيّ يدبّر أمره ويقوم بحفظ دولته ، وقد استقصينا شرح هذه الحادثة في التاريخ الباهر في الدولة الأتابكيّة .

١ بلدة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حبّس السلطان مسعود أخاه سليمان شاه بقلعة تكْريت .

وفيها توفّي الأمير جاولي الطُّغْرُلي صاحب أرّانيّة وبعض أذْرَبيجان . وكان قد تحرّك للعصيان . وكان موته فجأةً ، مدّ قوساً فنزف دماً فمات .

وتوفّي شيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل بن أبي سعد الصوفيّ . مات ببغداد ودُفن بظاهر رِباط الزّوزني بباب البصرة . ومولده سنة أربع وستّين وأربعمائة ، وقام في منصبه ولده صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم .

وفيها توفّي نقيب النُّقباء محمّد بن طراد الزّينبيّ أخو شرف الدين الوزير .

وفيها وليَ مسعود بن بلال شحنكيّة بغداد ، وسار السلطان عنها .

وفيها كان بالعراق جرادٌ كثيرٌ أمحل أكثر البلاد .

وفيها ورد العِباديُّ الواعظ رسولاً من السلطان سَنْجَر إلى الخليفة ، ووعظ ببغداد ، وكان له قبولٌ بها . وحضر مجلسه السلطان مسعود فمَن دونه ، وأمّا العامّة فإنّهم كانوا يتركون أشغالهم لحضور مجلسه والمسابقة إليه .

وفيها بعد قتل الشهيد زنكي بن آقسنْقر قصد صاحب دمشق حصن بعلبكّ وحصرَه وكان به نجم الدين أيّوب بن شاذيّ مستحفظاً لها . فخاف أنّ أولاد زنكي لا يمكنهم إنجاده بالعاجل ، فصالحه وسلّم القلعة إليه ، وأخذ منه إقطاعاً ومالاً ، وملّكه عدّة قُرًى من بلد دمشق . وانتقل أيّوب إلى دمشق فسكنها وأقام بها .

وفي هذه السنة ، في ربيع الآخر ، توفّي عبد الله بن عليّ بن أحمد أبو محمّد المُقْري ابن بنت الشيخ أبي منصور ، ومولده في شعبان سنة أربع وستّين وأربعمائة . وكان مُقرئاً نحويّاً محدّثاً ، وله تصانيف في القراءات[1] .

1) A. add. وتوفي أبو الحسن محمد بن المظفر رئيس الرؤساء، وكان قد تزهد وتصوف وهو من أعيان بغداد

٥٤٢

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

ذكر قتل بوزابة

لما اتّصل بالأمير بوزابة قتل عبّاس جمع عساكره من فارس وخُوزسْتان وسار إلى أصفهان فحصرها ، وسيّر عسكراً آخر إلى هَمَذان ، وعسكراً ثالثاً إلى قلعة الماهكي من بلد اللّحف ، فأمّا عسكره الذي بالماهكي فإنّه سار إليهم الأمير البقش كون خَر فدفعهم عن أعماله وكانت[1] أقطاعه ، ثمّ إنّ بوزابة سار عن أصفهان يطلب السلطان مسعوداً ، فراسله السلطان في الصلح ، فلم يجب إليه ، وسار مجدّاً فالتقيا بمرج قُراتُكين ، وتصافّا ، فاقتتل العسكران ، فانهزمت ميمنة السلطان مسعود وميسرته ، واقتتل القلبان أشدّ قتال وأعظمه ، صبر فيه الفريقان . ودامت الحرب بينهما ، فسقط بوزابة عن فرسه بسهم أصابه ، وقيل بل عثَر به الفرَس فأُخذ أسيراً وحُمل إلى السلطان فقُتل بين يديه ، وانهزم أصحابه لما أُخذ هو أسيراً .

وبلغت هزيمة العسكر السلطانيّ من الميمنة والميسرة إلى همذان ، وقُتل بين الفريقين خلقٌ كثير ، وكانت هذه الحرب من أعظم الحروب الكائنة بين الأعاجم .

١ وكان .

وملكوا أيضاً مدينة بياسة ووِلاية جيّان ، وكلّها بالأندلس ، ثمّ استعادها المسلمون بعد ذلك منهم ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر مُلك نُور الدين محمود بن زنكي عدّة مواضع من بلد الفرنج

في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكي ، صاحب حلب ، بلد الفرنج ، ففتح منه مدينة ارتاحَ بالسيف ونهبها وحصن مابولةَ وبُصرفُون وكَفَرلاثا . وكان الفرنج بعد قتل والده زنكي قد طمعوا ، وظنّوا أنّهم بعده يستردّون ما أخذه ، فلمّا رأوا من نور الدين هذا الجدّ في أوّل أمره علموا أنّ ما أمّلوه بعيدٌ .

ذكر أخذ الحِلّة من عليّ بن دُبيس وعوده إليها

في هذه السنة كثُر فساد أصحاب عليّ بن دُبيس بالحِلّة وما جاورها ، وكثُرت الشكاوى منه ، فأقطع السلطان مسعود الحِلّة للأمير سَلاركُرد ، فسار إليها من هَمَذان ومعه عسكر وانضاف إليه جماعة من عسكر بغداد ، وقصدوا الحِلّة ، فجمع عليّ عسكره وحشد ، والتقى العسكران بمُطيراباذ ، فانهزم عليّ ، وملك سلاركرد الحِلّة ، واحتاط على أهل عليّ ورجعت العساكر ، وأقام هو بالحِلّة في مماليكه وأصحابه ، وسار عليّ بن دُبيس فلحق بالبَقَش كُون خَر ، وكان بأقطاعه ، في اللّحف ، متجنّياً على السلطان ، فاستنجده ، فسار معه إلى واسط ، واتّفق هو والطرنطاي ، وقصدوا الحِلّة فاستنقذوها من سلاركُرد في ذي الحجّة ، وفارقها سلاركرد وعاد إلى بغداد .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في جُمادى الأولى ، خُطب للمستنجد بالله يوسف بن المقتفي لأمر الله بولاية العهد .

وفيها وليَ عون الدين يحيَى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ببغداد ، ووليَ زعيم الدين يحيَى بن جعفر المخزن .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، مات أبو القاسم طاهر بن سعيد بن أبي سعيد بن أبي الخير الميهنيّ شيخ رِباط البِسطاميّ ببغداد .

وفي ربيع الآخر توفّيت فاطمة خاتون بنت السلطان محمّد زوجة المقتفي لأمر الله .

وفي رجب منها مات أبو الحسن محمّد بن المظفّر بن عليّ بن المُسلمة ، ابن رئيس الرؤساء ، ومولده سنة أربع وثمانين [وأربعمائة] ، وكان قد تصوّف ، وجعل داره التي في القصر رِباطاً للصوفيّة .

وفيها سار سيف الدين غازي بن زنكي إلى قلعة دارا ، فملكها وغيرها من بلد ماردين ، ثمّ سار إلى ماردين وحصرها وخرّب بلدها ونهبه .

وكان سبب ذلك أنّ أتابك زنكي لما قُتل تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن إلى ما كان قد فتحه من بلادهما فأخذاه ، فلمّا ملك سيف الدين وتمكّن سار إلى ماردين وحصرها ، وفعل ببلدها الأفاعيل العظيمة ، فلمّا رأى صاحبها ، وهو حينئذ حسام الدين تِمرتاش، ما يفعل في بلده قال: كنّا نشكو من أتابك الشهيد ، وأين أيّامه ؟ لقد كانت أعياداً . قد حصرنا غير مرّة ، فلم يأخذ هو ولا أحدٌ من عسكره مِخلاة تبن بغير ثمن ، ولا تعدّى هو وعسكره حاصل السلطان ، وأرى هذا ينهب البلاد ويخرّبها .

ويكبسون الهنود وهم غارّون غافلون ، فخاف شهاب الدين أن تكون خديعة ومكراً ، فأقام له ضمناء من أهل آجرة والمُولتان ، فأرسل معه جيشاً كثيفاً ، وجعل عليهم الأمير الحسين بن خرّميل الغوريّ ، وهو الذي صار بعدُ صاحب هَرَاة ، وكان من الشجاعة والرأي بالمنزلة المشهورة .

فسار الجيش مع الهنديّ ، فعبروا النهر ، فلم يشعر الهنود إلاّ وقد خالطهم المسلمون ووضعوا السيف فيهم ، فاشتغل الموكّلون بحفظ المخاضات ، فعبر شهاب الدين وباقي العساكر ، وأحاطوا بالهنود ، وأكثروا القتل فيهم ، ونادوا بشعار الإسلام ، فلم ينجُ من الهنود إلاّ مَن عجز المسلمون عن قتله وأسره ، وقُتلت ملكتهم ، وتمكّن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند ، وأمن معرّة[1] فسادهم ، والتزموا له بالأموال وسلّموا إليه الرهائن وصالحوه[2] ، وأقطع مملوكه قطب الدين ايبك مدينة دَهْلي ، وهي كرسي الممالك التي فتحها من الهند ، فأرسل عسكراً من الخَلَج مع محمّد بن بختيار ، فملكوا من بلاد الهند مواضع ما وصل إليها مسلم قبله ، حتى قاربوا حدود الصين من جهة المشرق .

وقد حدّثني صديق لي من التجار بوقعتين تشبهان[1] هاتَين الوقعتَين المذكورتين وبينهما بعض الخلاف ، وقد ذكرناهما سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

1) A. معرتّهم . 2) A. وحملوا إليه et om. وصالحوه .

١ تشبه .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي يعقوب الكاتب ببغداد ، وكان يسكن بالمدرسة النظاميّة ، وحضر متولّي المتروكات[1] وختم على الغرفة التي كان يسكنها بالمدرسة ، فثار الفقهاء وضربوا المتولّي وأخذوا التركة ، وهذه عادتهم فيمن يموت بها وليس له وارث ، فقبض حاجب الباب على رجلَين من الفقهاء وعاقبهما ، وحبسهما ، فأغلق الفقهاء المدرسة ، وألقوا كرسي الوعّاظ في الطريق ، وصعدوا سطح المدرسة ليلاً ، واستغاثوا ، وتركوا الأدب .

وكان حينئذٍ مدرّسهم الشيخ أبا النجيب ، فجاء وألقى نفسه تحت التاج يعتذر ، فعُفي عنه .

وفيها توفّي حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميّافارقين ، وكانت ولايته نيّفاً وثلاثين سنة ، وتولّى بعده ابنه نجم الدين[1] ألبي .

وفيها مات أبو الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الأرموي الشافعي المحدّث ، ومولده سنة تسع وخمسين وأربعمائة .

وفيها توفّي أبو الأسعد عبد الرحمن القُشَيريّ في شوّال ، وهو شيخ شيوخ[2] خُراسان .

وفيها ، في المحرّم ، باض ديك ببغداد بيضة ، وباض بازي بيضتين ، وباضت نَعامة لا ذكر معها بيضة .

1) A. هبة الرحمن . 2) A. شيخ من شيوخ .

١ المتركات .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وصلت مراكب من صِقِلّية ، فيها جمع من الفرنج ، فنهبوا مدينة تِنّيس بالديار المصريّة .

وفيها كان بين الكُرج بأرمينية وبين صليق ، صاحب أرْزَن الروم ، مصافّ وحربٌ شديدة ، وانهزم صليق[1] وأسره الكُرج ثمّ أطلقوه .

وفيها توفّي أبو العبّاس أحمد بن أبي غالب الورّاق المعروف بابن الطلاية الزاهد البغداديّ بها ، وكان من الصالحين ، وله حديث ورواية .

وتوفّي عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل أبو الفتح بن أبي القاسم الكَرُوخيّ الهَرَويّ ، راوي جامع الترمذيّ ، ومولده سنة اثنتين وستّين وأربعمائة ، وتوفّي ببغداد في ذي الحجّة .

1) A. فانهزم صليق .

٥٤٩

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

ذكر قتل الظافر وخلافة ابنه الفائز

في هذه السنة ، في المحرّم ، قُتل الظافر بالله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلويّ ، صاحب مصر .

وكان سبب [قتله] أنّ وزيره عبّاساً كان له ولدٌ اسمه نصر ، فأحبّه الظافر ، وجعله من ندمائه وأحبابه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة ، فاتّفق أن قدم من الشام مؤيد الدولة الأمير أُسامة بن مُنقذ الكِنانيّ في وزارة ابن السلاّر ، واتّصل بعبّاس ، فحسّن له قتل العادل بن السلاّر زوج أمّه ، فقتله ، وولاّه الظافر الوزارة ، فاستبدّ بالأمر ، وتمّ له ذلك .

وعلم الأمراء والأجناد أنّ ذلك من فعل ابن مُنقذ ، فعزموا على قتله ، فخلا بعبّاس وقال له : كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : النّاس يزعمون أنّ الظافر يفعل بابنك نصر ؛ وكان[1] نصر خصيصاً بالظافر ، وكان ملازماً له ليله ونهاره ، وكان من أجمل النّاس صورة ، وكان الظافر يُتّهم به ، فانزعج لذلك وعظم عليه ، وقال : كيف الحيلة ؟ قال : تقتله فيذهب عنك العار ؛ فذكر الحال لولده نصر ، فاتّفقا على قتله .

وقيل إنّ الظافر أقطع نصر بن عبّاس قرية قَلْيوب ، وهي من أعظم قرى

1) Inde a وكان usque ad به v. sq. om.

من أخذ دمشق . فقبض عليه مجير الدين وقتله . فسار نور الدين حينئذ إلى دمشق . وكان قد كاتب مَن بها من الأحداث واستمالهم . فوعدوه بالتسليم إليه . فلمّا حصر نور الدين البلد أرسل مجير الدين إلى الفرنج يبذل لهم الأموال وتسليم قلعة بعلبكّ إليهم لينجدوه ويرحّلوا نور الدين عنه . فشرعوا في جمع فارسهم وراجلهم ليرحّلوا نور الدين عن البلد . فإلى أن اجتمع لهم ما يريدون تسلّم نور الدين البلد . فعادوا بخُفّي حُنين .

وأمّا كيفيّة تسليم دمشق فإنّه لما حصرها ثار الأحداث الذين راسلهم . فسلّموا إليه البلد من الباب الشرقيّ وملكه . وحصر مجير الدين في القلعة . وراسله في تسليمها وبذل له إقطاعاً من جملته مدينة حمص . فسلّمها إليه وسار إلى حمص ، ثمّ إنّه راسل أهل دمشق ليسلّموا إليه ، فعلم نور الدين ذلك فخافه ، فأخذ منه حمص . وأعطاه عوضاً عنها بَالِسَ . فلم يرضها ، وسار منها إلى العراق . وأقام ببغداد وابتنى بها داراً بالقرب من النظاميّة . وتوفّي بها .

ذكر قصد الإسماعيليّة خُراسان والظفر بهم

في هذه السنة ، في ربيع الآخر ، اجتمع جمع كثير من الإسماعيليّة من قُهِستان ، بلغت عِدّتهم سبعة آلاف رجل ما بين فارس وراجل ، وساروا يريدون خُراسان لاشتغال عساكرها بالغُزّ . وقصدوا أعمال خَوَاف وما يجاورها . فلقيهم الأمير فَرْخشاه بن محمود الكاساني[1] في جماعة من حشمه وأصحابه . فعلم أنّه لا طاقة له بهم . فتركهم وسار عنهم. وأرسل إلى الأمير محمّد بن أنر ، وهو من أكابر أُمراء خُراسان وأشجعهم . يعرّفه الحال ، وطلب منه المسير إليهم بعسكره ومَن قدر عليه من الأمراء ليجتمعوا عليهم ويقاتلوهم .

فسار محمّد بن أنر في جماعة من الأمراء وكثير من العسكر . واجتمعوا هم وفرخشاه ، وواقعوا الإسماعيليّة وقاتلوهم . وطالت الحرب بينهم . ثمّ نصر الله المسلمين وانهزم الإسماعيليّة ، وكثُر القتل فيهم . وأخذهم السيف من كلّ مكان . وهلك أعيانهم وساداتهم : بعضهم قُتل : وبعضهم أُسر . ولم يسلم منهم إلاّ القليل الشريد . وخلت قلاعهم وحصونهم من حام ومانع . فلولا اشتغال العساكر بالغُزّ لكانوا ملكوها بغير تعب ولا مشقّة . وأراحوا المسلمين منهم ، ولكنْ لله أمر هو بالغه .

ذكر مُلك نور الدين تَلّ باشِر

في هذه السنة . أو التي بعدها . ملك نور الدين محمود بن زنكي قلعة تَلّ باشِر ، وهي شمالي حلب من أمنع القلاع .

وسبب ملكها أنّ الفرنج لما رأوا مُلك نور الدين دمشق خافوه ، وعلموا أنّه يقوى عليهم ، ولا يقدرون على الانتصاف منه ، لما كانوا يرون منه قبل مُلكها ، فراسله مَن بهذه القلعة من الفرنج ، وبذلوا له تسليمها ، فسيّر إليهم الأمير حسّان المَنبِجي ، وهو من أكابر أمرائه . وكان إقطاعه ذلك الوقت مدينة مَنبِج ، وهي تقارب تلّ باشِر ، وأمره أن يسير إليها ويتسلّمها . فسار إليها وتسلّمها منهم ، وحصّنها ورفع إليها من الذخائر ما يكفيها سنين كثيرة .

---

1) C. P. 740 : الكلشاني Ups : أركاساس .

وَمالَ بِهَا تِيهُ الجَمَالِ إلى القِلَى … وَهَيهاتِ أن أُمسِي لها الدّهرَ قَالِيَا
وَلا ناسِياً ما أوْدَعَتْ مِنْ عُهُودِها … وَإنْ هيَ أبْدَتْ جَفوَةً وتَناسِيَا
وَلمّا أتاني مِنْ قَرِيضِكَ[1] جَوْهَرٌ … جَمَعتَ المَعالي فيهِ لي وَالمَعانِيَا
وكنتُ هَجَرْتُ الشّعرَ حيناً لأنّهُ … تَوَلّى بِرُغْمي حِينَ وَلّى شَبابِيَا
وَأينَ مِنَ السّتّينَ لَفظٌ مُفَوَّقٌ … إذا رُمتُ أدنى القَوْلِ مِنْهُ عَصَانِيَا
وقُلتُ : أخي يَرْعَى بَنِيَّ وَأُسْرَتي … وَيَحفَظُ عَهدي فيهِمُ وَذِمامِيَا
ويَجزِيهِمِ ما لَمْ أُكَلّفهُ فِعلَهُ … لِنَفسي فقَد أعدَدْتُهُ مِنْ تُراثِيَا
فَما لكَ لمّا أنْ حَنَى الدّهرُ صَعدَتي … وثَلّمَ مني صَارِماً كانَ ماضِيَا
تَنَكّرْتَ حتى صارَ بِرُّكَ قَسوَةً … وَقُرْبُكَ منهم جَفوَةً وتَنَابِيَا
وَأصْبَحتُ صِفْرَ الكَفِّ ممّا رَجوْتُهُ … أرَى اليأسَ قد عَفّى سبيلَ رَجائِيَا
على أنّني ما حُلْتُ عمّا عَهِدْتَهُ … وَلا غَيّرَتْ هَذي السّنونُ وِدادِيَا
فلا غَرْوَ عِندَ الحادِثاتِ ، فإنّني … أرَاكَ يَميني وَالأنامَ شِمالِيَا
تَحَلَّ بها[2] عَذراء لَوْ قُرِنتْ بها … نُجُومُ السّماء لَمْ تُعَدَّ دَرَارِيَا
تَحَلّتْ بدُرٍّ مِن صِفاتِكَ زانَها … كَمَا زانَ مَنظُومُ اللآلي الغَوَانِيَا
وعِشْ بانِياً للمَجْدِ ما كانَ وَاهِياً … مُشيداً منَ الإحسانِ ما كانَ هاوِيَا

وكان الأمر بينهما فيه تماسك ، فلمّا توفّي مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة قلب أخوه لأولاده ظهر المِجَنّ ، وبادأهم بما يسوءُهم ، وأخرجهم من شَيْزر ، فتفرّقوا ، وقصد أكثرهم نور الدين وشكوا إليه ما لقوا من عمّهم ، فغاظه ذلك ، ولم يمكنه قصده والأخذ بثأرهم وإعادتهم إلى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج ، ولخوفه أن يسلّم شيزر إلى الفرنج .

1) B. قريظك .
2) C. P. Ups : تهن عذراء – B. تهن بها .

ثمّ توفّي سلطان وبقيَ بعده أولاده ، فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج ، فاشتدّ حنقه عليهم ، وانتظر فرصة تمكنه ، فلمّا خربت القلعة هذه السنة بما ذكرناه من الزلزلة لم ينجُ من بني منقذ الذين بها أحدٌ .

وسبب هلاكهم أجمعين أنّ صاحبها منهم كان قد ختَن ولداً له ، وعمل دَعوة للنّاس ، وأحضر جميع بني منقذ عنده في داره ، وكان له فرس يحبّه ، ويكاد لا يفارقه ، وإذا كان في مجلس أقيم الفرس على بابه . وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار فجاءت الزلزلة ، فقام النّاس ليخرجوا من الدار ، فلمّا وصلوا مجفلين إلى الباب ليخرجوا من الدار رمح الفرس رجلاً كان أوّلهم فقتله ، وامتنع النّاس من الخروج ، فسقطت الدار عليهم كلّهم ، وخربت القلعة وسقط سورها وكلّ بناء فيها ، ولم ينجُ منها إلاّ الشريد ، فبادر إليها بعض أمرائه ، وكان بالقرب منها ، فملكها وتسلّمها نور الدين منه ، فملكها وعمّر أسوارها ودورها ، وأعادها جديدة .

ذكر وفاة الدّبيسيّ صاحب جزيرة ابن عمر واستيلاء قطب الدين مودود على الجزيرة

كانت الجزيرة لأتابك زنكي ، فلمّا قُتل سنة إحدى وأربعين [وخمسمائة] أقطعها ابنه سيف الدين غازي للأمير أبي بكر الدّبيسيّ ، وكان من أكابر أمراء والده ، فبقيت بيده إلى الآن ، وتمكّن منها وصار بحيث يتعذّر على قطب الدين أخذها منه ، فمات في ذي الحجّة سنة إحدى وخمسين ، ولم يُخلّف ولداً ، فاستولى عليها مملوك له اسمه غُلبك ، وأطاعه جندها ، فحصرهم مودود ثلاثة أشهر ثمّ تسلّمها من غُلبك في صفر من سنة ثلاث وخمسين ، وأعطاه عوضها إقطاعاً كثيراً .

صاحب دمشق ؛ فلمّا ملك نور الدين دمشق امتنع ضحّاك بها ، فلم يمكن نور الدين محاصرته لقربه من الفرنج . فتلطّف الحال معه إلى الآن ، فملكها واستولى عليها .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قلع الخليفة المقتفي لأمر الله باب الكعبة ، وعمل عوضه باباً مصفّحاً بالنقرة المذهّبة ، وعمل لنفسه من الباب الأوّل تابوتاً يُدفن فيه إذا مات .

وفيها توفّي محمّد بن عبد اللّطيف بن محمّد بن ثابت أبو بكر الخُجنديّ ، رئيس أصحاب الشافعيّ بأصفهان ، وسمع الحديث بها من أبي عليّ الحدّاد ، وكان صدراً مقدّماً عند السلاطين . وكان ذا حشمة عظيمة وجاه عريض .

ووقعت لموته فتنة عظيمة بأصفهان وقُتل فيها خلق كثير .

وفيها كان بخراسان غلاء شديد أُكلت فيه سائر الدوابّ ، حتى النّاس . وكان بنَيسابور طبّاخ . فذبح إنساناً علويّاً وطبخه ، وباعه في الطبيخ ، ثمّ ظهر عليه أنّه فعل ذلك ، فقُتل ؛ وأسفر الغلاء ، وصلحت أحوال النّاس .

وفيها توفّي القاضي أبو العبّاس أحمد بن بختيار بن عليّ الماندايّ الواسطيّ قاضيها ، وكان فقيهاً عالماً .

وفيها ، في ربيع الآخر ، توفّي القاضي بُرهان الدين أبو القاسم منصور ابن أبي سعد محمّد بن أبي نصر أحمد الصاعديّ قاضي نَيسابور ، وكان من أئمّة الفقهاء الحنفيّة .

٥٥٣

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

ذكر الحرب بين سُنقُر وأرغَش

في هذه السنة كانت حربٌ شديدة بين سُنْقُر الهمذانيّ وأرغَش المسترشديّ ، وسببها أنّ سُنقُر الهمذانيّ كان قد نهب سواد بغداد بطريق خراسان ، وكثر جمعه ، فخرج الخليفة المقتفي لأمر الله ، جمادى الأولى ، بنفسه يطلبه ، فلمّا وصل إلى بلد اللّحف قال له الأمير خطلبرس : أنا أكفيك هذا المهمّ ؛ وكان بينه وبين سُنقُر مودّة ، فركب إليه ، وتلاقيا وجرى بينهما عتاب طويل لأجل خروجه عن طاعة الخليفة ، فأجاب سنقر إلى الطاعة ، وعاد خطلبرس وأصلح حاله مع الخليفة وأقطعه بلد اللّحف له وللأمير أرغش المسترشديّ .

فلمّا توجّها إلى اللّحف جرى بينهما منازعة . فأراد سُنقُر قبض أرغش ، فرآه محترزاً ، فتحاربا ، واقتتلا قتالاً شديداً . وغدر بأرغش أصحابه ، فعاد منهزماً إلى بغداد ، وانفرد سُنقُر ببلد اللّحف وخطب فيه للملك محمّد ، فسيّر من بغداد عسكراً لقتاله مقدّمهم خطلبرس ، فجرت بينهما حرب شديدة انهزم في آخرها سُنقُر ، وقُتلت رجاله ، ونهبت أمواله التي [في] العسكر ، وسار هو إلى قلعة الماهكي وأخذ ما كان فيها ، واستخلف فيها بعض غلمانه ، وسار هو إلى همذان ، فلم يلتفت إليه الملك محمّد شاه . فعاد إلى قلعة الماهكيّ وأقام بها .

يطلبون منه أن يرسل ابنه جلال الدين محمداً إليهم ليملّكوه أمرهم ، ويصدروا عن أمره ونهيه في قليل الأمور وكثيرها . وتردّدت الرسل واحتاط السلطان محمود لولده بالعهد والمواثيق ، وتقرير القواعد ، ثمّ سيّره من جُرجان إلى خُراسان، فلمّا سمع[1] الأمراء الغزّيّة بقدومه ساروا من مرو إلى طريقه . فالتقوه بنيسابور . وأكرموه وعظّموه . ودخل نَيسابور . واتّصلت به العساكر الغزّيّة . واجتمعوا عنده في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

ثمّ إنّ السلطان محموداً[2] سار من جُرجان إلى خراسان في الجيوش التي معه من الأمراء السّنجريّة . وتخلّف عنه المؤيّد أي أبَه . فوصل إلى حدود نَسا وأبيوَرْد ، وأقطع نَسا لأمير اسمه عمر بن حمزة النّسوي ، فقام في حفظها المقام المرضي . ومنع عنها أيدي المفسدين . وأقام السلطان محمود بظاهر نسا حتّى انسلخ جمادى الآخرة من السنة .

ولمّا كان الغُزّ بنَيسابور هذه السنة أرسلوا إلى أهل طوس يدعونهم إلى الطاعة والموافقة . فامتنع أهل رايكان من إجابتهم إلى ذلك ، واغترّوا بسور بلدهم وبما عندهم من الشجاعة والقوّة والعدّة الوافرة والذخائر الكثيرة ، فقصدها طائفة من الغزّ وحصروهم . وملكوا البلد . وقتلوا فيهم ونهبوا وأكثروا . ثمّ عادوا إلى نَيسابور . وساروا مع جلال الدين محمّد ابن السلطان محمود الخان إلى بَيْهَق ، وحصروا سَابزَوار سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وخمسمائة . فامتنع أهلها عليهم وقام بأمرهم النقيب عماد الدين عليّ بن محمّد بن يحيى العلويّ الحسينيّ . نقيب العلويّين . واجتمعوا معه ، ورجعوا إلى أمره ونهيه ، ووقفوا عند إشارته . فامتنعوا على الغزّ . وحفظوا

---

[1] سمعوا .

[2] محمود .

البلد منهم . وصبروا على القتال .

فلمّا رأى الغزّ امتناعهم عليهم وقوّتهم أرسلوا إليهم يطلبون الصلح ، فاصطلحوا ، ولم يُقتل من أهل سابزوار ، في تلك الحروب ، غير رجل واحد ، ورحل الملك جلال الدين والغزّ عن سابزوار في السابع والعشرين من جُمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وساروا إلى نَسا وأبيوَرْد .

ذكر أسر المؤيّد وخلاصه

قد ذكرنا أنّ المؤيّد أي أبَه تخلّف عن السلطان ركن [الدين] محمود بن محمّد بجُرجان ، فلمّا كان الآن سار من جُرجان إلى خراسان ، فنزل بقرية من قُرى خَبُوشان ، اسمها زانَك ، وبها حصن ، فسمع الغزّ بوصوله إلى زانك ، فساروا إليه وحصروه فيه . فخرج منه هارباً ، فرآه واحد من الغزّ ، فأخذه . فوعده بمال جزيل إن أطلقه . فقال الغزّيّ : وأين المال ؟ فقال : هو مودع[1] في بعض هذه الجبال .

فسار هو والغزّيّ ، فوصلا إلى جدار قرية فيها بساتين وعيون ، فقال للفارس : المال[1] هاهنا ؛ وصعد الجدار ونزل من ظهره ومضى هارباً ، فرأى الغزّ قد ملأوا الأرض ، فدخل قرية ، فعرفه طحّانٌ فيها ، فأعلم زعيم القرية به ، وطلب منه مركباً ، فأتاه بما أراد ، وأعانه على الوصول إلى نيسابور ، فوصل إليها ، واجتمعت عليه العساكر وقوي أمره وعاد إلى حاله ، وأحسن إلى الطحّان ، وبالغ في الإحسان إليه .

1) A. فقال للناس المال .

---

[1] مودوع .

قفصة لما رأوا تمكُّن عبد المؤمن أجمعوا على المبادرة إلى طاعته ، وتسليم المدينة إليه ، فتوجّه صاحبها يحيى بن تميم بن المعزّ ، ومعه جماعة من أعيانها ، وقصدوا عبد المؤمن ، فلمّا أعلمه حاجبه بهم قال له عبد المؤمن : قد اشتبه عليك ، ليس هؤلاء أهل قفصة ؛ فقال له : لم يشتبه عليّ ؛ قال له عبد المؤمن : كيف يكون ذلك والمهدي يقول إنّ أصحابنا يقطعون أشجارها ويهدمون أسوارها ، ومع هذا فنقبل منهم ونكفّ عنهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . فأرسل إليهم طائفة من أصحابه ، ومدحه شاعر منهم بقصيدة أوّلها :

ما هزّ عِطفيهِ بينَ البيضِ والأسَلِ مثلُ الخليفةِ عبدِ المؤمنِ بنِ علي

فوصله بألف دينار . ولما كان في الثاني والعشرين من شعبان من السنة جاء أسطول صاحب صقلّية في مائة وخمسين شينياً غير الطرائد ، وكان قدومه من جزيرة يابسة من بلاد الأندلس وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه ، فأرسل إليهم ملك الفرنج يأمرهم بالمجيء إلى المهديّة ، فقدموا في التاريخ ، فلمّا قاربوا المهديّة حطّوا شُرُعهم ليدخلوا الميناء ، فخرج إليهم أسطول عبد المؤمن ، وركب العسكر جميعه ، ووقفوا على جانب البحر ، فاستعظم الفرنج ما رأوه من كثرة العساكر ، ودخل الرعب قلوبهم ، وبقي عبد المؤمن يُمرّغ وجهه على الأرض ، ويبكي ويدعو للمسلمين بالنصر ، واقتتلوا في البحر ، فانهزمت شواني الفرنج ، وأعادوا القلوع ، وتبعهم المسلمون ، فأخذوا منهم سبع شوانٍ ، ولو كان معهم قلوع لأخذوا أكثرها ، وكان أمراً عجيباً[1] . وفتحاً قريباً .

وعاد أسطول المسلمين مظفّراً منصوراً ، وفرّق فيهم عبد المؤمن الأموال ؛ ويئس أهل المهديّة حينئذٍ من النجدة ، وصبروا على الحصار ستّة أشهر إلى

١ عجباً .

آخر شهر ذي الحجّة من السنة ، فنزل حينئذٍ من فرسان الفرنج إلى عبد المؤمن عشرة ، وسألوا الأمان لمن فيها من الفرنج على أنفسهم وأموالهم ليخرجوا منها ويعودوا إلى بلادهم ، وكان قوتهم قد فني حتى أكلوا الخيل ، فعرض عليهم الإسلام ، ودعاهم إليه ، فلم يجيبوا ، ولم يزالوا يتردّدون إليه أيّاماً واستعطفوه بالكلام الليّن ، فأجابهم إلى ذلك ، وأمّنهم وأعطاهم سفناً فركبوا فيها وساروا ، وكان الزمان شتاء ، فغرق أكثرهم ولم يصل منهم إلى صقلّية إلاّ النفر اليسير .

وكان صاحب صقلّية قد قال : إن قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين هم بجزيرة صقلّية ، وأخذنا حُرَمهم وأموالهم ؛ فأهلك الله الفرنج غرقاً ، وكانت مدّة ملكهم المهديّة اثنتي[1] عشرة سنة .

ودخل عبد المؤمن المهديّة بُكرة عاشوراء من المحرّم سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وسمّاها عبد المؤمن سنة الأخماس ، وأقام بالمهديّة عشرين يوماً ، فرتّب أحوالها ، وأصلح ما انثلم من سورها ، ونقل إليها الذخائر من الأقوات والرجال والعُدد ، واستعمل عليها بعضَ أصحابه ، وجعل معه الحسن بن عليّ الذي كان صاحبها ، وأمره أن يقتدي برأيه في أفعاله ، وأقطع الحسن بها أقطاعاً ، وأعطاه دُوراً نفيسةً يسكنها ، وكذلك فعل بأولاده ، ورحل من المهديّة أوّل صفر من السنة إلى بلاد الغرب .

ذكر إيقاع عبد المؤمن بالعرب

لمّا فرغ عبد المؤمن من أمر المهديّة وأراد العود إلى الغرب جمع أمراء العرب من بني رياح الذين كانوا بإفريقية ، وقال لهم : قد وجبت علينا نصرة

١ اثني .

ذكر غرق بغداد

في هذه السنة ، ثامن ربيع الآخر ، كثرت الزيادة في دجلة . وخرق القورج
ن بغداد . وأقبل المدّ إلى البلد . فامتلأت الصحاري وخندق البلد . وأفسد
، السور فنتح فيه فتحة يوم السبت تاسع عشر الشهر . فوقع بعض السور
نها فسدّها ، ثمّ فتح الماء فتحة أخرى . وأهملوها ظنّاً أنّها تنفّس عن
ور لئلاّ يقع . فغلب الماء . وتعذّر سدّه . فغرق قَراح ظَفَر . والأجَمَة .
لمُختارة . والمُقتَدية . ودَرب القَبّار[1] ، وخَرابة ابن جُردة[2] ، والرّيّان ،
ـَراح القاضي . وبعض القطيعة . وبعض باب الأزج ، وبعض المأمونيّة ،
ـَراح أبي الشّحم . وبعض قَراح ابن رَزين . وبعض الظَّفَريّة .

ودبّ الماء تحت الأرض إلى أماكن فوقعت وأخذ النّاس يعبرون إلى
لجانب الغربيّ . فبلغت المعبرة عدّة دنانير ، ولم يكن يقدر عليها ، ثمّ نقص
اء وتهدّم السور وبقي الماء الذي داخل السور يدبّ في المحالّ التي لم يركبها الماء ،
كثر الخراب . وبقيت المحالّ لا تُعرف إنّما هي تُلُول ، فأخذ النّاس
حدود دورهم بالتخمين .

وأمّا الجانب الغربيّ فغرقت فيه مقبرة أحمد بن حَنبَل وغيرُها من
لمقابر . وانخسفت القبور المبنيّة . وخرج الموتى على رأس الماء . وكذلك المشهد
الحربيّة ، وكان أمراً عظيماً .

1) A. ودرب القيار .

2) B. ابن حردة – C. P. et 740. Ups : جودة .

ذكر عود سُنقُر الهمذانيّ إلى اللّحف وانهزامه

في هذه السنة عاد سنقر الهمذانيّ إلى إقطاعه . وهو قلعة الماهكيّ وبلد اللّحف . وكان الخليفة قد أقطعه للأمير قايماز العميديّ . ومعه أربعمائة فارس ، فأرسل إليه سُنقُر يقول له : ارحل عن بلدي ؛ فامتنع . فسار إليه ، وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه العميديُّ ، ورجع إلى بغداد بأسوإ حال .

فبرز الخليفة . وسار في عساكره إلى سُنقُر . فوصل إلى النعمانيّة وسيّر العساكر مع ترشك ورجع إلى بغداد ، ومضى ترشك نحو سنقر الهمذانيّ ، فتوغّل سُنقُر في الجبال هارباً ، ونهب ترشك ما وجد له ولعسكره من مال وسلاح وغير ذلك ، وأسر وزيره ، وقتل مَن رأى من أصحابه ، ونزل على الماهكي وحصرها أيّاماً ، ثمّ عاد إلى البَندَنيجَين . وأرسل إلى بغداد بالبشارة .

وأمّا سُنقُر فإنّه لحق بملكشاه فاستنجده ، فسيّر معه خمس مائة فارس ، فعاد ونزل على قلعة هناك ، وأفسد أصحابه في البلاد ، وأرسل ترشك [إلى] بغداد يطلب نجدة . فجاءته . فأراد سُنقُر أن يكبس ترشك ، فعرف ذلك ، فاحترز ، فعدل سُنقُر إلى المخادعة ، فأرسل رسولاً إلى ترشك يطلب منه أن يصلح حاله مع الخليفة ، فاحتبس ترشك الرسول عنده وركب فيمَن خفّ من أصحابه ، فكبس سُنقُر ليلاً . فانهزم هو وأصحابه . وكثُر القتل فيهم ، وغنم ترشك أموالهم ودوابّهم وكلّ ما لهم ونجا سُنقُر جريحاً .

ذكر وفاة الخليفة المقتفي لأمر الله وشيء من سيرته

في هذه السنة ، ثاني ربيع الأوّل ، توفّي أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمّد بن المستظهر بالله أبي العبّاس أحمد بن المقتدي بأمر الله ، رضي الله عنه ، بعلّة التراقي ؛ وكان مولده ثاني عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وأمّه أمّ ولد تدعى[1] ياعي ؛ وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستّة عشر يوماً ، ووافق أباه المستظهر بالله في علّة التراقي وماتا جميعاً في ربيع الأوّل .

وكان حليماً كريماً عادلاً حسن السيرة من الرجال ذوي الرأي والعقل الكثير . وهو أوّل مَن استبدّ بالعراق منفرداً عن سلطان يكون معه من أوّل أيّام الديلم إلى الآن ، وأوّل خليفة تمكّن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه من حين تحكّم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر[2] إلى الآن ، إلاّ أن يكون المعتضد . وكان شجاعاً مقداماً مُباشراً للحروب بنفسه ، وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد حتّى كان لا يفوته منها شيء .

ذكر خلافة المستنجد بالله

وفي هذه السنة بويع المستنجد بالله أمير المؤمنين ، واسمه يوسف ، وأمّه أمّ ولد تُدعى طاوُوس ، بعد موت والده ؛ وكان للمقتفي حظيّة ، وهي أمّ

1) A. تدعى ست السادة نزهة حبشية .

2) A. المستنصر بن المتوكل .

ولده أبي عليّ ، فلمّا اشتدّ مرض المقتفي وأيست منه أرسلت إلى جماعة من الأمراء وبذلت لهم الإقطاعات الكثيرة والأموال الجزيلة ليُساعدوها على أن يكون ولدها الأمير أبو عليّ خليفةً . قالوا : كيف الحيلة مع وليّ العهد ؟ فقالت : إذا دخل على والده قبضتُ عليه . وكان يدخل على أبيه كلّ يوم . فقالوا : لا بُدّ لنا من أحد من أرباب الدولة ؛ فوقع اختيارهم على أبي المعالي ابن الكيا الهراسي[1] ، فدعوه إلى ذلك ، فأجابهم على أن يكون وزيراً ، فبذلوا له ما طلب .

فلمّا استقرّت القاعدة بينهم وعلمت أمّ أبي عليّ أحضرت عدّة من الجواري وأعطتهنّ السكاكين ، وأمرتهنّ بقتل وليّ العهد المستنجد بالله . وكان له خصيّ صغير يرسله كلّ وقت يتعرّف أخبار والده ، فرأى الجواري بأيديهنّ السكاكين ، ورأى بيد أبي عليّ وأمّه سيفَين ، فعاد إلى المستنجد فأخبره ؛ وأرسلت هي إلى المستنجد تقول له إنّ والده قد حضره الموت ليحضر ويشاهده ، فاستدعى أستاذ الدار عضد الدين وأخذه معه وجماعة من الفرّاشين ، ودخل الدار وقد لبس الدرع وأخذ بيده السيف ، فلمّا دخل ثار به الجواري ، فضرب واحدةً منهنّ فجرحها ، وكذلك أخرى ، فصاح ودخل أستاذ الدار ومعه الفرّاشون ، فهرب الجواري ، وأخذ أخاه أبا عليّ وأمّه فسجنهما ، وأخذ الجواري فقتل منهنّ ، وغرّق منهنّ[2] ودفع الله عنه .

فلمّا توفّي المقتفي لأمر الله جلس للبَيعة ، فبايعه أهله وأقاربه ، وأوّلهم عمّه أبو طالب ، ثمّ أخوه أبو جعفر بن المقتفي ، وكان أكبر من المستنجد ، ثمّ بايعه الوزير ابن هُبَيرة ، وقاضي القضاة ، وأرباب الدولة والعلماء . وخُطب له يوم الجمعة ، ونُثرت الدنانير والدراهم .

1) A. الهراس .

2) A. وغرق جماعة منهن .

سيرد ذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها أرسل زين الدين عليّ نائب قطب الدين ، صاحب الموصل ، رسولاً لى المستنجد يعتذر ممّا جناه من مساعدة محمّد شاه في حصار بغداد ، ويطلب ن يؤذن له في الحجّ . فأرسل إليه يوسف الدمشقيّ . مدرّس النظاميّة ، وسليمان بن قَتَلمِش يطيّبان قلبه عن الخليفة ويعرّفانه الإذن في الحجّ ، فحجّ ودخل إلى الخليفة ، فأكرمه وخلع عليه .

وفيها توفّي قايماز الأرجوانيُّ أمير الحاجّ ، سقط عن الفَرَس وهو يلعب بالأكرة ، فسال مخّه من منخريه وأذنَيْه فمات .

وفيها ، في ربيع الأوّل ، توفّي محمّد بن يحيَى بن عليّ بن مسلم أبو عبد الله الزَّبيديّ ، من أهل زَبيدَ مدينة باليمن مشهورة ، وقدم بغداد سنة تسع وخمسمائة ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ وكان نحويّاً واعظاً ، وصحبه الوزير ابن هُبيرة مدّةً ، وكان موته ببغداد .

٥٥٦

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، خرج الوزير ابن هُبيرة من داره إلى الديوان ، والغلمان يطرّقون له ، وأرادوا أن يردوا باب المدرسة الكماليّة بدار الخليفة ، فمنعهم الفقهاء وضربوهم بالآجرّ ، فشهر أصحاب الوزير السيوف وأرادوا ضربهم ، فمنعهم الوزير ، ومضى إلى الديوان ، فكتب الفقهاء مطالعة يشكون أصحاب الوزير ، فأمر الخليفة بضرب الفقهاء وتأديبهم ونفيهم من الدار ، فمضى أستاذ الدار وعاقبَهم هناك ، واختفى مدرّسهم الشيخ أبو طالب ، ثمّ إنّ الوزير أعطى كلّ فقير ديناراً ، واستحلّ منهم ، وأعادهم إلى المدرسة وظهر مدرّسهم .

ذكر قتل ترشك

في هذه الأيّام قصد جمع من التّركمان إلى البَنْدَنيجين ، فأمر الخليفة بتجهيز عسكر إليهم ، وأن يكون مقدّمهم الأمير ترشك ، وكان في أقطاعه بلد اللُّحف ، فأرسل إليه الخليفة يستدعيه ، فامتنع من المجيء إلى بغداد وقال : يحضر العسكر ، فأنا أقاتل بهم ؛ وكان عازماً على الغدر : فجهّز العسكر وساروا إليه ، وفيهم جماعة من الأمراء ، فلمّا اجتمعوا بتَرشك قتلوه ، وأرسلوا

رأسه إلى بغداد ، وكان قتل مملوكاً للخليفة ، فدعا أولياء المقتول، وقيل لهم: إنّ أمير المؤمنين قد اقتصّ لأبيكم ممّن قتله .

ذكر قتل سليمان شاه والخطبة لأرسلان

في هذه السنة ، في ربيع الآخر ، قُتل السلطان سليمان شاه ابن السلطان محمّد بن ملكشاه ؛ وسبب ذلك أنّه كان فيه تهوّرٌ وخرقٌ ، وبلغ به شرب الخمر حتى إنّه شربها في رمضان نهاراً ، وكان يجمع المساخر ولا يلتفت إلى الأمراء ، فأهمل العسكر أمره ، وصاروا لا يحضرون بابه ، وكان قد ردّ جميع الأمور إلى شرف الدين كُردبازو[1] الخادم . وهو[2] من مشايخ الخدم السلجوقيّة يرجع إلى دين وعقل وحُسن تدبير ، فكان الأمراء يشكون إليه وهو يسكّنهم .

فاتّفق أنّه شرب يوماً بظاهر همذان في الكُشك فحضر عنده كُردبازو ، فلامه على فعله . فأمر سليمان شاه مَن عنده من المساخرة فعبثوا بكردبازو ، حتّى إنّ بعضهم كشف له سوءته ، فخرج مغضباً . فلمّا صحا سليمان أرسل إليه يعتذر ، فقبل عذره ، إلاّ أنّه تجنّب الحضور عنده ، فكتب سليمان إلى إينانج صاحب الرّيّ يطلب منه أن ينجده على كردبازو ، فوصل الرسول وإينانج مريض ، فأعاد الجواب يقول : إذا أفقتُ من مرضي[١] حضرتُ عندك بعسكري ؛ فبلغ الخبر كُردبازو ، فازداد استيحاشاً ، فأرسل إليه سليمان

1) Variat scriptura inter كردبازو et كردبازه .

2) A. om. inde a وهو usque ad تدبير v. sq.

١ مرض .

يوماً يطلبه ، فقال : إذا جاء إينانج حضرتُ ؛ وأحضر الأمراء واستحلفهم على طاعته ، وكانوا كارهين لسليمان ، فحلفوا له . فأوّل ما عمل أن قتل المساخرة الذين لسليمان ، وقال : إنّما أفعل ذلك صيانةً للملك ؛ ثمّ اصطلحا ، وعمل كردبازو دعوة عظيمة حضرها السلطان والأمراء ؛ فلمّا صار السلطان سليمان شاه في داره قبض عليه كردبازو وعلى وزيره ابن القاسم محمود بن عبد[1] العزيز الحامديّ ، وعلى أصحابه ، في شوّال سنة خمس وخمسين[2] وخمسمائة ، فقتل وزيره وخواصّه ، وحبس سليمان شاه في قلعة ، ثمّ أرسل إليه مَن خنقه ؛ وقيل بل حبسه في دار مجد الدين العلويّ رئيس همذان ، وفيها قُتل ؛ وقيل بل سُقي سمّاً فمات ، والله أعلم .

وأرسل إلى إيلدكز ، صاحب أرّان وأكثر بلاد أذربيجان ، يستدعيه إليه ليخطب للملك أرسلان شاه الذي معه ، وبلغ الخبر إلى إينانج صاحب الرّيّ ، فسار ينهب البلاد إلى أن وصل إلى همذان ، فتحصّن كُردبازو، فطلب منه إينانج أن يعطيه مصافّاً ، فقال : أنا لا أحاربك حتّى يصل الأتابك الأعظم إيلدكز .

[وسار إيلدكز][3] في عساكره جميعها يزيد على عشرين ألف فارس ، ومعه أرسلان شاه بن طُغرُل بن محمّد بن ملكشاه ، فوصل إلى همذان ، فلقيهم كردبازو ، وأنزله دار المملكة ، وخطب لأرسلان شاه بالسلطنة بتلك البلاد ، وكان إيلدكز قد تزوّج بأمّ أرسلان شاه ، وهي أمّ البهلوان بن إيلدكز ، وكان إيلدكز أتابكه ، والبهلوان حاجبه ، وهو أخوه لأمّه ، وكان إيلدكز هذا أحد مماليك السلطان مسعود واشتراه في أوّل أمره ، فلمّا ملك أقطعه أرّان وبعض أذربيجان ، واتّفق الحروب والاختلاف ، فلم يحضر عنده أحد من

1) A. بن عبد الملك . B. بن عبيد القسم أبي .

2) A. ست وخمسين .

3) C. P.

السلاطين السلجوقيّة ، وعظم شأنه وقوي أمره ، وتزوّج بأم الملك أرسلان شاه ، فولدت له أولاداً منهم البهلوان محمّد . وقزل أرسلان عثمان .

وقد ذكرنا سبب انتقال أرسلان شاه إليه ، وبقي عنده إلى الآن ، فلمّا خطب له بهمذان أرسل إيلدكز إلى بغداد يطلب الخطبة لأرسلان شاه أيضاً ، وأن تعاد القواعد إلى ما كانت عليه أيّامَ السلطان مسعود ، فأُهين رسوله وأعيد إليه على أقبح حالة ؛ وأمّا إينانج صاحب الرَّيّ فإنّ إيلدكز راسله ولاطفه فاصطلحا وتحالفا على الاتّفاق . وتزوّج البهلوان بن إيلدكز بابنة إينانج ونُقلت إليه بهمذان .

ذكر الحرب بين ابن آقسنقر وعسكر إيلدكز

لمّا استقرّ الصلح بين إيلدكز وإينانج أرسل إلى ابن آقسنقر الأحمديلي ، صاحب مَراغة ، يدعوه إلى الحضور في خدمة السلطان أرسلان شاه ، فامتنع من ذلك وقال : إن كففتم عني ، وإلاّ فعندي سلطان ؛ وكان عنده ولد محمّد شاه بن محمود ، كما ذكرناه . وكان الوزير ابن هبيرة قد كاتبه يطمعه في الخطبة لولد محمود[1] شاه ، فجهّز إيلدكز عسكراً مع ولده البَهلوان ، فبلغ الخبر إلى ابن[2] آقسنقر فأرسل إلى شاه أرمن ، صاحب خلاط ، وحالفه ، وصارا يداً واحدةً ، فسيّر إليه شاه أرمن عسكراً كثيراً ، واعتذر عن تأخّره بنفسه لأنّه في[3] ثغر لا يُمكنه مفارقته ، فقوي بهم ابن[3] آقسنقر ، وكثر جمعه . وسار نحو البهلوان ، فالتقيا على نهر أسبيرود[4] . فاشتدّ القتال بينهم ،

1) B. لولد محمد .
2) A. om. إلى ابن . B. om. إلى .
3) A. om. في et ابن .
4) A. سبيذروذ .

فانهزم البهلوان أقبح هزيمة ، ووصل هو وعسكره إلى همذان على أقبح صورة ، واستأمن أكثر أصحابه إلى ابن[1] آقسنقر ، وعاد إلى بلده منصوراً .

ذكر الحرب بين إيلدكز وإينانج

لمّا مات ملكشاه ابن السلطان محمود ، كما ذكرناه ، أخذ طائفة من أصحابه ابنه محموداً وانصرفوا به نحو بلاد فارس ، فخرج عليهم صاحبها زنكي بن دكلا السلغريّ[2] فأخذه منهم وتركه في قلعة إصطَخْر ، فلمّا ملك إيلدكز والسلطان أرسلان شاه الذي معه البلاد[3] ، وأرسل إيلدكز إلى بغداد يطلب الخطبة للسلطان ، كما ذكرناه ، شرع الوزير عون الدين أبو المظفّر يحيَى بن هُبيرة ، وزير الخليفة ، في إثارة أصحاب الأطراف عليه ، وراسل الأحمديليّ ، وكان ما ذكرناه ، وكاتب زنكي بن دكلا صاحب بلاد فارس يبذل له أن يخطب للملك الذي عنده ، وهو ابن ملكشاه ، وعلّق الخطبة له بظفره بإيلدكز ، فخطب ابن دكلا للملك الذي عنده وأنزله من القلعة ، وضرب الطبل على بابه خمس نُوَب ، وجمع عساكره وكاتب إينانج صاحب الرَّيّ يطلب منه الموافقة .

وسمع إيلدكز الخبر ، فحشد وجمع ، وكثر عسكره وجموعه فكانت أربعين ألفاً ، وسار إلى أصفهان يريد بلاد فارس ، وأرسل إلى زنكي بن دكلا يطلب منه الموافقة [على] أن يعود يخطب لأرسلان شاه ، فلم يفعل ، وقال : إنّ الخليفة قد أقطعني بلاده وأنا سائر إليه ؛ فرحل إيلدكز ، وبلغه أنّ جشيراً

1) A. om. ابن .
2) A. دكلا السنقري .
3) C. P. et 740. Ups : أرسلان الري البلاد .

لأرسلان بوقا ، وهو أمير من أمراء زنكي ، وفي أقطاعه أرّجان ، بالقرب منه . فأنفذ سريّة للغارة عليه . فاتّفق أنّ أرسلان بوقا عزم على تغيير الخيل التي معه لضعفها ، وأخذ عوضها من ذلك الحشير ، فسار في عسكره إلى الحشير . فصادف العسكر الذي سيّره إيلدكز لأخذ دوابّه ، فقاتلهم وأخذهم وقتلهم . وأرسل الرؤوس إلى صاحبه . فكتب بذلك إلى بغداد وطلب المدد . فوُعد بذلك .

وكان الوزير عون الدين أيضاً قد كاتب الأمراء الذين مع إيلدكز يوبّخهم على طاعته ، ويضعّف رأيهم ، ويحرّضهم على مساعدة زنكي ابن دكلا وإينانج ؛ وكان إينانج قد برز من الرّيّ في عشرة آلاف فارس ، فأرسل إليه ابن[1] آقسنقر الأحمديلي خمسة آلاف فارس ، وهرب ابن البازدار ، صاحب قَزوين ، وابن طُغيرك وغيرهما ، فلحقوا بإينانج وهو في صحراء ساوة .

وأمّا إيلدكز فإنّه استشار نصحاءه ، فأشاروا بقصد إينانج لأنّه أهمّ . فرحل إليه ، ونهب زنكي بن دكلا سُهَيرم[2] وغيرها ، فردّ إيلدكز إليه أميراً في عشرة آلاف فارس لحفظ البلاد . فسار زنكي إليهم ، فلقيهم وقاتلهم ، فانهزم عسكر إيلدكز إليه ، فتجلّد لذلك وأرسل يطلب عساكر أذربيجان ، فجاءته مع ولده قزل أرسلان .

وسيّر زنكي بن دكلا عسكراً كثيراً إلى إينانج ، واعتذر عن الحضور بنفسه عنده لخوفه على بلاده من شملة ، صاحب خوزستان ، فسار إيلدكز إلى إينانج وتدانى العسكران ، فالتقوا تاسع شعبان وجرى بينهم حرب عظيمة أجلت عن هزيمة إينانج ، فانهزم أقبح هزيمة وقُتلت رجاله ونُهبت أمواله ،

1) om. prius ابن .   2) B. سبيرم .

ودخل الريّ ، وتحصّن في قلعة طَبَرك ، وحصر إيلدكز الرّيّ ، ثمّ شرع في الصلح ، واقترح إينانج اقتراحات ، فأجابه إيلدكز إليها ، وأعطاه جرباذقان وغيرها ، وعاد إيلدكز إلى همَذان ؛ كان ينبغي أن تتأخّر هذه الحادثة والتي قبلها ، وإنّما قُدّمت لتتبع أخواتها .

ذكر وفاة ملك الغور ومُلك ابنه محمّد

في هذه السنة ، في ربيع الآخر ، توفّي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغُوري ملك الغور بعد انصرافه عن غَزنة ؛ وكان عادلاً من أحسن الملوك سيرةً في رعيّته ، ولمّا مات ملك بعده ابنه سيف الدين محمّد ، وأطاعه النّاس وأحبّوه ، وكان قد صار في بلادهم جماعة من دُعاة الإسماعيليّة ، وكثُر أتباعهم ، فأُخرجوا من تلك الديار جميعها ، ولم يبقَ فيها منهم أحد ، وراسل الملوك وهاداهم ، واستمال المؤيّد أي أبَه ، صاحب نَيْسابور ، وطلب موافقته .

ذكر الفتنة بنَيسابور وتخريبها

كان أهل العيث والفساد بنَيسابور قد طمعوا في نهب الأموال وتخريب البيوت ، وفعل ما أرادوا ، فإذا نُهوا لم ينتهوا ؛ فلمّا كان الآن تقدّم المؤيّد أي أبَه بقبض أعيان نَيْسابور ، منهم نقيب العلويّين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسينيّ وغيره ، وحبسهم في ربيع الآخر سنة ستّ وخمسين [وخمسمائة] ، وقال : أنتم الذين أطمعتم الرنود والمفسدين حتّى فعلوا هذه

ه النّاس . فقُتل ومعه نفر ممّن كان معه ، وأسر طائفة ، وهربت طائفة .
حقوا بمعسكرهم وعادوا إلى بلادهم منهزمين لا يقف الأب على ابنه
لا الأخ على أخيه . وتركوا كلّ ما معهم بحاله ونجوا بنفوسهم .

فكان عمر ملك الغور لمّا قُتل نحو عشرين سنة . وكان عادلاً حسن
سيرة . فمن عدله وخوفه عاقبة الظلم أنّه حاصر أهل هراة . فلمّا ملكها
راد عسكره أن ينهبوها . فنزل على درب المدينة . وأحضر الأموال والثياب .
أعطى جميع عسكره منها . وقال : هذا خيرٌ لكم من أن تنهبوا أموال المسلمين
تُسخطوا الله تعالى . فإنّ المُلك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم ؛ ولمّا
تُل عاد الغُزّ إلى بلخ ومرو وقد غنموا شيئاً كثيراً من العسكر الغُوريّ لأن
هله تركوه ونجَوْا .

ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج

في هذه السنة انهزم نور الدين محمود بن زنكي من الفرنج . تحت حصن
الأكراد . وهي الوقعة المعروفة بالبقيعة ، وسببها أن نور الدين جمع عساكره
ودخل بلاد الفرنج ونزل في البقيعة تحت حصن الأكراد . محاصراً له
وعازماً على قصد طرابُلُس ومحاصرتها . فبينما النّاس يوماً في خيامهم ،
وسط النهار ، لم يرُعهم إلاّ ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الذي عليه
حصن الأكراد . وذلك أنّ الفرنج اجتمعوا واتّفق رأيهم على كبسة المسلمين
نهاراً . فإنّهم يكونون آمنين . فركبوا من وقتهم . ولم يتوقّفوا حتّى يجمعوا
عساكرهم . وساروا مجدّين . فلم يشعر بذلك المسلمون إلاّ وقد قربوا منهم ،
فأرادوا منعهم . فلم يطيقوا ذلك . فأرسلوا إلى نور الدين يعرّفونه الحال . فرهقهم

الفرنج بالحملة[1] ، فلم يثبت المسلمون ، وعادوا يطلبون معسكر المسلمين ،
والفرنجُ في ظهورهم ، فوصلوا معاً إلى العسكر النوريّ ، فلم يتمكّن المسلمون
من ركوب الخيل . وأخذ السلاح . إلاّ وقد خالطوهم . فأكثروا القتل
والأسر .

وكان أشدّهم على المسلمين الدوقُس الروميّ . فإنّه كان قد خرج من بلاده
إلى الساحل في جمع كثير من الروم . فقاتلوا محتسبين في زعمهم . فلم يبقوا
على أحد ، وقصدوا خيمة نور الدين وقد ركب فيها فرسه ونجا بنفسه .
ولسرعته ركب الفرس والشبحة في رجله . فنزل إنسان كرديّ قطعها . فنجا
نور الدين ، وقُتل الكرديّ ، فأحسن نور الدين إلى مخلّفيه ، ووقف عليهم
الوقوف .

ونزل نور الدين على بحيرة قَدَس بالقرب من حِمص ، وبينه وبين
المعركة أربعة فراسخ ، وتلاحق به مَن سلم من العسكر ، وقال له بعضهم :
ليس من الرأي أن تقيم هاهنا ، فإنّ الفرنج ربّما حملهم الطمع على المجيء
إلينا ، فنؤخذ[2] ونحن على هذا الحال ؛ فوبّخه وأسكته ، وقال : إذا كان
معي ألف فارس لقيتُهم ولا أبالي بهم . ووالله لا أستظل بسقف حتّى آخذ
بثاري وثأر الإسلام ؛ ثمّ أرسل إلى حلب ودمشق ، وأحضر الأموال والثياب
والخيام والسلاح والخيل ، فأعطى اللبّاس عوّض ما أُخذ منهم جميعه بقولهم ،
فعاد العسكر كأن لم تُصبه هزيمة ، وكلّ من قُتل أعطى أقطاعه لأولاده .

وأمّا الفرنج فإنّهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لأنّها أقرب
البلاد إليهم . فلمّا بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم قالوا : لم يفعل هذا إلا
وعنده قوّة يمنعنا بها .

1) A. om. inde a بالحملة usque ad الفرنج .

2) A. om. فنؤخذ .

٥٥٩

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

ذكر مسير شِيرِكُوه وعساكر نور الدين إلى ديار مصر وعودهم عنها

في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، سيّر نور الدين محمود بن زنكي عسكراً كثيراً إلى مصر ، وجعل عليهم الأمير أسد الدين شِيرِكُوه بن شاذي ، وهو مقدّم عسكره ، وأكبر أمراء دولته ، وأشجعهم ، وسنذكر سنة أربع وستّين [وخمسمائة] سبب اتّصاله بنور الدين وعلوّ شأنه عنده إن شاء الله تعالى .

وكان سبب إرسال هذا الجيش أنّ شاوُر وزير العاضد لدين الله العلويّ ، صاحب مصر ، نازعه في الوزارة ضِرغام ، وغلب عليها ، فهرب شاور منه إلى الشام ، ملتجئاً إلى نور الدين ، ومستجيراً به ، فأكرم مثواه ، وأحسن إليه ، وأنعم عليه ، وكان وصوله في ربيع الأوّل من السنة ، وطلب منه إرسال العساكر معه إلى مصر ليعود إلى منصبه ، ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد إقطاعات العساكر ، ويكون شيركوه مُقيماً بعساكره في مصر ، ويتصرّف هو بأمر نور الدين واختياره ؛ فبقي نور الدين يقدّم إلى هذا الغرض رِجلاً ويؤخّر أخرى ، فتارةً يحمله رعايةً لقصد شاور بابَه ، وطلب الزيادة في المُلك والتقوّي على الفرنج ، وتارة يمنعه خطر الطريق ، وأنّ الفرنج فيه ؛ وتخوّف أنّ شاور إن استقرّت قاعدته ربّما لا يفي .

ثمّ قوّى عزمه على إرسال الجيوش ، فتقدّم بتجهيزها وإزاحة عللها .

وكان هوى أسد الدين في ذلك ، وعنده من الشجاعة وقوّة النفس ما لا يبالي بمخافة ، فتجهّز ، وساروا جميعاً وشاور في صحبتهم ، في جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين [وخمسمائة] ، وتقدّم نور الدين إلى شيركوه أن يعيد شاور إلى منصبه ، وينتقم له ممّن نازعه فيه .

وسار نور الدين إلى طرف بلاد الفرنج ممّا يلي دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرّض لأسد الدين ومَن معه ، فكان قُصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين ، ووصل أسد الدين والعساكر معه إلى مدينة بِلْبِيس ، فخرج إليهم ناصر الدين أخو ضِرغام بعسكر المصريّين ولقيهم ، فانهزم وعاد إلى القاهرة مهزوماً .

ووصل أسد الدين فنزل على القاهرة أواخر جمادى الآخرة ، فخرج ضِرغام من القاهرة سلخَ الشهر ، فقُتل عند مشهد السيّدة نفيسة ، وبقي يومَين ، ثمّ حُمل ودُفن في القرافة ، وقُتل أخوه فارس[1] المسلمين ، وخُلع على شاور مستهلّ رجب ، وأعيد إلى الوزارة ، وتمكّن منها ، وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة ، فغدر به شاور ، وعاد عمّا كان قرّره لنور الدين من البلاد المصريّة ، ولأسد الدين أيضاً ، وأرسل إليه يأمره بالعود إلى الشام ، فأعاد الجواب بالامتناع ، وطلب ما كان قد استقرّ بينهم ، فلم يجبه شاور إليه ، فلمّا رأى ذلك أرسل نوّابه فتسلّموا مدينة بِلْبِيس ، وحكم على البلاد الشرقيّة ، فأرسل شاور إلى الفرنج يستمدّهم ويخوّفهم من نور الدين إن ملك مصر .

وكان الفرنج قد أيقنوا بالهلاك إن تمّ مُلكه لها ، فلمّا أرسل شاور يطلب منهم أن يساعدوه على إخراج أسد الدين من البلاد جاءهم فرجٌ لم يحتسبوه ، وسارعوا إلى تلبية دعوته ونصرته وطمعوا في ملك الديار المصريّة ، وكان قد بذل لهم مالاً على المسير إليه ، وتجهّزوا وساروا ، فلمّا بلغ نورَ الدين ذلك

1) A. أخوه ناصر .

٥٦٢

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسمائة

ذكر عود أسد الدين شيركوه إلى مصر

قد ذكرنا سنة تسع وخمسين وخمسمائة مسير أسد الدين شيركوه إلى مصر، وما كان منه، وقفوله إلى الشام. فلمّا وصل إلى الشام أقام على حاله في خدمة نور الدين إلى الآن.

وكان بعد عوده منها لا يزال يتحدّث بها وبقصدها، وكان عنده من الحرص على ذلك كثير. فلمّا كان هذه السنة تجهّز وسار في ربيع الآخر في جيش قويّ. وسيّر معه نور الدين جماعة من الأمراء، فبلغت عدّتهم ألفيّ فارس. وكان كارهاً لذلك. ولكن لمّا رأى جدّ أسد الدين في المسير لم يمكنه إلاّ أن يسيّر معه جمعاً خوفاً من حادث يتجدّد عليهم فيضعف الإسلام. فلمّا اجتمع معه عسكره سار إلى مصر على البرّ. وترك بلاد الفرنج على يمينه، فوصل الديار المصريّة. فقصد اطفيح. وعبر النيل عندها إلى الجانب الغربيّ، ونزل بالجيزة مقابل مصر، وتصرّف في البلاد الغربيّة، وحكم عليها، وأقام نيّفاً وخمسين يوماً.

وكان شاور لمّا بلغه مجيء أسد الدين إليهم قد أرسل إلى الفرنج يستنجدهم، فأتوه على الصعب والذلول. طمعاً في ملكها، وخوفاً أن يملكها أسد الدين فلا يبقى لهم في بلادهم مقام معه ومع نور الدين، فالرجاء يقودهم، والخوف يسوقهم. فلمّا وصلوا إلى مصر عبروا إلى الجانب الغربيّ. وكان أسد الدين

وعساكره قد ساروا إلى الصعيد، فبلغ مكاناً يُعرف بالبابَين. وسارت العساكر المصريّة والفرنج وراءه، فأدركوه بها الخامس والعشرين من جمادى الآخرة. وكان أرسل إلى المصريّين والفرنج جوّاسين. فعادوا إليه وأخبروه بكثرة عَددهم وعُددهم، وجدّهم في طلبه، فعزم على قتالهم، إلاّ أنّه خاف من أصحابه أن تضعُف نفوسهم عن الثّبات في هذا المقام الخطر الذي عطبهم فيه أقرب من سلامتهم. لقلّة عددهم وبُعدهم عن أوطانهم وبلادهم، وخطر الطريق، فاستشارهم. فكلّهم أشاروا عليه بعبور النيل إلى الجانب الشرقيّ والعود إلى الشام، وقالوا له: إن نحن انهزمنا، وهو الذي يغلب على الظنّ. فإلى أين نلتجيء، وبمَن نحتمي. وكلّ مَن في هذه الديار من جنديّ وعاميّ وفلاّح عدوّ لنا؟

فقام أمير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين بزغُش، صاحب شقيف، وكان شجاعاً، وقال: مَن يخاف القتل والأسر فلا يخدم الملوك بل يكون في بيته مع امرأته، والله لئن عُدنا إلى نور الدين من غير غلبة ولا بلاء نُعذر فيه ليأخذنّ ما لنا من أقطاع وجامكيّة، وليعودن علينا بجميع ما أخذناه منذ خدمناه إلى يومنا هذا ويقول: تأخذون أموال المسلمين وتفرّون عن عدوّهم، وتُسلّمون مثل مصر إلى الكفّار! والحقّ بيده.

فقال أسد الدين: هذا الرأي، وبه أعمل؛ وقال ابن أخيه صلاح الدين مثله، وكثُر الموافقون لهم، واجتمعت الكلمة على القتال، فأقام بمكانه حتى أدركه المصريون والفرنج وهو على تعبئة. وجعل الأثقال في القلب يتكثّر بها، ولأنّه لم يمكنه أن يتركها بمكان آخر فينهبها أهل البلاد. وجعل صلاح الدين في القلب. وقال له ولمن معه: إنّ المصريّين والفرنج يجعلون حملتهم على القلب ظنّاً منهم أنّي فيه، فإذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال، ولا تُهلكوا نفوسكم، واندفعوا بين أيديهم فإذا عادوا عنكم فارجعوا في أعقابهم.

ثمّ ساروا إلى بانياس . وقصدوا حصن هُونِين . وهو للفرنج أيضاً . من أمنع حصونهم ومعاقلهم . فانهزم الفرنج عنه وأحرقوه . فوصل نور الدين من الغد فهدم سوره جميعه . وأراد الدخول إلى بيروت . فتجدّد في العسكر خُلف أوجب التفرّق . فعاد قُطب الدين إلى الموصل . وأعطاه نور الدين مدينة الرَّقّة على الفرات . وكانت له . فأخذها في طريقه وعاد إلى الموصل .

ذكر قصد ابن سنكا البصرة

في هذه السنة عاد ابن سنكا فقصد البصرة ، ونهب بلدها وخرّبه من الجهة الشرقيّة . وسار إلى مطارا . فخرج إليه كمشتكين . صاحب البصرة . وواقعه واقتتلوا قتالاً صبر فيه الفريقان ثمّ انهزم كمشتكين إلى واسط فاجتمع بشرف الدين أبي جعفر بن البلدي الناظر فيها ، ومعهما مقطعهما أرغش . واتّصلت الأخبار بأنّ ابن سنكا واصلٌ إلى واسط ، فخاف النّاس منه خوفاً شديداً . فلم يصل إليها .

ذكر قصد شملة العراق

في هذه السنة وصل شملة صاحب خوزستان إلى قلعة الماهكي ، من أعمال بغداد . وأرسل إلى الخليفة المستنجد بالله يطلب شيئاً من البلاد ، ويشتطّ في الطلب . فسيّر الخليفة أكثر عساكره إليه ليمنعوه ، وأرسل إليه يوسف الدمشقيّ يلومه ويحذّره عاقبة فعله ، فاعتذر بأنّ إيلدكز والسلطان أرسلان شاه أقطعا الملك الذي عنده ، وهو ولد ملكشاه ، البصرة وواسط والحِلّة ، وعرض التوقيع

بذلك ، وقال : أنا أقنع بثلث ذلك ؛ فعاد الدمشقي بذلك ، فأمر الخليفة بلعنه ، وأنّه من الخوارج . وجُمعت العساكر وسُيّرت إلى أرغش المسترشدي ، وكان بالنعمانيّة هو وشرف الدين أبو جعفر بن البلديّ ، ناظر واسط ، مقابل شملة .

ثمّ إن شملة أرسل قَلج ابن أخيه في طائفة من العسكر لقتال طائفة من الأكراد ، فركب أرغش في بعض العسكر الذي عنده وسار إلى قلج فحاربه ، فأسر قلج وبعض أصحابه وسيّرهم إلى بغداد ، وبلغ شملة ، وطلب الصلح ، فلم تقع الإجابة إليه ، ثمّ إنّ أرغش سقط عن فرسه بعد الوقعة فمات وبقي شملة مقيماً مقابل عسكر الخليفة ، فلمّا علم أنّه لا قدرة له عليهم رحل وعاد إلى بلاده ، وكانت مدّة سفره أربعة أشهر .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عصى غازي بن حسّان المنبجيّ على نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام ، وكان نور الدين قد أقطعه مدينة مَنبِج ، فامتنع عليه فيها ، فسيّر إليهم عسكراً فحصروه وأخذوها منه ، وأقطعها نور الدين أخاه قطب الدين ينال بن حسّان ، وكان عادلاً ، خيّراً ، محسناً إلى الرعيّة ، جميل السيرة ، فبقي فيها إلى أن أخذها منه صلاح الدين يوسف بن أيّوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .

وفيها توفّي فخرالدين قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا وأكثر ديار بكر ، ولما اشتدّ مرضه أرسل إلى نور الدين محمود ، صاحب الشام ، يقول له : بيننا صحبة في جهاد الكفّار أريد أن ترعى بها ولدي ؛ ثمّ توفّي ، وملك بعده ولده نور الدين محمّد ، فقام نور الدين الشاميّ

٥٦٤

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة

ذكر مُلك نور الدين قلعة جَعْبَر

في هذه السنة ملك نور الدين محمود بن زنكي قلعة جَعْبَر . أخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن عليّ بن مالك العُقَيليّ . وكانت بيده وبيد آبائه من قبله من أيّام السلطان ملكشاه . وقد تقدّم ذكر ذلك . وهي من أمنع القلاع وأحصنها مُطِلّة على الفرات[١] من الجانب الشرقيّ .

وأمّا سبب مُلكها . فإنّ صاحبها نزل منها يتصيّد . فأخذه بنو كلاب وحملوه إلى نور الدين في رجب سنة ثلاث وستّين . فاعتقله وأحسن إليه . ورغّبه في الإقطاع والمال ليسلّم إليه القلعة . فلم يفعل . فعدل إلى الشدّة[1] والعنف . وتهدّده[2] . فلم يفعل . فسيّر إليها نور الدين عسكراً مقدّمه الأمير فخر الدين مسعود بن أبي عليّ الزّعفرانيّ . فحصرها مدّة . فلم يظفر منها بشيء . فأمدّهم بعسكر آخر . وجعل على الجميع الأمير مجد الدين أبا بكر المعروف بابن الداية . وهو رضيع نور الدين . وأكبر أمرائه . فحصرها أيضاً فلم يرَ له فيها مطمعاً . فسلك مع صاحبها طريق اللّين . وأشار عليه أن يأخذ من نور الدين العوض ولا يخاطر في حفظها بنفسه . فقبل قوله وسلّمها . فأخذ عوضاً

1) A. يفعل فأخذها بالشدة .

2) A. وتهدده وتوعده .

١ الفراة .

عنها سَرُوج وأعمالها والمَلاّحة التي بين بلد حلب[1] وباب بُزاعة ، وعشرين ألف دينار معجّلة . وهذا إقطاع عظيم جداً ، إلاّ أنّه لا حصْنَ فيه .

وهذا آخر أمر بني مالك بالقلعة ولكلّ أمر أمَدٌ ولكلّ ولاية نهاية . بلغني أنّه قيل لصاحبها : أيّما أحبّ إليك وأحسن مقاماً ، سَروج والشام أم القلعة ؟ فقال : هذه أكثر مالاً ، وأمّا العزّ ففارقناه بالقلعة .

ذكر مُلك أسد الدين مصر وقتل شاور

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، سار أسد الدين شيركوه بن شاذي إلى ديار مصر ، فملكها ، ومعه العساكر النّوريّة .

وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكّن الفرنج من البلاد المصريّة ، وأنّهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة وتسلّموا أبوابها ، وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم وأعيان فرسانهم . وحكموا على المسلمين حكماً جائراً ، وركبوهم بالأذى العظيم ، فلمّا رأوا ذلك ، وأنّ البلاد ليس فيها مَن يردّهم ، أرسلوا إلى ملك الفرنج بالشام ، وهو مُرّي[2] ولم يكن للفرنج مذ ظهر بالشام مثله شجاعةً ومكراً ودهاء ، يستدعونه ليملكها ، وأعلموه خلوّها من مُمانع ، وهوّنوا أمرها عليه ، فلم يجبهم إلى ذلك ، فاجتمع إليه فرسان الفرنج وذوو الرأي منهم ، وأشاروا عليه بقصدها وتملّكها ، فقال لهم : الرأي عندي أنّنا لا نقصدها ، فإنّها طعمة لنا ، وأموالها تُساق إلينا ، نتقوّى[١] بها على نور الدين ، وإن نحن قصدناها لنملكها

1) A. التي في حلب .

2) A. مري .

١ تتقوى .

فإنّ صاحبها وعساكره ، وعامّة بلاده وفلاّحيها ، لا يسلّمونها إلينا ، ويقاتلوننا دونها ، ويحملهم الخوف منّا على تسليمها إلى نور الدين ، ولئن أخذها وصار له فيها مثل أسد الدين ، فهو هلاك الفرنج وإجلاؤهم من أرض الشام ؛ فلم يقبلوا قوله . وقالوا له : إنّها لا مانع فيها ولا حامي، وإلى أن يتجهّز عسكر نور الدين . ويسير إليها ، نكون نحن قد ملكناها ، وفرغنا من أمرها . وحينئذ يتمنّى نور الدين منّا السلامة .

فسار معهم على كره وشرعوا يتجهّزون ويُظهرون أنّهم يريدون قصد مدينة حمص ؛ فلمّا سمع نور الدين شرع أيضاً بجمع عساكره ، وأمرهم بالقدوم عليه . وجدّ الفرنج في السير إلى مصر ، فقدموها ، ونازلوا مدينة بِلبيس ، وملكوها قهراً مستهلّ صفر ، ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبَوا .

وكان جماعةٌ من أعيان المصريّين قد كاتبوا الفرنج ، ووعدوهم النصرةَ عداوةً منهم لشاور ، منهم ابن الخيّاط ، وابن فَرْجَلَة[1] ، فقوي جَنان الفَرنج . وساروا من بِلبيس إلى مصر ، فنزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها . فخاف النّاس منهم أن يفعلوا بهم كما فعلوا بأهل بِلبيس، فحملهم الخوف منهم على الامتناع . فحفظوا البلد ، وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه . فلو أنّ الفرنج أحسنوا السّيرة في بِلبيس لملكوا مصر والقاهرة ، ولكنّ الله تعالى حسّن لهم ما فعلوا ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

وأمر شاور بإحراق مدينة مصر تاسع صفر ، وأمر أهلها بالانتقال منها إلى القاهرة ، وأن يُنهب البلد ، فانتقلوا ، وبقوا على الطرق ، ونُهبت المدينة وافتقر أهلها ، وذهبت أموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم ، خوفاً أن يملكها الفرنج ، فبقيت النّار تحرقها أربعة وخمسين يوماً .

وأرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يستغيث به . ويعرّفه ضعف المسلمين

1) A. ابن قرحلة .

عن دفع الفرنج ، وأرسل في الكتب شعور النساء وقال : هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهنّ من الفرنج ؛ فشرع في تسيير الجيوش .

وأمّا الفرنج فإنّهم اشتدّوا في حصار القاهرة وضيّقوا على أهلها ، وشاور هو المتولّي للأمر والعساكر والقتال ، فضاق به الأمر . وضعُف عن ردّهم ، فأخلد إلى إعمال الحيلة ، فأرسل إلى ملك الفرنج يذكر له مودّته ومحبّته القديمة له ، وأنّ هواه معه لخوفه من نور الدين والعاضد ، وإنّما المسلمون لا يوافقونه على التسليم إليه ، ويشير بالصلح . وأخذ مال لئلاّ يتسلّم البلاد نور الدين ، فأجابه إلى ذلك على أن يعطوه ألف ألف دينار مصريّة ، يعجل البعض ، ويمهل بالبعض ، فاستقرّت القاعدة على ذلك .

ورأى الفرنج أنّ البلاد قد امتنعت عليهم[1] وربّما سُلّمت إلى نور الدين، فأجابوا كارهين ، وقالوا : نأخذ المال فنتقوّى به ، ونعاود البلاد بقوّة لا نبالي معها بنور الدين ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾[1] فعجل لهم شاور مائة ألف دينار ، وسألهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال[2] ، فرحلوا قريباً . وجعل شاور يجمع لهم المال من أهل القاهرة ومصر ، فلم يتحصّل له إلاّ قدرٌ لا يبلغ خمسة آلاف دينار ، وسببه أنّ أهل مصر كانوا قد احترقت دورهم وما فيها ، وما سلم نُهب ، وهم لا يقدرون على الأقوات فضلاً عن الأقساط .

وأمّا القاهرة فالأغلب على أهلها الجند وغلمانهم ، فلهذا تعذّرت عليهم الأموال ، وهم في خلال هذا يراسلون نور الدين بما النّاس فيه ، وبذلوا له ثُلث بلاد مصر ، وأن يكون أسد الدين مقيماً عندهم في عسكر ، وأقطاعهم

1) Cor. 3, 54.

2) B. وشرع شاور في جمع المال قدر قريب .

١ عليه .

من البلاد المصريّة أيضاً خارجاً عن الثّلث الذي لهم .

وكان نور الدين لمّا وصله كُتب العاضد بحلب أرسل إلى أسد الدين يستدعيه إليه . فخرج القاصد في طلبه . فلقيه على باب حلب ، وقد قدمها من حمص وكانت إقطاعه . وكان سبب وصوله أنّ كتب المصريّين وصلته أيضاً في المعنى ، فسار أيضاً إلى نور الدين . واجتمع به ، وعجب نور الدين من حضوره في الحال . وسرّه ذلك . وتفاءل به ، وأمر بالتجهيز إلى مصر ، وأعطاه مائتيْ ألف دينار سوى الثياب والدوابّ والأسلحة وغير ذلك ، وحكّمه في العسكر والخزائن ، واختار من العسكر ألفيْ فارس ، وأخذ المال . وجمع ستّة آلاف فارس . وسار هو ونور الدين إلى دمشق فوصلها سلخ صفر ، ورحل إلى رأس الماء . وأعطى نور الدين كلّ فارس ممّن مع أسد الدين عشرين ديناراً معونةً غير محسوبة من جامكيّته . وأضاف إلى أسد الدين جماعة أخرى من الأمراء منهم : مملوكه عزّ الدين جُورديك . وعزّ الدين قَلَج ، وشرف الدين بزغش . وعين الدولة الياروقيّ ، وقطب الدين ينال بن حسّان المنبجيّ ، وصلاح الدين يوسف بن أيّوب ، أخي شيركوه . على كره منه . ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾[1] أحبّ نور الدين مسير صلاح الدين ، وفيه ذهاب بيته ؛ وكره صلاح الدين المسير ، وفيه سعادته ومُلكه ، وسيرد ذلك عند موت شيركوه ، إن شاء الله تعالى .

وسار أسد الدين شيركوه من رأس الماء مجدّاً منتصف ربيع الأوّل . فلمّا قارب مصر رحل الفرنج عنها عائدين إلى بلادهم بخُفَّي حُنين خائبين ممّا أمّلُوا . وسمع نور الدين بعودهم، فسرّه ذلك . وأمر بضرب البشائر في البلاد،

1) Cor. 2, 213.

وبثّ رسله في الآفاق مبشّرين بذلك ، فإنّه كان فتحاً جديداً لمصر وحفظاً لسائر بلاد الشام وغيرها .

فأمّا أسد الدين فإنّه وصل إلى القاهرة سابع جمادى الآخرة ، ودخل إليها . واجتمع بالعاضد لدين الله ، وخلع عليه وعاد إلى خيامه بالخلعة العاضديّة . وفرح به أهل مصر . وأُجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة ، والإقامات الوافرة . ولم يمكن شاور المنع عن ذلك لأنّه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهَوَى العاضد معهم ، فلم يتجاسر على إظهار ما في نفسه . وشرع يماطل أسد الدين في تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال . وإقطاع الجند ، وإفراد ثُلث البلاد لنور الدين . وهو يركب كلّ يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويعده ويمنّيه ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾[1] .

ثمّ إنّه عزم على أن يعمل دعوة يدعو إليها أسد الدين والأمراء الذين معه ويقبض عليهم . ويستخدم مَن معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج ، فنهاه ابنه الكامل . وقال له : والله لئن عزمتَ على هذا لأعرّفنّ شيركوه . فقال له أبوه: والله لئن لم نفعل[١] هذا لنُقتلنّ جميعاً . فقال : صدقتَ ولأن[٢] نُقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلاميّة ، خير من أن نُقتل وقد ملكها الفرنج . فإنّه ليس بينك وبين عود الفرنج إلاّ أن يسمعوا بالقبض على شيركوه ، وحينئذ لو مشى العاضد إلى نور الدين لم يرسل معه فارساً واحداً ويملكون البلاد ؛ فترك ما كان عزم عليه .

ولما رأى العسكر النوري مطل شاور خافوا شرّه ، فاتّفق صلاح الدين

1) Cor. 4, 120.

١ تفعل .

٢ ولئن .

سف بن أيّوب وعز الدين جُورديك وغيرهما على قتل شاور . فأعلموا أسد
الدين فنهاهم عنه . فسكتوا وهم على ذلك العزم من قتله . فاتّفق أن شاور قصد عسكر
أسد الدين على عادته . فلم يجده في الخيام . كان قد مضى يزور قبر الشافعيّ ،
رضي الله عنه . فلقيه صلاح الدين يوسف وجُورديك في جمع من العسكر ،
وخدموه . وأعلموه بأنّ شيركوه في زيارة قبر الإمام الشافعيّ . فقال : نمضي
إليه ، فساروا جميعاً . فسايره صلاح الدين وجُورديك وألقياه[1] إلى الأرض
عن فرسه . فهرب أصحابه عنه . فأُخذ أسيراً ، فلم يمكنهم قتله بغير أمر أسد
الدين . فتوكّلوا بحفظه ، وسيّروا فأعلموا أسد الدين الحال ، فحضر ، ولم يمكنه
إلاّ إتمام ما عملوه . وسمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر . فأرسل إلى
أسد الدين يطلب منه إنفاذ رأس شاور . وتابع الرسل بذلك ؛ فقُتل وأُرسل
رأسه إلى العاضد في السابع عشر من ربيع الآخر .

ودخل أسد الدين القاهرة . فرأى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه ،
فقال لهم : أمير المؤمنين ، يعني العاضد ، يأمركم بنهب دار شاور ؛ فتفرّق النّاس
عنه إليها فنهبوها ؛ وقصد هو قصر العاضد ، فخلع عليه خِلع الوزارة .
ولقب الملك المنصور أمير الجيوش . وسار بالخلع إلى دار الوزارة ؛ وهي
التي كان فيها شاور . فلم يرَ فيها ما يقعد عليه . واستقرّ في الأمر ، وغلب
عليه . ولم يبقَ له مانع ولا منازع ؛ واستعمل على الأعمال مَن يثق به[2] من أصحابه
وأقطع البلاد لعساكره .

وأمّا الكامل بن شاور فإنّه لما قُتل أبوه دخل القصر هو وإخوته معتصمين
به ؛ فكان آخر العهد بهم . فكان شيركوه يتأسّف عليه كيف عُدم لأنّه بلغه

١ وألقوه .
٢ إليه .

ما كان منه مع أبيه في منعه من قتل شيركوه ، وكان يقول : وددتُ أنّه
بقي لأحسن إليه جزاء الصنيعة .

ذكر وفاة أسد الدين شيركوه

لمّا ثبت قدمُ أسد الدين ، وظنّ أنّه لم يبقَ له منازع ، أتاه أجله ﴿ حَتَّى إِذَا
فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾[1] فتوفّي يوم السبت الثاني والعشرين
من جُمادى الآخرة سنة أربع وستّين وخمسمائة . وكانت ولايته شهرَيْن
وخمسة أيّام .

وأمّا ابتداء أمره وسبب اتّصاله بنور الدين ، فإنّه كان هو وأخوه نجم
الدين أيّوب ابنا شاذي من بلد دُوين . وأصلهما من الأكراد الروادية .
وهذا النّسل هم أشرف الأكراد . فقدما العراق ، وخدما مجاهد الدين بَهرُوز
شِحنة بغداد . فرأى من نجم الدين عقلاً ورأياً وافراً وحُسن سيرة . وكان
أكبر من شيركوه . فجعله مستحفظاً لقلعة تكريت . وهي له ، فسار إليها
ومعه أخوه شيركوه . فلمّا انهزم أتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر بالعراق
من قراجه الساقي على ما ذكرناه سنة ستّ وعشرين وخمسمائة . وصل
منهزماً إلى تكريت ، فخدمه نجم الدين . وأقام له السفن فعبر دجلة هناك .
وتبعه أصحابه ، فأحسن أيّوب صحبتهم وسيّرهم .

ثمّ إنّ شيركوه قتل إنساناً بتكريت لمُلاحاة جرت بينهما ، فأخرجهما
بَهروز من القلعة . فسارا إلى الشهيد زنكي ، فأحسن إليهما . وعرف لهما
خدمتهما ، وأقطعهما إقطاعاً حسناً ؛ فلمّا ملك قلعة بعلبكّ جعل أيّوب مستحفظاً

1) Cor. 6, 44.

بها . فلمّا[1] قُتل الشهيد حصر عسكر دمشق بعلبكّ وهو بها . فضاق عليه الأمر . وكان سيف الدين غازي بن زنكي مشغولاً عنه بإصلاح البلاد . فاضطرّ إلى تسليمها إليهم . فسلّمها على إقطاع ذكره . فأجيب إلى ذلك . وصار من أكبر الأمراء بدمشق .

واتّصل أخوه أسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد قتل زنكي . وكان يخدمه في أيّام والده . فقرّبه وقدّمه . ورأى منه شجاعة يعجز غيره عنها . فزاده حتّى صار له حمص والرَّحبة وغيرهما . وجعله مقدّم عسكره . فلمّا أراد نور الدين مُلك دمشق أمره فراسل أخاه أيّوب وهو بها . وطلب منه المساعدة على فتحها . فأجاب إلى ما يراد منه على إقطاع ذكره له ولأخيه . وقُرًى يتملّكانها . فأعطاهما ما طلبا . وفتح دمشق على ما ذكرناه . ووفى[2] لهما ، وصارا أعظم أمراء دونه . فلمّا أراد أن يرسل العساكر إلى مصر ، لم يرَ لهذا الأمر العظيم والمقام الخطير غيره . فأرسله ، ففعل ما ذكرناه .

ذكر مُلك صلاح الدين مصر

لمّا توفّي أسد الدين شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن أخيه أيّوب ابن شاذي قد سار معه على كره منه للمسير .

حكى لي عنه بعض أصدقائنا ممّن كان قريباً إليه خصيصاً به قال : لمّا وردت كُتب العاضد على نور الدين يستغيث به من الفرنج ، ويطلب إرسال العساكر ، أحضرني وأعلمني الحال . وقال : تمضي إلى عمّك أسد الدين بحمص

١ قلما .

٢ ووفا .

مع رسولي إليه ليحضر ، وتحثّه أنت على الإسراع . فما يحتمل الأمر التأخير ؛ ففعلتُ . وخرجنا من حلب . فما كنّا على ميل من حلب حتّى لقيناه قادماً في هذا المعنى ، فأمره نور الدين بالمسير . فلمّا قال له نور الدين ذلك التفت عمّي إليّ فقال لي : تجهّز يا يوسف ! فقلتُ : والله لو أُعطيتُ مُلك مصر ما سرتُ إليها ، فلقد قاسيتُ بالإسكندريّة وغيرها ما لا أنساه أبداً . فقال لنور الدين : لا بُدّ من مسيره معي فتأمر به . فأمرني نور الدين ، وأنا أستقيل ؛ وانقضى المجلس .

وتجهّز أسد الدين ، ولم يبقَ غير المسير ؛ قال لي نور الدين : لا بُدّ من مسيرك مع عمّك ؛ فشكوتُ إليه الضائقة وعدم البرك . فأعطاني ما تجهّزتُ به فكأنّما أُساق إلى الموت ، فسرتُ معه وملكها ، ثمّ توفّي فملّكني الله تعالى ما لم أكن أطمع في بعضه .

وأمّا كيفيّة ولايته ، فإنّ جماعة من الأمراء النوريّة الذين كانوا بمصر طلبوا التقدّم على العساكر ، وولاية الوزارة العاضديّة بعده ، منهم : عين الدولة الياروقيّ ، وقطب الدين ، وسيف الدين المشطوب الهكّاريّ ، وشهاب الدين محمود الحارميّ ، وهو خال صلاح الدين ، وكلّ واحد من هؤلاء يخطبها[1] ، وقد جمع أصحابه ليغالب عليها . فأرسل العاضد إلى صلاح الدين فأحضره عنده ، وخلع عليه ، وولاّه الوزارة بعد عمّه .

وكان الذي حمله على ذلك أنّ أصحابه قالوا له : ليس في الجماعة أضعف ولا أصغر سنّاً من يوسف ، والرأي أن يولّى ؛ فإنّه لا يخرج من تحت حكمنا ، ثمّ نضع على العساكر مَن يستميلهم إلينا ؛ فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد ، ثمّ نأخذ يوسف أو نخرجه .

1) A. هؤلاء يطلبها .

فلمّا خلع عليه لقب الملك النّاصر لم يطعه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ، ولا خدموه . وكان الفقيه عيسى الهكّاري معه . فسعى مع المشطوب حتّى أماله إليه ، وقال له : إنّ هذا الأمر لا يصل إليك مع عين الدولة والحارميّ وغيرهما ؛ ثمّ قصد الحارميّ وقال : هذا صلاح الدين هو ابن أختك وعزّه ومُلكه لك ، وقد استقام له الأمر فلا تكن أوّل مَن يسعى في إخراجه عنه ولا يصل إليك ؛ فمال إليه أيضاً . ثمّ فعل مثل هذا بالباقين . وكلّهم أطاع غير عين الدولة الياروقيّ فإنّه قال : أنا لا أخدم يوسف ؛ وعاد إلى نور الدين بالشام ومعه غيره من الأمراء . وثبت قدم صلاح الدين . ومع هذا فهو نائب عن نور الدين .

وكان نور الدين يكاتبه بالأمير الاسفهسلار ، ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيماً عن أن يكتب اسمه ، وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب الأمير الاسفهسلار صلاح [الدين] وجميع الأمراء بالديار المصريّة يفعلون كذا .

واستمال صلاح الدين قلوب النّاس ، وبذل الأموال ، فمالوا إليه وأحبّوه وضعُف أمر العاضد ، ثمّ أرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل إليه إخوته وأهله ، فأرسلهم إليه ، وشرط عليهم طاعته والقيام بأمره ومساعدته ؛ وكلّهم فعل ذلك ، وأخذ إقطاعات الأمراء المصريّين فأعطاها أهله والأمراء الذين معه ، وزادهم ، فازدادوا له حبّاً وطاعةً .

قد اعتبرتُ التواريخ ، فرأيتُ كثيراً من التواريخ الإسلاميّة التي يمكن ضبطها ، ورأيتُ كثيراً ممّن يبتدىء الملك تنتقل الدولة عن صلبه إلى بعض أهله وأقاربه ، منهم أوّل الإسلام : معاوية بن أبي سفيان ، أوّل مَن ملك من أهل بيته ؛ فنقل الملك عن أعقابه إلى بني مروان من بني عمّه ؛ ثمّ من بعده السفّاح أوّل مَن ملك من بني العبّاس ، انتقل الملك من أعقابه إلى أخيه المنصور ؛ ثمّ السامانيّة أوّل مَن استبدّ منهم نصر بن أحمد ، فانتقل الملك عنه إلى أخيه

إسماعيل بن أحمد وأعقابه ؛ ثمّ يعقوب الصفّار ، وهو أوّل مَن ملك من أهل بيته ، فانتقل الملك إلى أخيه عمرو وأعقابه ؛ ثمّ عماد الدولة بن بُوَيْه أوّل مَن ملك من أهله انتقل الملك عنه إلى أخويه ركن الدولة وعزّ الدولة ؛ ثمّ خلص في أعقاب ركن الدولة ، ومعزّ الدولة[1] ؛ ثمّ خلص في أعقاب ركن الدولة ؛ ثمّ الدولة السّلجُوقيّة أوّل مَن ملك منهم طُغرُلْبك انتقل الملك إلى أولاد أخيه داود ؛ ثمّ شيركوه هذا كما ذكرناه انتقل[2] الملك إلى أعقاب أخيه أيّوب ؛ ثمّ إنّ صلاح الدين لمّا أنشأ الدولة وعظّمها ، وصار كأنّه أوّلٌ لها ، نقل الملك إلى أعقاب أخيه العادل ، ولم يبقَ بيد أعقابه غير حلب .

وهذه أعظم الدول الإسلاميّة ، ولولا خوف التطويل لذكرنا أكثر من هذا ، والذي أظنّه السبب في ذلك أنّ الذي يكون أوّل دولة يكثر[3] ويأخذ الملك وقلوب مَن كان فيه متعلّقة به فلهذا يحرمه الله أعقابه ومَن يفعل ذلك من أجلهم عقوبة له .

ذكر وقعة السودان بمصر

في هذه السنة في أوائل ذي القعدة قُتل مؤتمن الخلافة ، وهو خصيّ كان بقصر العاضد ، إليه الحكم فيه ، والتقدّم على جميع من يحويه ، فاتّفق هو وجماعة من المصريّين على مكاتبة الفرنج واستدعائهم إلى البلاد ، والتقوّي بهم على صلاح الدين ومَن معه ، وسيّروا الكتب مع إنسان يثقون به[١] ، وأقاموا

1) الدولة ومعزالدولة et om. inde a ومعز usque ad الدولة v. sq.

2) inde a انتقل usque ad حلب و .

3) B. يكثر القتل .

---

١ إليه .

الشوانكار ونزل بهم إلى البلاد وكاتب عسكره ووعدهم الإحسان فأقبلوا إليه فقصد شملة وواقعه فانهزم شملة واستعاد زنكي بلاده ورجع إلى ملكه وعاد شملة إلى بلاده خوزستان .

ذكر مُلك إيلدكز الرّيّ

في هذه السنة ملك إيلدكز مدينة الرّيّ والبلاد التي كانت بيد إينانج .

وسبب ذلك أنّ إيلدكز كان قد استقرّ الأمر بينه وبين إينانج على مال يؤدّيه إلى إيلدكز ، فمنعه سنتين ، فأرسل إيلدكز يطلب المال فاعتذر بكثرة غلمانه وحاشيته ، فتجهّز إيلدكز وقصد الرّيّ . فالتقاه إينانج وحاربه حرباً عظيمة ، فانهزم إينانج ومضى منهزماً ، فتحصّن بقلعة طَبَرَك ، فحصره إيلدكز فيها وراسل سرّاً جماعة من مماليكه ، فأطمعهم في الإقطاعات والأموال والإحسان العظيم ليقتلوا إينانج ، فقتلوه ، وكانوا جماعة كثيرة ، وسلّموا البلد إلى إيلدكز ، فرتّب فيه عمر بن عليّ ياغ ، وعاد إلى هَمَذان ، ولم يفِ للغلمان الذين قتلوا إينانج وسلّموا البلد إليه بما وعدهم ، وقال : مثل هؤلاء ينبغي أن لا يُستخدم ؛ وأبعدهم عنه ، فتفرّقوا في البلاد ، فسار بعضهم ، وهو الذي تولّى قتله ، إلى خُوارزم شاه ، فصلبه خوارزم شاه نكالاً بما فعل بصاحبه .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة رُؤي في دار الخليفة المستنجد بالله رجل غريب في الطريق الذي يركب فيه وفي زنده سكّين صغيرة ، وفي يده سكّين أخرى كبيرة ؛ فأخذوه وقرّروه ، فقال : أنا من حلب . فحُبس وعوقب البوّاب ، ولم يعلم من أين دخل .

وفيها قبض ابن البلديّ وزير الخليفة على الحسين بن محمّد المعروف بابن السيبيّ ، وعلى أخيه الأصغر ، وكانا ابنَيْ عمّة عضد الدين أستاذ الدار ، وكان الأصغر عامل البيمارستان ، فقُطعت يده ورجله . قيل كان عنده صُنجٌ زائدة يُقبض بها وتُحمل إلى الديوان بالصُّنج الصحيحة ؛ وقيل غير ذلك . وحُمل إلى البيمارستان فمات به . وكان شاعراً ، فمن شعره وهو محبوس هذه الأبيات :

سَلامٌ على أهلي وصَحبي وجُلاّسي ... ومَن في فؤادي ذكرُهم راسبٌ راسِي
أُعالِجُ فيكُم كلّ همّ ولا أرَى ... لداء هُمومي غيرَ رُؤيتِكم آسِي
لقَد أبدَتِ الأيّامُ لي كلّ شِدّةٍ ... تَشيبُ لها الأكبادُ فَضْلاً عن الرّاسِ
فيا ابنةَ عَبدِ اللهِ صَبراً على الّذي ... لَقيتُ فهذا الحكمُ من مالِكِ النّاسِ
فلَوْ أبصرَتْ عيناكِ ذلّي بكَيتِ لي ... بدَمْعٍ سَوِيّ بالمَدامِعِ رَجّاسِ
أقُولُ لقَلبي والهُمُومُ تَنُوشُهُ ... وقد حدّثَتهُ النّفسُ بالضّرّ والياسِ
فلَوْ همّ طَيفٌ من خَيالي يَزُورُكم ... لمانَعَهُ دُونَ المَغالِقِ حُرّاسِي
ومَا حَذَري إلاّ على النّفسِ لا على ... سِواها لأنّي حِلفُ فَقرٍ وإفلاسِ

وفيها توفّي المعمّر بن عبد الواحد بن رجّار أبو أحمد الأصفهانيّ الحافظ ، يروي عن أصحاب أبي نُعَيْم ، وكان موته بالبادية ذاهباً إلى الحجّ في ذي القعدة .

ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن وابن مَرْدَنيش

كان محمّد بن سعيد[1] بن مردنيش ، ملك شرق الأندلس ، قد اتّفق هو والفرنج ، وامتنع على عبد المؤمن وابنه بعده ، فاستفحل أمره ، لا سيّما بعد وفاة عبد المؤمن ، فلمّا كان هذه السنة جهّز إليه يوسف بن عبد المؤمن العساكر الكثيرة مع أخيه عمر بن عبد المؤمن . فجاسوا بلاده وخرّبوها . وأخذوا مدينتَين من بلاده . وأخافوا عساكره وجنوده ، وأقاموا ببلاده مدّة يتنقلون فيها ويجبون أموالها .

ذكر وفاة صاحب كَرمان والخُلف بين أولاده

في هذه السنة توفّي الملك طُغرُل بن قَاوَرْت صاحب كَرمان ، واختلف أولاده بهرام شاه وأرسلان شاه ، وهو الأكبر . وجرى بينهما قتال انهزم فيه بهرام شاه ومعه أخٌ له اسمه تركان شاه . فملك البلاد أرسلان شاه ومضى بهرام شاه إلى خراسان . فدخل على المؤيّد صاحب نَيسابور واستنجده ، فأنجده بعساكر سار بها إلى كرمان ، فجرى بين الأخوَين حربٌ ظفر فيها بهرام شاه ، [وهرب أرسلان شاه ، فقصد أصفهان مستجيراً بإيلدكز ، فأنفذ معه عسكراً ، واستنقذوا البلاد من بهرام شاه وسلّموها إلى أخيه أرسلان شاه فعاد][2] بهرام شاه إلى نَيسابور مستجيراً بالمؤيّد صاحبها . فأقام عنده . فاتّفق أنّ أخاه أرسلان شاه مات ، فسار إلى كَرمان فملكها ، وأقام بها بغير منازع .

---

1) B. ابن سعد . 2) C. P.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كثُرت الأذيّة من عبد الملك بن محمّد بن عطاء ، وتطرّق بلاد حُلوان ، ونهب وأفسد ، وتطرّق الحجّاج ، فأُنفذ إليه من بغداد عسكر فنازلوه في قلاعه وضايقوه ، ونهبوا أمواله وأموال أهله ، حتّى أذعن بالطاعة ، ولا يعاود أذى الحجّاج ولا غيرهم . فعاد العسكر عنه .

وفيها توفّي مجد الدين أبو بكر بن الداية ، وهو رضيع نور الدين ، وكان أعظم الأمراء منزلةً عنده ، وله في أقطاعه حلب وحارم وقلعة جَعْبَر ، فلمّا توفّي ردّ نور الدين ما كان له إلى أخيه شمس الدين عليّ بن الداية .

وفيها ، في شعبان ، توفّي أحمد بن صالح بن شافع أبو الفضل الجيليّ ببغداد ، وهو من مشهوري المحدّثين . الجيليّ بالجيم والياء تحتها نقطتان .

بالعربيّة وسمع الحديث الكثير إلى أن مات .

وفيها مات البُوريّ[1] الفقيه الشافعيّ . تفقّه على محمّد[2] بن يحيَى . وقدم بغداد ووعظ . وكان يذمّ الحنابلة ، وكثُرت أتباعه ، فأصابه إسهال ، فمات هو وجماعة من أصحابه . فقيل : إنّ الحنابلة أهدوا له حلواء فمات هو وكلّ مَن أكل منها .

وفيها مات القُرطُبيّ أبو بكر يحيَى بن سَعدون بن تمام الأزديّ ، وكان إماماً في القراءة والنحو وغيره من العلوم . زاهداً عابداً ، انتفع به النّاس في الموصل ، وفيها كانت وفاته .

1) C. P. 740 : البروي . Ups : البردي

2) C. P. et 740. Ups : محمود .

٥٦٨

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

ذكر وفاة خوارزم شاه أرسلان ومُلك ولده سلطان شاه وبعده ولده الآخر تُكش وقتل المؤيّد ومُلك ابنه

في هذه السنة توفّي خوارزم شاه أرسلان بن أتسز[1] بن محمّد بن أنُوشْتَكين ، قد عاد من قتال الخَطا مريضاً ، فتوفّي ، وملك بعده سلطان شاه محمود ، ودبّرت والدته المملكة والعساكر .

وكان ابنه الأكبر علاء الدين تُكش مقيماً في الجند قد أقطعه أبوه إيّاها ، فلمّا بلغه موت أبيه وتولية أخيه الصغير أنف من ذلك ، وقصد ملك الخَطا ، واستمدّه على أخيه ، وأطمعه في الأموال وذخائر خوارزم ، فسيّر معه جيشاً كثيفاً مقدّمهم قوما ، فساروا حتّى قاربوا خوارزم ، فخرج سلطان شاه وأمّه إلى المؤيّد ، فأهدى له هديّة جليلة المقدار ، ووعده أموال خوارزم وذخائرها ، فاغترّ بقوله ، وجمع جيوشه وسار معه حتّى بلغ سُوبَرْنَى ، بُليدة على عشرين فرسخاً من خوارزم ، وكان تُكش قد عسكر بالقرب منها ، فتقدّم إليهم ، فلمّا تراءى الجمعان انهزم عسكر المؤيّد ، وكُسر المؤيّد وأُخذ أسيراً ، وجيء به إلى خوارزم شاه تُكش ، فأمر بقتله ، فقُتل بين يديه صبراً .

1) Cfr. Journ. Asiat. 1846, أتسز II, 473.

فبينما هم في ذلك توفّي سلطان شاه . سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فكتب ألب غازي إلى غياث الدين يُعلمه الخبر ، فكتب إليه يأمره بالعود إليه ؛ فرجع ومعه أصحاب سلطان شاه . فأمر غياث الدين بأن يُستخدموا ، وأقطع الأجناد الإقطاعات الجيّدة . وكلّهم قابل إحسانه بكفران. وسنذكر باقي أخبارهم .

ولمّا سمع خوارزم شاه تُكش بوفاة أخيه عاد إلى خوارزم ، وأرسل إلى سَرخَس ومرو شحناء ، فجهّز إليهم أمير هَراة عمر المَرغَنيّ[1] جيشاً فأخرجوهم[2] . وقال[3] : حتى نستأذن السلطان غياث الدين ؛ وأرسل خوارزم شاه رسولاً إلى غياث الدين يطلب الصلح والمصاهرة ؛ وسيّر مع رسوله جماعة من فقهاء خراسان والعلويّين ، ومعهم وجيه الدين محمد بن محمود ، وهو الذي جعل غياث الدين شافعيّاً ، وكان له عنده منزلة كبيرة ، فوعظوه . وخوّفوه الله تعالى ، وأعلموه أنّ خوارزم شاه يراسلهم ويتهدّدهم بأنّه يجيء بالأتراك والخَطا ويستبيح حريمهم وأموالهم . وقالوا له : إمّا أن تحضر أنت بنفسك ، وتجعل مَرْوَ دار مُلكك ، حتى ينقطع طمع الكافرين عن البلاد ويأمن أهلها ، وإمّا أن تصالح خوارزم شاه ؛ فأجاب إلى الصلح وترك معارضة البلاد .

فلمّا سمع مَن بخراسان من الغُزّ بذلك طمعوا في البلاد ، فعاودوا النهب والإحراق والتخريب ، فسمع خوارزم شاه فجمع عساكره وحضر بخراسان ، ودخل مرو وسَرْخَس ونَسا وأبيوَرد وغيرها ، وأصلح البلاد ، وتطرّق إلى طُوس وهي للمؤيّد صاحب نيسابور ، فجمع المؤيّد جيوشه وسار إليه ؛ فلمّا سمع خوارزم شاه بمسيره إليه عاد إلى خوارزم ، فلمّا وصل إلى الرمل أقام بطرفه ، فلمّا سمع المؤيّد بعود خوارزم شاه طمع فيه وتبعه ، فلمّا سمع

1) C. P. Ups : المرعبي .

2) C. P. Ups : فأخرجهم .

3) C. P. et 740: وقالوا .

خوارزم شاه بذلك أرسل إلى المناهل التي في البرّيّة فألقى فيها الجيف والتراب بحيث لم يمكن الانتفاع بها .

فلمّا توسّط المؤيّد البرّيّة طلب الماء فلم يجده ، فجاء خوارزم شاه إليه وهو على تلك الحال ، ومعه الماء على الجمال ، فأحاط به ؛ فأمّا عسكره فاستسلموا بأسرهم ، وجيء بالمؤيّد أسيراً إلى خوارزم شاه ؛ فأمر بضرب عنقه ؛ فقال له : يا مخنّث هذا فعال النّاس ؟ فلم يلتفت إليه ، وقتله وحمل رأسه إلى خوارزم .

فلمّا قُتل ملكُ نيسابور ملك ما كان له ابنه طغان شاه . فلمّا كان من قابل جمع خوارزم شاه عساكره وسار إلى نيسابور ، فحاصرها وقاتلها ، فمنعه طغان شاه فعاد عنه ثمّ رجع إليه ، فخرج إليه طغان شاه فقاتله ، فأسر طغان شاه وأخذه وزوّجه أخته ، وحمله معه إلى خوارزم ، وملك نَيسابور وجميع ما كان لطغان شاه من الملك وعظم شأنه وقوي أمره .

هذا الذي ذكره في هذه الرواية مخالف لما تقدّم ؛ ولو أمكن الجمع بين الروايتين لفعلتُ ، فإن أحدهما قد قدّم ما أخّره الآخر ، فلهذا أوردنا جميع ما قالاه ، ولبُعد البلاد عنّا لم نعلم أيّ القولَين أصحّ لنذكره ونترك الآخر ، وإنّما أوردتُها في موضع واحد لأنّ أيّام سلطان شاه لم تطل له ولأعقابه حتى تتفرّق على السنين ، فلهذا أوردتُها متتابعة .

ذكر غارة الفرنج على بلد حَوْران
وغارة المسلمين على بلد الفرنج

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، اجتمعت الفرنج وساروا إلى بلد حوران من أعمال دمشق للغارة عليه ، وبلغ الخبر إلى نور الدين وكان قد برز ونزل هو

وعسكره بالكُسْوة ؛ فسار إليهم مجداً ، وقدم بجموعه عليهم ، فلمّا علموا بقربه منهم دخلوا إلى السواد ، وهو من أعمال دمشق أيضاً ، ولحقهم المسلمون فتخطّفوا من في ساقتهم ونالوا منهم ، وسار نور الدين فنزل في عَشْتَرا[1] ، وسيّر منها سريّة إلى أعمال طَبَريّة ، فشنّوا الغارات عليها ، فنهبوا وسبوا ، وأحرقوا وخرّبوا ، فسمع الفرنج ذلك ، فرحلوا إليهم ليمنعوا عن بلدهم ، فلمّا وصلوا كان المسلمون قد فرغوا من نهبهم وغنيمتهم ، وعادوا وعبروا النهر .

وأدركهم الفرنج ، فوقف مقابلهم شجعان المسلمين وحماتهم يقاتلونهم ، فاشتدّ القتال وصبر الفريقان ، الفرنج يرومون أن يلحقوا الغنيمة فيردّوها ، والمسلمون يريدون أن يمنعوهم عنها لينجو بها مَن قد سار معها ، فلمّا طال القتال بينهم وأبعدت الغنيمة وسلمت مع المسلمين عاد الفرنج ولم يقدروا [أن] يستردّوا منها شيئاً .

ذكر مسير شمس الدولة إلى بلد النّوبة

في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، سار شمس الدولة تُورانشاه بن أيّوب أخو صلاح الدين الأكبر من مصر إلى بلد النّوبة ، فوصل إلى أوّل بلادهم ليتغلّب عليه ويتملّكه .

وكان سبب ذلك أنّ صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون أنّ نور الدين كان على عزم الدخول إلى مصر وأخذها منهم ، فاستقرّ الرأي بينهم أنّهم يتملّكون إمّا بلاد النّوبة أو بلاد اليمن ، حتّى إذا وصل إليهم نور الدين لقوه وصدّوه

1) A. في عشيرا . B. عشترا .

عن البلاد ، فإن قَوُوا على منعه أقاموا بمصر ، وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي قد افتتحوها ؛ فجهّز شمس الدولة وسار إلى أسوان ، ومنها إلى بلد النّوبة ، فنازل قلعةً اسمها أبريم ، فحصرها ، وقاتله أهلها ، فلم يكن لهم بقتال العسكر الإسلاميّ قوّة ، لأنّهم ليس لهم جُنّة تقيهم[1] السهام وغيرها من آلة الحرب ، فسلموها ، فملكها وأقام بها ، ولم يرَ للبلاد دخلاً يُرغب فيه وتُحتمل المشقّة لأجله ، وقُوتهم الذُّرة ، فلمّا رأى عدم الحاصل ، وقشف العيش مع مباشرة الحروب ومعاناة التعب والمشقّة ، تركها وعاد إلى مصر بما غنم ، وكان عامّة غنيمتهم العبيد والجواري .

ذكر ظفر مليح بن ليون بالروم

في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، هزم مليح بن ليون الأرمنيّ ، صاحب بلاد الدروب المجاورة لحلب ، عسكرَ الروم من القسطنطينيّة .

وسبب ذلك أنّ نور الدين كان قد استخدم مليحاً المذكور ، وأقطعه إقطاعاً سنيّاً ، وكان ملازم الخدمة لنور الدين ، ومشاهداً لحروبه مع الفرنج ، ومباشراً لها ؛ وكان هذا من جيّد الرأي وصائبه ؛ فإنّ نور الدين لمّا قيل له في معنى استخدامه وإعطائه الأقطاع من بلاد الإسلام قال : أستعين به على قتال أهل ملّته ، وأريح طائفة من عسكري تكون بإزائه لتمنعه من الغارة على البلاد[2] المجاورة له .

وكان مليح أيضاً يتقوّى بنور الدين على مَن يجاوره من الأرمن والروم ؛

١ تقيمهم .
٢ بلاد .

يقوم مقامي ، أو يثق به مثل ثقته بي لسلّم إليه مصر التي هي أعظم ممالكه وولاياته ، ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد إلى أحد بتربية ولده والقيام بخدمته غيري ، وأراكم قد تفرّدتم بمولاي وابن مولاي دوني ، وسوف أصل إلى خدمته ، وأجازي إنعام والده بخدمة يظهر أثرها ، وأجازي كلاًّ منكم على سوء صنيعه في ترك الذّبّ عن بلاده .

وتمسّك ابن المقدّم وجماعة الأمراء بالملك الصالح ، ولم يرسلوه إلى حلب ، خوفاً أن يغلبهم عليه شمس الدين عليّ بن الداية ، فإنّه كان أكبر الأمراء النوريّة ، وإنّما منعه من الاتّصال به والقيام بخدمته مرض لحقه ، وكان هو وإخوته بحلب ، وأمرها إليهم ، وعساكرها معهم في حياة نور الدين وبعده ، ولمّا عجز عن الحركة أرسل إلى الملك الصالح يدعوه إلى حلب ليمنع به البلاد الجزريّة من سيف الدين ابن عمّه قطب الدين ، فلم يمكّنه الأمراء الذين معه من الانتقال إلى حلب لما ذكرناه .

ذكر مُلك سيف الدين البلاد الجزريّة

كان نور الدين قبل أن يمرض قد أرسل إلى البلاد الشرقيّة ، الموصل وديار الجزيرة وغيرها ، يستدعي العساكر منها للغزاة ، والمراد غيرها ، وقد تقدّم ذكره ، فسار سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي ، صاحب الموصل ، في عساكره ، وعلى مقدّمته الخادم سعد الدين كَمشتكين الذي كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين ، فلمّا كانوا ببعض الطريق وصلت الأخبار بوفاة نور الدين ، فأمّا سعد الدين فإنّه كان في المقدّمة ، فهرب جريدة .

وأمّا سيف الدين فأخذ كلّ ما كان له من برك وغيره ، وعاد إلى نصيبين فملكها ، وأرسل الشحن إلى الخابور فاستولوا عليه ، وأقطعه ، وسار هو إلى حرّان فحصرها عدّة أيّام ، وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحرّانيّ ، فامتنع بها ، وأطاع بعد ذلك على أن تكون حرّان له ، ونزل إلى خدمة سيف الدين ، فقبض عليه وأخذ حرّان منه ، وسار إلى الرُّها فحصرها وملكها ، وكان بها خادم خصيّ أسود لنور الدين فسلّمها وطلب عوضها قلعة الزعفران من أعمال جزيرة ابن عمر ، فأعطيها ، ثمّ أُخذت منه ، ثمّ صار إلى أن يستعطي ما يقوته .

وسيّر سيف الدين إلى الرّقّة فملكها ، وكذلك سَروج ، واستكمل ملك جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جَعبَر ، فإنّها كانت منيعة ، وسوى رأس عين ، فإنّها كانت لقطب الدين ، صاحب ماردين ، وهو ابن خال سيف الدين ، فلم يتعرّض إليها .

وكان شمس الدين عليُّ بن الداية ، وهو أكبر الأمراء النوريّة ، بحلب مع عساكرها ، فلم يقدر على العبور إلى سيف الدين ليمنعه من أخذ البلاد ، لفالج كان به ، فأرسل إلى دمشق يطلب الملك الصالح ، فلم يرسل إليه ، لما ذكرناه ؛ ولمّا ملك سيف الدين الدّيار الجزريّة قال له فخر الدين عبد المسيح ، وكان قد وصل إليه من سيواس بعد موت نور الدين ، وهو الذي أقرّ له الملك بعد أبيه قطب الدين ، فظنّ أنّ سيف الدين يرعى له ذلك ، فلم يجْنِ ثمرة ما غرس ، وكان عنده كبعض الأمراء ، قال له : الرأي أن تعبر إلى الشام فليس به مانع ؛ فقال له أكبر أمرائه ، وهو أميرٌ يقال له عزّ الدين محمود المعروف بزُلفندار : قد ملكتَ أكثر ما كان لأبيك ، والمصلحة أن تعود ؛ فرجع إلى قوله ، وعاد إلى الموصل ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

٥٧٠

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة

ذكر وصول أسطول صِقلّية إلى مدينة الإسكندرية وانهزامه عنها

في هذه السنة ، في المحرّم ، ظفر أهل الإسكندريّة وعسكر مصر بأسطول الفرنج من صقلّية ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من [إرسال] أهل مصر إلى ملك الفرنج بساحل الشام ، وإلى صاحب صقلّية ، ليقصدوا ديار مصر ليثوروا بصلاح الدين ويخرجوه من مصر ، فجهّز صاحب صقلّية أسطولاً كثيراً ، عِدّته مائتا شيني تحمل الرجّالة ، وستّ وثلاثون طريدة تحمل الخيل ، وستّة مراكب كبار تحمل آلة الحرب ، وأربعون مركباً تحمل الأزواد . وفيها من الراجل خمسون ألفاً ، ومن الفرسان ألف وخمسمائة ، منها خمسمائة تركبلي[1] .

وكان المقدّم عليهم ابن عمّ صاحب صقلّية ، وسيّره إلى الإسكندريّة من ديار مصر ، فوصلوا إليها في السادس والعشرين من ذي الحجّة سنة تسع وستّين ، على حين غفلة من أهلها وطمأنينة ، فخرج أهل الإسكندريّة بسلاحهم وعدّتهم ليمنعوهم من النّزول ، وأبعدوا عن البلد ، فمنعهم الوالي عليهم من ذلك ، وأمرهم بملازمة السور ، ونزل الفرنج إلى البرّ ممّا يلي البحر والمنارة وتقدّموا إلى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمجانيق وقاتلوا أشدّ قتال .

1) 740 : تركلي . Ups. et C. P. ركلي .

وصبر لهم أهل البلد ، ولم يكن عندهم من العسكر إلاّ القليل ، ورأى الفرنج من شجاعة أهل الإسكندريّة وحُسن سلاحهم ما راعهم .

وسُيِّرت الكتب بالحال إلى صلاح الدين يستدعونه لدفع العدوّ عنهم ، ودام القتال أوّل يوم إلى آخر النهار ، ثمّ عاود الفرنج القتال اليوم الثاني ، وجدّوا ، ولازموا الزحف ، حتّى وصلت الدبّابات إلى قرب السور ، ووصل ذلك اليوم من العساكر الإسلاميّة كلّ من كان في أقطاعه ، وهو قريب من الإسكندريّة ، فقويت بهم نفوس أهلها ، وأحسنوا القتال والصبر ، فلمّا كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كلّ جانب ، وهم غارّون ، وكثر الصياح من كلّ الجهات ، فارتاع الفرنج واشتدّ القتال ، فوصل المسلمون إلى الدبّابات فأحرقوها ، وصبروا للقتال فأنزل الله نصره عليهم ، وظهرت أماراته ، ولم يزالوا مباشرين القتال إلى آخر النهار ، ودخل أهل البلد إليه وهم فرحون مستبشرون بما رأوا من تباشير الظفر وقوّتهم ، وفشل الفرنج وفتور حربهم ، وكثرة القتل والجراح في رجّالتهم .

وأمّا صلاح الدين فإنّه لمّا وصله الخبر سار بعساكره ، وسيّر مملوكاً له ومعه ثلاث[١] جنائب ليجدّ السير عليها إلى الإسكندريّة يبشّر بوصوله ، وسيّر طائفة من العسكر إلى دمياط خوفاً عليها ، واحتياطاً لها ، فسار ذلك المملوك ، فوصل الإسكندريّة من يومه وقت العصر ، والنّاس قد رجعوا من القتال ، فنادى في البلد بمجيء صلاح الدين والعساكر مسرعين ، فلمّا سمع النّاس ذلك عادوا إلى [القتال ، وقد][1] زال ما بهم من تعب وألم الجراح ، وكلّ منهم يظنّ أنّ صلاح الدين معه ، فهو يقاتل قتال مَن يريد أن يشاهد قتاله .

1) C. P. et 740.

١ ثلاثة .

وسمع الفرنج بقرب صلاح الدين في عساكره ، فسُقط في أيديهم ، وازدادوا تعباً وفتوراً ، فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ، ووصلوا إلى خيامهم فغنموها بما فيها من الأسلحة الكثيرة والتحملات العظيمة ، وكثُر القتل في رجّالة الفرنج ، فهرب كثير منهم إلى البحر ، وقرّبوا شوانيهم إلى الساحل ليركبوا فيها ، فسلم بعضهم وركب ، وغرق بعضهم ، وغاص بعض المسلمين في الماء وخرق بعض شواني الفرنج فغرقت ، فخاف الباقون من ذلك ، فولّوا هاربين ، واحتمى ثلاثمائة من فرسان الفرنج على رأس تلّ ، فقاتلهم المسلمون إلى بُكرة ، ودام القتال إلى أن أضحى النهار ، فغلبهم أهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل وأسير ، وكفى الله المسلمين شرّهم وحاق بالكافرين مكرهم .

ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر

وفي أوّل هذه السنة خالف الكنز بصعيد مصر ، واجتمع إليه من رعيّة البلاد والسودان والعرب وغيرهم خلق كثير ، وكان هناك أمير من الصلاحيّة في أقطاعه ، وهو أخو الأمير أبي الهيجاء السمين ، فقتله الكنز ، فعظم قتله على أخيه ، وهو من أكبر الأمراء وأشجعهم ، فسار إلى قتال الكنز ، وسيّر معه صلاح الدين جماعة من الأمراء ، وكثيراً من العسكر ، ووصلوا إلى مدينة طَوْد ، فاحتمت عليهم ، فقاتلوا مَن بها ، وظفروا بهم ، وقتلوا منهم كثيراً ، وذلّوا بعد العزّ وقُهروا واستكانوا .

ثمّ سار العسكر بعد فراغهم من طَود إلى الكنز ، وهو في طغيانه يَعْمَه ، فقاتلوه ، فقُتل هو ومَن معه من الأعراب وغيرهم ، وأمنت بعده البلاد واطمأنّ أهلها .

ذكر مُلك صلاح الدين دمشق

في هذه السنة ، سلخ ربيع الأوّل ، ملك صلاح الدين يوسف بن أيّوب مدينة دمشق . وسبب ذلك أنّ نور الدين لمّا مات وملك ابنه الملك الصالح بعده كان بدمشق ، وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازي إلى حلب ، كما ذكرناه ، فأقام بها عند شمس الدين بن الداية ، فلمّا استولى سيف الدين على البلاد الجزريّة خاف ابن الداية أن يُغير إلى حلب فيملكها ، فأرسل سعد الدين إلى دمشق ليحضر الملك الصالح ومعه العساكر إلى حلب . فلمّا قارب دمشق سيّر إليه شمس الدين محمّد بن المقدّم عسكراً فنهبوه ، وعاد منهزماً إلى حلب ، فأخلف عليه ابن الداية عوض ما أُخذ منه ، ثمّ إنّ الأمراء الذين بدمشق نظروا في المصلحة ، فعلموا أنّ مسيره إلى حلب أصلحُ للدولة من مقامه بدمشق ، فأرسلوا إلى ابن الداية يطلبون إرسال سعد الدين ليأخذ الملك الصالح ، فجهّزه وسيّره وعلى نفسها[1] بَراقِش تجني : فسار إلى دمشق في المحرّم من هذه السنة ، وأخذ الملك الصالح وعاد إلى حلب ، فلمّا وصلوا إليها قبض سعد الدين على شمس الدين بن الداية وإخوته ، وعلى رئيس بن الخشّاب رئيس حلب ومقدّم الأحداث بها ، ولولا مرض شمس الدين بن الداية لم يتمكّن من ذلك .

واستبدّ سعد الدين بتدبير الملك الصالح ، فخافه ابن المقدّم وغيره من الأمراء الذين بدمشق وقالوا : إذا استقرّ أمر حلب أخذ الملك الصالح وسار به إلينا ، وفعل مثل ما فعل بحلب ؛ وكاتبوا سيف الدين غازي صاحب الموصل ليعبر الفرات إليهم ليسلّموا إليه دمشق ، فلم يفعل وخاف أن تكون مكيدة

1) C. P. et 740. Ups : نفسها .

فأزالوه عن موقفه ، وتمّت الهزيمة عليهم .

وتبعهم صلاح الدين وعسكره حتى جازوا معسكرهم ، وغنموا منهم غنائم كثيرة ، وآلة ، وسلاحاً عظيماً ، ودوابّ فارهة ، وعادوا بعد طول البيكار مستريحين ، وعاد المنهزمون إلى حلب ، وتبعهم صلاح الدين ، فنازلهم بها محاصراً لها ومقاتلاً ، وقطع حينئذٍ خطبة الملك الصالح بن نور الدين ، وأزال اسمه عن السكّة في بلاده ، ودام محاصراً لهم ؛ فلمّا طال الأمر عليهم راسلوه في الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بأيديهم منها ، فأجابهم إلى ذلك ، وانتظم[1] الصلح ورحل عن حلب في العشر الأوّل من شوّال ووصل إلى حماة ، ووصلت إليه[2] بها خِلع الخليفة مع رسوله .

ذكر ملك صلاح الدين قلعة بَعرين

في هذه السنة ، في العشر الأوّل من شوّال ، ملك صلاح الدين قلعة بَعرين من الشام ، وكان [صاحبها] فخر الدين مسعود بن الزعفرانيّ ، وهو من أكابر الأمراء النوريّة ، فلمّا رأى قوّة صلاح الدين نزل منها ، واتّصل بصلاح الدين ، وظنّ أنه يكرمه ويشاركه في ملكه ، ولا ينفرد عنه بأمر مثل ما كان مع نور الدين ، فلم يرَ من ذلك شيئاً ، ففارقه ؛ ولم يكن بقي له من إقطاعه الذي كان له في الأيّام النوريّة غير بَعرين ونائبه بها ، فلمّا صالح صلاح الدين الملك الصالح بحلب ، عاد إلى حماة وسار منها إلى بَعرين ، وهي قريبة منها ، فحصرها ونصب عليها المجانيق ، وأدام قتالها ، فسلّمها واليها بالأمان،

١ وانتضم .
٢ إليها .

فلمّا ملكها عاد إلى حماة ، فأقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تُكش الحارميّ، وأقطع حمص ناصر الدين محمّد ابن عمّه شيركوه ، وسار منها إلى دمشق فدخلها أواخر شوّال من السنة .

ذكر مُلك البهلوان مدينة تبريز

في هذه السنة ملك البهلوان بن إيلدكز مدينة تبريز ، وهي من جملة بلاد آقسنقر الأحمديلي ، وسبب ذلك أنّ البهلوان سار إلى مَراغة وحصرها ، وكان ابن آقسنقر الأحمديلي صاحبها قد مات ، ووصّى بالمُلك لابنه فلك الدين، فقصده البهلوان ، ونزل على قلعة رويين دُز وحصرها فامتنعت عليه ، فتركها ، وحصر مَراغة ، وسيّر أخاه قزل أرسلان في جيش إلى مدينة تبريز فحصرها أيضاً .

وكان البهلوان يقاتل أهل مَراغة ؛ فظفروا بطائفة من عسكره ، فخلع عليهم صدر الدين قاضي مَراغة ، وأطلقهم ، فحسن ذلك عند البهلوان ، وشرع القاضي في الصلح على أن يسلّموا تبريز إلى البهلوان ، فأجيب إلى ذلك ؛ واستقرّت القاعدة عليه ، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه ، وتسلّم البهلوان تبريز وأعطاها أخاه قزل أرسلان ، ورحل عن مراغة .

ذكر وفاة شملة

في هذه السنة مات شملة التّركماني ، صاحب خوزستان ، وكان قد كثُرت ولايته ، وعظم شأنه ، وبنى عدّة حصون ، وبقي كذلك زيادة على عشرين سنة .

٥٧٤

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة

ذكر قصد الفرنج مدينة حماة أيضاً

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، سار جمع كثير من الفرنج بالشام إلى مدينة حماة ، وكثر جمعهم من الفرسان والرجّالة طمعاً في النهب والغارة ، فشنّوا الغارة ، ونهبوا ، وخرّبوا القرى ، وأحرقوا ، وأسروا ، وقتلوا ، فلمّا سمع العسكر المقيم بحماة ساروا إليهم ، وهم قليل ، متوكّلين على الله تعالى ، فالتقوا واقتتلوا ، وصدق المسلمون القتال ، فنصرهم الله تعالى ، وانهزم الفرنج ، وكثر القتل والأسر فيهم ، واستردّوا منهم ما غنموه من السواد .

وكان صلاح الدين قد عاد من مصر إلى الشام في شوّال من السنة المتقدّمة ، وهو نازل بظاهر حمص ، فحُملت الرؤوس والأسرى والأسلاب إليه ، فأمر بقتل الأسرى فقُتلوا .

ذكر عصيان ابن المقدّم على صلاح الدين وحصر بعلبكّ وأخذ البلد منه

في هذه السنة عصى شمس الدين محمّد بن عبد الملك المقدّم على صلاح الدين ببعلبكّ ، وكانت له قد سلّمها إليه صلاح الدين لمّا فتحها جزاء له حيث

سلّم إليه ابن المقدّم دمشق ، على ما سبق ذكره ، فلم تزل بيده إلى الآن ، فطلب شمس الدولة بن أيّوب أخو صلاح الدين منه بعلبكّ ، وألحّ عليه في طلبها لأنّ تربيته ومنشأه كان بها ، وكان يحبّها ، ويختارها على غيرها من البلاد ، وكان الأكبر ، فلم يمكن صلاح الدين مخالفته ، فأمر شمس الدين بتسليمها إلى أخيه ليعوضه عنها ، فلم يُجب إلى ذلك ، وذكّره العهود التي له ، وما اعتمده معه من تسليم البلاد إليه ، فلم يصغِ إليه ولجّ عليه في أخذها ، وسار ابن المقدّم إليها ، واعتصم بها ، فتوجّه إليه صلاح الدين ، وحصره بها مدّة[1] ، ثمّ رحل عنها من غير أن يأخذها ، وترك عليه عسكراً يحصره ، فلمّا طال عليه الحصار أرسل إلى صلاح الدين يطلب العوض عنها ليسلّمها إليه ، فعوّضه عنها وسلّمها ، فأقطعها صلاح الدين أخاه شمس الدولة .

ذكر الغلاء والوباء العامّ

في هذه السنة انقطعت الأمطار بالكلّيّة في سائر البلاد الشاميّة والجزيرة والبلاد العراقيّة ، والديار بكريّة ، والموصل وبلاد الجبل ، وخلاط ، وغير ذلك ، واشتدّ الغلاء ، وكان عامّاً في سائر البلاد ، فبيعت غرارة الحنطة بدمشق ، وهي اثنا عشر مكّوكاً بالموصليّ ، بعشرين ديناراً صوريّة عُتُقاً[1] ، وكان الشعير بالموصل كلّ ثلاثة[2] مكاكي بدينار أميري ، وفي سائر البلاد ما يناسب ذلك .

1) Ups. addit : فلم .

١ عتق .

٢ ثلاث .

سَوْءته ، وشدّوا في ذَكَره حبلاً وسحبوه في البلد ، وكانوا يضعون[1] بيده مغرفة يعني أنّها قلم وقد غمسوها في العذرة ويقولون[2]: وَقِّعْ لنا يا مولانا ، إلى غير هذا من الأفعال الشنيعة ، ثمّ خُلِّص من أيديهم ودُفن .

هذا فعلهم به مع حُسن سيرته فيهم وكفّه عن أموالهم وأعراضهم ؛ وسُيِّرت الرُّسل إلى الآفاق لأخذ البَيْعة ، فسيّر صدر الدين شيخ الشيوخ إلى البهلوان ، صاحب همذان وأصفهان والرّيّ وغيرها ، فامتنع من البيعة ، فراجعه صدر الدين ، وأغلظ له في القول ، حتّى إنّه قال لعسكره في حضرته : [ليس] هذا عليكم طاعة ما لم يبايع أمير المؤمنين ، بل يجب عليكم أن تخلعوه من الإمارة ، وتقاتلوه ؛ فاضطرّ إلى البيعة والخطبة ؛ وأرسل إلى رضى الدين القزوينيّ مدرّس النظاميّة إلى الموصل لأخذ البيعة ، فبايع صاحبها ، وخطب للخليفة النّاصر لدين الله أمير المؤمنين .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة هبّت ريح سوداء مظلمة بالديار الجزريّة والعراق وغيرها . وعمّت أكثر البلاد من الظهر إلى أن مضى من اللّيل ربعه . وبقيت الدنيا مظلمة يكاد الإنسان لا يبصر صاحبه ، وكنتُ حينئذٍ بالموصل . فصلّينا العصر والمغرب والعشاء الآخرة على الظنّ والتخمين ، وأقبل النّاس على التضرّع والتوبة والاستغفار ، وظنّوا أنّ القيامة قد قامت . فلمّا مضى مقدار ربع اللّيل زال ذلك الظلام والعتمة التي غطّت السماء ؛ فنظرنا فرأينا النجوم ، فعلمنا مقدار ما مضى من اللّيل ، لأنّ الظلام لم يزدَدْ بدخول اللّيل ، وكان كلّ

١ يضعوا .
٢ ويقول .

من يصل من جهة من الجهات يخبر بمثل ذلك .

وفيها ، في ذي القعدة ، نزل شمس الدولة أخو صلاح الدين عن بعلبكّ ، وطلب عوضاً عنها الإسكندريّة ، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك وأقطع بعلبكّ لعزّ الدين فرخشاه ابن أخيه ، فسار إليها ، وجمع أصحابه ، وأغار على بلاد الفرنج . حتّى وصل إلى قلعة صفد ، وهي مطلّة على طبريّة ، فسبى وأسر وغنم وخرّب وفعل في الفرنج أفاعيل عظيمة .

وأمّا شمس الدولة فإنّه سار إلى مصر وأقام بالإسكندريّة ، وإذا أراد الله أن يقبض رجلاً بأرض جعل له إليها حاجة ، فإنّه أقام بها إلى أن مات بها .

وفيها قارب الجامع الذي بناه مجاهد الدين قايماز بظاهر الموصل من جهة باب الجسر الفراغ ، وأقيمت فيه الصلوات الخمس والجمعة ، وهو من أحسن الجوامع .

وفيها توفّي أحمد بن عبد الرحمن الصوفيّ شيخ رباط الزّوزنيّ ، وسمع الحديث وكان يصوم الدهر ؛ وعبد الحقّ بن عبد الخالق بن يوسف ، سمع الحديث ورواه ، وهو من بيت الحديث ؛ والقاضي عمر بن عليّ بن الخضر أبو الحسن الدمشقيّ ، سمع الحديث ورواه ، ووليَ قضاء الحريم ؛ وعليّ بن أحمد الزيدي ، سمع الحديث الكثير ، وله وقف كُتُب كثيرة ببغداد ، وكان زاهداً ، خيّراً ، صالحاً ؛ ومحمّد بن عليّ بن حمزة أبو عليّ الأقساسي نقيب العلويّين بالكوفة ، وكان ينشد كثيراً :

رَبَّ قَوْمٍ في خَلائِقِهِمْ   عُرَرٌ قد صُيِّروا غُرَرَا
سَتَرَ المالُ القَبيحَ لَهُمْ   سَتَرَى إنْ زالَ ما سَتَرَا

ومحمّد بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن سديد الدولة الأنباري ، كاتب الإنشاء بعد أبيه ؛ وأبو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الدامغاني الفقيه ، كان مناظراً أحسن المناظرة ، كثير العبادة ، ودُفن عند قبر أبي حنيفة .

أحدٌ من أهل قفصة ولا من عسكره ، وسار إلى خيمة يوسف ، وعرّف حاجبه أنّه قد حضر إلى أمير المؤمنين يوسف ، فدخل الحاجب وأعلم يوسف بوصول صاحب قفصة إلى باب خيمته ، فعجب منه كيف أقدم على الحضور عنده بغير عهد ، وأمر بإدخاله عليه ، فدخل وقبّل يده ، وقال : قد حضرتُ أطلب عفو أمير المؤمنين عني وعن أهل بلدي ، وأن يفعل ما هو أهله ؛ واعتذر . فرقّ له يوسف فعفا[1] عنه وعن أهل البلد ، وتسلّم المدينة أوّل سنة ستّ وسبعين وسيّر عليّ بن المعزّ صاحبها إلى بلاد المغرب ، فكان فيها مكرّماً عزيزاً ، وأقطعه ولاية كبيرة ؛ ورتّب يوسف لقفصة طائفة من أصحابه الموحّدين ، وحضر مسعود بن زمام أمير العرب عند يوسف أيضاً ، فعفا[1] عنه وسيّره إلى مرّاكُش ، وسار يوسف إلى المهديّة ، فأتاه بها رسول ملك الفرنج ، صاحب صقليّة ، يلتمس منه الصلح ، فهادنه عشر سنين ، وكانت بلاد إفريقية مجدبة[2] فتعذّر على العسكر القوت وعلف الدوابّ ، فسار إلى المغرب مسرعاً ، والله أعلم .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي شمس الدولة تورانشاه بن أيّوب ، أخو صلاح الدين الأكبر ، بالإسكندريّة ، وكان قد أخذها من أخيه إقطاعاً ، فأقام بها فتوفّي ، وكان له أكثر بلاد اليمن ، ونوّابه هنالك يحملون إليه الأموال من زَبيد ، وعَدن ، وما بينهما من البلاد والمعاقل ؛ وكان أجود النّاس وأسخاهم كفّاً

١ فعفى .
٢ مجذبة .

يُخرج كلّ ما يحمل إليه من أموال اليمن ، ودخل الإسكندريّة ، وحُكمه في بلاد أخيه صلاح الدين وأمواله نافذٌ . ومع هذا ، فلمّا مات كان عليه نحو مائتَيْ ألف دينار مصريّة دَيناً ، فوفاها أخوه صلاح الدين عنه لمّا دخل إلى مصر ، فإنّه لمّا بلغه خبر وفاته سار إلى مصر في شعبان من السنة ، واستخلف بالشام عزّ الدين فرخشاه ابن أخيه شاهنشاه ، وكان عاقلاً حازماً شجاعاً .

وفيها توفّي الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمّد بن سلفة الأصفهانيّ بالإسكندريّة ، وكان حافظ الحديث وعالماً به سافر في طلب الكثير .

وتوفّي أيضاً في المحرّم عليُّ بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوي ببغداد ، وسمع الحديث وكان من أصحاب ابن الجواليقيّ .

ذكر حصر بيروت

ثمّ إنّه سار عن دمشق إلى بيروت ، فنهب بلدها ، وكان قد أمر الأسطول المصري بالمجيء في البحر إليها ، فساروا ونازلوها ، وأغاروا عليها وعلى بلدها ، وسار صلاح الدين فوافاهم ونهب ما لم يصل الأسطول إليه ، وحصرها عدّة أيّام . وكان عازماً على ملازمتها إلى أن يفتحها ، فأتاه الخبر وهو عليها أن البحر قد ألقى بُطسة للفرنج فيها جمع عظيم منهم إلى دمياط ، كانوا قد خرجوا لزيارة البيت المقدّس ، فأسروا مَن بها إلى أن غرق منهم كثير فكان عدّة الأسرى ألفاً وستّمائة وستّة[1] وسبعين أسيراً ، فضُربت بذلك البشائر .

ذكر عبور صلاح الدين الفرات[2] ومُلكه ديار الجزيرة

في هذه السنة عبر صلاح الدين الفرات[2] إلى الديار الجزريّة[3] وملكها .

وسبب ذلك أنّ مظفّر الدين كوكبري بن زين الدين عليّ بن بُكْتُكين[1] ، وهو مقطع حرّان كان قد أقطعه إيّاها عزّ الدين أتابك ، المدينة والقلعة ، ثقةً به واعتماداً عليه ، أرسل إلى صلاح الدين وهو يحاصر بيروت يُعلمه أنّه معه محبّ لدولته ، ووعده النصرة له إذا عبر الفرات[2] ، ويطمعه في البلاد ويحثّه على

1) A. بلتكين .

١ وست .
٢ الفراة .
٣ الجرزية .

الوصول إليها ، فسار صلاح الدين عن بيروت ، ورسل مظفّر الدين تترى إليه يحثّه على المجيء ، فجدّ صلاح الدين السير مظهراً أنّه يريد حصر حلب ستراً للحال .

فلمّا قارب الفرات[1] سار إليه مظفّر الدين فعبر الفرات[1] واجتمع به وعاد معه فقصد البيرة ، وهي قلعة منيعة على الفرات[1] من الجانب الجزري ، وكان صاحبها قد سار مع صلاح الدين ، وفي طاعته ، وقد ذكرنا سبب ذلك قبلُ ، فعبر هو وعسكره الفرات[1] على الجسر الذي عند البيرة .

وكان عزّ الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لمّا بلغهما وصول صلاح الدين إلى الشام قد جمعا العسكر وسارا إلى نصيبين ليكونا على أُهْبَة واجتماع لئلاّ يتعرّض صلاح الدين إلى حلب ، ثمّ تقدّما إلى دارا ، فنزلا عندها ، فجاءهما أمر لم يكن في الحساب ، فلمّا بلغهما عبور صلاح الدين الفرات[1] عادا إلى الموصل وأرسلا إلى الرُّها عسكراً يحميها ويمنعها ، فلمّا سمع صلاح الدين ذلك قوي طمعه في البلاد ؛ ولمّا عبر صلاح الدين الفرات[1] كاتب الملوك أصحاب الأطراف ووعدهم ، وبذل لهم البذول على نصرته ، فأجابه نور الدين محمّد ابن قرا أرسلان ، صاحب الحصن ، إلى ما طلب منه ، لقاعدة كانت استقرّت بينهما لمّا كان نور الدين عنده بالشام ، فإنّه استقرّ الحال أنّ صلاح الدين يحصر آمد ويملكها ، ويسلّمها إليه .

وسار صلاح الدين إلى مدينة الرُّها ، فحصرها في جمادى الأولى ، وقاتلها أشدّ قتال . فحدّثني بعض مَن كان بها من الجند أنّه عدّ في غلاف رمح أربعة عشر خرقاً وقد خرقته السهام .

ووالى الزحف عليها ، وكان بها حينئذٍ مقطعها ، وهو الأمير فخر الدين

١ الفراة .

مسعود بن الزعفرانيّ . فحيث رأى شدّة القتال أذعن إلى التسليم ، وطلب الأمان وسلّم البلد ، وصار في خدمة صلاح الدين . فلمّا ملك المدينة زحف إلى القلعة ، فسلّمها إليه الدزدار الذي بها على مال أخذه ، فلمّا ملكها سلّمها إلى مظفّر الدين مع حرّان ، ثمّ سار عنها : على حرّان ، إلى الرّقّة ، فلمّا وصل إليها كان بها مقطعها قطب الدين ينّال بن حسّان المنبجي ، فسار عنها إلى عزّ الدين أتابك . وملكها صلاح الدين ، وسار إلى الخابور ، قرقيسيا ، وماكسين وعُرابان ، فملك جميع ذلك .

فلمّا استولى على الخابور جميعه سار إلى نصيبين ، فملك المدينة لوقتها ، وبقيت القلعة ، فحصرها عدّة أيّام ، فملكها أيضاً ، وأقام بها ليصلح شأنها ، ثمّ أقطعها أميراً كان معه يقال له أبو الهَيجاء السمين ، وسار عنها ومعه نور الدين صاحب الحصن .

وأتاه الخبر أنّ الفرنج قصدوا دمشق ، ونهبوا القرى ، ووصلوا إلى داريّا ، وأرادوا تخريب جامعها ، فأرسل النائب بدمشق إليهم جماعة من النصارى يقول لهم : إذا خرّبتم الجامع جدّدنا عمارته ، وخرّبنا كلّ بيعة لكم في بلادنا ، ولا نمكن أحداً من عمارتها ؛ فتركوه . ولمّا وصل الخبر إلى صلاح الدين بذلك أشار عليه مَن يتعصّب لعزّ الدين بالعود ، فقال : يُخرّبون قُرًى ونملك عوضها بلاداً ، ونعود نعمرها ، ونقوى على قصد بلادهم ؛ ولم يرجع ، فكان كما قال .

ذكر حصر صلاح الدين الموصل

لمّا ملك صلاح الدين نَصيبين ، جمع أمراءه وأرباب المشورة عنده ، واستشارهم بأيّ البلاد يبدأ ، وأيّها يقصد ، بالموصل أم بسِنجار أم بجزيرة ابن

عمر ، فاختلفت آراؤهم ، فقال له مظفّر الدين كوكبري بن زين الدين : لا ينبغي أن يُبدأ بغير الموصل . فإنّها في أيدينا لا مانع لها ، فإنّ عزّ الدين ومجاهد الدين متى سمعا بمسيرنا إليها تركاها وسارا عنها إلى بعض القلاع الجبليّة .

ووافقه ناصر الدين محمّد بن عمّه شيركوه ، وكان قد بذل لصلاح الدين مالاً كثيراً ليقطعه الموصل إذا ملكها ، وقد أجابه صلاح الدين إلى ذلك ، فأشار بهذا الرأي لهواه ، فسار صلاح الدين إلى الموصل ، وكان عزّ الدين صاحبها ومجاهد الدين قد جمعا بالموصل العساكر الكثيرة ما بين فارس وراجل ، وأظهرا من السلاح وآلات الحصار ما حارت له الأبصار ، وبذلا الأموال الكثيرة ، وأخرج مجاهد الدين من ماله كثيراً ، واصطلى الأمور بنفسه ، فأحسن تدبيرها ، وشحنوا ما بقي بأيديهم من البلاد ، كالجزيرة وسِنجار وإربل وغيرها من البلاد ، بالرجال والسلاح والأموال .

وسار صلاح الدين حتّى قارب الموصل وترك عسكره ، وانفرد هو ومظفّر الدين وابن عمّه ناصر الدين بن شيركوه ، ومعهما نفر من أعيان دولته ، وقربوا من البلد ، فلمّا قربوا رآه وحقّقه ، فرأى ما هاله وملأ صدره وصدور أصحابه ، فإنّه رأى بلداً عظيماً كبيراً ، ورأى السور والفصيل قد ملئا من الرجال ، وليس فيه شُرّافة إلاّ وعليها رجل يقاتل سوى مَن عليه من عامّة البلد المتفرّجين ؛ فلمّا رأى ذلك علم أنّه لا يقدر على أخذه ، وأنّه يعود خائباً ، فقال لناصر الدين ابن عمّه : إذا رجعنا إلى المعسكر فاحمل ما بذلتَ من المال فنحن معك على القول . فقال ناصر الدين : قد رجعتُ عمّا بذلتُ من المال ، فإنّ هذا البلد لا يُرام . فقال له ولمظفّر الدين : غررتُماني وأطمعتُماني في غير مطمع ، ولو قصدتُ غيره قبله لكان أسهل أخذاً بالاسم والهيبة التي حصلت لنا ، ومتى نازلناه ، وعُدْنا منه ، ينكسر ناموسنا ويفلّ حدّنا وشوكتنا .

وكتب أيضاً : أعطيناه ما لم يخرج عن اليد ؛ يعني أنّه متى شاء أخذه لعدم حصانته .

وكان في جُملة مَن قُتل على حلب تاج الملوك بوري ، أخو صلاح الدين الأصغر ، وكان فارساً شجاعاً ، كريماً حليماً ، جامعاً لخصال الخير ، ومحاسن الأخلاق ، طُعن في ركبته فانفكّت ، فمات منها بعد أن استقرّ الصلح بين عماد الدين وصلاح الدين على تسليم حلب قبل أن يدخلها صلاح الدين ، فلمّا استقرّ أمر الصلح حضر صلاح الدين عند أخيه يعوده ، وقال له : هذه حلب قد أخذناها ، وهي لك ؛ فقال : ذلك لو كان وأنا حيّ . ووالله لقد أخذتّها غالية حيث تفقد مثلي . فبكى صلاح الدين وأبكى .

ولمّا خرج عماد الدين إلى صلاح الدين ، وقد عمل له دَعوة احتفل فيها ، فبينما هم في سرور إذ جاء إنسان فأسرّ إلى صلاح الدين بموت أخيه ، فلم يُظهر هلعاً ، ولا جزعاً ، وأمر بتجهيزه سرّاً ؛ ولم يعلم عماد الدين ومَن معه في الدعوة ، واحتمل الحزن وحده لئلاّ يتنكّر ما هم فيه ، وكان هذا من الصبر الجميل .

ذكر فتح صلاح الدين حارم

لمّا ملك صلاح الدين حلب[1] كان بقلعة حارم ، وهي من أعمال حلب ، بعض المماليك النوريّة ، واسمه سَرخك ، وولاّه عليها الملك الصالح عماد الدين[2] ، فامتنع من تسليمها إلى صلاح الدين ، فراسله صلاح الدين في التسليم ، وقال له : اطلب من الإقطاع ما أردت ؛ ووعده الإحسان ، فاشتطّ في الطلب ،

---

1) C. P. Ups : حارم .　　2) Desunt in C. P. et 740 عماد الدين .

وتردّدت الرسل بينهما[١]، فراسل الفرنج ليحتمي بهم ، فسمع مَن معه من الأجناد أنّه يراسل الفرنج ، فخافوا أن يسلّمها إليهم ، فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه ، وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الأمان والإنعام ، فأجابهم إلى ما طلبوا ، وسلّموا إليه الحصن فرتّب به دزداراً بعض خواصّه .

وأمّا باقي قلاع حلب ، فإنّ صلاح الدين أقرّ عين تاب بيد صاحبها ، كما تقدّم ، وأقطع تلّ خالد لأمير يقال له داروم الياروقيّ ، وهو صاحب تلّ باشر .

وأمّا قلعة إعزاز ، فإنّ عماد الدين إسماعيل كان قد خرّبها ، فأقطعها صلاح الدين لأمير يقال له دلدرم سليمان بن جَندر ، فعمرها . وأقام صلاح الدين بحلب إلى أن فرغ من تقرير قواعدها وأحوالها وديوانها ، وأقطع أعمالها ، وأرسل منها[1] فجمع العساكر من جميع بلاده .

ذكر القبض على مجاهد الدين وما حصل من الضرر بذلك

في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، قبض عز الدين مسعود ، صاحب الموصل[2] ، على نائبه مجاهد الدين قايماز ، وكان إليه الحكم في جميع البلاد ، واتّبع في ذلك هوى مَن أراد المصلحة[3] لنفسه ، ولم ينظر في مضرّة صاحبه .

وكان الذي أشار بذلك عزّ الدين محمود زلفندار[4] ، وشرف الدين أحمد ابن أبي الخير[5] الذي كان أبوه صاحب الغرّاف ، وهما من أكابر الأمراء ،

---

1) A. وأرسل إليها .　　2) B. صاحب العراق .　　3) B. في مصلحة صاحبه .
4) A. زلف اندار .　　5) C. P. الجبر .

---

١ بينهم .

شجاعاً شهماً ، يحفظ البلد ، فأحسن إليه ، واشتدّ القتال عليه ونُصبت المجانيق والعرّادات . فلم يصل صلاح الدين إلى ما يريد منها ؛ فلمّا رأى ذلك عدل عن القوّة والحرب إلى إعمال الحيلة ، فراسل امرأة قطب الدين المقيمة بالبلد يقول لها : إنّ أسد الدين يرنقش قد مال إلينا في تسليم البلد ونحن نرعى حقّ أخيك نور الدين فيك بعد وفاته ، ونريد [أن] يكون لك في هذا الأمر نصيب ، وأنا أزوّج بناتك بأولادي وتكون ميّافارقين وغيرها لك وبحكمك ؛ ووضع مَن أرسل إلى أسد[1] يعرّفه أنّ الخاتون قد مالت للمقاربة والانقياد إلى السلطان ، وأنّ مَن بخِلاط قد كاتبوه ليسلّموا إليه ، فَخُذْ لنفسك .

واتّفق أنّ رسولاً وصله من خِلاط ، يبذلون له الطاعة ، وقالوا له من الاستدعاء إليهم ما كانوا يقولونه ، فأمر صلاح الدين الرسول ، فدخل إلى ميّافارقين ، وقال لأسد[1] : أنت عمّن تقاتل ، وأنا قد جئت في تسليم خِلاط إلى صلاح الدين ! فسُقط في يده ، وضعفت نفسه ، وأرسل يقترح أقطاعاً ومالاً ، فأجيب إلى ذلك ، وسلّم البلد سلخ جمادى الأولى ، وعقد النّكاح لبعض أولاده على بعض بنات الخاتون ، وأقرّ بيدها قلعة الهتّاخ لتكون فيها هي وبناتها .

ذكر عود صلاح الدين إلى بلد الموصل والصلح بينه وبين أتابك عزّ الدّين

لمّا فرغ صلاح الدين من أمر ميّافارقين ، وأحكم قواعدها ، وقرّر إقطاعاتها وولاياتها ، أجمع على العود إلى الموصل ، فسار نحوها ، وجعل طريقه

١ الأسد .

على نَصيبين ، فوصل إلى كَفَر زَمّار ، والزمان شتاء ، فنزلها في عساكره ، وعزم على المقام بها وإقطاع جميع بلاد الموصل ، وأخْذ غلاتها ودَخْلها ، وإضعاف الموصل بذلك ، إذ[1] علم أنّه لا يمكنه التغلّب عليها ؛ وكان نزوله في شعبان ، وأقام بها شعبان ورمضان ، وتردّدت الرسل بينه وبين عزّ الدين ، صاحب الموصل ، وصار مجاهد الدين يراسل ويتقرّب ، وكان قوله مقبولاً عند سائر الملوك لما علموا من صحته .

فبينما الرّسل تتردّد في الصلح ، إذ مرض صلاح الدين ، وسار من كفر زمّار عائداً إلى حرّان ، فلحقه الرسل بالإجابة إلى ما طلب ، فتقرّر الصلح ، وحلف على ذلك ، وكانت القاعدة أن يسلّم إليه عزّ الدين شَهرزور وأعمالها وولاية القَرابليّ ، وجميع ما وراء الزّاب من الأعمال ، وأن يُخطب له على منابر بلاده ، ويُضرب اسمه على السكّة ، فلمّا حلف أرسل رسله فحلّف عزّ الدّين له ، وتسلّموا البلاد التي استقرّت القاعدة على تسليمها .

ووصل صلاح الدين إلى حرّان ، فأقام بها مريضاً ، وأمنت الدنيا ، وسكنت الدهماء ، وانحسمت مادة الفتن ، وكان ذلك بتوصّل مجاهد الدين قايماز ، رحمه الله .

وأمّا صلاح الدين فإنّه طال مرضه بحرّان ، وكان عنده من أهله أخوه الملك العادل ، وله حينئذ حلب ، وولده الملك العزيز عثمان ، واشتدّ مرضه حتى أيسوا من عافيته ، فحلّف النّاس لأولاده ، وجعل لكلّ منهم شيئاً من البلاد معلوماً ، وجعل أخاه العادل وصيّاً على الجميع ، ثمّ إنّه عوفي وعاد إلى دمشق في المحرّم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

ولمّا كان مريضاً بحرّان كان عنده ابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه ،

١ إذا .

وله من الأقطاع حمص والرّحبة ، فسار من عنده إلى حمص ، فاجتاز بحلب وأحضر جماعة من أحداثها وأعطاهم مالاً ، ولمّا وصل إلى حمص راسل جماعة من الدمشقيّين وواعدهم على تسليم البلد إليه إذا مات صلاح الدين ، وأقام بحمص ينتظر موته ليسير إلى دمشق فيملكها . فعوفي وبلغه الخبر على جهته ، فلم يمض غير قليل حتّى مات ابن شيركوه ليلة عيد الأضحى فإنّه شرب الخمر وأكثر منها ، فأصبح ميّتاً ، فذكروا ، والعهدة عليهم ، أنّ صلاح الدين وضع عليه إنساناً يقال له النّاصح بن العميد ، وهو من دمشق ، فحضر عنده ، ونادمه وسقاه سمّاً ، فلمّا أصبحوا من الغد لم يروا النّاصح ، فسألوا عنه ، فقيل : إنّه سار من ليلته إلى صلاح الدين ؛ فكان هذا ممّا قوّى الظنّ . فلمّا توفّي أعطى أقطاعه لولده شيركوه ، وعمره اثنتا[1] عشرة سنة . وخلّف ناصر الدين من الأموال والخيل والآلات شيئاً كثيراً ، فحضر صلاح الدين في حمص واستعرض تركته ، وأخذ أكثرها ولم يترك إلاّ ما لا خير فيه .

وبلغني أنّ شيركوه بن ناصر الدين حضر عند صلاح الدين ، بعد موت أبيه بسنة ، فقال له : إلى أين بلغتَ من القرآن ؟ فقال : إلى قوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إنَّمَا يَأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[1] فعجب صلاح الدين والحاضرون من ذكائه .

1) Cor. 4, 10.

١ اثنتي .

ذكر الفتنة بين التركمان والأكراد بديار الجزيرة والموصل

في هذه السنة ابتدأت الفتنة بين التّركمان والأكراد بديار الجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور وأذربيجان ، وقُتل فيها من الخلق ما لا يُحصى ، ودامت عدّة سنين ، وتقطّعت الطرق ، ونُهبت الأموال ، وأُريقت الدماء .

وكان سببها أنّ امرأة من التّركمان تزوّجت بإنسان تركمانيّ ، واجتازوا في طريقهم بقلعة من الزوزان للأكراد ، فجاء أهلها وطلبوا من التّركمان وليمة العُرس ، فامتنعوا من ذلك ، وجرى بينهم كلام صاروا منه إلى القتال ، فنزل صاحب تلك القلعة فأخذ الزوج فقتله ، فهاجت الفتنة ، وقام التّركمان على ساق ، وقتلوا جمعاً كثيراً من الأكراد ، وثار الأكراد فقتلوا من التّركمان أيضاً كذلك ، وتفاقم الشرّ ودام .

ثمّ إنّ مجاهد الدين قايماز ، رحمه الله ، جمع عنده جمعاً من رؤساء الأكراد والتركمان ، وأصلح بينهم ، وأعطاهم الخِلع والثياب وغيرها[1] ، وأخرج عليهم مالاً جمّاً ، فانقطعت الفتنة وكفى الله شرّها ، وعاد النّاس إلى ما كانوا عليه من الطمأنينة والأمان .

ذكر مُلك الملثّمين والعرب إفريقية وعودها إلى الموحّدين

قد ذكرنا سنة ثمانين مُلك عليّ بن إسحق الملثّم[2] بجّاية ، وإرسال يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن ، صاحب المغرب ، العساكر واستعادتها ، فسار عليّ إلى

1) A. والثياب والدواب وغيرها . B. وأعطاهم مالا فانقطعت .   2) B. الملثم ملك بجاية ودخلها .

البلد ، فأجابهم إلى ذلك ، وخرج الأتراك منها سالمين ، وسيّر الأتراك إلى الثغور لما رأى من شجاعتهم ونكايتهم في العدوّ . وتسلّم يعقوب البلد ، وقتل مَن فيه من الملثّمين ، وهدم أسواره ، وترك المدينة مثل قرية ، وظهر ما أنذر به المهدي بن تُومَرْت ، فإنّه قال إنّها تخرب أسوارها وتُقطع أشجارها ، وقد تقدّم ذكر ذلك ؛ فلمّا فرغ يعقوب من أمر قَفصة واستقامت إفريقية عاد إلى مَرّاكُش ، وكان وصوله إليها سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة فارق الرضيّ أبو الخير إسماعيل القزويني الفقيه الشافعيّ بغداد ، وكان مدرّس النظاميّة بها ، وعاد إلى قزوين ، ودرّس فيها بعده الشيخ أبو طالب المبارك صاحب ابن الخل ، وكان من العلماء الصالحين .

وفيها كان بين أهل الكرخ ببغداد وبين أهل باب البصرة فتنة عظيمة جُرح فيها كثير منهم وقُتل ، ثمّ أصلح النقيب الطاهر بينهم .

وفيها توفّي الفقيه مهذّب الدين عبد الله بن أسعد الموصليّ ، وكان عالماً بمذهب الشافعيّ ، وله نظم حسن ونثر أجاد فيه ، وكان من محاسن الدنيا ، وكانت وفاته بحمص .

٥٨٢

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

ذكر نقل العادل من حلب والملك العزيز إلى مصر وإخراج الأفضل من مصر إلى دمشق وإقطاعه إيّاها

في هذه السنة أخرج صلاح الدين ولده الأفضل عليّاً[1] من مصر إلى دمشق، وأقطعها له ؛ وأخذ حلب من أخيه العادل ، وسيّره مع ولده العزيز عثمان إلى مصر ، وجعله نائباً عنه ، واستدعى تقيّ الدين منها .

وسبب ذلك أنّه كان قد استناب تقيّ الدين بمصر ، كما ذكرناه ، وجعل معه ولده الأكبر الأفضل عليّاً[1]، فأرسل تقيّ الدين يشكو من الأفضل، ويذكر أنّه قد عجز عن[2] جباية الخراج معه لأنّه كان حليماً كريماً إذا أراد تقيّ الدين معاقبة أحد منعه ؛ فأحضر ولدَه الأفضل ، وقال لتقي الدين : لا تحتجّ في الخراج وغيره بحجّة ؛ وتغيّر عليه بذلك ، وظنّ أنّه يريد إخراج ولده الأفضل لينفرد بمصر حتّى يملكها إذا مات صلاح الدين ، فلمّا قوي هذا الخاطر عنده أحضر أخاه العادل من حلب وسيّره إلى مصر ومعه ولده العزيز عثمان ، واستدعى تقي الدين إلى الشام ، فامتنع من الحضور ، وجمع الأجناد والعساكر ليسير إلى المغرب ، إلى مملوكه قراقوش ، وكان قد استولى على جبال نَفوسة

١ عليّ .
٢ من .

وبَرْقَة وغيرها ، وقد كتب إليه يرغبه في تلك [البلاد] ، فتجهّز للمسير إليه ، واستصحب معه أنجاد العسكر وأكثر منهم .

فلمّا سمع ذلك صلاح الدين ساءه ، وعلم أنّه إن أرسل إليه يمنعه لم يُجبه ، فأرسل إليه يقول له : أريد أن تحضر عندي لأودّعك . وأوصيك بما تفعله ؛ فلمّا حضر عنده منعه ، وزاد في إقطاعه . فصار إقطاعه حماة ، ومنبِج ، والمَعَرّة ، وكَفَرطاب ، وميّافارقين ، وجبل جُور ، بجميع أعمالها ، وكان تقي الدين قد سيّر في مقدّمته مملوكه بوزابة ، فاتّصل بقراقوش ، وكان منهم ما ذكرناه سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

وقد بلغني من خبير بأحوال صلاح الدين أنّه إنّما حمله على أخذ حلب من العادل وإعادة تقي الدين إلى الشام ، أنّ صلاح الدين لمّا مرض بحَرّان ، على ما ذكرناه ، أُرجف بمصر أنّه قد مات . فجرى من تقي الدين حركات مَن يريد [أن] يستبدّ بالملك ، فلمّا عوفي صلاح الدين بلغه ذلك ، فأرسل الفقيه عيسى الهكّاريّ ، وكان كبير القدر عنده ، مطاعاً في الجند ، إلى مصر ، وأمره بإخراج تقي الدين والمقام بمصر ؛ فسار مجدّاً . فلم يشعر تقي الدين إلاّ وقد دخل الفقيه عيسى إلى داره بالقاهرة ، وأرسل إليه يأمره بالخروج منها ، فطلب أن يمهل إلى أن يتجهّز ، فلم يفعل ، وقال : تقيم خارج [المدينة] وتتجهّز . فخرج وأظهر أنّه يريد الدخول إلى الغرب ، فقال له : اذهب حيث شئتَ ؛ فلمّا سمع صلاح الدين الخبر أرسل إليه يطلبه ، فسار إلى الشام ، فأحسن إليه ، ولم يُظهر له شيئاً ممّا كان لأنّه كان حليماً ، كريماً ، صبوراً ، رحمه الله .

وأمّا أخذ حلب من العادل ، فإنّ السبب فيه أنّه كان من جملة جندها أميرٌ كبيرٌ اسمه سليمان بن جَنْدر ، بينه وبين صلاح الدين صحبة قديمة ، قبل المُلك ، وكان صلاح الدين يعتمد عليه ، وكان عاقلاً ذا مكر ودهاء ، فاتّفق أنّ الملك العادل لمّا كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنّه ، وقدّم غيره عليه ،

فتأثّر بذلك .

فلمّا مرض صلاح الدين ، وعوفي ، سار إلى الشام ، فسايره يوماً سليمان ابن جَنْدر ، فجرى حديث مرضه ، فقال له سليمان : بأيّ رأي كنتَ تظنّ أنّك تمضي إلى الصيد فلا يخالفونك ؟ بالله ما تستحي يكون الطائر أهدى منك إلى المصلحة ؟ قال : وكيف ذلك ؟ وهو يضحك ، قال : إذا أراد الطائر أن يعمل عُشّاً لفراخه قصد أعالي الشجر ليحمي فراخه ، وأنت سلّمت الحصونَ إلى أهلك ، وجعلت أولادك على الأرض . هذه حلب بيد أخيك ، وحماة بيد تقي الدين ، وحمص بيد ابن شيركوه ، وابنك العزيز مع تقي الدين بمصر يُخرجه أيّ وقت أراد ، وهذا ابنك الآخر مع أخيك في خيمه يفعل به ما أراد . فقال له : صدقتَ ، واكتم هذا الأمر ؛ ثمّ أخذ حلب من أخيه ، وأخرج تقي الدين من مصر ، ثمّ أعطى أخاه العادل حرّان والرُّها وميّافارقين ليخرجه من الشام ومصر ، لتبقى لأولاده ، فلم ينفعه ما فعل لمّا أراد الله تعالى نقْل الملك عن أولاده على ما نذكره .

ذكر وفاة البَهلوان ومُلك أخيه قزَل

في هذه السنة ، في أوّلها ، توفّي البهلوان محمّد بن إيلدكز ، صاحب بلد الجبل والريّ وأصفهان وأذربيجان وأرّانيّة وغيرها من البلاد ، وكان عادلاً ، حسنَ السيرة ، عاقلاً ، حليماً ، ذا سياسة حسنة للمُلك ، وكانت تلك البلادُ في أيّامه آمنة والرعايا مطمئنّة ؛ فلمّا مات جرى بأصفهان بين الشافعيّة والحنفيّة من الحروب والقتل والإحراق والنّهب ما يجلّ عن الوصف ؛ وكان قاضي البلد رأس الحنفيّة ، وابن الخُجَنديّ رأس الشافعيّة ، وكان بمدينة الريّ

صاحب الكرك ، يريد أن يقصد الحجّاج ليأخذهم من طريقهم ، وأظهر أنّه إذا فرغ من أخذ الحجّاج يرجع إلى طريق العسكر المصري يصدّهم عن الوصول إلى صلاح الدين . فسار إلى بُصْرى ليمنع البرنس أرناط من طلب الحجّاج ، ويلزم بلده خوفاً عليه .

وكان من الحجّاج جماعة من أقاربه منهم محمّد بن لاجين . وهو ابن أخت صلاح الدين ، وغيره . فلمّا سمع أرناط بقرب صلاح الدين من بلده لم يفارقه ، وانقطع عمّا طمع فيه ، فوصل الحجّاجُ سالمين ؛ فلمّا وصلوا وفرغ سِرّه من جهتهم سار إلى الكرك فحصره وضيّق عليه وانتظر وصول العسكر المصريّ ، فوصلوا إليه على الكرك . وبثّ سراياه من هناك على ولاية الكرك والشّوبك وغيرهما ، فنهبوا وخرّبوا وأحرقوا ، والبرنس محصور لا يقدر على المنع عن بلده ، وسائر الفرنج قد لزموا طرف بلادهم[1] ، خوفاً من العسكر الذي مع ولده الأفضل ، فتمكّن من الحصر والنّهب والتحريق[2] والتخريب ؛ هذا فعل صلاح الدين .

ذكر الغارة على بلد عكّا

أرسل صلاح الدين إلى ولده الأفضل يأمره أن يرسل قطعةً صالحةً من الجيش إلى بلد عكّا ينهبونه ويخرّبونه ، فسيّر مظفّر[3] الدين كوكبري بن زين الدين ، وهو صاحب حرّان والرُّها ، وأضاف إليه قايماز النجميّ ودِلْدِرْم الياروقيّ ، وهما من أكابر الأمراء ، وغيرهما ، فساروا ليلاً ، وصبّحوا

1) B. أطراف بلادهم .

2) A. om. qui reliqua. النهب التحريق .

3) A. فسار مظفر .

صفوريّة أواخر صفر ، فخرج إليهم الفرنج في جمع من الداويّة والاسبتاريّة وغيرهما ، فالتقوا هناك ، وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق[1] السود .

ثمّ أنزل الله تعالى نصره على المسلمين . فانهزم الفرنج ، وقُتل منهم جماعة ، وأُسر الباقون ؛ وفيمن قُتل مقدّم الاسبتاريّة ، وكان من فرسان الفرنج المشهورين . وله النكايات العظيمة في المسلمين ، ونهب المسلمون ما جاورهم من البلاد ، وغنموا وسبوا ، وعادوا سالمين ، وكان عودهم على طبريّة ، وبها القُمّص ، فلم ينكر ذلك . فكان فتحاً كثيراً ، فإنّ الداويّة والاسبتاريّة هم جمرة الفرنج ، وسُيّرت البشائر إلى البلاد بذلك .

ذكر عود صلاح الدين إلى عسكره ودخوله إلى الفرنج

لمّا أتت صلاحَ الدين البشارة بهزيمة الاسبتاريّة والداويّة ، وقَتْل من قُتل منهم ، وأَسْر مَن أُسر ، عاد عن الكرك إلى العسكر الذي مع ولده الملك الأفضل. وقد تلاحقت سائر الأمداد والعساكر ، واجتمع بهم ؛ وساروا جميعاً ، وعرض العسكر ، فبلغت عدّتهم اثني عشر ألف فارس ممّن له الأقطاع والجامكيّة ، سوى المتطوّعة ، فعبّأ عسكره قلباً وجناحَين ، وميمنة وميسرة ، وجالشيّة وساقة ، وعرف كلّ منهم موضعه وموقفه ، وأمره بملازمته ، وسار على تعبئة ، فنزل بالأقحوانة بقرب طبريّة ، وكان القمص قد انتمى إلى صلاح الدين ، كما ذكرنا ، وكُتُبه متّصلة إليه يعده النصرة ، ويمنيه المعاضدة ، وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً .

فلمّا رأى الفرنج اجتماع العساكر الإسلاميّة ، وتصميم العزم على قصد بلادهم ،

1) A. لها الوليد والمفارق .

وصل إلى صور ، ثمّ قصد طرابلس ، ولم يلبث إلاّ أيّاماً قلائل حتّى مات غيظاً وحنقاً ممّا جرى على الفرنج خاصّة ، وعلى دين النصرانيّة عامّة .

ذكر عود صلاح الدين إلى طبريّة ومُلك قلعتها مع المدينة

لمّا فرغ صلاح الدين من هزيمة الفرنج أقام بموضعه باقي يومه ، وأصبح يوم الأحد ، فعاد[١] إلى طبريّة ونازلها ، فأرسلت صاحبتها تطلب الأمان لها ولأولادها وأصحابها ومالها ؛ فأجابها إلى ذلك ، فخرجت بالجميع ، فوفَى لها ، فسارت آمنة ، ثمّ أمر بالملك وجماعة من أعيان الأسرى فأُرسلوا إلى دمشق ، وأمر بمن أُسر من الداويّة والاسبتاريّة أن يُجمعوا ليقتلهم .

ثمّ علم أنّ مَن عنده أسير لا يسمح به لما يرجو من فدائه ، فبذل في كلّ أسير من هذين الصنفين خمسين ديناراً مصريّة ، فأُحضر عنده في الحال مائتا[٢] أسير منهم ، فأمر بهم فضُربت أعناقهم ، وإنّما خصّ هؤلاء بالقتل لأنّهم أشدّ شوكة من جميع الفرنج ، فأراح النّاس من شرّهم ؛ وكتب إلى نائبه بدمشق ليقتل مَن دخل البلد منهم سواء كان له أو لغيره ، ففعل ذلك ، ولقد اجتزتُ بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة ، فرأيتُ الأرض ملأى من عظامهم تبين على البعد ، منها المجتمع بعضه على بعض ، ومنها[٣] المفترق، هذا سوى ما جحفته السيول ، وأخذته السباع في تلك الآكام والوهاد .

١ عاد .
٢ مائتي .
٣ وفيها .

ذكر فتح مدينة عكّا

لمّا فرغ صلاح الدين من طبريّة سار عنها يوم الثلاثاء ووصل إلى عكّا يوم الأربعاء ، وقد صعد أهلها على سورها يُظهرون الامتناع والحفظ ، فعجب هو والنّاس من ذلك لأنّهم علموا أنّ عساكرهم من فارس وراجل بين قتيل وأسير ، وأنّهم لم يسلم منهم إلاّ القليل ، إلاّ أنّه نزل يومه ؛ وركب يوم الخميس ، وقد صمّم على الزحف إلى البلد وقتاله ، فبينما هو ينظر من أين يزحف ويقاتل إذ خرج كثير من أهلها يضرعون ، ويطلبون الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، وأمّنهم على أنفسهم وأموالهم، وخيّرهم بين الإقامة والظعن، فاختاروا الرحيل خوفاً من المسلمين ، وساروا عنها متفرّقين ، وحملوا ما أمكنهم حمله من أموالهم ، وتركوا الباقي على حاله .

ودخل المسلمون إليها يوم الجمعة مستهلّ جمادى الأولى ، وصلّوا بها الجمعة في جامع كان للمسلمين قديماً ، ثمّ جعله الفرنج بيعة ، ثمّ جعله صلاح الدين جامعاً ، وهذه الجمعة أوّل جمعة أقيمت بالساحل الشاميّ بعد أن ملكه الفرنج . وسلّم البلد إلى ولده الأفضل ، وأعطى جميع ما كان فيه للداويّة من أقطاع وضياع وغير ذلك للفقيه عيسى ، وغنم المسلمون ما بقي ممّا لم يُطق الفرنج حمله ، وكان من كثرته يعجز الإحصاء عنه ، فرأوا فيها من الذهب والجوهر والسقلاط ، والبندقي ، والسّكّر ، والسلاح ، وغير ذلك من أنواع الأمتعة كثيراً ، فإنّها كانت مقصداً للتجار الفرنج والروم وغيرهم ، من أقصى البلاد وأدناها ، وكان كثير منها قد[1] خزنه التجار ، وسافروا عنه لكساده ، فلم يكن له من ينقله ، ففرّق صلاح الدين وابنه الأفضل ذلك جميعه

1) A. قد خزن بها التجار أنواع الأمتعة وسافروا .

غزّة ، وغيرها من القُرى ، بحيث امتلأت الطرق والكنائس ، وكان الإنسان لا يقدر أن يمشي .

ومن الدليل على كثرة الخلق أنّ أكثرهم وزن ما استقرّ من القطيعة ، وأطلق باليان بن بيرزان ثمانية عشر ألف رجل وزن عنهم ثلاثين ألف دينار ، وبقي بعد هذا جميعه مَن لم يكن معه ما يُعطي ، وأُخذ أسيراً ستّة عشر ألف آدمي ما بين رجل وامرأة وصبي ، هذا بالضبط واليقين .

ثمّ إنّ جماعة من الأمراء ادّعى كلّ واحد منهم أنّ جماعة من رعيّة إقطاعه مقيمون بالبيت المقدّس ، فيطلقهم ويأخذ هو قطيعتهم ، وكان جماعة من الأمراء يُلبسون الفرنج زيّ الجند المسلمين ، ويخرجونهم ، ويأخذون منهم قطيعة قرّروها ، واستوهب جماعة من صلاح الدين عدداً من الفرنج ، فوهبهم لهم ، فأخذوا قطيعتهم ، وبالجملة فلم يصل إلى خزائنه إلاّ القليل .

وكان بالقدس بعض نساء الملوك من الروم قد ترهّبت وأقامت به ، ومعها من الحشم والعبيد والجواري[1] خلق كثير ، ولها من الأموال والجواهر النفيسة شيء عظيم ، فطلبت الأمان لنفسها ومَن معها ، فأمّنها وسيّرها .

وكذلك أيضاً أطلق ملكة القدس التي كان زوجها الذي أسره صلاح الدين قد ملك الفرنج بسببها ، ونيابة عنها كان يقوم بالملك ، وأطلق مالها وحشمها ، واستأذنته في المصير إلى زوجها ، وكان حينئذٍ محبوساً بقلعة نابلس ، فأذن لها ، فأتته وأقامت عنده .

وأتته أيضاً امرأة للبرنس أرناط صاحب الكرك ، وهو الذي قتله صلاح الدين بيده يومَ المصافّ بحطّين ، فشفعت في ولد لها مأسور ، فقال لها صلاح الدين : إن سلّمت الكرك أطلقتُه ، فسارت إلى الكرك ، فلم يسمع منها

١ والجوار .

الفرنج الذين فيه ، ولم يسلّموه ، فلم يطلق ولدها ، ولكنّه أطلق مالها ومَن تبعها .

وخرج البطرك الكبير الذي للفرنج ، ومعه من أموال البيع منها : الصخرة والأقصى ، وقُمامة وغيرها ، ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، وكان له من المال مثل ذلك ، فلم يعرض له صلاح الدين ، فقيل له ليأخذ ما معه يقوّي به المسلمين ، فقال : لا أغدر به ؛ ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير ، وسيّر الجميع ومعهم مَن يحميهم إلى مدينة صور .

وكان على رأس قبّة الصخرة صليب كبير مذهّب . فلمّا دخل المسلمون البلد يومَ الجمعة تسلّق جماعة منهم إلى أعلى القبّة ليقلعوا[1] الصليب ، فلمّا فعلوا وسقط صاح النّاس كلّهم صوتاً واحداً من البلد ومن ظاهره المسلمون والفرنج : أمّا المسلمون فكبّروا فرحاً ، وأمّا الفرنج فصاحوا تفجّعاً وتوجّعاً ، فسمع النّاس ضجّة كادت الأرض أن تميد بهم لعظمها وشدّتها .

فلمّا ملك البلد وفارقه الكفّار أمر صلاح الدين بإعادة الأبنية إلى حالها القديم ، فإنّ الداويّة بنوا غربيّ الأقصى أبنية ليسكنوها ، وعملوا فيها ما يحتاجون إليه من هُرْي ومستراح وغير ذلك ، وأدخلوا بعض الأقصى في أبنيتهم فأعيد إلى الأوّل ، وأمر بتطهير المسجد والصخرة من الأقذار والأنجاس ، ففُعل ذلك أجمع .

ولمّا كان الجمعة الأخرى ، رابع شعبان ، صلّى المسلمون فيه الجمعة ، ومعهم صلاح الدين ، وصلّى في قبّة الصخرة ، وكان الخطيب والإمام محيي الدين بن الزكي ، قاضي دمشق ، ثمّ رتّب فيه صلاح الدين خطيباً وإماماً برسم الصلوات الخمس ، وأمر أن يُعمل له منبرٌ ، فقيل له : إنّ نور الدين محموداً كان قد عمل بحلب منبراً أمر الصنّاع بالمبالغة في تحسينه وإتقانه ، وقال : هذا

١ ليقلعون .

ذكر فتح حصن بَكَاس والشُغْر

ثمّ سار صلاح الدين عن صِهيون ، ثالث جمادى الآخرة ، فوصل إلى قلعة بَكَاس [فرأى الفرنج قد أخلوها ، وتحصّنوا بقلعة الشُغْر ، فملك قلعة بكاس][1] بغير قتال ، وتقدّم إلى قلعة الشُغْر وحصرها ، وهي وبكاس على الطريق السهل المسلوك إلى لاذقيّة وجبلة ، والبلاد التي افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الإسلاميّة .

فلمّا نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ، ولا يوصل إليها بطريق من الطرق ، إلاّ أنّه أمر بمزاحفتهم ونصْب منجنيق عليهم ، ففعلوا ذلك ، ورمى بالمنجنيق ، فلم يصل من أحجاره إلى القلعة شيء إلاّ القليل الذي لا يُؤذي ، فبقي المسلمون عليه أيّاماً لا يرون فيه طمعاً ، وأهله غير مهتمّين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرّق إليهم ، وبلاء ينزل عليهم .

فبينما صلاح الدين جالس ، وعنده أصحابه ، وهم في ذكر القلعة وإعمال الحيلة في الوصول إليها ، قال بعضهم : هذا الحصن كما قال الله تعالى ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾[2] فقال صلاح الدين : أو يأتي الله بنصر من عنده وفتح .

فبينما هم في هذا الحديث إذ قد أشرف عليهم فرنجيّ ونادى بطلب الأمان لرسول يحضر عند صلاح الدين ، فأجيب إلى ذلك ، ونزل رسول ، وسأل إنظارهم ثلاثة أيّام ، فإن جاءهم من يمنعهم ، وإلاّ سلّموا القلعة بما فيها[1]

1) C. P. 2) Cor. 18, 96.

١ فيه .

من ذخائر ودوابّ وغير ذلك ، فأجابهم إليه وأخذ رهائنهم على الوفاء به .

فلمّا كان اليوم الثالث سلّموها إليه ، واتّفق يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة ؛ وكان سبب استمهالهم أنّهم[1] أرسلوا إلى البيمند ، صاحب أنطاكية ، وكان هذا الحصن له ، يعرّفونه أنّهم محصورون ، ويطلبون منه أن يرحّل[2] عنهم المسلمين ، فإن فعل ، وإلاّ سلّموها ، وإنّما فعلوا ذلك[3] لرعب قذفه الله تعالى في قلوبهم ، وإلاّ فلو أقاموا الدهر الطويل لم يصل إليهم أحد ، ولا بلغ المسلمون منهم غرضاً ؛ فلمّا تسلّم صلاح الدين الحصن سلّمه إلى أمير يقال له قلج ، وأمره بعمارته ، ورحل عنه .

ذكر فتح سَرمينيّة

لمّا كان صلاح الدين مشغولاً بهذه القلاع والحصون ، سيّر ولده الظاهر غازي ، صاحب حلب ، فحصر سَرمينيّة ، وضيّق على أهلها[1] ، واستنزلهم على قطيعة قرّرها عليهم ، فلمّا أنزلهم ، وأخذ منهم المقاطعة ، هدم الحصن وعفّى أثره وعالي[4] بنيانه .

وكان فيه وفي هذه الحصون من أسارى المسلمين الجمّ الغفير ، فأُطلقوا ، وأُعطوا كسوة ونفقة ، وكان فتحه في يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة .

واتّفق أنّ فتح هذه المدن والحصون جميعها من جبلة إلى سَرمينيّة ، مع

1) B. استمالهم أنهم سبب صلحهم . 2) B. أن ينجدهم ويرحل .
3) B. وصالحوا وذلوا ذلك . 4) C. P. et 740; at in C. P. deest: أثره Ups: وعلى لي .

١ أهله .

ووزيرٍ وطاقِ طُنْبٍ ونَفْشٍ وخيولٍ مُعَدّةٍ للهزيمَهْ
هُمْ رأوا غرّةَ العدوّ وقد أقـ ـبلَ ولّوا وانحلّ عقدُ العزيمَهْ
وأتونا ولا بخُفّيْ حُنَينٍ بوجوهٍ سودٍ قباحٍ دَميمَهْ
لو رأى صاحبُ الزمانِ ولو عا يَنَ أفعالَهم وقُبحَ الجريمَهْ
قابلَ الكلَّ بالنَّكالِ وناهيـ ـك بها سُبّةً عليهم مُقيمَهْ

كان ينبغي أن تتقدّم هذه الحادثة ، وإنّما أخّرتُها لتتبع الحوادث المتقدّمة بعضها بعضاً ، لتعلّق كلّ واحدة منها بالأخرى .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي شيخنا أبو محمّد عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن سويدة التكريتيّ ، كان عالماً بالحديث ، وله تصانيف حسنة .

وفيها توفّيت سلجوقة خاتون بنت قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان زوجة الخليفة ، وكانت قبله زوجة نور الدين محمّد بن قرا أرسلان ، صاحب الحصن ، فلمّا توفّي عنها تزوّجها الخليفة ، ووجد الخليفة عليها وجداً عظيماً ظهر للناس كلّهم ، وبنى على قبرها تُربةً بالجانب الغربيّ ، وإلى جانب التّربة رباطه المشهور بالرملة .

وفيها توفّي علاء الدين تنامش وحُمل تابوته إلى مشهد الحسين ، عليه السّلام .

وفيها توفّي خالص خادم الخليفة ، وكان أكبر أمير ببغداد ؛ ومات أبو نمرج بن النقور[1] العدل ببغداد ، وسمع الحديث الكثير ، وهو من بيت الحديث ، رحمه الله .

1) C. P. 740 : القور . Ups : العور .

٥٨٥

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

ذكر فتح شقيف أرنون

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، سار صلاح الدين إلى شقيف أرنون ، وهو من أمنع الحصون ، ليحصره ، فنزل بمرج عيونٍ ، فنزل صاحب الشقيف ، وهو أرناط صاحب صيدا ، وكان أرناط هذا من أعظم الناس دهاء ومكراً ، فدخل إليه واجتمع به ، وأظهر له الطاعة والمودّة ، وقال له : أنا محبٌّ لك ، ومعترف بإحسانك ، وأخاف أن يعرف المركيس[1] ما بيني وبينك ، فينال أولادي وأهلي منه أذًى ، فإنّهم عنده ، فأشتهي أن تمهلني حتّى أتوصّل في تخليصهم من[2] عنده ، وحينئذ أحضر أنا وهم عندك ، ونسلّم الحصن إليك ، ونكون في خدمتك ، نقنع بما تعطينا من إقطاع ؛ فظنّ صلاح الدين صدقه ، فأجابه إلى ما سأل ، فاستقرّ الأمر بينهما أن يسلّم الشقيف في جمادى الآخرة .

وأقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد ، وهو قلقٌ مفكّر ، لقرب انقضاء مدّة الهدنة بينه وبين البيمُند ، صاحب أنطاكية ، فأمر تقي الدين ابن أخيه أن يسير في مَن معه من عساكره ، ومَن يأتي من بلاد المشرق ، ويكون مقابل أنطاكية لئلاّ يغير صاحبها على بلاد الإسلام عند انقضاء الهدنة .

وكان أيضاً منزعج الخاطر ، كثير الهمّ ، لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة

1) A. المركيس بصور .
2) A. خلاصهم من .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في صفر ، خُطب لوليّ العهد أبي نصر[1] محمّد بن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد . ونُثرت الدنانير والدراهم ، وأرسل إلى البلاد في إقامة الخطبة ، ففُعل ذلك .

وفيها ، في شوّال ، ملك الخليفة تكريت ، وسبب ذلك أنّ صاحبها ، وهو الأمير عيسى ، قتله إخوته ، وملكوا القلعة بعده ، فسيّر الخليفة إليهم عسكراً فحصروها وتسلّموها ، ودخل أصحابه إلى بغداد فأُعطوا أقطاعاً .

وفيها ، في صفر ، فُتح الرباط الذي بناه الخليفة بالجانب الغربيّ من بغداد ، وحضر الخلق العظيم ، فكان يوماً مشهوداً .

وفي هذه السنة ، في رمضان ، مات شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمّد ابن هبة الله بن أبي عصرون ، الفقيه الشافعيّ بدمشق ، وكان قاضيها ، وأضرّ ، ووليّ القضاء بعده ابنه ، وكان الشيخ من أعيان الفقهاء الشافعيّة .

وفيها ، في ذي القعدة ، توفّي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكّاريّ بالخروبة مع صلاح الدين ، وهو من أعيان أمراء عسكره ، ومن قدماء الأسديّة ، وكان فقيهاً ، جنديّاً ، شجاعاً ، كريماً ، ذا عصبيّة ومروءة ، وهو من أصحاب الشيخ الإمام أبي القاسم بن البرْزيّ ، تفقّه عليه بجزيرة ابن عمر ، ثمّ اتّصل بأسد الدّين شيركوه فصار إماماً له ، فرأى من شجاعته ما جعل له أقطاعاً ، وتقدّم عند صلاح الدّين تقدّماً عظيماً .

وفيها ، في صفر ، توفّي شيخنا أبو العبّاس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان ،

1) A. om. inde a أبي نصر usque ad v. sq. لدين الله .

المعروف بابن أفضل الزمان ، بمكّة ، وكان رحمه الله عالماً متبحّراً في علوم كثيرة ، خلاف فقه مذهبه والأصوليّيْن ، والحساب والفرائض ، والنجوم ، والهيئة ، والمنطق ، وغير ذلك ، وختَم أعماله بالزهد ، ولبس الخشن ، وأقام بمكّة ، حرسها الله تعالى ، مجاوراً ، فتوفّي بها ، وكان من أحسن الناس صحبةً وخُلُقاً .

وفيها ، في ذي القعدة ، مات أبو طالب المبارك بن المبارك الكرخيّ مدرّس النظاميّة ، وكان من أصحاب أبي الحسن بن الخلّ ، وكان صالحاً خيّراً له عند الخليفة والعامّة حُرمة عظيمة ، وجاهٌ عريضٌ ، وكان حسن الخطّ يُضرب به المثلُ .

ولمّا وصلوا ورأوا ما نالهم في طريقهم وما هم فيه من الاختلاف عادوا إلى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحدٌ .

وكان الملك قلج أرسلان يكاتب صلاح الدين بأخبارهم ، ويعده أنّه يمنعهم من العبور في بلاده . فلمّا عبروها وخلّفوها أرسل يعتذر بالعجز عنهم ، لأنّ أولاده حكموا عليه ، وحجروا عليه ، وتفرّقوا عنه ، وخرجوا عن طاعته .

وأمّا صلاح الدين عند وصول الخبر بعبور ملك الألمان ، فإنّه استشار أصحابه . فأشار كثير منهم عليه بالمسير إلى طريقهم ومحاربتهم قبل أن يتّصلوا بمن على عكّا ، فقال : بل نقيم إلى أن يقربوا منّا ، وحينئذ نفعل ذلك لئلاّ يستسلم مَن بعكّا من عساكرنا ؛ لكنّه سيّر بعض مَن عنده من العساكر ، منها عسكر حلب وجبلة ولاذقيّة وشيزر وغير ذلك ، إلى أعمال حلب ليكونوا في أطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم ، وكان حال المسلمين كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾[1] فكفى الله شرّهم وردّ كيدَهم في نحرهم .

ومن شدّة خوفهم أنّ بعض أُمراء صلاح الدين كان له ببلد الموصل قرية ، وكان أخي ، رحمه الله ، يتولاّها ، فحصل دخلها من حنطة وشعير وتبن ، فأرسل إليه في بيع الغلّة ، فوصل كتابه يقول : لا تبع الحبّة الفرد ، واستكثر لنا من التبن ؛ ثمّ بعد ذلك وصل كتابه يقول : تبيع الطعام فما بنا حاجة إليه ؛ ثمّ إنّ ذلك الأمير قدم الموصل . فسألناه عن المنع من بيع الغلّة ، ثمّ الإذن فيها بعد مدّة يسيرة ، فقال : لمّا وصلتِ الأخبار بوصول ملك الألمان أيقنّا أنّنا ليس لنا بالشام مقام ، فكتبتُ بالمنع من بيع الغلّة لتكون ذخيرة لنا إذا جئنا إليكم ، فلمّا أهلكهم الله تعالى وأغنى عنها كتبتُ ببيعها والانتفاع بثمنها .

---

1) Cor. 33, 10. 11.

ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكّا

وفي هذه السنة ، في العشرين من جمادى الآخرة ، خرجت الفرنج فارسها وراجلها من وراء خنادقهم ، وتقدّموا إلى المسلمين ، وهم كثير لا يحصى عددهم ، وقصدوا نحو عسكر مصر ، ومقدّمهم الملك العادل أبو بكر بن أيّوب ، وكان المصريّون قد ركبوا واصطفّوا للقاء الفرنج ، فالتقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانحاز المصريّون عنهم ، ودخل الفرنج خيامهم ، ونهبوا أموالهم ، فعطف المصريّون عليهم ، فقاتلوهم من وسط خيامهم فأخرجوهم عنها ، وتوجّهت طائفة من المصريّين نحو خنادق الفرنج ، فقطعوا المدد عن أصحابهم الذين خرجوا ، وكانوا متّصلين كالنمل ، فلمّا انقطعت أمدادهم ألقوا بأيديهم ، وأخذتْهم السيوف من كلّ ناحية فلم ينج منهم إلاّ الشريد ، وقُتل منهم مقتلة عظيمة ، يزيد عدد القتلى على عشرة آلاف قتيل .

وكانت عساكر الموصل قريبة من عسكر مصر ، وكان مقدّمهم علاء الدين خرمشاه بن عزّ الدين مسعود صاحب الموصل ، فحملوا أيضاً على الفرنج ، وبالغوا في قتالهم ، ونالوا منهم نيلاً كثيراً ، هذا جميعه ، ولم يباشر القتال أحد من الحلقة الخاصّ التي مع صلاح الدين ، ولا أحدٌ من الميسرة ، وكان بها عماد الدين زنكي ، صاحب سنجار ، وعسكر إربل وغيرهم .

ولمّا جرى على الفرنج هذه الحادثة خمدت جمرتهم ، ولانتْ عريكتهم ، وأشار المسلمون على صلاح الدين بمباكرتهم القتال ، ومناجزتهم وهم على هذه الحال من الهلع والجزع ، فاتّفق أنّه وصله من الغد كتاب من حلب يخبر فيه بموت ملك الألمان ، وما أصاب أصحابه من الموت والقتل والأسر ، وما صار أمرهم إليه من القلّة والذلّة ، واشتغل المسلمون بهذه البشرى والفرح بها عن قتال مَن بإزائهم ، وظنّوا أنّ الفرنج إذا بلغهم هذا الخبر ازدادوا وهناً

على صلاح الدين بأن يرسل إلى مَن بعكّا النفقات الواسعة والذخائر والأقوات الكثيرة ، ويأمرهم بالمقام . فإنّهم قد جرّبوا وتدرّبوا واطمأنّت نفوسهم على ما هم فيه ، فلم يفعل . وظنّ فيهم الضجر والملل . وأنّ ذلك يحملهم على العجز والفشل . فكان الأمر بالضدّ .

ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب إربل ومسير أخيه مظفّر الدين إليها

كان زين الدين يوسف بن زين الدين عليّ ، صاحب إربل ، قد حضر عند صلاح الدين بعساكره ، فمرض ومات ثامن عشر شهر رمضان ، وذكر العماد الكاتب في كتابه البرق الشاميّ قال : جئنا إلى مظفّر الدين نعزّيه بأخيه ، وظننّا به الحزن ، وليس له أخ غيره ، ولا ولد يشغله عنه ، فإذا[1] هو في شغل شاغل عن العزاء ، مهتمّ بالاحتياط على ما خلفه . وهو جالس في خيام أخيه المتوفّى ، وقد قبض على جماعة من أمرائه ، واعتقلهم ، [وعجل عليهم][1] ، وما أغفلهم ، منهم بُلداجي[2] ، صاحب قلعة خُفُنْبِيذَكان[3] . وأرسل إلى صلاح الدين يطلب منه إربل لينزل عن حرّان والرُّها . فأقطعه إيّاها ، وأضاف إليها شَهْرَزُور وأعمالها ودَرْبَنْدَ قرابلي ، وبني قَفْجاق ؛ ولمّا مات زين الدين كاتب مَن كان بإربل مجاهدَ الدين قايماز لهواهم فيه ، وحسن سيرته فيهم ، وطلبوه إليهم ليملكوه ، فلم يجسر هو ولا صاحبه عزّ الدين أتابك مسعود بن مودود على

1) C. P. et 740.   2) C. P. 740 : بلد أخي . Ups : بلد أخو .

3) C. P. et 740 . Ups : خشيه كان .

١ فإذ .

ذلك . خوفاً من صلاح الدين .

وكان أعظم الأسباب في تركها أنّ عزّ الدين كان قد قبض على مجاهد الدين ، فتمكّن زين الدين من إربل ، ثمّ إنّ عزّ الدين أخرج مجاهد الدين من القبض ، وولاّه نيابته . وقد ذكرنا ذلك أجمع .

فلمّا ولاّه النيابة عنه لم يمكّنه ، وجعل معه إنساناً كان من بعض غلمان مجاهد الدين ، فكان يشاركه في الحكم ويحلّ عليه ما يعقده . فلحق مجاهد الدين من ذلك غيظ شديد ، فلمّا طُلب إلى إربل قال لمن يثق به[1] : لا أفعل لئلاّ يحكم فيها فلان . ويكفّ يدي عنها ؛ فجاء مظفّر الدين إليها وملكها ، وبقي غصّة في حلق البيت الأتابكيّ لا يقدرون على إساغتها . وسنذكر ما اعتمده معهم مرّة بعد أخرى ، إن شاء الله تعالى .

ذكر مُلك الفرنج مدينة شِلْب وعودها إلى المسلمين

في هذه السنة ملك ابن الرنك ، وهو من ملوك الفرنج ، غرب بلاد الأندلس ، مدينة شِلْب وهي من كبار مدن المسلمين بالأندلس ، واستولى عليها . فوصل الخبر بذلك إلى الأمير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، صاحب الغرب والأندلس ، فتجهّز في العساكر الكثيرة وسار إلى الأندلس . وعبر المجاز ، وسيّر طائفة كثيرة من عسكره في البحر ، ونازلها وحصرها . وقاتل مَن بها قتالاً شديداً ، حتّى ذلّوا وسألوا الأمان فأمّنهم وسلّموا البلد وعادوا إلى بلادهم .

وسيّر جيشاً من الموحّدين ومعهم جمع من العرب إلى بلاد الفرنج . ففتحوا

١ إليه .

أربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك بأربعين سنة . وفتكوا في الفرنج ، فخافهم ملك طُلَيْطُلَة من الفرنج ، وأرسل يطلب الصلح ، فصالحه خمس سنين ، وعاد أبو يوسف إلى مرّاكُش ، وامتنع من هذه الهدنة طائفة من الفرنج لم يرضوها ولا أمكنهم إظهار الخلاف ، فبقوا متوقّفين حتّى دخلت سنة تسعين وخمسمائة ، فتحرّكوا . وسنذكر خبرهم هناك ، إن شاء الله تعالى .

ذكر الحرب بين غياث[1] الدين وسلطان شاه بخُراسان

كان سلطان شاه أخو خوارزم شاه قد تعرّض إلى بلاد غياث الدين ومُعِزّ الدين مَلكَي الغُوريّة ، من خُراسان ، فتجهّز غياث الدين وخرج من فيرُوزْكُوه إلى خراسان سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، فبقي يتردّد بين بلاد الطالقان ، وبَنْجَدَه[2] ، ومَرْو ، وغيرها يريد حرب سلطان شاه ، فلم يزل كذلك إلى أن دخلت سنة ستّ وثمانين ، فجمع[1] سلطان شاه عساكره وقصد غياث الدين ، فتصافّا واقتتلا ، فانهزم سلطان شاه ، وأخذ غياث الدين بعض بلاده وعاد إلى غزنة .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ، في ربيع الأوّل ، تسلّم الخليفة الناصر لدين الله حَديثةَ عانةَ ، وكان سيّر إليها جيشاً حصروها سنة خمس وثمانين [وخمسمائة] فقاتلوا

1) C. P : شهاب .	2) C. P. 740. بجده Ups : بحده .

١ جمع .

عليها قتالاً شديداً ، ودام الحصار ، وقُتل من الفريقَيْن خلق كثير ، فلمّا ضاقت عليهم الأقوات سلّموها على أقطاع عيّنوها ، ووصل صاحبها وأهلها إلى بغداد وأعطوا أقطاعاً ثمّ تفرّقوا في البلاد واشتدّت الحاجة بهم حتّى رأيتُ بعضهم وإنّه ليتعرّض بالسؤال وبعض خدم الناس ، نعوذ بالله من زوال نعمته وتحوّل عافيته .

وفي هذه السنة توفّي مسعود بن النادر الصفّار ببغداد ، وكان مكثراً من الحديث ، حسن الخطّ ، خيّراً ثقةً .

وفيها توفّي أبو حامد محمّد بن محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري بالموصل ، وكان قاضيها ، وقبلها وليَ قضاء حلب وجميع الأعمال بها ، وكان رئيساً جواداً ذا مروءة عظيمة ، يرجع إلى دين وأخلاق جميلة .

إلى طريق سَنجَر شاه ليقبض عليه إذا عاد ؛ فخاف عزّ الدين أنّ صلاح الدين قد فعل ذلك مكيدة ليشنع عليه بنكث العهد ، فلم يفعل شيئاً من ذلك بل أرسل إليه يقول : أريد خطّك بذلك ومنشوراً منك بالجزيرة ؛ فتردّدت الرسل في ذلك إلى أن انقضت سنة ستّ وثمانين [وخمسمائة] . ودخلت هذه السنة فاستقرت القاعدة بينهما ، فسار عزّ الدين إلى الجزيرة ، فحصرها أربعة أشهر وأيّاماً آخرها شعبان، ولم يملكها بل استقرّت القاعدة بينه وبين سَنجَر شاه على يد رسول صلاح الدين ، فإنّه كان قد أرسله بعد قصدها يقول : إنّ صاحب سنجار، وصاحب إربل وغيرهما قد شفعا في سَنجَر شاه ، فاستقرّ الصلح على أن لعزّ الدين نصف أعمال الجزيرة ، ولسَنجَر [شاه] نصفها ، وتكون الجزيرة بيد سَنجر شاه من جملة النصف .

وعاد عزّ الدين في شعبان إلى الموصل ، وكان صلاح الدين بعد ذلك يقول : ما قيل لي عن أحد شيء من الشرّ فرأيته إلاّ كان دون ما يقال فيه، إلاّ سنجر شاه، فإنّه كان يقال لي عنه أشياء استعظمتُها ، فلمّا رأيتُه صغر في عيني ما قيل فيه .

ذكر عبور تقي الدين الفرات [1] ومُلكه حرّان وغيرها من البلاد الجزريّة ومسيره إلى خِلاط وموته

في هذه السنة ، في صفر ، سار تقي الدين من الشام إلى البلاد الجزريّة : حرّان والرُّها ، كان قد أقطعه إيّاها عمّه صلاح الدين ، بعد أخذها من مظفّر الدين ، مضافاً إلى ما كان له بالشام ، وقرّر معه أنّه يُقطع البلاد للجند ، ويعود وهم معه إليه ليتقوّى بهم على الفرنج؛ فلمّا عبر الفرات [1] ، وأصلح حال البلاد ،

١ الفراة .

سار إلى ميّافارقين ، وكانت له ، فلمّا بلغها تجدّد له طمع في غيرها من البلاد المجاورة لها ، فقصد مدينة حاني من ديار بكر ، فحصرها وملكها ، وكان في سبع مائة فارس ؛ فلمّا سمع سيف الدين بكتمر ، صاحب خلاط ، بمُلكه حاني جمع عساكره وسار إليه ، فاجتمعت عساكره أربعة آلاف فارس ، فلمّا التقوا اقتتلوا فلم يثبت عسكر خِلاط لتقيّ الدين ، بل انهزموا ، وتبعهم تقيّ الدين ، ودخل بلادهم .

وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رشيق، وزير صاحبه شاه أرمن ، وسجنه في قلعة هناك ، فلمّا انهزم كتب إلى مستحفظ القلعة يأمره بقتل ابن رشيق ، فوصل القاصد وتقيّ الدين قد نازل القلعة ، فأخذ الكتاب ، وملك القلعة ، وأطلق ابن رشيق ، وسار إلى خِلاط فحصرها ، ولم يكن في كثرة من العسكر فلم يبلغ منها غرضاً ، فعاد عنها ، وقصد مَلازْكُرد وحصرها، وضيّق على من بها ، وطال[1] مقامه عليها؛ [فلمّا ضاق عليهم الأمر طلبوا منه المهلة أيّاماً ذكروها ، فأجابهم إليها][2] .

ومرض تقيّ الدين ، فمات قبل انقضاء الأجل بيومَيْن ، وتفرّقت العساكر عنها ، وحمله ابنه وأصحابه ميّتاً إلى ميّافارقين ، وعاد بكتمر فقوي أمره ، وثبت مُلكه بعد أن أشرف على الزوال ، وهذه الحادثة من الفرج بعد الشدّة ، فإنّ ابن رشيق نجا من القتل وبكتمر نجا من أن يؤخذ .

ذكر وصول الفرنج من الغرب في البحر إلى عكّا

وفي هذه السنة وصلت أمداد الفرنج في البحر إلى الفرنج الذين على عكّا ، وكان أوّل مَن وصل منهم الملك فليب ، ملك إفرنسيس ، وهو من أشرف

1) C. P. Ups : وكان .

2) C. P.

ذكر نهب بني عامر البصرة[1]

في هذه السنة ، في صفر ، اجتمع بنو عامر في خلق كثير ، وأميرهم اسمه عُمَيْرة ، وقصدوا البصرة ، وكان الأمير بها اسمه محمّد بن إسمعيل ، ينوب عن مقطعها الأمير طغرل ، مملوك الخليفة الناصر لدين الله ، فوصلوا إليها يوم السبت سادس صفر ، فخرج إليهم الأمير محمّد فيمنْ معه من الجند ، فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان ، بجانب الخريبة[2] ، ودام القتال إلى آخر النهار ، فلمّا جاء الليل ثلّم العرب في السور عدّة ثُلم ، ودخلوا البلد من الغد ، فقاتلهم أهل البلد ، فقُتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقَيْن ، ونهبت العرب الخانات بالشاطىء وبعض محالّ البصرة ، وعبر أهلها إلى شاطىء الملاّحين ، وفارق العرب البلد في يومهم وعاد أهله إليه .

وكان سبب سرعة العرب في مفارقة البلد أنّهم بلغهم أنّ خفَاجة والمنتفق قد قاربوهم ، فساروا إليهم وقاتلوهم أشدّ قتال ، فظفرت عامرٌ ، وغنمت أموال خفَاجة والمنتفق ، وعادوا إلى البصرة بُكرة الاثنين ، وكان الأمير قد جمع من أهل البصرة والسواد جمعاً كثيراً ، فلمّا عادت عامر قاتلهم أهل البصرة ومَن اجتمع معهم ، فلم يقوموا للعرب وانهزموا ، ودخل العرب البصرة ونهبوها ، وفارق البصرة أهلها ، ونُهبت أموالهم ، وجرت أمور عظيمة ، ونُهبت القسامل[3] وغيرها يومين ، وفارقها العرب وعاد أهلها إليها ، وقد رأيت هذه القصة بعينها في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، والله أعلم .

1) In C. P. et 740 hoc caput proxime antecedenti praemissum est.

2) C. P. الحربه . Ups : الحرسه .

3) C. P. et 740. Ups : نهب امل .

ذكر ما كان من ملك إنكلتار

في تاسع جمادى الأولى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم ، فخرّبوه ، ثمّ ساروا إلى البيت المقدّس وصلاح الدين فيه ، فبلغوا بيت نَوبة .

وكان سبب طمعهم أنّ صلاح الدين فرّق عساكره الشرقيّة وغيرها لأجل الشتاء ، وليستريحوا[١] ، وليحضر البدل عوضهم ، وسار بعضهم مع ولده الأفضل وأخيه العادل إلى البلاد الجزريّة ، لما نذكره إن شاء الله تعالى ، وبقي من حلقته الخاصّ بعض العساكر المصريّة ، فظنّوا أنّهم ينالون غرضاً ، فلمّا سمع صلاح الدين بقربهم منه فرّق أبراج البلد على الأمراء ، وسار الفرنج من بيت نوبة إلى قَلُوْنيَة[1] ، سلخ الشهر ، وهي [على] فرسخين من القدس ، فصبّ المسلمون عليهم البلاء ، وتابعوا إرسال السرايا فبُلي[٢] الفرنج منهم بما لا قِبَل لهم به ، وعلموا أنّهم إذا نازلوا القدس كان الشرّ إليهم أسرع والتسلّط عليهم أمكن ، فرجعوا القهقرى ، وركب المسلمون أكتافهم بالرماح والسهام .

ولمّا أبْعَد الفرنج عن يافا سيّر صلاح الدين سريّة من عسكره إليها ، فقاربوها ، وكمنوا عندها ، فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة ، فخرجوا عليهم ، فقتلوا منهم وأسروا وغنموا ، وكان ذلك آخر جمادى الأولى .

1) A. قلوبية .

١ ويستريحوا .

٢ قِبَل .

ذكر استيلاء الفرنج على عسكر المسلمين وقفل

في تاسع جمادى الآخرة بلغ الفرنج الخبر بوصول عسكر من مصر ، ومعهم قفل كبير . ومقدّم العسكر فلك الدين سليمان . أخو العادل لأمّه ، ومعه عدّة من الأمراء . فأسرى الفرنج إليهم . فواقعهم بنواحي الخليل . فانهزم الجند ، ولم يُقتل منهم رجل من المشهورين إنّما قُتل من الغلمان والأصحاب ، وغنم الفرنج خيامهم وآلاتهم ؛ وأمّا القفل فإنّه أُخذ بعضه ، وصعد من نجا جبل الخليل . فلم يقدم الفرنج على اتباعهم . ولو اتبعوهم نصف فرسخ لأتوا عليهم ؛ وتمزّق من نجا من القفل ، وتقطّعوا ، ولقوا شدّة إلى أن اجتمعوا .

حكى لي بعض أصحابنا ، وكنّا قد سيّرنا معه شيئاً للتجارة إلى مصر ، وكان قد خرج في هذا القفل ، قال : لمّا وقع الفرنج علينا كنّا قد رفعنا أحمالنا للسير ، فحملوا علينا وأوقعوا بنا . فضربتُ أحمالي وصعدتُ الجبل ومعي عدّة أحمال لغيري . فلحقنا قوم من الفرنج . فأخذوا الأحمال التي في صحبتي . وكنتُ بين أيديهم بمقدار رمية سهم ، فلم يصلوا إليّ . فنجوتُ بما معي . وسرتُ لا أدري أين أقصد ، وإذ قد لاح لي بناء كبير على جبل ، فسألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الكرك ؛ فوصلتُ إليه ثمّ عُدْتُ منه إلى القدس سالماً . وسار هذا الرجل من القدس سالماً ، فلمّا بلغ بُزاعة ، عند حلب ، أخذه الحراميّة ، فنجا من العطب ، وهلك عند ظنّه السلامة .

ذكر سير الأفضل والعادل إلى بلاد الجزيرة

قد تقدّم ذكر موت تقي الدين عمر ابن [أخي] صلاح الدين ، واستيلاء ولده ناصر الدين محمّد على بلاد الجزيرة ، فلمّا استولى عليها أرسل إلى صلاح

الدين يطلب تقريرها عليه ، مضافاً إلى ما كان لأبيه بالشام ، فلم ير صلاح الدين أنّ مثل تلك البلاد تُسلّم إلى صبيّ ، فما أجابه إلى ذلك ، فحدّث نفسه بالامتناع على صلاح الدين لاشتغاله بالفرنج ، فطلب الأفضل عليُّ بن صلاح الدين من أبيه أن يُقطعه ما كان لتقيّ الدين ، وينزل عن دمشق ، فأجابه إلى ذلك ، وأمره بالمسير إليها ؛ فسار إلى حلب في جماعة من العسكر ، وكتب صلاح الدين إلى أصحاب البلاد الشرقيّة ، مثل صاحب الموصل ، وصاحب سنجار ، وصاحب الجزيرة ، وصاحب ديار بكر ، وغيرها ، يأمرهم بإنفاذ العساكر إلى ولده الأفضل ؛

فلمّا رأى ولد تقيّ الدين ذلك علم أنّه لا قوّة له بهم ، فراسل الملكَ العادلَ [أبا بكر بن أيّوب] ، عمّ أبيه ، يسأله إصلاح حاله مع صلاح الدين . فأنهى ذلك إلى صلاح الدين ، وأصلح حاله ، وقرّر قاعدته بأن يقرّر له ما كان لأبيه بالشام ، وتؤخذ منه البلاد الجزريّة ، واستقرّت القاعدة على ذلك .

وأقطع صلاح الدين البلاد الجزريّة ، وهي حرّان ، والرُّها ، وسُمَيساط ، وميّافارقين ، وحاني العادل ، وسيّره إلى ابن تقيّ الدين ليتسلّم منه البلاد ، ويُسيّره إلى صلاح الدين ، ويُعيد الملك الأفضل أين أدركه ؛ فسار العادل ، فلحق الأفضل بحلب ، فأعاده إلى أبيه ، وعبر العادل الفرات[1] ، وتسلّم البلاد من ابن تقيّ الدين وجعل نوّابه فيها ، واستصحب ابن تقيّ الدين معه ، وعاد إلى صلاح الدين بالعساكر ، وكان عوده في جمادى الآخرة من هذه السنة .

ذكر عود الفرنج إلى عكّا

لمّا عاد الملك الأفضل فيمن معه ، وعاد الملك العادل وابن تقيّ الدين فيمن معهما من عساكرهما ، ولحقتْهم العساكر الشرقيّة ، عسكر الموصل

١. الفراة .

إينانج ومَن معه بالطاعة ، وساروا معه . فلمّا سمع السلطان طُغرُل بوصوله كانت عساكره متفرّقة ، فلم يقف ليجمعها ، بل سار إليه فيمن معه ، فقيل له : إنّ الذي تفعله[1] ليس برأي ، والمصلحة أن تجمع العساكر ؛ فلم يقبل ، وكان فيه شجاعة ، بل تمّم مسيره ، فالتقى العسكران بالقرب من الرّي ، فحمل طغرل بنفسه في وسط عسكر خوارزم شاه . فأحاطوا به وألقوه عن فرسه وقتلوه في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل ، وحُمل رأسه إلى خوارزم شاه ، فسيّره من يومه إلى بغداد فنُصب بها بباب النّوبيّ عدّة أيّام .

وسار خُوارزم شاه إلى هَمذان ، وملك تلك البلاد جميعها ، وكان الخليفة الناصر لدين الله قد سيّر عسكراً إلى نجدة خوارزم شاه ، وسيّر له الخِلع السلطانيّة مع وزيره مؤيّد الدين بن القصّاب ، فنزل على فرسخ من هَمذان ، فأرسل إليه خوارزم شاه يطلبه إليه ، فقال مؤيّد الدين : ينبغي أن تحضر أنت وتلبس الخِلعة من خيمتي ؛ وتردّدت الرسل بينهما في ذلك ، فقيل لخوارزم شاه : إنّها حيلة عليك حتّى تحضر عنده ويقبض عليك ؛ فرحل خوارزم شاه إليه قصداً لأخذه ، فاندفع من بين يديه والتجأ إلى بعض الجبال فامتنع به ، فرجع خوارزم شاه إلى هَمذان ، ولمّا ملك هَمذان وتلك البلاد سلّمها إلى قتلغ إينانج ، وأقطع كثيراً منها لمماليكه وجعل المقدّم عليهم مياجق ، وعاد إلى خوارزم .

ذكر مسير وزير الخليفة إلى خوزستان ومُلكها

في هذه السنة ، في شعبان ، خلع الخليفة الناصر لدين الله على النائب في الوزارة مؤيّد الدين أبي عبد الله محمّد بن عليّ المعروف بابن القصّاب ، خلِعَ

---

١ يفعله .

الوزارة ، وحُكّم في الولاية ، وبرز في رمضان ، وسار إلى بلاد خُوزستان ؛ [وسبب ذلك أنّه كان أولاً قد خدم في خوزستان] ووليَ الأعمال بها ، وصار له فيها أصحاب وأصدقاء ومعارف ، وعرف البلاد ومن أيّ وجه يمكن الدخول إليها والاستيلاء عليها ، فلمّا وليَ ببغداد نيابة الوزارة أشار على الخليفة بأن يرسله في عسكر إليها ليملكها له ، وكان عزمه أنّه إذا ملك البلاد واستقرّ فيها أقام مُظهراً للطاعة ، مستقلاً بالحكم فيها ، ليأمن على نفسه .

فاتّفق أنّ صاحبها ابن شملة توفّي ، واختلف أولاده بعده ، فراسل بعضهم مؤيّد الدين يستنجده لما بينهم من الصحبة القديمة ، فقوي الطمع في البلاد ، فجُهّزت العساكر وسُيّرت معه إلى خوزستان ، فوصلها سنة إحدى وتسعين [وخمسمائة] وجرى بينه وبين أصحاب البلاد مراسلات ومحاربة عجزوا عنها ، وملك مدينة تُستَر في المحرّم ، وملك غيرها من البلاد ، وملك القلاع منها : قلعة الناظر ، وقلعة كاكرد ، وقلعة لاموج ، وغيرها من الحصون والقلاع ، وأنفذ بني شملة أصحاب بلاد خُوزستان[1] إلى بغداد ، فوصلوا في ربيع الأوّل .

ذكر حصر العزيز مدينة دمشق

في هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، وهو صاحب مصر ، إلى مدينة دمشق ، فحصرها وبها أخوه الأكبر الملك الأفضل عليُّ بن صلاح الدين . وكنتُ حينئذ بدمشق ، فنزل بنواحي مَيدان الحصى ، فأرسل الأفضل إلى عمّه الملك العادل أبي بكر بن أيّوب ، وهو صاحب الديار الجزريّة ، يستنجده ، وكان الأفضل غاية الواثق به والمعتمد عليه ، وقد سبق ما يدلّ على

---

1) A. om. qui reliqua versus verba أصحاب البلاد إلى خوزستان .

ذلك ، فسار الملك العادل إلى دمشق هو والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين ، صاحب حلب ، وناصر الدين محمّد بن تقيّ الدين ، صاحب حماة ، وأسد الدين شيركوه بن محمّد بن شيركوه ، صاحب حمص ، وعسكر الموصل وغيرها ، كلّ هؤلاء اجتمعوا بدمشق ، واتفقوا على حفظها ، علماً منهم أنّ العزيز إن ملكها أخذ بلادهم .

فلمّا رأى العزيز اجتماعهم علم أنّه لا قدرة له على البلد . فتردّدت الرسل حينئذ في الصلح ، فاستقرّت القاعدة على أن يكون البيت المقدّس وما جاوره من أعمال فلسطين للعزيز ، وتبقى دمشق وطبَريّة وأعمالها والغَور للأفضل على ما كانت عليه ، وأن يعطي الأفضل أخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقيّة بالساحل الشامي ، وأن يكون للعادل بمصر إقطاعه الأوّل ، واتّفقوا على ذلك ، وعاد العزيز إلى مصر ، ورجع كلّ واحد من الملوك إلى بلده .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت زلزلة في ربيع الأوّل بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد ، سقطت منها الجبّانة التي عند مشهد أمير المؤمنين عليّ ، عليه السلام .

وفيها ، في جمادى الآخرة ، اجتمعت زعب وغيرها من العرب ، وقصدوا مدينة النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج إليهم هاشم بن قاسم ، أخو أمير المدينة ، فقاتلهم فقُتل هاشم ، وكان أمير المدينة قد توجّه إلى الشام ، فلهذا طمعت العرب فيه .

وفيها توفّي القاضي أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عبد الصمد الطَرَسُوسيّ الحلبيّ بها ، في شعبان ، وكان من عباد الله الصالحين ، رحمه الله تعالى .

٥٩١

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

ذكر مُلك وزير الخليفة هَمَذان وغيرها من بلاد العجم

قد ذكرنا مُلك مؤيّد الدين بن القصّاب بلاد خوزستان ، فلمّا ملكها سار منها إلى مَيسان [1] من أعمال خُوزستان ، فوصل إليه قتلغ إينانج بن البهلوان ، صاحب البلاد ، وقد تقدّم ذكر تغلّب خوارزم شاه عليها ، ومعه جماعة من الأمراء ، فأكرمه وزير الخليفة وأحسن إليه .

وكان سبب مجيئه أنّه جرى بينه وبين عسكر خوارزم شاه ومقدّمهم مَياجق مصافّ عند زَنْجان [2] ، واقتتلوا ، فانهزم قتلغ إينانج وعسكره ، وقصد عسكر الخليفة ملتجئاً إلى مؤيّد الدين الوزير ، فأعطاه الوزير الخيل والخيام وغير ذلك ممّا يحتاج إليه ، وخلع عليه وعلى مَن معه من الأمراء ، ورحلوا إلى كَرماشاهان .

ورحل منها إلى هَمذان ، وكان بها ولد خوارزم شاه ومياجق والعسكر الذي معهما ، فلمّا قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزميّون وتوجّهوا إلى الرّيّ ، واستولى الوزير على هَمَذان في شوّال من هذه السنة ، ثمّ رحل هو وقتلغ إينانج خلفهم ، فاستولوا على كلّ بلد جازوا به منها : خَرقان ، ومَزْدَغان ، وساوة ، وآوة [3] ، وساروا إلى الرّيّ ، ففارقها الخوارزميّون إلى خُوار الرّيّ ، فسيّر الوزير خلفهم عسكراً ، ففارقها الخوارزميّون إلى

1) C. P. Ups : دسار .
2) Cfr. J. As. 1847, I, 170. لجان .
3) A. وابة .

وأراد الأفضل مناجزتهم ، أو تركهم بها والرحيل إلى مصر ، فمنعه العادل من الأمرَيْن ، وقال : هذه عساكر الإسلام ، فإذا اقتتلوا في الحرب فمَن يردّ العدوّ الكافر ، وما بها حاجة إلى هذا ، فإنّ البلاد لك وبحكمك ، ومتى قصدتَ مصر والقاهرة وأخذتَهما قهراً زالت هيبة البلاد ، وطمع فيها الأعداء ، وليس فيها مَن يمنعك عنها .

وسلك معه أمثال هذا ، فطالت الأيّام ، وأرسل إلى العزيز سرّاً يأمره بإرسال القاضي الفاضل ، وكان مطاعاً عند البيت الصلاحيّ لعلوّ منزلته كانت عند صلاح الدين ، فحضر عندهما ، وأجرى ذكر الصلح ، وزاد القول ونقص ، وانفسخت العزائم واستقرّ الأمر على أن يكون للأفضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبريّة والأردن وجميع ما بيده ، ويكون للعادل إقطاعه الذي كان قديماً ، ويكون مقيماً بمصر عند العزيز ، وإنّما اختار ذلك لأنّ الأسديّة والأكراد لا يريدون العزيز ، فهم يجتمعون معه ، فلا يقدر العزيز على منعه عمّا يريد ، فلمّا استقرّ الأمر على ذلك وتعاهدوا عاد الأفضل إلى دمشق وبقي العادل بمصر عند العزيز .

ذكر عدّة حوادث[1]

في ذي القعدة ، التاسع عشر منه ، وقع حريق عظيم ببغداد بعقد المصطنع فاحترقت المربعة التي بين يديه ، ودكان ابن البخيل الهرّاس ، وقيل كان ابتداؤه[١] من دار ابن البخيل .

1) A. om. totum caput.

١ ابتداؤها .

٥٩٢

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة

ذكر مُلك شهاب الدين بهنكر[1] وغيرها من بلد الهند

في هذه السنة سار شهاب الدين الغوريّ ، صاحب غزنة ، إلى بلد الهند ، وحصر قلعة بهنكر[1] ، وهي قلعة عظيمة منيعة ، فحصرها ، فطلب أهلها منه الأمان على أن يسلّموا إليه ، فأمّنهم وتسلّمها ، وأقام عندها عشرة أيّام حتّى رتّب جندها وأحوالها وسار عنها إلى قلعة كوالير[2] ، وبينهما مسيرة خمسة أيّام ، وفي الطريق نهر كبير ، فجازه ، ووصل إلى كوالير[2] ، وهي قلعة منيعة حصينة على جبل عالٍ لا يصل إليها حجر منجنيق ، ولا نشاب ، وهي كبيرة ، فأقام عليها صفراً جميعه يحاصرها ، فلم يبلغ منها غرضاً ، فراسله مَن بها في الصلح ، فأجابهم إليه على أن يُقرّ القلعة بأيديهم على مال يحملونه إليه ، فحملوا إليه فيلاً حمله ذهب ، فرحل عنها إلى بلاد آي وسور[3] ، فأغار عليها ونهبها ، وسبى وأسر ما يعجز العادّ عن حصره ، ثمّ عاد إلى غزنة سالماً .

ذكر مُلك العادل مدينة دمشق من الأفضل

في هذه السنة ، في السابع والعشرين من رجب ، ملك الملك العادل أبو بكر ابن أيّوب مدينة دمشق من ابن أخيه الأفضل عليّ بن صلاح الدين .

1) C. P. نهنكر .
2) 740. C. P. et Ups : كواكير .
3) C. P. اصي وسور . 740 الصي وصور .

وفيها قُتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمّد بن ثابت الخُجَنديّ ، رئيس الشافعيّة بأصفهان ، قتله فلك الدين سنقر الطويل ، شحنة أصفهان بها[1] ، وكان قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، واستوطنها ، ووليَ النظر في المدرسة النظاميّة ببغداد ، ولمّا سار مؤيّد الدين بن القصّاب إلى خوزستان سار في صحبته ، فلمّا ملك الوزير أصفهان أقام ابن الخجنديّ بها في بيته وملكه ومنصبه ، فجرى بينه وبين سنقر الطويل شحنة أصفهان للخليفة منافرة فقتله سنقر .

وفي رمضان درّس مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك البغداديّ ، الفقيه الشافعيّ ، بالمدرسة النظاميّة ببغداد .

وفي شوّال منها استنيب نصير الدين ناصر بن مهدي العلويّ الرازيّ في الوزارة ببغداد ، وكان قد توجّه إلى بغداد لمّا ملك ابن القصّاب الرّيّ .

وفيها وليَ أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة ديوان الإنشاء ببغداد ، وكان كاتباً مُفلقاً ، وله شعر جيّد .

وفي صفر منها توفّي الفخر محمود بن عليّ التَّوقانيّ[2] الفقيه الشافعيّ بالكوفة ، عائداً من الحج ، وكان من أعيان أصحابه محمّد بن يحيى .

وفي رجب منها توفّي أبو الغنائم محمّد بن عليّ بن المعلّم الشاعر الهُرْثيّ ، والهُرْثُ بضمّ الهاء والثاء المثلثة قرية من أعمال واسط ، عن إحدى وتسعين سنة .

وفي رابع شعبان منها توفّي الوزير مؤيّد الدين أبو الفضل محمّد بن عليّ بن القصّاب بهمذان ، وقد ذكرنا من كفايته ونهضته ما فيه كفاية .

1) B. بها في جمادى .

2) A. محمد بن النوقاني . B. التوماني .

٥٩٣

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

ذكر إرسال الأمير أبي الهيجاء إلى هَمَذان وما فعله

في هذه السنة ، في صفر ، وصل إلى بغداد أمير كبير من أمراء مصر اسمه أبو الهيجاء ، ويُعرف بالسمين ، لأنّه كان كثير السمن ، وكان من أكابر أمراء مصر ، وكان في إقطاعه أخيراً البيت المقدّس وغيره ممّا يجاوره ، فلمّا ملك العزيز والعادل مدينة دمشق من الأفضل ، أخذ القدس منه ، ففارق الشام ، وعبر الفرات[1] إلى الموصل ، ثمّ انحدر إلى بغداد ، لأنّه طُلب من ديوان الخلافة ، فلمّا وصل إليها أُكرم إكراماً كثيراً ، ثمّ أُمر بالتجهيز والمسير إلى همذان مقدّماً على العساكر البغدادية ، فسار إليها والتقى عندها بالملك أوزبك بن البهلوان وأمير علم وابنه ، وابن سطمس وغيرهم ، وهم قد كاتبوا الخليفة بالطاعة ، فلمّا اجتمع بهم وثقوا به[2] ولم يحذروه ، فقبض على أوزبك وابن سطمس وابن قرا بموافقة من أمير علم ، فلمّا وصل الخبر بذلك إلى بغداد أنكرت هذه الحال على أبي الهيجاء ، وأُمر بالإفراج عن الجماعة وسُيّرت لهم الخِلَع من بغداد تطييباً لقلوبهم ، فلم يسكنوا بعد هذه الحادثة ولا أمنوا ، ففارقوا أبا الهيجاء السمين ، فخاف الديوان ، فلم يرجع إليه ، ولم يمكنه أيضاً المقام ، فعاد يريد إربل لأنّه من بلدها هو ، فتوفّي قبل وصوله إليها ، وهو من الأكراد الحكميّة من بلد إربل .

١ الفراة .

٢ إليه .

ذكر مُلك العادل يافا من الفرنج ومُلك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تِبنين ورحيلهم عنها

في هذه السنة ، في شوّال ، ملك العادل أبو بكر بن أيّوب مدينة يافا من الساحل الشامي ، وهي[1] بيد الفرنج ، لعنهم الله .

وسبب ذلك[2] أنّ الفرنج كان قد ملكهم الكند هري ، على ما ذكرناه قبلُ ، وكان الصلح قد استقرّ بين المسلمين والفرنج أيّام صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، رحمه الله تعالى ، فلمّا توفّي وملك أولاده بعده ، كما ذكرناه ، جدّد الملك العزيز الهدنة مع الكند هري [ملك الفرنج] وزاد في مدّة الهدنة ، وبقي ذلك إلى الآن .

وكان بمدينة بيروت أمير يُعرف بأسامة ، وهو مقطعها ، فكان يرسل الشواني تقطع الطريق على الفرنج ، فاشتكى[3] الفرنج من ذلك غير مرّة إلى الملك العادل بدمشق ، وإلى الملك العزيز بمصر ، فلم يمنعا أسامة من ذلك ، فأرسلوا إلى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون إليهم ما يفعل بهم المسلمون ، ويقولون : إن لم تنجدونا ، وإلاّ أخذ المسلمون البلاد ؛ فأمدّهم الفرنج بالعساكر الكثيرة ، وكان أكثرهم من ملك الألمان . وكان المقدّم عليهم قسّيس يُعرف بالخنصلير ، فلمّا سمع العادل بذلك أرسل إلى العزيز بمصر يطلب العساكر ، وأرسل إلى ديار الجزيرة والموصل يطلب العساكر ، فجاءته الأمداد[4] واجتمعوا على عين

١ هو .
٢ ذلد .
٣ فاشتكا .
٤ الأمراء .

الجالوت ، فأقاموا شهر رمضان وبعض شوّال ، ورحلوا إلى يافا ، وملكوا المدينة ، وامتنع مَن بها بالقلعة التي لها ، فخرّب المسلمون المدينة ، وحصروا القلعة ، فملكوها عنوةً وقهراً بالسيف في يومها ، وهو يوم الجمعة ، وأُخذ كلّ ما بها غنيمة وأسراً وسبياً ، ووصل الفرنج من عكّا إلى قيساريّة ليمنعوا المسلمين عن يافا[1] ، فوصلهم الخبر بها بملكها فعادوا .

وكان سبب تأخّرهم أنّ ملكهم الكند هري سقط من موضع عالٍ بعكّا فمات ، فاختلّت[1] أحوالهم فتأخّروا لذلك .

وعاد المسلمون إلى عين الجالوت ، فوصلهم الخبر بأنّ الفرنج على عزم قصد بيروت ، فرحل العادل والعسكر في ذي القعدة إلى مرج العيون ، وعزم على تخريب بيروت ، فسار إليها جمع من العسكر ، وهدموا سور المدينة سابع ذي الحجّة ، وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة ، فمنعهم أسامة من ذلك ، وتكفّل بحفظها .

ورحل الفرنج من عكّا إلى صيدا ، وعاد عسكر المسلمين من بيروت ، فالتقوا الفرنج بنواحي صيدا ، وجرى بينهم مناوشة ، فقُتل من الفريقَيْن جماعة ، وحجز بينهم الليل ، وسار الفرنج تاسع ذي الحجّة ، فوصلوا إلى بيروت ، فلمّا قاربوها هرب منها أسامة وجميع مَن معه من المسلمين ، فملكوها صفواً عفواً بغير حرب ولا قتال ، فكانت غنيمة باردة ؛ فأرسل العادل إلى صيدا مَن خرّب ما كان بقي منها ، فإنّ صلاح الدين كان قد خرّب أكثرها ، وسارت العساكر الإسلاميّة إلى صور ، فقطعوا أشجارها ، وخرّبوا ما لها من قُرًى وأبراج ، فلمّا سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت إلى صور ، وأقاموا عليها .

1) A. عن عكا . B. عنها .

١ فاختلفت .

الصوم . يصوم من كلّ سنة نحو سبعة أشهر . وله أوراد كثيرة حسنة كلّ ليلة . ويُكثِر الصدقة . وكان له فراسة حسنة فيمن يستحقّ الصدقة ويعرف الفقراء المستحقّين ويبرّهم . وبنى عدّة جوامع منها الجامع الذي بظاهر الموصل بباب الجسر . وبنى الرُّبط والمدارس والخانات في الطرق . وله من المعروف شيء كثير . رحمه الله . فلقد كان من محاسن الدنيا .

وفيها فارق غياث الدين ، صاحب غزنة وبعض خراسان . مذهب الكراميّة . وصار شافعيّ المذهب ، وكان سبب ذلك أنّه كان عنده[1] إنسان يُعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسيّة . متفنّناً في كثير من العلوم ، فأوصل إلى غياث الدين الشيخ وحيد الدين أبا الفتح محمّد بن محمود المَرْوَرُوذيّ الفقيه الشافعيّ ، فأوضح له مذهب الشافعيّ ، وبيّن له فساد مذهب الكراميّة ، فصار شافعيّاً ، وبنى المدارس للشافعيّة . وبنى بغزنة مسجداً لهم أيضاً . وأكثر مراعاتهم ، فسعى الكراميّة في أذى وحيد الدين فلم يقدّرهم الله تعالى على ذلك .

وقيل إنّ غياث الدين وأخاه شهاب الدين لمّا ملكا في خراسان قيل لهما : إنّ الناس في جميع البلاد يُزرون على الكراميّة ويحتقرونهم . والرأي أن تفارقوا مذاهبهم ، فصارا شافعيّين ؛ وقيل : إنّ شهاب الدين كان حنفيّاً . والله أعلم .

وفي هذه السنة توفّي أبو القاسم يحيى بن عليّ بن فضلان الفقيه الشافعيّ ، وكان إماماً فاضلاً ، ودرّس ببغداد[1] ، وكان من أعيان أصحاب [محمّد بن يحيى][2] نجى[3] النّيسابوريّ .

1) A. om. reliqua capitis verba. ببغداد وتخرج عليه جماعة من العلماء .

2) 740. 3) B. om. نجى .

١ عبده .

٥٩٦

ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة

ذكر مُلك العادل الديار المصريّة

قد ذكرنا سنة خمس وتسعين [وخمسمائة] حصر الأفضل والظاهر ولدي صلاح الدين دمشق ، ورحيلهما إلى رأس الماء ، على عزم المقام بحَوران إلى أن يخرج الشتاء . فلمّا أقاموا برأس الماء وجد العسكر برداً شديداً ، لأنّ البرد في ذلك المكان في الصيف موجود . فكيف في الشتاء ، فتغيّر العزم عن المقام ، واتّفقوا على أن يعود كلّ إنسان منهم إلى بلده ، ويعودوا إلى الاجتماع ، فتفرّقوا تاسع ربيع الأوّل . فعاد الظاهر وصاحب حمص إلى بلادهما . وسار الأفضل إلى مصر . فوصل بِلبيس ، فأقام بها ، ووصلته الأخبار بأنّ عمّه الملك العادل قد سار من دمشق قاصداً مصر ومعه المماليك الناصريّة ، وقد حلّفوه على أن يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد ، وهو المدبّر للملك ، إلى أن يكبر ، فساروا على هذا .

وكان عسكره بمصر قد تفرّق عن الأفضل من الحشيّ ، فسار كلّ منهم إلى إقطاعه ليربعوا دوابّهم ، فرام الأفضل جمعهم من أطراف البلاد ، فأعجله الأمر عن ذلك ، ولم يجتمع منهم إلاّ طائفة يسيرة ممّن قرب إقطاعه ، ووصل العادل ، فأشار بعض الناس على الأفضل أن يخرّب سور بِلبيس ويقيم بالقاهرة ، وأشار غيرهم بالتقدّم إلى أطراف البلاد . ففعل ذلك ، فسار عن بِلبيس ، ونزل موضعاً يقال له السائح إلى طرف البلاد ، ولقاء العادل قبل دخول البلاد سابع ربيع الآخر ، فانهزم الأفضل ، ودخل القاهرة ليلاً .

وفي تلك الليلة توفّي القاضي الفاضل عبد الرحيم بن عليّ البيسانيّ كاتب الإنشاء لصلاح الدين ووزيره . فحضر الأفضل الصلاة عليه . وسار العادل فنزل على القاهرة وحصرها . فجمع الأفضل مَن عنده من الأمراء واستشارهم ، فرأى منهم تخاذلاً ، فأرسل رسولاً إلى عمّه في الصلح وتسليم البلاد إليه ، وأخذ العوض عنها . وطلب دمشق . فلم يجبه العادل . فنزل عنها [إلى] حرّان والرُّها فلم يجبه . فنزل إلى ميّافارقين وحاني وجبل جُور . فأجابه إلى ذلك ، وتحالفوا عليه ، وخرج الأفضل من مصر ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر ، واجتمع بالعادل . وسار إلى صَرْخَد . ودخل العادل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر .

ولمّا وصل الأفضل إلى صَرْخَد أرسل مَن تسلّم ميّافارقين وحاني وجبل جُور . فامتنع نجم الدين أيّوب ابن الملك العادل من تسليم ميّافارقين . وسلّم ما عداها . فتردّدت الرسل بين الأفضل والعادل في ذلك . والعادل يزعم أن ابنه عصاه . فأمسك عن المراسلة في ذلك لعلمه أنّ هذا فعل بأمر العادل .

ولمّا ثبتت قدم العادل بمصر قطع خطبة الملك المنصور ابن الملك العزيز في شوّال من السنة . وخطب لنفسه . وحاقق الجند في إقطاعاتهم ، واعترضهم في أصحابهم ومَن عليهم من العسكر المقرّر . فتغيّرت لذلك نيّاتهم ، فكان ما نذكره سنة سبع وتسعين [وخمسمائة] إن شاء الله .

ذكر وفاة خوارزم شاه

في هذه السنة ، في العشرين من رمضان ، توفّي خوارزم شاه تكش بن ألب أرسلان ، صاحب خوارزم وبعض خراسان والرّيّ وغيرها من البلاد

الجباليّة ، بشَهْرَسْتَانة بين نَيسابور وخُوارزم . وكان قد سار من خوارزم إلى خراسان ، وكان به خوانيق ، فأشار عليه الأطبّاء بترك الحركة ، فامتنع ، وسار ، فلمّا قارب شَهْرَسْتَانة اشتدّ مرضه ومات ، ولمّا اشتدّ مرضه أرسلوا إلى ابنه قطب الدين محمّد يستدعونه . ويعرّفونه شدّة مرض أبيه ، فسار إليهم وقد مات أبوه ، فوليَ المُلك بعده ، ولُقّب علاء الدين ، لقب أبيه ، وكان لقبه قطب الدين ، وأمر فحُمل أبوه ودُفن بخوارزم في تربة عملها في مدرسة بناها كبيرة عظيمة[1] ؛ وكان عادلاً حسن السيرة ، له معرفة حسنة وعلم يعرف الفقه على مذهب أبي حنيفة ، ويعرف الأصول .

وكان ولده عليّ شاه بأصفهان ، فأرسل إليه أخوه خوارزم شاه محمّد يستدعيه ، فسار إليه . فنهب أهل أصفهان خزانته ورحله ، فلمّا وصل إلى أخيه ولاّه حرب أهل خراسان . والتقدّم على جندها ، وسلّم إليه نَيسابور ، وكان هندوخان [بن] ملكشاه بن خوارزم شاه تكش يخاف عمّه محمّداً ، فهرب منه . ونهب كثيراً من خزائن جدّه تكش لمّا مات ، وكان معه ، وسار إلى مرو .

ولمّا سمع غياث الدين ملك غزنة بوفاة خوارزم شاه أمرأن لا تُضرب نوبته ثلاثة أيّام ، وجلس للعزاء على ما بينهما من العداوة والمحاربة ؛ فعل ذلك عقلاً منه ومروءة ؛ ثمّ إنّ هندوخان جمع جمعاً كثيراً بخراسان ، فسيّر إليه عمّه خوارزم شاه محمّد جيشاً مقدّمهم جقر التركيّ ، فلمّا سمع هندوخان بمسيرهم هرب عن خراسان وسار إلى غياث الدين يستنجده على عمّه ، فأكرم لقاءه وإنزاله . وأقطعه . ووعده النصرة ، فأقام عنده . ودخل جقر مدينة مرو ، وبها والدة هندوخان وأولاده ، فاستظهر عليهم ، وأعلم صاحبه ، فأمره بإرسالهم إلى خوارزم مكرمين ، فلمّا سمع غياث الدين ذلك أرسل إلى محمّد بن جربك ،

1) A. om. في تربة . . . عظيمة.

ذكر مُلك غياث الدين وأخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان

قد ذكرنا مسير محمّد بن خرميل [1] من الطالقان . واستيلاءه على مَرْو الرُّوذ وسُؤال جَقَر التركيّ نائب علاء الدين محمّد خوارزم شاه بمَرْوَ أن يكون في جملة عسكر غياث الدين . ولمّا وصل كتاب ابن خرميل [1] إلى غياث الدين في معنى جقر . علم أنّ هذا إنّما دعاه إلى الانتماء إليهم ضعف صاحبه . فأرسل إلى أخيه شهاب الدين يستدعيه إلى خراسان . فسار من غزنة في عساكره وجنوده وعدّته وما يحتاج إليه .

وكان بهراة الأمير عمر بن محمّد المرغنيّ [2] نائباً عن غياث الدين . وكان يكره خروج غياث الدين إلى خراسان . فأحضره غياث الدين واستشاره ، فأشار بالكفّ عن قصدها . وترك المسير [3] إليها . فأنكر عليه ذلك . وأراد إبعاده[١] عنه . ثمّ تركه . ووصل شهاب الدين في عساكره وعساكر سجستان وغيرها في جمادى الأولى من هذه السنة . فلمّا وصلوا إلى مَيْمنة [4] . وهي قرية بين الطالقان وكُرزُبان . وصل إلى شهاب الدين كتاب جقر مستحفظ مَرْوَ ، يطلبه ليسلّمها إليه . فاستأذن أخاه غياث الدين . فأذن له . فسار إليها ، فخرج أهلها مع العسكر الخوارزميّ وقاتلوه . فأمر أصحابه بالحملة عليهم والجدّ في قتالهم . فحملوا عليهم . فأدخلوهم البلد . وزحفوا بالفيَلة إلى أن قاربوا السور ، فطلب أهل البلد الأمان . فأمّنهم وكفّ الناس عن التعرض إليهم . وخرج جقر إلى شهاب الدين فوعده الجميل .

1) A. حرميل . — 2) B. المرعي . — 3) A. عن قصدها والمسير .
4) A. إلى ميهنه .

١ إيعاده .

ثمّ حضر غياث الدين إلى مرو بعد فتحها ، فأخذ جقر وسيّره إلى هراة مكرماً . وسلّم مرو إلى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش ، وقد ذكرنا هربه من عمّه خوارزم شاه محمّد بن تكش إلى غياث الدين ، ووصّاه بالإحسان إلى أهلها .

ثمّ سار غياث الدين إلى مدينة سَرْخَس ، فأخذها صلحاً ، وسلّمها إلى الأمير زنكي بن مسعود ، وهو من أولاد عمّه . وأقطعه معها نَسَا وأبِيوَرد ؛ ثمّ سار بالعساكر إلى طوس ، فأراد الأمير الذي بها أن يمتنع فيها ولا يسلّمها ، فأغلق باب البلد ثلاثة أيّام . فبلغ الخبز ثلاثة أمناء[١] بدينار ركنيّ . فضجّ أهل البلد عليه ، فأرسل إلى غياث الدين يطلب الأمان . فأمّنه . فخرج إليه . فخلع عليه وسيّره إلى هراة ؛ ولمّا ملكها أرسل إلى عليّ شاه بن خوارزم شاه تكش ، وهو نائب أخيه علاء الدين محمّد بنَيسابور . يأمره بمفارقة البلد . ويحذره إن أقام سطوة أخيه شهاب الدين . وكان مع عليّ شاه عسكر من خوارزم شاه . فاتّفقوا على الامتناع من تسليم البلد ، وحصّنوه . وخرّبوا ما بظاهره من العمارة ، وقطعوا الأشجار . وسار غياث الدين إلى نيسابور . فوصل إليها أوائل رجب ، وتقدّم عسكر أخيه شهاب الدين إلى القتال . فلمّا رأى غياث الدين ذلك قال لولده محمود : قد سبَقَنا عسكر غزنة بفتح مرو ، وهم يريدون أن يفتحوا نَيسابور ، فيحصلون بالاسم . فاحمل إلى البلد . ولا ترجع حتّى تصل إلى السور . فحمل ، وحمل معه وجوه الغوريّة ، فلم يردّهم أحد من السور ، حتّى أصعدوا علَم غياث الدين إليه ؛ فلمّا رأى شهاب الدين علَم أخيه على السور قال لأصحابه : اقصدوا بنا هذه الناحية . واصعدوا السور من هاهنا ؛ وأشار إلى مكان فيه ، فسقط السور منهدماً ، فضجّ الناس بالتكبير ، وذهل الخوارزميّون وأهل البلد . ودخل الغوريّة البلد ، وملكوه عنوةً ، ونهبوه

١ أمنا .

جميعهم ، فأتى الخبر ابن سيف الإسلام في باقي الليلة بذلك . فسار إليهم مجدّاً فأوقع بالعسكر المجتمع . فلم يثبتوا له ، وانهزموا بين يديه . ووضع السيف فيهم . فقُتل منهم[1] ستة آلاف قتيل أو أكثر من ذلك وثبت مُلكه واستقرّ بتلك الأرض .

وفيها وقع في بني عنزة بأرض الشراة . بين الحجاز واليمن . وباء عظيم. وكانوا يسكنون في عشرين قرية . فوقع الوباء في ثماني عشرة قرية . فلم يبق منهم أحد . وكان الإنسان إذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها ، فتحاماها الناس . وبقيت إبلهم وأغنامهم لا مانع لها ، وأمّا القريتان الأخريان[١] فلم يمت فيهما[٢] أحد ، ولا أحسّوا بشيء ممّا كان فيه أولئك .

1) B. منهم أكثر من .

١ الأخريتان .
٢ فيها .

٥٩٨

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

ذكر مُلك خوارزم شاه ما كان أخذه الغوريّة من بلاده

قد ذكرنا في سنة سبع وتسعين [وخمسمائة] مُلك غياث الدين وأخيه شهاب الدين ما كان لخوارزم شاه محمّد بن تكش بخراسان ومرو ونيسابور وغيرها[١] ، وعودهما عنها بعد أن أقطعا البلاد ، ومسير شهاب الدين إلى الهند ؛ فلمّا اتّصل بخوارزم شاه علاء الدين محمّد بن تكش عود العساكر الغوريّة عن خراسان ، ودخول شهاب الدين الهند ، أرسل إلى غياث الدين يُعاتبه ، ويقول : كنتُ أعتقد أن تخلف عليّ بعد أبي ، وأن تنصرني على الخطا ، وتردّهم عن بلادي ، فحيث لم تفعل فلا أقلّ من أن لا تؤذيني وتأخذ بلادي ، والذي أريده أن تعيد ما أخذتَه منّي إليّ ، وإلاّ استنصرتُ عليك بالخطا وغيرهم من الأتراك ، إن عجزت عن أخذ بلادي ، فإنّني إنّما شغلني عن منعكم عنها الاشتغال بعزاء والدي وتقرير أمر بلادي ، وإلاّ فما أنا عاجز عنكم وعن أخذ بلادكم بخراسان وغيرها ؛ فغالطه غياث الدين في الجواب لتمتدّ الأيّام بالمراسلات ، ويخرج أخوه شهاب الدين من الهند بالعساكر ، فإنّ غياث الدين كان عاجزاً باستيلاء النّقرس[٢] عليه .

فلمّا وقف خوارزم شاه على رسالة غياث الدين أرسل إلى علاء الدين الغوريّ ،

١ وغيرهما .
٢ النفرس .

دُوين . سار منهم جماعة يستغيثون . فلم يُغثهم وخوّنه جماعة من أمرائه عاقبة إهماله وتوانيه وإصراره على ما هو فيه فلم يصغ إليهم . فلمّا طال الأمر على أهلها ضعفوا . وعجزوا . وأخذهم الكُرج عنوةً بالسيف . وفعلوا ما ذكرنا .

ثمّ إنّ الكُرج بعد أن استقرّ أمرهم بها أحسنوا إلى مَن بقي من أهلها . فالله تعالى ينظر إلى المسلمين . ويسهّل لثغورهم مَن يحفظها ويحميها . فإنّها مستباحة . لا سيّما هذه الناحية . فإنّا لله وإنّا إليه راجعون . فلقد بلغنا من فعل الكُرج بأهل دُوين من القتل والسبي والأمر ما تقشعرّ منه الجلود .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أحضر الملك العادل محمّداً ولد العزيز صاحب مصر إلى الرُّها . وسبب ذلك أنّه لمّا قطع خُطبته من مصر سنة ستّ وتسعين [وخمسمائة] . كما ذكرناه . خاف شيعة أبيه أن يجتمعوا عليه . ويصير له معهم فتنة . فأخرجه سنة ثمان وتسعين إلى دمشق . ثمّ نقله هذه السنة إلى الرُّها . فأقام بها ومعه جميع إخوته وأخواته ووالدته ومَن يخصّه .

وفيها . في رجب . توفّي الشيخ وجيه الدين محمّد بن محمود المَرْوَرُوذيّ . الفقيه الشافعيّ . وهذا الذي كان السبب في أن صار وحيد الدين شافعيّاً .

وفي ربيع الأوّل منها توفّي أبو الفتوح عبيد الله بن أبي المعمّر الفقيه الشافعيّ المعروف بالمُستَمْلي ببغداد . وله خطّ حسن .

وفي ربيع الآخر توفّيت زمرّد خاتون أمّ الخليفة الناصر لدين الله . وأُخرجت جنازتها ظاهرة . وصلّى الخلق الكثير عليها . ودُفنت في التربة التي بنتها لنفسها . وكانت كثيرة المعروف .

٦٠٠

ثم دخلت سنة ستمائة

ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية

في هذه السنة . أوّل رجب . وصل خوارزم شاه محمّد إلى مدينة هراة . فحصرها . وبها ألب غازي ابن أخت شهاب الدين الغوريّ ملك غزنة ؛ بعد مراسلات جرت بينه وبين شهاب الدين في الصلح . فلم يتمّ . وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة إلى لَهاوور عازماً على غزو الهند ؛ فأقام خوارزم شاه على حصار هراة إلى سَلخ شعبان .

وكان القتال دائماً . والقتل بين الفريقَيْن كثيراً . وممّن قُتل رئيس خراسان . وكان كبير القدر يقيم بمشهد طوس ؛ وكان الحسين بن خرميل بكُرزُبان . وهي إقطاعه . فأرسل إلى خوارزم شاه يقول له : أرسل إليّ عسكراً لنُسلم إليهم الفيَلة وخزانة شهاب الدين ؛ فأرسل إليه ألف فارس من أعيان عسكره إلى كُرزُبان . فخرج عليه هو والحسين بن محمّد المرغنيّ . فقتلوهم إلاّ القليل . فبلغ الخبر إلى خوارزم شاه . فسُقط في يده وندم على إنفاذ العسكر . وأرسل إلى ألب غازي يطلب منه أن يخرج إليه من البلد ويخدمه خدمة سلطانيّة ليرحل عنه . فلم يجبه إلى ذلك . فاتّفق أن ألب غازي مرض واشتدّ مرضه . فخاف أن يشتغل بمرضه فيملك خوارزم شاه البلد . فأجاب إلى ما طلب منه . واستحلفه على الصلح . وأهدى له هديّة جليلة . وخرج من البلد ليخدمه . فسقط إلى الأرض ميتاً . ولم يشعر أحدٌ بذلك . وارتحل خوارزم شاه عن البلد وأحرق المجانيق وسار إلى سَرخَس فأقام بها .

عسكر . وكانت الخزانة التي في صحبته ألفيْ حمل ومائتيْ حمل ؛ وشغَب غلمان الأتراك الصغار لينهبوا المال . فمنعهم الوزير والأمراء الكبار من المماليك ، وهو صونج صهر الدز وغيره . وأمروا كلّ مَن له إقطاعٌ عند قطب الدين أيبك مملوك شهاب الدين ببلاد الهند بالعود إليه . وفرّقوا فيهم أموالاً كثيرة فعادوا .

وسار الوزير ومعه مَن له إقطاعٌ وأهلٌ بغَزْنَة ، وعلموا أنّه يكون بين غياث الدين محمود بن غياث الدين أخي شهاب الدين الأكبر ، وبين بهاء الدين صاحب باميان ، وهو ابن أخت شهاب الدين ، حروب شديدة ، وكان ميل الوزير والأتراك وغيرهم إلى غياث الدين محمود ، وكان الأمراء الغُوريّة يميلون إلى بهاء الدين سام ، صاحب باميان ، فأرسل كلّ طائفة إلى من يميلون إليه يعرّفونه قتل شهاب الدين وجليّة الأمور ، وجاء بعض المفسدين من أهل غَزْنَة ، فقال للمماليك : إنّ فخر الدين الرازيّ قتل مولاكم لأنّه هو أوصل من قتله ، بوضع من خوارزم شاه ، فثاروا به ليقتلوه ، فهرب ، وقصد مؤيّد الملك الوزير ، فأعلمه الحال فسيّره سرّاً إلى مأمنه .

ولمّا وصل العسكر والوزير إلى فَرشابور اختلفوا ، فالغُوريّة يقولون نسير إلى غَزْنَة على طريق مكرهان ، وكان غرضهم أن يقربوا من باميان ليخرج صاحبها بهاء الدين سام فيملك الخزانة ، وقال الأتراك بل نسير على طريق سوران ، وكان مقصودهم أن يكونوا قريباً من تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين ، وهو صاحب كَرمان ، مدينة بين غَزْنَة ولَهَاوُور ، وليست بكَرمان التي تجاور بلاد فارس ، ليحفظ الدز الخزانة ، ويرسلوا من كَرمان إلى غياث الدين يستدعونه إلى غزنة ويملّكونه .

وكثر بينهم الاختلاف ، حتّى كادوا يقتتلون[1] ، فتوصّل مؤيّد الملك مع

1 يختلفون .

الغُوريّة حتّى أذنوا له وللأتراك بأخذ الخزانة والمحفّة التي فيها شهاب الدين والمسير على كَرمان ، وساروا هم على طريق مكرهان ؛ ولقي الوزير ومَن معه مشقّة عظيمة ، وخرج عليهم الأمم الذين في تلك الجبال التيراهيّة وأوغان وغيرهم ، فنالوا من أطراف العسكر إلى أن وصلوا إلى كَرمان ، فخرج إليهم تاج الدين الدز يستقبلهم ، فلمّا عاين المحفّة ، وفيها شهاب الدين ميّتاً ، نزل وقبّل الأرض على عادته في حياة شهاب الدين ، وكشف عنه ، فلمّا رآه ميّتاً مزّق ثيابه وصاح وبكى فأبكى الناس ، وكان يوماً مشهوداً .

ذكر ما فعله الدُز

كان الدز من أوّل مماليك شهاب الدين وأكبرهم وأقدمهم ، وأكبرهم محلاً عنده ، بحيث إنّ أهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه في أشغالهم ؛ فلمّا قُتل صاحبه طمع أن يملك غَزْنَة ، فأوّل ما عمل أنّه سأل الوزير مؤيّد الملك عن الأموال والسلاح والدوابّ ، فأخبره بما خرج من ذلك وبالباقي معه ، فأنكر الحال ، وأساء أدبه في الجواب ، وقال : إنّ الغُوريّة قد كاتبوا بهاء الدين سام صاحب باميان ليُملّكوه غزنة ، وقد كتب إليّ غياث الدين محمود ، وهو مولاي ، يأمرني أنّني لا أترك أحداً يقرب من غَزْنَة ، وقد جعلني نائبه فيها وفي سائر الولاية المجاورة لها لأنّه مشتغلٌ بأمر خُراسان .

وقال للوزير : إنّه قد أمرني أيضاً أن أتسلّم الخزانة منك ؛ فلم يقدر على الامتناع لميل الأتراك إليه ، فسلّمها إليه ، وسار بالمحفّة والمماليك والوزير إلى غزنة ، فدُفن شهاب الدين في التربة بالمدرسة التي أنشأها ودفن ابنته فيها ، وكان وصوله إليها في الثاني والعشرين من شعبان من السنة .

غَزنة في عساكره ، ومعه ولداه علاء الدين محمّد وجلال الدين ، فلمّا سار عن باميان مرحلتَيْن وجد صُداعاً . فنزل يستريح ، ينتظر خفّته عنه ، فازداد الصداع . وعظم الأمر عليه . فأيقن بالموت . فأحضر ولدَيْه ، وعهد إلى علاء الدين . وأمرهما بقصد غَزنة . وحفظ مشايخ الغُوريّة ، وضبط الملك ، وبالرفق بالرعايا ، وبذل الأموال . وأمرهما أن يصالحا غياث الدين على أن يكون له خُراسان وبلاد الغور . ويكون لهما غَزْنَة وبلاد الهند .

ذكر مُلك علاء الدين غَزْنَة وأخذها منه

لمّا فرغ بهاء الدين من وصيّته توفّي ، فسار[1] ولداه إلى غَزْنَة ، فخرج أمراء الغُوريّة وأهل البلد فلقوهما ، وخرج الأتراك معهم على كرهٍ منهم ، ودخلوا البلد وملكوه ، ونزل علاء الدين وجلال الدين دار السلطنة مستهلّ رمضان ، وكانوا قد وصلوا في ضرّ وقلّة من العسكر ، وأراد الأتراك منعهم ، فنهاهم مؤيّد المُلك وزير شهاب الدين لقلّتهم ، ولاشتغال غياث الدين بابن خرميل ، والي هراة ، على ما نذكره ، فلم يرجعوا عن ذلك .

ولمّا استقرّا بالقلعة ، ونزلا بدار السلطانيّة ، راسلهما الأتراك بأن يخرجا من الدار وإلاّ قاتلوهما ، ففرّقا فيهم أموالاً كثيرة ، واستحلفاهم فحلفوا ، واستثنوا غياث الدين محموداً[2] ، وأنفذا خِلعاً إلى تاج الدين الدُز ، وهو بإقطاعه ، مع رسول ، وطلباه إلى طاعتهما ، ووعداه بالأموال والزيادة في الإقطاع ، وإمارة الجيش ، والحكم في جميع الممالك ؛ فأتاه الرسول فلقيه وقد سار عن

١ فسارا .
٢ محمود .

كَرمان في جيش كثير من الترك والخَلَج والغُزّ وغيرهم يريد غَزْنَة ، فأبلغه الرسالة ، فلم يلتفت إليه ، وقال له : قل لهما أن يعودا إلى باميان ، وفيها كفاية ، فإني قد أمرني مولاي غياث الدين أن أسير إلى غَزْنَة وأمنعهما عنها ، فإن عادا إلى بلدهما ، وإلاّ فعلتُ بهما وبمن معهما ما يكرهون .

وردّ ما معهما من الهدايا والخِلع ، ولم يكن قصد الدُز بهذا حفظ بيت صاحبه ، وإنّما أراد أن يجعل هذا طريقاً إلى مُلك غزنة لنفسه .

فعاد الرسول وأبلغ علاء الدين رسالة الدُز ، فأرسل وزيره ، وكان قبله وزير أبيه ، إلى باميان وبلخ وتِرمذ وغيرها من بلادهم ، ليجمع العساكر ويعود إليه ، فأرسل الدُز إلى الأتراك الذين بغَزنة يعرّفهم أنّ غياث الدين أمره أن يقصد غَزْنَة ويُخرج علاء الدين وأخاه منها ، فحضروا عند ابن وزير علاء الدين ، وطلبوا منه سلاحاً ، ففتح خزانة السلاح ، وهرب ابن الوزير إلى علاء الدين وقال له : قد كان كذا وكذا ؛ فلم يقدر [أن] يفعل شيئاً .

وسمع مؤيّد الملك ، وزير شهاب الدين ، فركب وأنكر على الخازن تسليم المفاتيح ، وأمره فاستردّ[1] ما نهبه الترك جميعه ، لأنّه كان مطاعاً فيهم .

ووصل الدُز إلى غَزْنَة ، فأخرج إليه علاء الدين جماعة من الغُوريّة ومن الأتراك ، وفيهم صونج صهر الدُز ، فأشار عليه أصحابه أن لا يفعل ، وينتظر العسكر مع وزيره ، فلم يقبل منهم ، وسيّر العساكر ، فالتقوا خامس رمضان ، فلمّا لقوه خدمه الأتراك وعادوا معه على عسكر علاء الدين فقاتلوهم فهزموهم وأسروا مقدّمهم ، وهو محمّد بن عليّ بن حردون[1] ، ودخل عسكر الدُز المدينة فنهبوا بيوت الغُوريّة والبامانيّة ، وحصر الدُز القلعة ، فخرج جلال الدين منها

1) A. خررون .

١ واستردّ .

فأنفوا من خدمة الدُز ، وطلبوا منه أن يقصد خدمة غياث الدين ، فأذن لهم وفارقه كثير من أصحابه إلى غياث الدين وإلى علاء الدين وأخيه صاحبَيْ باميان ، وأرسل غياث الدين إلى الدُز يشكره ، ويثني عليه لإخراج أولاد بهاء الدين من غَزْنَة ، وسيّر له الخِلع ، وطلب منه الخطبة والسكّة ، فلم يفعل ، وأعاد الجواب فغالطه ، وطلب منه أن يخاطبه بالملك ، وأن يعتقه من الرقّ لأنّ غياث الدين ابن أخي سيده لا وارث له سواه ، وأن يزوّج ابنه بابنة الدُز ، فلم يجبه إلى ذلك .

واتّفق أنّ جماعة من الغُوريّين ، من عسكر صاحب باميان ، أغاروا على أعمال كَرمان وسوران ، وهي أقطاع الدُز القديمة ، فغنموا ، وقتلوا ، فأرسل صهره صونج في عسكر ، فلقوا عسكر الباميان فظفر بهم ، وقتل منهم كثيراً ، وأنفذ رؤوسهم إلى غَزْنَة فنُصبت بها .

وأجرى الدُز في غزنة رسوم شهاب الدين ، وفرّق في أهلها أموالاً جليلة المقدار ، وألزم مؤيّد الملك أن يكون وزيراً له ، فامتنع من ذلك ، فألحّ عليه فأجابه على كُرْهٍ منه ، فدخل على مؤيّد الملك صديقٌ له يهنّئه ، فقال : بماذا تهنّئني ؟ من بعد ركوب الجواد بالحِمار ؟ وأنشد :

ومَن ركبَ الثورَ بعدَ الجَوا دِ أنكرَ إطلاقَه والغَبَبْ

بينا الدُز يأتي إلى بابي ألف مرّة حتّى آذن له في الدخول أُصبح على بابه ! ولولا حفظ النفس مع هؤلاء الأتراك لكان لي حكمٌ آخر .

ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمّه

وأمّا غياث الدين محمود بن غياث الدين فإنّه كان في إقطاعه ، وهو بُست وأسفزار ، لمّا قُتل عمّه شهاب الدين ، وكان الملك علاء الدين بن محمّد بن

أبي عليّ قد ولاّه شهاب الدين بلاد الغُور وغيرها من أرض الراون [1] ، فلمّا بلغه قتله سار إلى فيروزكوه خوفاً أن يسبقه إليها غياث الدين فيملك البلد ويأخذ الخزائن التي بها .

وكان علاء الدين حسنَ السيرةِ من أكابر بيوت الغُوريّة ، إلاّ أنّ الناس كرهوه لميلهم إلى غياث الدين ، وأنف الأمراء من خدمته مع وجود ولد غياث الدين سلطانهم ، ولأنّه كان كرامياً مغالياً في مذهبه ، وأهل فيروزكوه شافعيّة ، وألزمهم أن يجعلوا الإقامة مثنى ؛ فلمّا وصل إلى فيروزكوه أحضر جماعة من الأمراء منهم : محمّد المرغنيّ وأخوه ، ومحمّد بن عثمان ، وهم من أكابر الأمراء ، وحلّفهم على مساعدته على قتال خوارزم شاه وبهاء الدين ، صاحب باميان ، ولم يذكر غياث الدين احتقاراً له ، فحلفوا له ولولده من بعده .

وكان غياث الدين بمدينة بُست لم يتحرّك في شيء انتظاراً لما يكون من صاحب باميان ، لأنّهما كانا قد تعاهدا أيّام شهاب الدين أن تكون خُراسان لغياث الدين وغَزنة والهند لبهاء الدين ، وكان بهاء الدين صاحب باميان بعد موت شهاب الدين أقوى منه ، فلهذا لم يفعل شيئاً ؛ فلمّا بلغه خبر موت بهاء الدين جلس على التخت ، وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان ، وحلّف الأمراء الذين قصدوه ، وهم إسمعيل الخلجيّ ، وسونج أمير أشكار [2] ، وزنكي بن خرجوم [3] ، وحسين الغوريّ صاحب تكياباذ [4] وغيرهم ، وتلقّب بألقاب أبيه غياث الدنيا والدين ، وكتب إلى علاء الدين محمّد بن أبي عليّ وهو بفيروزكوه يستدعيه إليه ، ويستعطفه ليصدر عن رأيه ، ويسلّم مملكته إليه ؛ وكتب إلى الحسين بن خرميل ، والي هراة ، مثل ذلك أيضاً ، ووعده الزيادة في الإقطاع .

1) A. أرض الداون .B . الدوان .

2) C. P : شكا . 740 : سكار . A. شكار .

3) C. P. 740 : بن حرحوم . Ups : حرحوم .

4) *Defrémery*. Codd. نكاباد .

على ما يريد ابن خرميل بفعله من الغدر به ، والميل إلى خوارزم شاه ، وحثّه على قصد هراة ، وقال له : أنا أُسلّمها إليك ساعة تصل إليها ؛ ووافقه بعض الأمراء ، وخالفه غيرهم ، وقال : ينبغي أن لا تترك له حجّة ، فترسل إليه تقليداً بولاية هراة ؛ ففعل ذلك ، وسيّره مع ابن زياد وبعض أصحابه .

ثمّ إنّ غياث الدين كاتب أميران بن قيصر ، صاحب الطالقان ، يستدعيه إليه ، فتوقّف ؛ وأرسل إلى صاحب مَرْوَ ليسير إليه ، فتوقّف أيضاً ، فقال له أهل البلد : إن لم تُسلم البلد إلى غياث الدين ، وتتوجّه إليه ، وإلاّ سلّمناك وقيّدناك ، وأرسلناك إليه ؛ فاضطرّ إلى المجيء إلى فيروزكوه ، فخلع عليه غياث الدين ، وأقطعه إقطاعاً ، وأقطع الطالقان سونج مملوك أبيه المعروف بأمير أشكار .

ذكر استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغُوريّة بخراسان

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خَرميل ، والي هراة ، خوارزم شاه ، ومراسلته في الانتماء إليه والطاعة له ، وترك طاعة الغوريّة ، وخداعه لغياث الدين ، ومغالطته له بالخطبة له والطاعة ، انتظاراً لوُصول عسكر خوارزم شاه ، ووصول رسول غياث الدين وابن زياد بالخِلع إلى ابن خرميل ، فلمّا وصلت الخِلع إليه لبسها هو وأصحابه ، وطالبه رسول غياث الدين بالخطبة ، فقال : يوم الجمعة نخطب له .

فاتّفق قرب عسكر خوارزم شاه منهم ، فلمّا كان يوم الجمعة قيل له في معنى الخطبة ، فقال : نحن في شغل أهمّ منها بوصول هذا العدوّ ؛ فطالت المجادلات بينهم في ذلك ، وهو مُصرّ على الامتناع منها ، ووصل عسكر خوارزم شاه ، فلقيهم ابن خرميل ، وأنزلهم على باب البلد ، فقالوا له : قد

أمّرنا خوارزم شاه أن لا نخالف لك أمراً ؛ فشكرهم على ذلك ؛ وكان يخرج إليهم كلّ يوم ، وأقام لهم الوظائف الكثيرة .

وأتاه الخبر أنّ خوارزم شاه نزل على بلخ فحاصرها ، فلقيه صاحبها ؛ وقاتله بظاهر البلد ، فلم ينزل بالقرب منها ، فنزل على أربعة فراسخ ، فندم ابن خرميل على طاعة خوارزم شاه ، وقال لخواصّه : لقد أخطأنا حيث صرنا مع هذا الرجل ، فإنّني أراه عاجزاً .

وشرع في إعادة العسكر ، فقال للأمراء : إنّ خوارزم شاه قد أرسل إلى غياث الدين يقول له : إنّني على العهد الذي بيننا ، وأنا أترك ما كان لأبيك بخُراسان ؛ والمصلحة أن ترجعوا حتّى ننظر ما يكون . فعادوا ، وأرسل إليهم الهدايا الكثيرة .

وكان غياث الدين حيث اتّصل به وصول عسكر خوارزم شاه إلى هراة ، فأخذ إقطاع ابن خرميل وأرسل إلى كُرزُبان وأخذ كلّ ما له بها من مال ، وأولاد ، ودوابّ ، وغير ذلك ، وأخذ أصحابه في القيود ، وأتاه كتب من يميل إليه من الغُوريّة يقولون له : إن رآك غياث الدين قتلك .

ولمّا سمع أهل هراة بما فعل غياث الدين بأهل ابن خرميل وماله عزموا على قبضه والمكاتبة إلى غياث الدين بإنفاذ مَن يتسلّم البلد ، وكتب القاضي صاعد ، قاضي هراة ، وابن زياد إلى غياث الدين بذلك ؛ فلمّا سمع ابن خرميل بما فعله غياث الدين بأهله ، وبما عزم عليه أهل هراة ، خاف أن يعاجلوه بالقبض ، فحضر عند القاضي ، وأحضر أعيان البلد ، وألان لهم القول ، وتقرّب إليهم ، وأظهر طاعة غياث الدين ، وقال : قد رددتُ عسكر[1] خوارزم شاه ، وأريد [أن] أُرسل رسولاً إلى غياث الدين بطاعتي[2] ، والذي أُوثره منكم أن

1) A. قد وردت عساكر .

2) B. om. الدين بطاعتي .

العزم . وأرسل محمّد بن عليّ بن بشير إلى عماد الدين نائبه يعرّفه حال أصحابه وأسرهم ، وأنّه لم يبق عليه حجّة . ولا له في التأخّر عنه عذر . فدخل إليه ، ولم يزل يخدعه تارة يرغّبه ، وتارة يرهبه ، حتّى أجاب إلى طاعة خوارزم شاه والخطبة له . وذكر اسمه على السكّة ، وقال : أنا أعلم أنّه لا يفي لي ؛ فأرسل مَن يستحلفه[1] على ما أراد . فتمّ الصلح ، وخرج إلى خوارزم شاه . فخلع عليه ، وأعاده إلى بلده ، وكان سلخ ربيع الأوّل سنة ثلاث وستّمائة .

ثمّ سار خوارزم شاه إلى كُرْزُبان ليحاصرها ، وبها عليّ بن أبي عليّ . وأرسل إلى غياث الدين يقول : إنّ هذه كان قد أقطعها عمّك لابن خَرميل ؛ فتنزل عنها ؛ فامتنع ، وقال : بيني وبينكم السيف ؛ فأرسل إليه خوارزم شاه مع محمّد بن عليّ بن بشير فرغّبه ، وآيسه من نجدة غياث الدين . ولم يزل به حتّى نزل عنها وسلّمها . وعاد إلى فيروزكوه . فأمر غياث الدين بقتله . فشفع فيه الأمراء . فتركه . وسلّم خوارزم شاه كُرْزُبان إلى ابن خرميل . ثمّ أرسل إلى عماد الدين ، صاحب بلخ ، يطلبه إليه ، ويقول : قد حضر مهمّ ولا غنى عن حضورك . فأنت اليوم من أخصّ أوليائنا ؛ فحضر عنده . فقبض عليه وسيّره إلى خوارزم . ومضى هو إلى بلخ . فأخذها واستناب بها جعفر[2] [1] التركيّ .

1) A. استحلفه .

2) A. جقر . B. حفر .

١ جعفر .

ذكر مُلك خوارزم شاه ترمذ وتسليمها إلى الخطا

لمّا أخذ خوارزم شاه مدينة بلخ سار عنها إلى مدينة تِرمذ مجدّاً ، وبها ولد عماد الدين كان صاحب بلخ ، فأرسل إليه محمّد بن عليّ بن بشير يقول له : إنّ أباك قد صار من أخصّ أصحابي وأكابر أمراء دولتي ، وقد سلّم إليّ بلخ ، وإنّما ظهر لي منه ما أنكرتُه ، فسيّرتُه إلى خوارزم مكرّماً محترماً ، وأمّا أنت فتكون عندي أخاً .

ووعده ، وأقطعه الكثير ، فخدعه محمّد بن عليّ ، فرأى صاحبها أنّ خوارزم شاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من جانب آخر . وأصحابه قد أسرهم الدُز بغَزْنَة . فضعُفت نفسه . وأرسل مَن يستحلف له خوارزم شاه ، فحلف له . وتسلّم منه تِرمذ وسلّمها إلى الخطا . فلقد اكتسب بها خوارزم شاه سُبّة عظيمة ، وذكراً قبيحاً[1] في عاجل الأمر ؛ ثمّ ظهر للناس ، بعد ذلك . أنّه إنّما سلّمها إليهم ليتمكّن بذلك من مُلك خراسان ، ثمّ يعود إليهم فيأخذها وغيرها منهم ، لأنّه لمّا ملك خراسان وقصد بلاد الخطا وأخذها وأفناهم علم الناس أنّه فعل ذلك خديعةً ومكراً . غفر الله له .

ذكر عود أولاد صاحب باميان إلى غزنة

قد ذكرنا قبلُ وصول الدُز التركيّ إلى غزنة ، وإخراجَه علاء الدين وجلال الدين ولدَيْ بهاء الدين سام ، صاحب باميان ، منها ، بعد أن ملكها . وأقام هو في غزنة مِن عاشر رمضان سنة اثنتين وستّمائة إلى خامس ذي القعدة من

1) A. قبيحاً وعقاباً عظيماً .

السنة ، يحسن السيرة ، ويعدل في الرعيّة ، وأقطع البلاد للأجناد ، فبعضهم أقام، وبعضهم سار إلى غياث الدين بفيروزكوه ، وبعضهم سار إلى علاء الدين ، صاحب باميان ، ولم يخطب لأحد ، ولا لنفسه ، وكان يَعِد الناس بأنّ رسولي عند مولاي غياث الدين . فإذا عاد خطبتُ له ؛ ففرح الناس بقوله .

وكان يفعل ذلك مكراً وخديعةً بهم وبغياث الدين ، لأنّه لو لم يُظهر ذلك لفارقه أكثر الأتراك وسائر الرعايا ، وكان حينئذ يضعُف عن مقاومة صاحب باميان . فكان يستخدم الأتراك وغيرهم بهذا القول وأشباهه .

فلمّا ظفر بصاحب باميان ، على ما نذكره ، أظهر ما كان يُضمره ؛ فبينما هو في هذا أتاه الخبر بقرب علاء الدين وجلال الدين ولدَيْ بهاء الدين ، صاحب باميان ، في العساكر الكثيرة ، وأنّهم قد عزموا على نهب غَزنة ، واستباحة الأموال والأنفس . فخاف الناس خوفاً شديداً . وجهّز الدُز كثيراً من عسكره وسيّرهم إلى طريقهم ، فلقوا أوائل العسكر ، فقُتل من الأتراك [جماعة] ، وأدركهم العسكر ، فلم يكن لهم قوّة بهم . فانهزموا ، وتبعهم عسكر علاء الدين يقتلون ويأسرون . فوصل المنهزمون إلى غَزْنَة ؛ فخرج عنها الدُز منهزماً يطلب بلده كَرمان . فأدركه بعض عسكر باميان ، نحو ثلاثة آلاف فارس ، فقاتلهم قتالاً شديداً . فردّهم عنه ، وأحضر من كَرمان مالاً كثيراً ، وسلاحاً ، ففرّقه في العسكر .

وأمّا علاء الدين وأخوه فإنّهما تركا غَزْنة لم يدخلاها ، وسارا في أثر الدُز ، فسمع بهم ، فسار عن كرمان ، فنهب الناس بعضهم بعضاً ، وملك علاء الدين كَرمان ، وأمّنوا أهلها ، وعزموا على العود إلى غَزنة ونَهْبها . فسمع أهلها بذلك ، فقصدوا القاضي سعيد بن مسعود وشكوا إليه حالهم ، فمشى إلى وزير علاء الدين المعروف بالصاحب . وأخبره بحال الناس ، فطيّب قلوبهم ،

وأخبرهم غيره ممّن يثقون به أنّهم مجمعونَ على النهب ، فاستعدوا ، وضيّقوا أبواب الدروب والشوارع ، وأعدّوا العرّادات[1] والأحجار ، وجاءت التجار من العراق ، والموصل ، والشام ، وغيرها ، وشكوا إلى أصحاب السلطان، فلم يُشكهم أحد ، فقصدوا دار مجد الدين بن الربيع ، رسول الخليفة ، واستغاثوا به ، فسكّنهم ، ووعدهم الشفاعة فيهم وفي أهل البلد ، فأرسل إلى أمير كبير من الغوريّة يقال له سليمان بن سيس ، وكان شيخاً كبيراً يرجعون إلى قوله ، يُعرّفه الحال ، ويقول له ليكتب إلى علاء الدين وأخيه يتشفّع في الناس ، ففعل ، وبالغ في الشفاعة ، وخوّفهم من أهل البلد إن أصرّوا على النهب ، فأجابوه إلى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة .

وكانوا قد وعدوا من معهم من العساكر بنهب غزنة ، فعوّضوهم من الخزانة، فسكن الناس ، وعاد العسكر إلى غزنة أواخر ذي القعدة ومعهم الخزانة التي أخذها الدُز من مؤيّد الملك لمّا عاد ومعه شهاب الدين قتيلاً ، فكانت مع ما أُضيف إليها من الثياب والعين تسع مائة حمل ، ومن جملة ما كان فيها من الثياب الممزّج ، المنسوج بالذهب ، اثنا عشر ألف ثوب .

وعزم علاء الدين [أن] يستوزر مؤيّد الملك ، فسمع أخوه جلال الدين ، فأحضره وخلع عليه ، على كراهة منه للخلعة ، واستوزره ، فلمّا سمع علاء الدين بذلك قبض على مؤيّد الملك ، وقيّده ، وحبسه ، فتغيّرت نيّات الناس ، واختلفوا ، ثمّ إنّ علاء الدين وجلال الدين اقتسما الخزانة ، وجرى بينهما من المشاحنة في القسمة ما لا يجري بين التجار ، فاستدلّ بذلك الناس على أنّهما لا يستقيم لهما حال لبخلهما ، واختلافهما ، وندم الأمراء على ميلهم إليهما ، وتركهم غياث الدين مع ما ظهر من كرمه وإحسانه .

١ الغرادات .

وأمّا الدُز فإنّه سار إلى طريق جلال الدين ، فالتقوا[1] بقرية بَلَق ، فاقتتلوا قتالاً صبروا فيه ، فانهزم جلال الدين وعسكره ، وأُخذ جلال الدين أسيراً ، وأُتي به إلى الدُز . فلمّا رآه ترجّل وقبّل يده ، وأمر بالاحتياط عليه . وعاد إلى غزنة وجلال الدين معه وألف أسير من البامياتيّة ، وغنم أصحابه أموالهم .

ولمّا عاد إلى غَزنة أرسل إلى علاء الدين يقول له ليسلّم القلعة إليه ، وإلاّ قتل مَن عنده من الأسرى ، فلم يسلّمها، فقتل منهم أربع مائة أسير بإزاء القلعة، فلمّا رأى علاء الدين ذلك أرسل مؤيّد الملك يطلب الأمان ، فأمّنه الدُز ، فلمّا خرج قبض عليه ووكّل به وبأخيه مَن يحفظهما ، وقبض على وزيره عماد المُلك لسوء سيرته ، وكان هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش مع علاء الدين بقلعة غزنة ، فلمّا خرج منها قبض عليه أيضاً ، وكتب إلى غياث الدين بالفتح ، وأرسل إليه الأعلام وبعض الأسرى .

ذكر قصد صاحب مَراغة وصاحب إربل أذربيجان

في هذه السنة اتّفق صاحب مَراغة ، وهو علاء الدين ، هو ومظفّر الدين كوكبري[2] ، صاحب إرْبِل ، على قصد أذْرَبيجان وأخْذها من صاحبها أبي بكر بن البهلوان ، لاشتغاله بالشرب ليلاً ونهاراً ، وترْكه النظر في أحوال المملكة ، وحفظ العساكر والرعايا ، فسار صاحب إربل إلى مَراغة ، واجتمع هو وصاحبها علاء الدين ، وتقدّما نحو تِبرْيز ، فلمّا علم صاحبها أبو بكر

1) A. om. inde a فالتقوا usque ad. الدين .

2) B. كوكبري بن علي .

أرسل إلى إيدغمش ، صاحب بلاد الجبل ، هَمَذان وأصفَهان والري وما بينها من البلاد ، وهو مملوك أبيه البهلوان ، وهو في طاعة أبي بكر ، إلاّ أنّه قد غلب على البلاد ، فلا يلتفت إلى أبي بكر ، فأرسل إليه أبو بكر يستنجده ، ويعرّفه الحال ، وكان حينئذ ببلد الإسماعيليّة ، فلمّا أتاه الخبر سار إليه في العساكر الكثيرة .

فلمّا حضر عنده أرسل إلى صاحب إربل يقول له : إنّنا كنّا نسمع عنك أنّك تحبّ أهل العلم والخير وتحسن إليهم ، فكنّا نعتقد فيك الخير والدين ، فلمّا[1] كان الآن ظهر لنا منك ضدّ ذلك لقصدك بلاد الإسلام ، وقتال المسلمين ، ونهب أموالهم ، وإثارة الفتنة ، فإذا كنت كذلك فما لك عقل ؛ تجيء إلينا ، وأنت صاحب قَرية ، ونحن لنا من باب خُراسان إلى خِلاط[2] وإلى إربل[3] ، واحسب أنّك هزمت هذا ، أما تعلم أن له مماليك ، أنا أحدهم ، ولو أخذ من كلّ قرية شحنة ، أو من كلّ مدينة عشرة رجال ، لاجتمع له أضعاف عسكرك ، فالمصلحة أنّك ترجع إلى بلدك ؛ وإنّما أقول[4] لك هذا إبقاء عليك .

ثمّ سار نحوه عقيب هذه الرسالة ، فلمّا سمعها مظفّر الدين وبلغه مسير إيدغمش عزم على العود ، فاجتهد به صاحب مراغة ليقيم بمكانه ، ويسلّم عسكره إليه ، وقال له : إنّني قد كاتبني جميع أمرائه ليكونوا معي إذا قصدتُهم ؛ فلم يقبل مظفّر الدين من قوله ، وعاد إلى بلده ، وسلك الطريق الشاقّة ، والمضايق الصعبة ، والعقاب الشاهقة ، خوفاً من الطلب .

ثمّ إنّ أبا بكر وإيدغمش قصدا مرَاغة وحصراها ، فصالحهما صاحبها على تسليم قلعة من حصونه إلى أبي بكر ، هي كانت سبب الاختلاف ، وأقطعه أبو بكر مدينتَيْ أُسْنُوا[5] وأُرمِيَةَ وعاد عنه .

1) B. وأصفهان والذي ما . 2) B. إلى بلاد خلاط . 3) B. إلى باب إربل . 4) B. بلدك وأنا أقول .

5) B. أسنوا – Fortasse اشنه legendum. Cfr *Journ. Asiat.* 1847, I, P. 460.

فقال : أمّا أنا فمملوكك ، وأمّا هذه الحصون فهي أمانة بيدي ، ولا أسلّمها إلاّ إلى صاحبها ؛ فاستحسن خوارزم شاه منه هذا ، وأثنى عليه ، وذمّ سونج .

ولمّا بلغ غياث الدين خبر سونج ، وتسليمه الطالقان إلى خوارزم شاه ، عظم عنده وشقّ عليه ، فسلاّه أصحابه ، وهوّنوا الأمر .

ولمّا فرغ خوارزم شاه من الطالقان سار إلى هَرَلة ، فنزل بظاهرها ، ولم يمكن ابن خرميل أحداً من الخوارزميّين أن يتطرّق بالأذى إلى أهلها ، وإنّما كانوا يجتمع منهم الجماعة بعد الجماعة ، فيقطعون الطريق ، وهذه عادة الخوارزميّين .

ووصل رسول غياث الدين إلى خوارزم شاه بالهَدايا ، ورأى الناس عجباً ، وذلك أنّ الخوارزميّين لا يذكرون غياث الدين الكبير والد غياث الدين هذا ، ولا يذكرون أيضاً شهاب الدين أخاه ، وهما حيّان ، إلاّ بالغُوريّ ، وصاحب غزنة ، وكان وزير خوارزم شاه الآن ، مع عظم شأنه وقلّة شأن غياث الدين هذا ، لا يذكره إلاّ بمولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلّة بلاده .

وأمّا ابن خرميل فإنّه سار من هَراة في جمع من عسكر خوارزم شاه ، فنزل على أسفزار في صفر ، وكان صاحبها قد توجّه إلى غياث الدين فحصرها وأرسل إلى مَن بها يقسم بالله لئن سلّموها أن يؤمّنهم ، وإن امتنعوا أقام عليهم إلى أن يأخذهم ، فإذا أخذهم قهراً لا يُبقي على كبير ولا صغير ، فخافوا ، فسلّموها في ربيع الأوّل ، فأمّنهم ولم يتعرّض إلى أهلها بسوء ؛ فلمّا أخذها أرسل إلى حرب بن محمّد ، صاحب سجستان ، يدعوه إلى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده ، فأجابه إلى ذلك ، وكان غياث الدين قد راسله قبل ذلك في الخطبة والدخول في طاعته ، فغالطه ولم يجبه إلى ما طلب .

ولمّا كان خوارزم شاه على هراة عاد إليها القاضي صاعد بن الفضل الذي كان ابن خرميل قد أخرجه من هَراة في العام الماضي ، وسار إلى غياث الدين ، فعاد الآن من عنده ، فلمّا وصل قال ابن خرميل لخوارزم شاه : إنّ هذا يميل إلى الغُوريّة ، ويريد دولتهم ، ووقع فيه ، فسجنه خوارزم شاه بقلعة زوْزَن ، وولّى القضاء بهراة الصفي أبا بكر بن محمّد السرخسيّ ، وكان ينوب عن صاعد وابنه في القضاء بهراة .

ذكر حال غياث الدين مع الدُز وأيبك

لمّا عاد الدُز إلى غَزنة ، وأسر علاء الدين وأخاه جلال الدين ، كما ذكرناه ، كتب إليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له ، فأجابه جواب مدافع ، وكان جوابه في هذه المرّة أشدّ منه فيما تقدّم ، فأعاد غياث الدين إليه يقول : إمّا أن تخطب لنا ، وإمّا أن تعرّفنا ما في نفسك ؛ فلمّا وصل الرسول بهذا أحضر خطيب غَزنَة وأمره [أن] يخطب لنفسه بعد الترحّم على شهاب الدين ، فخطب لتاج الدين الدُز بغزنة .

فلمّا سمع الناس ذلك ساءهم ، وتغيّرت نيّاتهم ، ونيّات الأتراك الذين معه ، ولم يروه أهلاً أن يخدموه ، وإنّما كانوا يُطيعونه ظنّاً منهم أنّه ينصر دولة غياث الدين ، فلمّا خطب له أرسل إلى غياث الدين يقول له : بماذا تشتطّ عليّ ، وتتحكّم في هذه الخزانة ؟ نحن جمعناها بأسيافنا ، وهذا المُلك قد أخذته ، وأنت قد اجتمع عندك الذين هم أساس الفتنة ، وأقطعتهم الإقطاعات ، ووعدتّني بأمور [1] لم تقف عليها ، فإن أنت أعتقتّني [1] خطبتُ لك وحضرتُ خدمتك .

1) A. وأمرتني بأمور . A. تعتقني .

ولم يصنع معروفاً ، وكان قد أُكرم ببغداد عند قدومه من بُخارَى ، فلمّا عاد لم يُلتفت إليه لسوء سيرته مع الحاجّ ، وسمّاه الحجاج صدر جهنّم .

وفيها ، في شوّال ، مات شيخنا أبو الحرم مكي بن ريان[1] بن شبة النحوي المُقري بالموصل ، وكان عارفاً بالنحو واللغة والقراآت ، لم يكن في زمانه مثله ، وكان ضريراً ، وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة حسنة ؛ وكان من خيار عباد الله وصالحيهم ، كثير التواضع ، لا يزال الناس يشتغلون عليه من بُكرة إلى الليل .

وفيها فارق أمير الحاجّ مظفّر الدين سُنْقُر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبُع الحاجّ بموضع يقال له المرجوم ، ومضى في طائفة من أصحابه إلى الشام ، وسار الحاجّ ومعهم الجند ، فوصلوا سالمين ، ووصل هو إلى الملك العادل أبي بكر بن أيّوب ، فأقطعه إقطاعاً كثيراً بمصر ، وأقام عنده إلى أن عاد إلى بغداد سنة ثمان وستّمائة في جمادى الأولى ؛ فإنّه لمّا قُبض الوزير أمن على نفسه ، وأرسل يطلب العود ، فأُجيب إليه ، فلمّا وصل أكرمه الخليفة وأقطعه الكوفة .

وفيها ، في جمادى الآخرة ، توفّي أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الإسكندرانيّ ، المعروف بابن النطرونيّ ، في مارستان بغداد ، وكان قد مضى إلى المايورقيّ في رسالة بإفريقية ، فحصل له منه عشرة آلاف دينار مغربيّة ، فرّقها جميعها في بلده على معارفه وأصدقائه ، وكان فاضلاً خيّراً ، نعم الرجل ، رحمه الله ، وله شعر حسن ، وكان قيّماً بعلم الأدب ، وأقام بالموصل مدّة ، واشتغل على الشيخ أبي الحرم ، واجتمعتُ به كثيراً عنده .

1) C. P. 740 : ملي بن ربان ؛ Ups : سكي بن ردن .

٦٠٤

ثم دخلت سنة أربع وستمائة

ذكر ملك خوارزم شاه ما وراء النهر وما كان بخراسان من الفتن وإصلاحها

في هذه السنة عبر علاء الدين محمّد بن خوارزم شاه نَهر جيحُون لقتال الخطا .

وسبب ذلك أنّ الخطا كانوا قد طالت أيّامهم ببلاد تُركِستان ، وما وراء النهر ، وثقلت وطأتهم على أهلها ، ولهم في كلّ مدينة نائبٌ يجبي إليهم الأموال ، وهم يسكنون الخركاهات على عادتهم قبل أن يملكوا ، وكان مقامهم بنواحي أوزكَنْد ، وبلاساغُون ، وكاشْغَر ، وتلك النواحي ، فاتّفق أنّ سلطان سَمَرْقَند وبُخارى ، ويلقّب خان خانان ، يعني سلطان السلاطين ، وهو من أولاد الخانيّة ، عريق النسب في الإسلام والملك ، أنف وضجر من تحكّم الكفّار على المسلمين ، فأرسل إلى خوارزم شاه يقول له : إنّ الله ، عزّ وجلّ ، قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفّار ، وتخلّصهم ممّا يجري عليهم من التحكّم في الأموال والأبشار ، ونحن نتّفق معك على محاربة الخطا ، ونحمل إليك ما نحمله إليهم ، ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكّة ؛ فأجابه إلى ذلك . وقال : أخاف أنّكم لا تفون لي .

فسيّر إليه صاحب سَمَرْقَندَ وجوه أهل بُخارى وسمرقند ، بعد أن حلّفوا صاحبهم على الوفاء بما تضمّنه ، وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما

ثم دخلت سنة تسع وستمائة

ذكر قدوم ابن منكلي بغداد[1]

في هذه السنة ، في المحرّم ، قدم محمّد بن منكلي المستولي على بلاد الجبل إلى بغداد . وسبب ذلك أنّ أباه منكلي لمّا استولى على بلاد الجبل وهرب إيدغمش صاحبها منها إلى بغداد خاف أن يساعده الخليفة ، ويرسل معه العساكر ، فيعظم الأمر عليه ، لأنّه لم يكن قد تمكّن في البلاد ، فأرسل ولده محمّداً ومعه جماعة من العسكر ، فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه ، وأُنزل وأُكرم ، وبقي ببغداد إلى أن قُتل إيدغمش . فخلع عليه وعلى مَن معه ، وأُكرموا ، وسيّرهم إلى أبيه .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض الملك العادل أبو بكر بن أيّوب ، صاحب مصر والشام ، على أمير اسمه أُسامة ، كان له إقطاع كثير من جملته حصن كوكب من أعمال الأردنّ بالشام[2] ، وأخذ منه حصن كوكب وخرّبه وعفّى أثره ، ومن بعده بنى حصناً بالقرب من عكّا على جبل يسمّى الطُّور ، وهو معروف هناك ، وشحنه بالرجال والذخائر والسلاح . وفيها[3] توفّي الفقيه محمّد بن إسمعيل بن أبي الصيف اليمنيّ ، فقيه الحرم الشريف بمكّة[4] .

1) B. om. 2) A. والشام . 3) A. om. وفيها . . . بمكة .

4) B. post بمكة ad B . وكان شافعياً توفي في ذي الحجة .

ثم دخلت سنة عشر وستمائة

ذكر قتل إيدغمش

في هذه السنة ، في المحرّم ، قُتل إيدغمش الذي كان صاحب همذان ، وقد ذكرنا سنة ثمان أنّه قدم إلى بغداد وأقام بها ، فأنعم عليه الخليفة ، وشرّفه بالخلع ، وأعطاه الكوسات وما يحتاج إليه ، وسيّره إلى همذان ، فسار في جُمادى الآخرة[1] عن بغداد قاصداً إلى همذان ، فوصل إلى بلاد ابن ترجم[2] واجتمعا ، وأقام ينتظر وصول عساكر بغداد إليه ليسير معه على قاعدة استقرّت بينهم .

وكان الخليفة قد عزل سليمان بن ترجم[2] عن الإمارة على عشيرته من التركمان الإيوانيّة[3] ، وولّى أخاه الأصغر ، فأرسل سليمان إلى منكلي يعرّفه بحال إيدغمش ، ومضى هو على وجهه . فأخذوه فقتلوه . وحملوا رأسه إلى منكلي ، وتفرّق من معه من أصحابه في البلاد لا يلوي أخ على أخيه .

ووصل الخبر بقتله إلى بغداد ، فعظم على الخليفة ذلك ، وأرسل إلى منكلي ينكر عليه ما فعل ، فأجاب جواباً شديداً ، وتمكّن من البلاد ، وقوي أمره ، وكثرت جموع عساكره ، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله .

1) A. om. في . . . الآخرة .

2) Seu برجم Vid. *Journ. Asiat.* 1847, I. p. 178. – A. ; B. sine punct. برجم .

3) A. ; B. om. sine punct. الإيوانية .

٦١٤

ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة

ذكر مُلك خُوارزم شاه بلد الجبل

في هذه السنة سار خُوارزم شاه علاء الدين محمّد بن تكش إلى بلاد الجبل فملكها .

وكان سبب حركته ، في هذا الوقت ، أشياء ، أحدها : أنّه كان قد استولى على ما وراء النهر ، وظفر بالخطا ، وعظم أمره ، وعلا شأنه ، وأطاعه القريب والبعيد ؛ ومنها : أنّه كان يهوى أن يُخطب له ببغداد ، ويُلقّب بالسلطان ، وكان الأمر بالضدّ لأنّه كان[1] لا يجد من ديوان الخلافة قبولاً ؛ وكان سبيله إذا ورد إلى بغداد [أن] يقدّم غيره عليه ، ولعلّ في عسكره مائة مثل الذي يقدّم سبيله عليه ، فكان إذا سمع ذلك يُغضبه ؛ ومنها : أنّ أغلمش لمّا ملك بلاد الجبل خطب له فيها جميعها ، كما ذكرناه ، فلمّا قتله الباطنيّة غضب له ، وخرج لئلاّ تخرج البلاد عن طاعته ، فسار مجدّاً في عساكر تطبّق الأرض ، فوصل إلى الرّيّ فملكها .

وكان أتابك سعد بن دكلا ، صاحب بلاد فارس ، لمّا بلغه مقتل أغلمش جمع عساكره وسار نحو بلاد الجبل طمعاً في تملّكها لخلوّها عن حامٍ وممانع ، فوصل إلى أصفهان ، فأطاعه أهلها ، وسار منها يريد الرّيّ ، ولم يعلم بقدوم خوارزم شاه ، فلقيه مقدّمة خوارزم شاه فظنّها عساكر تلك الديار قد اجتمعت

1) B. om. لأنه كان .

قتاله ومنعه عن البلاد ...

فبينما هو كذلك إذ هو قد ظهر له جتر خوارزم شاه ، فسأل عنه ، فأُخبر به فاستسلم ، وانهزمت عساكره ، وأُخذ أسيراً ، وحُمل إلى بين يدي خوارزم شاه ، فأكرمه ، ووعده الإحسان والجميل ، وأمّنه على نفسه ، واستحلفه على طاعته ، واستقرّت القاعدة بينهما على أن يسلّم بعض البلاد إليه ، ويبقي بعضها[1] ، وأطلقه وسيّر معه جيشاً إلى بلاد فارس ليسلّم إليهم ما استقرّت القاعدة عليه ؛ فلمّا قدم على ولده الأكبر رآه قد تغلّب على بلاد فارس ، فامتنع من التسليم إلى أبيه .

ثمّ إنّه ملك البلاد ، كما نذكره ، وخطب فيها لخوارزم شاه ، وسار خوارزم شاه إلى ساوة فملكها ، وأقطعها لعماد الملك عارض جيشه ، وهو من أهلها ، ثمّ سار إلى قَزوين وزَنْجان وأبهَر ، فملكها كلّها بغير ممانع ولا مدافع ، ثمّ سار إلى هَمَذان فملكها ، وأقطع البلاد لأصحابه ، وملك أصفهان ، وكذلك قُمّ وقاشان ، واستوعب مُلك جميع البلاد ، واستقرّت القاعدة بينه وبين أوزبك بن البهلوان ، صاحب أذْرَبيجان وأرّان[2] ، بأن يخطب له أوزبك في بلاده ويدخل في طاعته .

ثمّ إنّه عزم على المسير إلى بغداد ، فقدّم بين يديه أميراً كبيراً في خمسة عشر ألف فارس ، وأقطعه حُلوان ، فسار حتّى وصل إليها ؛ ثمّ أتبعه بأمير آخر ، فلمّا سار عن هَمَذان يومين أو ثلاثة سقط عليهم من الثلج ما لم يُسمع بمثله ، فهلكت دوابّهم ، ومات كثير منهم ، وطمع فيمن بقي بنو ترجم الأتراك ، وبنو هكّار الأكراد ، فتخطّفوهم ، فلم يرجع منهم إلى خوارزم

1) B. ويبقى معه .

2) B. أذربيجان وأراد أن .

١ يهزمهم .

وسبب هذا الاختلاف أنّ مظفّر الدين كان يراسل الملوك أصحاب الأطراف ليستميلهم . ويحسّن لهم الخروج على الأشرف . ويخوّفهم منه . إن خلا وجهه . فأجابه إلى ذلك عزّ الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان ، صاحب بلاد الروم . [وصاحب آمِد] . وحصن كيفا . وصاحب ماردين ؛ واتّفقوا كلّهم على طاعة كيكاوس . وخطبوا له في بلادهم ؛ ونحن نذكر ما [1] كان بينه وبين الأشرف عند مَنبِج لمّا قصد بلاد حلب . فهو موغر الصدر عليه .

فاتّفق أنّ كيكاوس مات في ذلك الوقت . وكُفي الأشرف وبدر الدين شرّه . ولا جدّ إلاّ ما أقعص عنك الرجال . وكان مظفّر الدين قد راسل جماعة من الأمراء الذين مع الأشرف . واستمالهم . فأجابوه . منهم : أحمد بن عليّ بن المشطوب . الذي ذكرنا أنّه فعل على دِمياط ما فعل ؛ وهو أكبر أمير معه . ووافقه غيره ، منهم : عزّ الدين محمّد بن بدر الحميديّ وغيرهما . وفارقوا الأشرف . ونزلوا بدُنَيسِر . تحت ماردين . ليجتمعوا مع صاحب آمِد . ويمنعوا الأشرف من العبور إلى الموصِل لمساعدة بدر الدين .

فلمّا اجتمعوا هناك عاد صاحب آمِد إلى موافقة الأشرف ، وفارقهم ، واستقرّ الصلح بينهما . وسلّم إليه الأشرف مدينة حاني . وجبل جُور . وضمن له أخذ دارًا وتسليمها إليه . فلمّا فارقهم صاحب آمِد انحلّ أمرهم ؛ فاضطرّ بعض أولئك الأمراء إلى العود إلى طاعة الأشرف . وبقي ابن المشطوب وحده ، فسار إلى نَصيبين ليسير إلى إربل . فخرج إليه شحنة نَصيبين فيمن عنده من الجند . فاقتتلوا . فانهزم ابن المشطوب . وتفرّق مَن معه من الجمع ، ومضى منهزماً . فاجتاز بطرف بلد سِنجار . فسيّر إليه صاحبها فروخ شاه بن زنكي ابن مودود بن زنكي عسكراً فهزموه وأخذوه أسيراً وحملوه إلى سِنجار . وكان صاحبها موافقاً للأشرف وبدر الدين .

1) A. قد ذكرنا ما .

فلمّا صار عنده ابن المشطوب حسّن عنده مخالفة الأشرف ؛ فأجابه إلى ذلك وأطلقه ، فاجتمع معه مَن يريد الفساد ، فقصدوا البقعا من أعمال الموصِل ، ونهبوا فيها عدّة قرى ، وعادوا إلى سِنجار ، ثمّ ساروا وهو معهم إلى تلّ يَعفَر ، وهي لصاحب سِنجار ؛ ليقصدوا بلد الموصِل وينهبوا في تلك الناحية ، فلمّا سمع بدر الدين بذلك سيّر إليه عسكراً . فقاتلوهم ، فمضى منهزماً ، وصعد إلى تَلّ يَعفَر . واحتمى بها منهم . ونازلوه وحصروه فيها ، فسار بدر الدين من الموصل إليه يوم الثلاثاء لتسع بقين من ربيع الأوّل سنة سبع عشرة وستّمائة ، وجدّ في حصره . وزحف إليها مرّة بعد أخرى ، فملكها سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة . وأخذ ابن المشطوب معه إلى الموصل فسجنه بها ، ثمّ أخذه منه الأشرف فسجنه بحَرّان إلى أن توفّي في ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستّمائة . ولقّاه الله عقوبة ما صنع بالمسلمين بدِمياط .

وأمّا الملك الأشرف . فإنّه لمّا أطاعه صاحب الحصن وآمِد ، وتفرّق الأمراء [عنه] كما ذكرناه . رحل من حَرّان إلى دُنَيسِر . فنزل عليها ، واستولى على بلد ماردين . وشحّن عليه . وأقطعه . ومنع الميرة عن ماردين ، وحضر معه صاحب [1] آمِد وتردّدت الرسل بينه وبين صاحب ماردين في الصلح ؛ فاصطلحوا على أن يأخذ الأشرف رأس عين ، وكان هو قد أقطعها لصاحب ماردين ، ويأخذ منه أيضاً ثلاثين ألف دينار ؛ ويأخذ منه صاحب آمِد المُوَزَّر ، من بلد [شبختان] [2] .

فلمّا تمّ الصلح سار الأشرف من دُنَيسِر إلى نَصيبين يريد الموصِل [3] ؛ فبينما هو في الطريق لقيه رسل صاحب سِنجار يبذل تسليمها إليه ، ويطلب العوض عنها مدينة الرَّقّة .

1) A. وحضره صاحب .   2) C. P. 740 : سنحثان .   3) A. om. يريد الموصل .

كافّة . واستقبحوه ، واستضعفوه . لا جرَم لم يمهله الله تعالى لعدم الرحمة في قلبه ، ومات عقيب هذه الحادثة .

وسلّم الأشرف تلّ باشر وغيرها من بلد حلب إلى شهاب الدين أتابك ، صاحب حلب ، وكان عازماً على اتّباع كيكاوس ، ودخول[1] بلاده ، فأتاه الخبر بوفاة أبيه الملك العادل ، فاقتضت المصلحة العود إلى حلب ، لأنّ الفرنج بديار مصر ، ومثل ذلك السلطان العظيم إذا توفّي ربّما جرى خلل في البلاد لا تُعرف العاقبة فيه ، فعاد إليها ، وكُفي كلّ منهما أذى صاحبه .

ذكر وفاة الملك العادل ومُلك أولاده بعده

[1]توفّي الملك العادل أبو بكر بن أيّوب سابع جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستّمائة ؛ وقد ذكرنا ابتداء دولتهم عند مُلك عمّه أسد الدين شيركوه ديار مصر سنة أربع وستّين وخمسمائة ؛ ولمّا ملك أخوه صلاح الدين يوسف بن أيّوب ديار مصر ، بعد عمّه ، وسار إلى الشام استخلفه[2] بمصر ثقة به ، واعتماداً عليه ، وعلماً بما هو عليه من توفّر العقل وحسن السيرة .

فلمّا توفّي أخوه صلاح الدين ملك دمشق وديار مصر ، كما ذكرناه ، وبقي مالكاً للبلاد إلى الآن ، فلمّا ظهر الفرنج ، كما ذكرناه سنة أربع عشرة وستّمائة ، قصد هو مرْج الصُّفّر ، فلمّا سار الفرنج إلى ديار مصر انتقل هو

1) Ups. add. لا .

١ ويدخل .

٢ يستخلفه .

إلى عالقين ، فأقام به ، ومرض ، وتوفّي ، وحمل إلى دمشق ، فدفن بالتربة التي له بها .

وكان عاقلاً ، ذا رأي سديد ، ومكر شديد ، وخديعة ، صبوراً ، حليماً ، ذا أناة ، يسمع ما يكره ، ويُغضي عليه حتّى كأنّه لم يسمعه ، كثير الحرج[1] وقت الحاجة لا يقف في شيء وإذا لم تكن حاجة فلا .

وكان عمره خمساً وسبعين سنة وشهوراً لأنّ مولده كان في المحرّم من سنة أربعين وخمسمائة . وملك دمشق في شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة [من الأفضل ابن أخيه . وملك مصر في ربيع الآخر من سنة ستّ وتسعين][2] منه أيضاً .

ومن أعجب ما رأيتُ من منافاة الطوالع أنّه لم يملك الأفضل مملكة قطّ إلا وأخذها منه عمّه العادل . فأوّل ذلك أنّ صلاح الدين أقطع ابنه الأفضل حرّان ، والرُّها ، وميّافارقين ، سنة ستّ وثمانين ، بعد وفاة تقيّ الدين ، فسار إليها ، فلمّا وصل إلى حلب أرسل أبوه الملكَ العادل بعده ، فردّه من حلب ، وأخذ هذه البلاد منه .

ثمّ ملك الأفضل بعد وفاة أبيه مدينة دمشق فأخذها منه ؛ ثمّ ملك مصر بعد وفاة أخيه الملك العزيز فأخذها أيضاً منه ، ثمّ ملك صَرْخَد فأخذها منه .

وأعجب من هذا أنّني رأيتُ بالبيت المقدّس سارية من الرخام مُلقاةً في بيعة صِهْيَون ، ليس مثلها ، فقال القسّ الذي بالبيعة : هذه كان قد أخذها الملك الأفضل لينقلها إلى دمشق ، ثمّ إنّ العادل أخذها بعد ذلك من الأفضل ؛ طلبها منه فأخذها . وهذا غاية[3] . وهو من أعجب ما يُحكى .

وكان العادل قد قسم البلاد في حياته بين أولاده . فجعل بمصر الملك الكامل

1) A. كثير الخرج .

2) C. P.

3) B. غاية في الطوالع .

فعزيز عليّ ذلك . ولوددتُ . والله . أن صلاحكم يهيّأ بأن لا آكل ولا أشرب ولا أطعم ولدي إلاّ القوت . ولا أكسوه[1] إلاّ ستر العورة . وأنتم تعلمون ما صار إليّ من الأموال . وأمّا ما ذكرتم من الإقطاعات وغيرها فأنا أنظر في ذلك وأصرفه[2] إلى محبّتكم إن شاء الله تعالى .

فقرأوا الكتاب وكتبوا . بعد الدّعاء . يسألون أن يردّ الأمور في الخاصّ والعامّ إلى أمير المؤمنين . لا يعترض عليه معترض ، وأن يردّ رسومهم إلى ما كانت عليه أيّام المستعين ، وهو أن يكون على كلّ تسعة عريف ، وعلى كلّ خمسين خليفة . وعلى كلّ مائة قائد . وأن يسقط النساء والزيادات . ولا يدخل مولى في ماله[3] ولا غيره[١] . وأن يُوضع لهم العطاء كلّ شهرَيْن . وأن تبطل الإقطاعات ، وذكروا أنّهم سائرون إلى بابه ليقضي حوائجهم . وإن بلغهم أنّ أحداً اعترض عليه أخذوا رأسه . وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا بها موسى بن بُغا وبابكيال[4] وياجور وغيرهم .

وأرسلوا الكتاب مع أبي القاسم . وتحوّلوا إلى سامرّا . فاضطرب القوّاد جدّاً ، وقد كان المهتدي قعد للمظالم . وعنده الفقهاء والقضاة . وقام القوّاد في مراتبهم . فدخل أبو القاسم إليه بالكتاب . فقرأه القوّاد قراءة ظاهرة . وفيهم موسى ، وكتب جوابه بخطّه . فأجابهم إلى ما سألوا . ودفعه إلى أبي القاسم ، فقال أبو القاسم لموسى بن بُغا وبابكيال[4] ومحمّد بن بُغا : وجّهوا معي رسلاً يعتذرون إليهم عنكم ، فوجّهوا معه رسلاً . فوصلوا إلى الأتراك ، وهم زهاء ألف فارس ، وثلاثة آلاف راجل ، وذلك لخمس خلون[5] من صفر ،

1) C. P. et B. البس . 2) B. et C. P. أصير . 3) A. قتاله .
4) A. hic وبامكيال ; B. add. مفلحاً . 5) B. بقون .

١ غيرها .

فأوصل الكتاب ، وقال : إن أمير المؤمنين قد أجابكم إلى ما سألتم ، وقال لهم : هؤلاء رسل القوّاد إليكم ، يعتذرون من شيء إن كان بلغكم عنهم[١] ، وهم يقولون إنّما أنتم إخوة ، وأنتم منّا وإلينا . واعتذر عنهم .

فكتبوا إلى المهتدي يطلبون خمسة[٢] توقيعات . توقيعاً بخطّ الزيادات ، وتوقيعاً بردّ الإقطاعات ، وتوقيعاً بإخراج الموالي البرانيّين من الخاصّة إلى البرانيّين ، وتوقيعاً بردّ الرسوم إلى ما كانت عليه أيّام المستعين ، وتوقيعاً بردّ البلاجي[1] ، ثمّ يجعل أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم ممّن يرى ليرفع[2] إليه أمورهم ، ولا يكون رجلاً من الموالي ، وأن يحاسب صالح بن وصيف ، وموسى بن بُغا عمّا عندهما من الأموال ويجعل لهم العطاء كلّ شهرَيْن ، لا يرضيهم إلاّ ذلك ، ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم . وكتبوا كتاباً آخر إلى القوّاد موسى وغيره [ذكروا فيه] أنّهم كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأنّه لا يمنعهم شيئاً ممّا طلبوا إلاّ أن يعترضوا عليه ، وأنّهم إن فعلوا ذلك لم يوافقوهم . وأنّ أمير المؤمنين إن شاكه شوكة ، وأُخذ من رأسه شعرة ، أخذوا رؤوسهم جميعاً ، ولا يقنعهم إلاّ أن يظهر صالح . ويجتمع هو وموسى ابن بُغا حتّى ينظر أين الأموال .

فلمّا قرأ المهتدي الكتاب أمر بإنشاء التوقيعات الخمسة[٣] على ما سألوا ، وسيّرها إليهم مع أبي القاسم وقت المغرب[3] ، وكتب إليهم بإجابتهم إلى ما طلبوا ، وكتب إليهم موسى بن بُغا كذلك ، وأذن[4] في ظهور صالح .

1) A. السلاحي . 2) A. ليوقع . 3) A. الظهر . 4) Om. A.

١ بلغهم عنكم .
٢ خمس .
٣ الخمس .

فاعتقله مكرّماً . وكان عمره حينئذ خمس عشرة سنة .

وثبت أمر صمصام الدولة . وسُعي إليه بابن سعدان الذي كان وزيره ، فعزله . وقيل إنّه كان هواه معهم . فقُتل ومضى أسفار إلى الأهواز . واتّصل بالأمير أبي الحسين بن عضد الدولة ، وخدمه ، وسار باقي العسكر إلى شرف الدولة .

ذكر أخبار القرامطة

في هذه السنة ورد إسحاق وجعفر البحريّان ، وهما من الستّة القرامطة الذين يلقّبون بالسادة ، فملكا الكوفة ، وخطبا لشرف الدولة ، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم ، وكان لهم من الهيبة ما إنّ عضد الدولة وبختيار أقطعاهم الكثير .

وكان نائبهم ببغداذ يُعرف بأبي بكر بن شاهويه ، يتحكّم تحكّم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة . فلمّا ورد القرامطة الكوفة كتب إليهما صمصام الدولة يتلطّفهما ، ويسألهما عن سبب حركتهما ، فذكرا أنّ قبْض نائبهم هو السبب في قصدهم بلاده ، وبثّا أصحابهما ، وجبيا[1] المال .

ووصل أبو قيس[1] الحسن بن المنذر إلى الجامعَيْن ، وهو من أكابرهم ، فأرسل صمصام الدولة العساكر ، ومعهم العرب ، فعبروا الفرات إليه وقاتلوه ، فانهزم عنهم ، وأُسر أبو قيس وجماعة من قوّادهم ، فقُتلوا ، فعاد القرامطة

1) Add. C. P. بن .

١ وجبوا .

وسيّروا جيشاً آخر في عدد كثير وعُدّة ، فالتقوا هم وعساكر صمصام الدولة بالجامعَيْن أيضاً ، فأجلت الوقعة عن هزيمة القرامطة ، وقُتل مقدّمهم وغيره ، وأُسر جماعة ، ونُهب سوادهم ، فلمّا بلغ المنهزمون إلى الكوفة رحل القرامطة ، وتبعهم العسكر إلى القادسيّة ، فلم يدركوهم ، وزال من حينئذ ناموسهم[1] .

ذكر الإفراج عن ورد الروميّ وما صار أمره إليه ودخول الروس في النصرانيّة

في هذه السنة أفرج صمصام الدولة عن ورد الروميّ ، وقد تقدّم ذكر حبسه . فلمّا كان الآن أفرج عنه وأطلقه[2] ، وشرط عليه إطلاق عدد كثير من أسارى المسلمين ، وأن يسلّم إليه سبعة حصون من بلد الروم برساتيقها ، وأن لا يقصد بلاد الإسلام هو ولا أحد من أصحابه ما عاش ، وجهّزه بما يحتاج إليه من مال وغيره ، فسار إلى بلاد الروم ، واستمال في طريقه خلقاً كثيراً من البوادي وغيرهم ، وأطمعهم في العطاء والغنيمة ، وسار حتّى نزل بملَطْيَة ، فتسلّمها ، وقوي بها وبما فيها من مالٍ وغيره .

وقصد ورديس[3] بن لاون ، فراسلا ، واستقرّ الأمر بينهما على أن تكون القُسطنطينيّة ، وما جاورها من شماليّ الخليج ، لورديس ، وهذا الجانب من الخليج لورد ، وتحالفا واجتمعا ، فقبض ورديس على ورد وحبسه ، ثم إنّه ندم فأطلقه عن قريب ، وعبر ورديس الخليج ، وحصر القسطنطينيّة وبها الملكان ابنا أرمانوس ، وهما بَسيل وقسطنطين ، وضيّق عليهما ، فراسلا ملك الروسية ، واستنجداه وزوّجاه بأخت لهما ، فامتنعت من تسليم نفسها إلى

1) A. بأسهم . 2) A. 3) A. ورديش .

... وأغلظا له . فأمرهما بالمقام عنده بقية شعبان ورمضان . ولم يتركهما
...يان إلى كتامة . وتجهّز لحرب كتامة وأبي الفهم ، وسار بعد عيد الأضحى ،
...مد مدينة ميلة . وأراد قتل أهلها وسَبْيَ نسائهم وذراريهم . فخرجوا
...يتضرّعون ويبكون فعفا عنهم . وخرّب سورها . وسار منها إلى كتامة
...لرسولان معه[1] .

فكان لا يمرّ بقصر ولا منزل إلّا هدمه ، حتّى بلغ مدينة سطيف ، وهي
...رسيّ عزّهم ، فاقتتلوا عندها قتالاً عظيماً ، فانهزمت كتامة . وهرب أبو
...فهم إلى جبل وعرٍ فيه ناس من كتامة يقال لهم بنو إبراهيم . فأرسل إليهم
...لمنصور يتهدّدهم إن لم يسلّموه ، فقالوا : هو ضيفُنا ولا نسلّمه ، ولكن
...رسِلْ أنت إليه فخذه ونحن لا نمنعه . فأرسل فأخذه ، وضربه ضرباً شديداً ،
ثم قتله وسلخه[2] . وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه . وقتل معه جماعة
من الدُّعاة ووجوه كتامة . وعاد إلى أشير[3] . وردّ الرسولَيْن إلى العزيز[4]
فأخبراه بما فعل بأبي الفهم ، وقالا : جئنا من عند شياطين يأكلون الناس . فأرسل
العزيز إلى المنصور يطيّب قلبه ، وأرسل إليه هدية . ولم يذكر له أبا الفهم .

ذكر معاودة باذ القتال[5]

في هذه السنة تجدّد لباذ الكرديّ طمع في بلاد الموصل وغيرها .

وسبب ذلك أن سعداً الحاجب الذي تقدّم ذكره توفّي بالموصل ، فسيّر
إليها شرف الدولة أبا نصر خواشاذه . وجهّز[6] إليه العساكر ، وكتب يستمدّ

1) Om. C. P. 2) A. سلخه وقتله . 3) A. 4) A. المعز . 5) A. باد semper. 6) A. وسير .

من شرف الدولة العساكر والأموال . فتأخّرت الأموال عنه ، فأحضر العرب من
بني عُقيل وأقطعهم البلاد ليمنعوا عنها ، وانحدر باذ فاستولى على طور
عبدين ، ولم يقدر[1] على النزول إلى الصحراء . وأرسل أخاه في عسكر ، فقاتلوا
العرب ، فقُتل أخوه وانهزم عسكره ، وأقام بعضهم مقابل بعض .

فبينما هم كذلك أتاهم الخبر بموت شرف الدولة ، فعاد خواشاذه إلى
الموصل وأظهر موته ، وأقامت العرب بالصحراء تمنع باذاً من النزول إليها ،
وباذ بالجبل ، وكان خواشاذه يصلح أمره ليعاود حرب باذ ، فأتاه[2] إبراهيم
وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة جلس الطائع لله لشرف الدولة جلوساً عامّاً وحضره أعيان
الدولة ، وخلع عليه ، وحلف[3] كلّ واحد منهما لصاحبه .

وفيها وُلد الأمير أبو عليّ الحسن بن فخر الدولة في رجب .

وفيها سار الصاحب بن عبّاد إلى طَبَرِستان فأصلحها . ونفى المتغلّبين
عنها ، وفتح عدّة حصون منها : حصن قريم[4] ، وعاد في سنته .

وفيها عصى[1] الأمير أبو منصور بن كوريكنج[5] ، صاحب قزوين ، على فخر

1) C. P. يقدم . 2) A. فأتاهم . 3) Add. A. عليه . 4) Om. C. P. 5) C. P. sine punctis.

١ عصا .

وبقي إلى السابع والعشرين من الشهر وغاب . ثم ظهر أيضاً آخر الشهر المذكور ، عند غروب الشمس ، كوكب[1] قد استدار نوره عليه كالقمر ، فارتاع الناس وانزعجوا . ولمّا أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب ، وبقي عشرة أيّام ثم اضمحلّ .

وفيها ، في جمادى الآخرة ، كانت بخُراسان والجبال زلزلةٌ عظيمة ، بقيت تتردّد أيّاماً ، تصدّعت منها الجبال ، وأهلكت خلقاً كثيراً ، وانخسف منها عدّة قُرى ، وخرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك .

وفيها ، في جمادى الأولى ، وقع حريق بنهر مُعلّى ، فاحترق من باب الجريد إلى آخر السوق الجديد من الجانبَيْن[2] .

وفيها وَلَدَت[3] صبيّةٌ بباب الأزج ، ولداً برأسَيْن[4] ، ورقبتَيْن ، ووجهَيْن ، وأربع أيدٍ على بدن واحد .

وفي جمادى الآخرة توفّي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيّ ، ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وكان إماماً في الحديث والفقه على مذهب الشافعيّ ، وله فيه مصنّفات أحدها السّنن الكبير ، عشرة مجلّدات ، وغيره من التصانيف الحسنة ، وكان عفيفاً ، زاهداً ، ومات بنيسابور .

وفي شهر رمضان منها توفّي أبو يعلى محمّد بن الحسين بن الفرّاء الحنبليّ ، ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة ، وعنه انتشر مذهب أحمد ، رضي الله عنه ، وكان إليه قضاء الحريم ببغداذ بدار الخلافة ، وهو مصنّف كتاب الصفات أتى فيه بكلّ عجيبة ، وترتيب أبوابه يدلّ على التجسيم المحض ، تعالى الله عن ذلك ؛ وكان ابن تميميّ الحنبليّ يقول : لقد خرىء أبو يعلى الفرّاء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء .

1) C. P. 2) Om. C. P. 3) A. وُلدت . 4) A. لها رأسان etc.

٤٥٩

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

ذكر عصيان ملك كَرْمان على ألب أرسلان وعوده إلى طاعته

في هذه السنة عصى ملك كَرمان ، وهو قرا أرسلان ، على السلطان ألْب أرسلان .

وسبب ذلك أنّه كان له وزير جاهل سوّلت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان ، وأنّ صاحبه ، إذا عصى ، احتاج إلى التمسّك به ، فحسّن لصاحبه الخلاف على السلطان ، فأجاب إلى ذلك ، وخلع الطاعة ، وقطع الخطبة .

فسمع ألْب أرسلان ، فسار إلى كَرمان ، فلمّا قاربها وقعتْ طليعته على طليعة قرا أرسلان ، فانهزمت طليعة قرا أرسلان بعد قتال . فلمّا سمع قرا أرسلان وعسكره بانهزام طليعتهم ، خافوا وتحيّروا ، فانهزموا لا يلوي أحد على آخر ، فدخل قرا أرسلان إلى جيرَفْت وامتنع بها ، وأرسل إلى السلطان ألب أرسلان يُظهر الطاعة ويسأل العفو عن زلّته ، فعفا عنه ، وحضر عند السلطان فأكرمه ، وبكى وأبكى مَن عنده ، فأعاده إلى مملكته ، ولم يغيّر عليه شيئاً من حاله ، فقال للسلطان : إنّ لي بنات تجهيزهنّ إليك ، وأمورهنّ إليك ؛ فأجابه إلى ذلك ، وأعطى كلّ واحدة منهنّ مائة ألف دينار سوى الثياب والإقطاعات[1] .

١ والاقطعات .

ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند

وفي هذه السنة أيضاً . في جمادى الأولى . وردت طائفة كثيرة من عسكر
إلى سكلكند . وبها عثمان عم السلطان ملكشاه . ويلقب بأمير الأمراء،
وه أسيراً . وعادوا به إلى غزنة مع خزائنه وحشمه . فسمع الأمير
شتكين بلكابك . وهو من أكابر الأمراء ، فتبع آثارهم . وكان معه أنوشتكين
ملوك خوارزم في زماننا . فنهبوا مدينة سكلكند .

ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك

لما بلغ قاورت بك . وهو بكرمان . وفاة أخيه ألب أرسلان سار طالباً
ي يريد الاستيلاء على الممالك . فسبقه إليها السلطان ملكشاه ونظام الملك ،
ارا منها إليه[1] . فالتقوا بالقرب من همذان في[2] شعبان . وكان العسكر
لون إلى قاورت بك . فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه . فهزموها ،
حمل شرف الدولة مسلم بن قريش . وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن
يد . وهما مع ملكشاه . ومن معهما من العرب والأكراد ، على ميمنة
اورت بك فهزموها . وتمت الهزيمة على أصحاب قاورت بك . ومضى
لمنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه إلى حلل شرف الدولة . وبهاء الدولة ،
هبوها غيظاً منهم . حيث هزموا عسكر قاورت بك . ونهبوا أيضاً ما كان
قيب النقباء طراد بن محمد الزيني رسول الخليفة .

1) C. P. فيها .   2) A. رابع .

وجاء رجل سوادي إلى السلطان ملكشاه ، فأخبره أن عمه قاورت بك في بعض القرى . فأرسل من أخذه وأحضره ، فأمر سعد الدولة كوهرائين فخنقه ، وأقر كرمان بيد أولاده . وسير إليهم الخلع ، وأقطع العرب والأكراد إقطاعات[1] كثيرة لما فعلوه في الوقعة .

وكان السبب في حضور شرف الدولة ، وبهاء الدولة . عند ملكشاه ، أن السلطان ألب أرسلان كان ساخطاً على شرف الدولة . فأرسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزيني إلى شرف الدولة بالموصل . فأخذه وسار به إلى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة ، فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب ، فأخذه شرف الدولة فغرقه ، وسار مع طراد . فبلغهما الخبر بوفاة ألب أرسلان ، ومسير ابنه ملكشاه . فتمما إليه .

وأما بهاء الدولة فإنه كان قد سار بمال أرسله به أبوه إلى السلطان ، فحضر الحرب[1] بهذا السبب .

ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك

ثم إن عسكر ملكشاه بسطوا[2] ومدوا أيديهم في أموال الرعية ، وقالوا : ما يمنع السلطان أن يعطينا الأموال إلا نظام الملك ، فنال الرعية أذى شديد ، فذكر ذلك نظام الملك للسلطان ، فبين له ما في هذا الفعل من الوهن ، وخراب البلاد ، وذهاب السياسة ، فقال له : افعل في هذا ما تراه مصلحة ! فقال له

1) A.   2) A. تبسطوا .

١ إقطعات .

الملك : ما يمكنني أن أفعل إلاّ بأمرك .

فقال السلطان : قد رددتُ الأمور كلّها كبيرها وصغيرها إليك ، فأنت
ـد ؛ وحلف له . وأقطعه إقطاعاً زائداً على ما كان ، من جملته طُوس مدينة
ـم الملك . وخلع عليه . ولقّبه ألقاباً من جملتها : أتابك . ومعناه الأمير
الـ . فظهر من كفايته ، وشجاعته ، وحسن سيرته ما هو مشهور . فمن
ـك أنّ امرأة ضعيفة استغاثت به ، فوقف يكلّمها وتكلّمه . فدفعه بعض
حجّابه ، فأنكر ذلك عليه وقال : إنّما استخدمتُك لأمثال هذه . فإنّ الأمراء
الأعيان لا حاجة بهم إليك ؛ ثمّ صرفه عن حجابته [١] .

ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان

في هذه السنة قُتل ناصر الدولة أبو عليّ الحسن[1] بن حمدان . وهو من أولاد[2] ناصر الدولة بن حمدان ، بمصر . وكان قد تقدّم فيها تقدّماً عظيماً .

ونذكر هاهنا الأسباب الموجبة لقتله ، فإنّها تتبع بعضها بعضاً ، وفي حروب وتجارب . وكان أوّل ذلك انحلال أمر الخلافة ، وفساد أحوال المستنصر بالله العلويّ ، صاحبها ، وسببه أنّ والدته كانت غالبةً على أمره ، وقد اصطنعتْ أبا سعيد إبراهيم التُّستَريّ[3] ، اليهوديّ ، وصار وزيراً لها ، فأشار عليها بوزارة أبي نصر الفلاحيّ ، فولّته الوزارة ، واتّفقا مدّةً ، ثمّ صار الفلاحيُّ ينفرد بالتدبير ، فوقع بينهما وحشة ، فخافه الفلاحيُّ أن يُفسد أمرَه مع أمّ المستنصر ،

1) A. الحسين .　2) A. أحفاد .　3) C. P. التشري .

١ حجبته .

فاصطنع الغلمان الأتراك ، واستمالهم ، وزاد في أرزاقهم ، فلمّا وثق بهم وضعهم على قتل اليهوديّ ، فقتلوه ، فعظم الأمر على أمّ المستنصر ، وأغرت به ولدها ، فقبض عليه ، وأرسلت من قتله تلك الليلة ، وكان بينهما في القتل تسعة أشهر .

ووزّر بعده أبو البركات حسن بن محمّد ، فوضعه على الغلمان الأتراك فأفسد أحوالهم ، وشرع يشتري العبيد للمستنصر ، واستكثر منهم ، فوَضعته أمّ المستنصر ليغري العبيد المجردين[1] بالأتراك . فخاف عاقبة ذلك ، وعلم أنّه يورث شرّاً وفساداً ، فلم يفعل ، فتنكّرت له ، وعزلتْه عن الوزارة .

ووليّ بعده الوزارة أبو محمّد اليازوريّ من قرية من قُرى الرملة اسمُها يازور ، فأمرته أيضاً بذلك ، فلم يفعل ، وأصلح الأمور إلى أن قُتل .

ووزر بعده أبو عبد الله الحسين بن البابليّ ، فأمرته بما أمرتْ به غيره من الوزراء من إغراء العبيد بالأتراك ، ففعل ، فتغيّرتْ نيّاتهم .

ثم إنّ المستنصر ركب ليشيّع الحجّاج ، فأجرى بعض الأتراك فرسه ، فوصل به إلى جماعة العبيد المحدثين ، وكانوا يحيطون بالمستنصر ، فضربه أحدهم فجرحه ، فعظم ذلك على الأتراك ونشبت بينهم الحرب ، ثمّ اصطلحوا على تسليم الجارح[2] إليهم ، واستحكمت العداوة ، فقال الوزير للعبيد : خذوا حذركم ؛ فاجتمعوا في محلّتهم .

وعرف الأتراك ذلك ، فاجتمعوا إلى مقدّميهم ، وقصدوا ناصر الدولة ابن حمدان ، وهو أكبر قائد بمصر ، وشكوا إليه ، واستمالوا المصامدة ، وكتامة ، وتعاهدوا ، وتعاقدوا ، فقوي الأتراك ، وضعف العبيد المحدثون ، فخرجوا من القاهرة إلى الصعيد ليجتمعوا هناك ، فانضاف إليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل ، فخاف الأتراك وشكوا إلى المستنصر ، فأعاد

1) A.　2) A. الخارج .

وبها قسيم الدولة آقسنقر ، فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه ، وصغرهم . فعلم أنّه لا يطيق دفع تُتُش . فصالحه . وصار معه . وأرسل إلى باغي سيان[1] . صاحب أنطاكية . وإلى بوزان . صاحب الرُّها وحرّان ، يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تُتُش حتّى يروا ما يكون من أولاد ملكشاه . ففعلوا . وصاروا معه . وخطبوا له في بلادهم . وقصدوا الرحبة . فحصروها . وملكوها في المحرّم من هذه السنة . وخطب لنفسه بالسلطنة .

ثم ساروا إلى نَصيبين ، فحصروها . فسبّ أهلُها تاج الدولة . ففتحها عنوةً وقهراً . وقتل من أهلها خلقاً كثيراً . ونُهبت الأموال ، وفعل فيها الأفعال القبيحة . ثم سلّمها إلى الأمير محمّد بن شرف الدولة العُقَيلي . وسار يريد الموصل . وأتاه الكافي بن فخر الدولة بن جَهير ، وكان في جزيرة ابن عمر ، فأكرمه . واستوزره .

ذكر وقعة المُضَيَّع وأخذ الموصل من العرب

كان إبراهيم بن قُريش بن بدران ، أمير بني عُقَيل . قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه ، فلمّا حضر عنده اعتقله . وأنفذ فخر الدولة بن جَهير إلى البلاد . فملك الموصل وغيرها . وبقي إبراهيم مع ملكشاه ، وسار معه إلى سَمَرْقَنْد . وعاد إلى بغداذ . فلمّا مات ملكشاه أطلقته تركان خاتون من الاعتقال ، فسار إلى الموصل .

وكان ملكشاه قد أقطع عمّته صفيّةَ مدينة بَلَد ، وكانت زوجة شرف الدولة . ولها منه ابنها عليّ . وكانت قد تزوّجت بعد شرف الدولة بأخيه إبراهيم ،

1) C. P. in marg. باغبسان cum ظ superscripto.

فلمّا مات ملكشاه قصدت الموصل ، ومعها ابنها عليّ . فقصدها محمّد بن شرف الدولة . وأراد أخذ الموصل . فافترقت العرب فرقتَين : فرقة معه ، وأخرى مع صفيّة وابنها عليّ . واقتتلوا بالموصل عند الكُناسة ، فظفر عليٌّ ، وانهزم محمّد . وملك عليٌّ الموصل .

فلمّا وصل إبراهيم إلى جُهَيْنَة ، وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ . سمع أنّ الأمير عليّاً[١] ابن أخيه شرف الدولة قد ملكها ، ومعه أمّه صفيّة . عمّة ملكشاه ، فأقام مكانه ، وراسل صفيّة خاتون ، وتردّدت الرسل ، فسلّمت البلد إليه ، فأقام به .

فلمّا ملك تُتُش نَصيبين أرسل إليه يأمره أن يخطب له بالسلطنة ، ويُعطيه طريقاً إلى بغداذ لينحدر ، ويطلب الخطبة بالسلطنة . فامتنع إبراهيم من ذلك ، فسار تُتُش إليه . وتقدّم إبراهيم أيضاً نحوه ، فالتقوا بالمُضَيَّع ، من أعمال الموصل ، في ربيع الأوّل ، وكان إبراهيم في ثلاثين ألفاً . وكان تُتُش في عشرة آلاف ، وكان آقسنقر على ميمنته ، وبوزان على ميسرته ، فحمل العرب على بوزان . فانهزم[1] ، وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم . وتمّت الهزيمة على إبراهيم والعرب ، وأُخذ إبراهيم أسيراً وجماعة من أمراء العرب . فقُتلوا صبراً . ونُهبت أموال العرب وما معهم من الإبل والغنم والخيل وغير ذلك ، وقتل كثيرٌ من نساء العرب أنفسهنّ خوفاً من السبي والفضيحة .

وملك تُتُش بلادهم الموصل وغيرها ، واستناب بها عليّ بن شرف الدولة مسلم ، وأمّه صفيّة عمّة تُتُش . وأرسل إلى بغداذ يطلب الخطبة . وساعده

1) A.

١ عليّ .

حصناً من أعماله يُعرف بالحبس ، يُعرف بحصن جلدك ، سلّمه إليهم المستحفظ به وقصدوا أذْرِعات فنهبوها . فأرسل إليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين ، فانحازوا عنه إلى جبل هناك ، فنازلهم ، فأتاه أبوه ونهاه عنهم ، فلم يفعل ، وطمع فيهم ، فلمّا أيِس الفرنج قاتلوا قتال مُسْتقتل ، فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها ، وأسروا وقتلوا خلقاً كثيراً ، وعاد الفلّ إلى دمشق على أسوإ حال .

فسار طغتكين إلى حلب ، وبها إيلغازي ، فاستنجده ، وطلب منه التعاضد على الفرنج ، فوعده بالمسير معه . فبينما هو بحلب أتاه الخبر بأنّ الفرنج قصدوا حَوْران من أعمال دمشق ، فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا ، فاتّفق رأي طغتكين وإيلغازي على عود طغتكين إلى دمشق ، وحماية بلاده ، وعود إيلغازي[1] إلى ماردين ، وجَمْع العساكر ، والاجتماع على حرب الفرنج ، فصالح إيلغازي مَن يليه من الفرنج على ما تقدّم ذكره ، وعبر إلى ماردين لجمع العساكر ، وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة [وخمسمائة] ، إن شاء الله تعالى .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة انقطع الغيث ، وعُدمت الغلاّت في كثير من البلاد ، وكان أشدّه بالعراق ، فغلت الأسعار ، وأجلى أهل السواد ، وتقوّت الناس بالنخالة ، وعظم الأمر على أهل بغداذ بما كان يفعله منكبرس بهم .

وفيها أسقط المسترشد بالله من الإقطاع المختصّ به كلّ جَوْر ، وأمر أن لا يؤخذ إلاّ ما جرت به العادة القديمة ، وأطلق ضمان غزل الذهب ، وكان

1) Bodl. ; Om. C. P.

صنّاع السَّقْلاطون ، والممزّج ، وغيرهم ممّن يعمل منه ، يلقون شدّة من العمّال عليها ، وأذًى عظيماً .

وفيها تأخّر مسير الحُجّاج تأخّراً أُرجف بسببه بانقطاع الحجّ من العراق ، فرتّب الخليفة الأمير نَظَر ، خادم أمير الجيوش يُمن ، وولاّه من أمر الحجّ ما كان يتولاّه أمير الجيوش ، وأعطاه من المال ما يحتاج إليه في طريقه ، وسيّره ، فأدركوا الحجّ وظهرت كفاية نظر .

وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوّة ونجدة للفرنج بالشام ، فغرقا ، وكان الناس قد خافوا ممّن فيهما .

وفيها وصل رسول إيلغازي ، صاحب حلب وماردين ، إلى بغداذ يستنفر على الفرنج ، ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزريّة ، وأنّهم ملكوا قلعة عند الرُّها ، وقتلوا أميرها ابن عُطَيْر ، فسُيِّرت الكتب بذلك إلى السلطان محمود .

وفيها نُقل المستظهر إلى الرُّصافة ، وجميع من كان مدفوناً بدار الخلافة ، وفيهم جدّة المستظهر أمّ المقتدي ، وكانت وفاتها بعد المستظهر ، ورأت البطن الرابع من أولادها .

وفيها كثُر أمر العيّارين بالجانب الغربيّ من بغداذ ، فعبر إليهم نائب الشِّحنة في خمسين غلاماً أتراكاً ، فقاتلهم ، فانهزم منهم ، ثمّ عبر إليهم من الغد في مائتَيْ غلام ، فلم يظفر بهم ، ونهب العيّارون يومئذ قُطُفْتا .

وفي هذه السنة ، في شعبان ، توفّي أبو الفضل بكر بن محمّد بن عليّ بن الفضل الأنصاريُّ من ولد جابر بن عبد الله ، وهو من بلد بخارى ، وكان من أعيان الفقهاء الحنفيّة ، حافظاً للمذهب .

وتوفّي أبو طالب الحسين بن محمّد بن عليّ بن الحسن الزينبيُّ ، نقيب النقباء ببغداذ ، في صفر ، واستقال من النقابة ، فوليها أخوه طِراد ، وكان من أكابر